ثلاثا وستين بدنة وأعتق ثلاثا وستين رقبة صلى الله عليه وسلم وكان الفيل فى العام الذى ولد فيه صلى الله
عليه وسلم والمشهور عند الاكثرين انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وقيل
بشهرين وقيل باربعين يوما وقال الكلبى كان مولده قبل الفيل بعشرين سنة وقال مقاتل باربعين سنة
وقال الدماميني فى عين الحياة ان أبرهة بن الاشرم ملك الحبشة حضر الى الكعبة يريد هدمها فى المحرم سنة
اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر الثانى الملقب بذى القرنين المتقدم ذكره ومبدؤه من السنة
التى خرج فيها من مقدونية وطاف الارض وهى السنة السابعة من ملكه وطريق معرفة سنيه أن تزيد على
سنى القبط التامة خمسمائة وتسعين سنة يحصل سنو الروم المطلوبة و بينه و بين السنة التى هاجر فيها نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة وخمسة وخمسون يوما وأول سنى
الروم تشرين الاول ومدخله فى رابع بابه تشرين الثانى أوله خامس هاتور كانون الاول أوله خامس كيهك
كانون الثانى أوله سادس طوبه شباط أوله سابع أمشير أدار أوله خامس برمهات نيسان أوله سادس
برموده أيار أوله سادس بشنس حزيران أوله سابع بؤنه تموز أوله سابع أبيب آب أوله ثامن مسرى
أيلول أوله رابع توت وكان النبى صلى الله عليه وسلم حملا فى بطن أمه وفى المسند عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم
الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين رجعنا الى قصة الفيل وذلك ان
أبرهة بن الاشرم المذكور بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد صرف الحجاج عن الكعبة اليها ثم ان
جماعة من قريش خرجوا فى تجارة حتى جاؤا قريبا من تلك الكنيسة فاضرموا نارا ثم ارتحلوا فهبت ريح
فاحرقت الكنيسة فغضب النجاشى فقال له ابرهة لا تحزن فنحن نهدم الكعبة فطلب ابرهة من النجاشى فيله
المعروف بمحمود ومعه عشرة من الفيلة وقيل اثنا عشر وقيل الف فيل ولما قرب ابرهة من مكة أمر بالغارة على
اهل الحرم فأخذ لعبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم مائة بعير وأنفذ أبرهة رسولا الى عبد المطلب
يقول له لم آت لقتال وانما أتيت لهدم هذه البنية فجاء الرسول الى عبد المطلب و بلغه الرسالة فقال
عبد المطلب هذا بيت الله و بيت ابراهيم خليله ونحن ما لنا بدان نقاتل هذا الملك وتوجه مع الرسول الى
ابرهة ودخل عليه بعد ما عرفوه بشرفه فاكرمه أبرهة وعظمه ونزل عن سريره واجلسه معه على البساط
وقال لترجمانه قل له يسال عن حاجته فقال يرد الملك على الاباعر التى اخذها فقال ابرهة قل له قد زهدت فى
عينى انا جئت لهدم بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم فلم تكلمنى فيه وتسئلنى عن رد مائتى بعير
فقال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب يحميه ويمنعه فقال ابرهة ما كان ليمنعنى منه فقال
دونك فرد عليه ابله فعاد عبد المطلب الى مكة وأمرهم ان يتفرقوا فى رؤس الجبال واتى الى البيت وحده
واصبح ابرهة ايها المدعى الفخار دع الفخار للعنكبوت محمود فبعثه الى نحو الحرم فلم ينبعث فضربوه بالمعول فى راسه فابى وبرك
وقد روى ان عبد المطلب اخذ بحلقة باب الكعبة وقال

ب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت قد عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

ومن خواص العنكبوت سيلان الدم واذا لدغ المحموم يبرأ باذن الله
ثم لم يزل آخذا بحلقة باب الكعبة حتى نشأت من قبل اليمن من البحر طير فقال عبد المطلب
فتملك قريش در فهاما هى نجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية اشباه اليعاسيب قد اقبلت يكسع بعضها
الى هنا انتهى ن فرقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت الى الجيش والقت على راس
امية بن خلف حصاة فكان الحجر يقع على بيضة احدهم فيخرقها حتى يقع فى دماغه و يخرق الفيل او الدابة
ويغيب فى الارض من شدة وقعه وكان يقع على راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وأما ابرهة

والزرع ما بين الجبلين
من أول مصر الى آخرها
وكان المسافر يسير من
اسكندرية الى أسوان
بلا زاد فى ظل واشجار
وفواكه الى ان يصل
الى مدينة أسوان وعن
عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما قال لما خلق الله
تعالى آدم مثل له الدنيا
شرقها وغربها سهلها
وجبالها وانهارها وبحارها
وبناءها وخرابها ومن
يسكنها من الامم ومن
يملكها من الملوك فلما راى
مصر راى أرضا سهلة ذات
نهر جار مادته من الجنة
تنحدر فيه البركة وتمزجه
الرحمة وراى جبلا من
جبالها مكسوا انوارا لا يخلو
من نظر الرب اليه بالرحمة فى
سفحه اشجار مثمرة فروعها
فى الجنة تسقى بالرحمة فدعا
آدم للنيل بالبركة ودعا
لارض مصر بالرحمة والبر

فصارت أعضاؤه تتساقط مثل الانملة و يتبعها مدة ودم وقيح حتى وصل صنعاء وطائره فوق رأسه وهو لا يشعر حتى أتى النجاشي فقص عليه القصة فلما انتهى ألقى الطائر عليه الحجر فمات بين يدى النجاشي واختلف فى قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل فقال سعيد بن جبير هى طير تعيش بين السماء والارض وتفرخ لها خراطيم الطير وأكف الكلاب وعن عكرمة هى طير خضر خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى كالبلسان وعن عائشة رضى الله عنها هى أشبه شئ بالخطاطيف وقيل السنونو الذى ياوى المسجد الحرام والسنونو بضم السين والنونين نوع من الخطاطيف (فائدة) اذا دخل أحد على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حمعسق و يعقد لكل حرف من هذه الحروف العشرة أصبعا من أصابع يديه يبدأ بابهام يده اليمنى و يختم بابهام اليسرى فاذا فرغ من عقد جميع الاصابع قرأ فى نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة أصبعا من الاصابع المعقودة فاذا فعل ذلك أمن من شره وهو مجرب عجيب و روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر أربعين سنة و يوما بعثه الله رسولا الى سائر الامم من عرب ومن عجم فكان بعد ذلك لا يمر على شجر ولا مدر الا وقال السلام عليك يارسول الله و روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل النبوة قال القاضى عياض هو الحجر الاسود و روى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى الاسلام من أول ما نزل عليه الوحى ثلاث سنين مستخفيا ثم أمر باظهار الدعوة قال صاحب المواهب اللدنية ان مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين النبوة الى حين خروجه منها بضع عشرة سنة و يدل على ذلك قول صرمة

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

و روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه فى الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهى أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور فقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهى يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون و يترافقون فكان أول من دخل المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة الاسدى ثم قدم بعده عامر بن ربيعة مع زوجته ليلى وهى أول ظعينة قدمت الى المدينة ثم صار القوم يرحلون من مكة أولا بأول ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضى الله عنهما ثم اجتمعت قريش ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوة دار قصى بن كلاب وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها و يتشاورون ماذا يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع امرهم على قتله وتفرقوا على ذلك فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فأمر عليا عليه الصلاة والسلام ان ينام مكانه وغطى ببرد اخضر فخرج صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله أبصارهم عنه ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث اراد فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون خيبكم الله والله ان محمدا قد خرج عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وفى رواية أبى حاتم كما صححه الحاكم عن ابن عباس ما اصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفى ذلك نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها جهزناهما أحسن جهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب

والتقوى و بارك فى سهلها وجبلها سبع مرات وعن عبد الله بن سلام قال مصر ام البركات تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من اهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحى الى نيلها فى كل عام مرتين عند جريانه يوحى اليه ان الله يأمرك ان تجرى فيجرى كما أمر ثم يوحى اليه ثانيا ان الله يأمرك ان تغيض حميدا فيغيض وان مصر بلدة معافاة واهلها اهل عافية وهى آمنة ممن يقصدها بسوء ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومدته من الجنة وكفى بالعسل طعاما وشرابا وعن كعب قال فى التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من أرادها بسوء قصمه الله وعن عقبة بن مسلم يرفعه ان الله يقول يوم القيامة لساكنى مصر

فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة ووقف على المروة ونظر الى بيت الله الحرام وقال والله انك لاحب أرض الله الى ولولا أهلك أخرجوني ماخرجت منك ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها فلم يجدوه فشق على قريش خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در البوصيرى حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألفته ضبابها والظباء * وسلوه وحن جذع اليه
وقلوه ووده الغرباء * أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

وروى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل مرة يمشي امامه ومرة يمشي خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ماهذا يا ابا بكر فقال يارسول الله أذكر الرصد فاحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فاحب أن أكون خلفك أحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا باس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحفى فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدخل الغار قال ابو بكر والذى بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل فاسبره قبلك فدخل ابو بكر رضى الله عنه فجعل يلتمس بيده الغار فى ظلمة الليل مخافة ان يكون فيه شئ يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيأ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وباتا فيه وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار ولله در القائل

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شى
فان العنكبوت اجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وروى عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه افضل الصلاة والسلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى تاريخ ابى القاسم بن عساكر ان العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا سنة احدى وعشرين ومائة واقام مصلوبا اربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته الى القبلة فأحرقوا الخشبة وجسده وقال ابن خلكان فى ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقى انه وقف بالقاهرة على البيتين المشهورين لجماعة من الشعراء وهما

القنى فى لظى فان غيرتنى * عنك يوما فلست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فقال ابن صابر فى جوابهما

ايها المدعى الفخار دع الفخ * ر لذى الكبرياء والجبروت * نسج داود لم يفد ليلة الغا
ر وكان الفخار للعنكبوت * وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

ومن خواص العنكبوت انه اذا جعل نسجها على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم واذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها والعنكبوت الذى ينسج على الكنيف اذا علق على المحموم يبرأ باذن الله وان الله سبحانه وتعالى أمر اليراع فنبتت على فم الغار وحمامتين فعششتا وباضتا وأقبل فتيان قريش بسهامهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى الاثر فما أدرى بعد ذلك أصعد الى السماء أم غاص فى الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف ما تنظرون الى الغار وان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله بين يدى

يعدد عليهم النعم أما سكنتم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها وقال أبو الربيع السائح نعم البلد مصر يحج منها بدينارين ويغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر وقيل ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر وأقام بها قال اللهم انى غريب فحببها الى كل غريب فمضت دعوته فليس يدخلها غريب الا أحب المقام بها وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة * منهم افلاطون وبطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول يذهب الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وفى الصحيحين عن أنس قال
قال أبو بكر نظرت الى أقدام المشركين من الغار على رؤسنا فقلت يارسول الله لو أن احدهم نظر الى قدميه
لابصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم ابصارهم
فعميت عن دخولهم وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار والى هذا يشير صاحب البردة رضى الله تعالى
عنه بقوله

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو
بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار
ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على
طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا لبنا أو لحما يشترونه منها فلم
يجدوا عندها شيأ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتاذنى لى ان أحلبها قالت نعم
بابى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فسمحت وسمى الله فتفاجت
ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فحلب فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة أخرى وبقية قصة
أم معبد مذكورة فى المواهب اللدنية فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها ثم تعرض للنبى صلى الله عليه وسلم
وأبى بكر رضى الله عنه سراقة بن مالك المدلجى وعلم انهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن أتى بهما
فركب فرسه وتبعهما بزعمه فبكى أبو بكر وقال يارسول الله أتينا فقال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدعوات فساخت قوائم فرسه فطلب الامان وقال اعلم ان قد دعوتما على فادعوا لى ولكما ان أرد الناس
عنكما ولا أضركما قال سراقة فوقفا لى ثم ركبت فرسى حتى جئتهما قال فوقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت ان
سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهما بما يريد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم
يقبلا واجتاز صلى الله عليه وسلم فى طريقه بعد ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شأنه من طريق البيهقى عن
قيس بن النعمان قال لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه
اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان هاهنا شاة حملت عام أول وما بقى لها لبن قال فادع بها فاعتقلها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا الله حتى انزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى
الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك فقال وأراك تكتم على حتى أخبرك قال
نعم قال انا محمد رسول الله قال فأشهد انك نبى وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبى وأنا متبعك
قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فأتنا ولما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانوا يغدون كل يوم الى الحرة ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة
فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا الانتظار فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لامر ينتظر
اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى بأعلى
صوته يا بنى قيلة هذا جدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج
بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف وعن سعيد انه قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم لاثنتى

مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وولد بها عدة من الانبياء وهم موسى وأخوه هرون ويوشع بن نون ودخل اليها عيسى وتوجه الى الصعيد ثم أقام بقرية هنالك تسمى اهناس * ودخلها أيضا ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وارميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى أثنى عليه الله فى كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا فى ساعة واحدة مع كثرتهم * وقال المسعودى ان كل قرية من قرى مصر تصلح ان تكون مدينة على انفرادها * وقال القضاعى

عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين لهلال ربيع الاول وأقام على رضي الله عنه بعد خروج النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين واقام صلى الله عليه وسلم بقباء يوم الاثنين
والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجد قباء على التقوى من أول يوم ثم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من
المسلمين وهم مائة في بطن وادي رانوناء براء مهملة ونونين ممدود او ركب راحلته يوم الجمعة متوجها الى
المدينة وكان عليه أفضل الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يقولون
يارسول الله هلم الى القوة والمنعة أين قول الانصار رضي الله عنهم من قول اهل مكة وقسوتهم واخراجهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وهي بلده ومسقط رأسه ولقد أنصف من قال

لا تنكرون لاهل مكة قسوة * والبيت فيها والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته اهل طيبة منهم

لان اهل مكة كانوا يؤذونه في نفسه ويقصدون نكايته في اهله قتلوا اعمامه وعذبوا اصحابه واخرجوه من
احب البقاع اليه ولما يسر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة ودخلها بغير جدهم وظهرت
كلمته فيها على رغمهم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من الظفر ثم قال لهم لا اقول لكم الا كما
قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ذكره عبد الرحمن بن رجب الحنبلي في
كتابه لطائف المعارف لو قام المذنبون في الاسحار على اقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها
ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا البر زلهم التوقيع عليها
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يا يعقوب الهجر هب ريح يوسف الوصل فلو
استنشقت لعدت بعد العمى بصيرا ولو جدت ما كنت افقده فقير انقل الغزى نزيل مكة في كتابه قال الشيخ
مظفر الدين الامشاطي أهل مكة عندهم أنفة وتعاظم وكبر وحسد والكذب فاش بينهم والنميمة والخداع
والطمع فيما في أيدي الناس وبغض الغريب الا ان يكون مع الغريب شيء من الدنيا فهم عبيد له يسلبون
ما معه ثم يرمونه بالسوء ويسلقونه بالسنة حداد وأما أهل المدينة فيغلب على أهلها الترحم وحب الغرباء
ومواساتهم والاحسان اليهم وفي طبعهم الجود والكرم ويحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار خلوا
سبيل الناقة فانها مأمورة وقد أرخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار
ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الانصاري ثم سارت وبركت في مبركها
الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان
شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار أوسط دور الانصار
وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ان بيت ابي أيوب بناه التبع الاول
للنبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم وترك كتابا له صلى الله عليه وسلم ودفعه الى
كبيرهم وسأله ان يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداوله اصحاب الدور الى ان صار الى ابي أيوب وهو ولد
ذلك العالم قال واهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من اولاد أولئك العلماء فعلى هذا انما نزل
في منزل نفسه لا منزل غيره وفرح اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت المدينة بحلوله فيها وسرت
به القلوب قال انس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجين عند قدومه يقلن

لم يكن في الارض أعظم من
ملك مصر فانها لو زرعت
جميعا لوفت بخراج الدنيا
باسرها ويوجد في مصر
في كل شهر نوع من
المأكول او المشموم فيقال
رطب توت ورمان بابه
وموز هاتور وسمك كيهك
وماء طوبة ورميس أي
خروف أمشير ولبن
برمهات وورد برموده
ونبق بشنس وتين بؤنه
وعسل أبيب وعنب
مسرى * والسبع زهرات
التي تجتمع في أواخر الشتاء
في وقت واحد ولا تجتمع في
غيرها من البلاد وهي
الترمس والبنفسج والورد
النصيبي والهماني زهر
النارنج والياسمين
والنسرين وأن أهل مصر
الغالب عليهم الافراح
واتباع الشهوات والانهماك
في اللذات وتصديق
المحالات وفي أخلاقهم

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع * ايها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

و روى البيهقي عن أنس لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحبونني قلن نعم يا رسول الله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان قلبي يحبكم ووعك أبو بكر و بلال بالمدينة فقال بلال اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من ارضنا الى أرض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد و بهذا تمسك مالك رضي الله عنه في تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك رضي الله عنه ظهر دابة بالمدينة قط و يقول استحي ان أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهري رحمه الله على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبي الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وأقام صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب سبعة أشهر ولما أراد عليه الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعه صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير اداها من مال أبي بكر قال أنس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فأمر بالقبور فنبشت والخرب فسويت والنخل فقطعت وأمر باتخاذها فاتخذت و بني المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة على جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وحنين الجذع في السنة الثامنة من الهجرة وجزم ابن سعد بانه عمل في السنة السابعة قال الشيخ ابن عبد الله بن النعمان حديث حنين الجذع الذي يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمع الكثير والجم الغفير قال جابر فصاح الجذع صياح الصغير فضمه اليه وفي بعض الروايات والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكانه فانتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه ونظم بعضهم ذلك فقال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ما تعودا

و روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثرها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو و ينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وعن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول صلى صلى الله عليه وسلم بعد ما قدم المدينة ستة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم حول بعد ذلك الى المسجد الحرام قبل بدر بشهرين قال الزهري صرفت القبلة نحو المسجد الحرام لرجب على رأس ستة عشر شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار ارتياب و زيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن

وقفوا عندهم بشاشة وملقة ومكر وخداع ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان و يخبرون بالامور المستقبلة قبل ان تقع و يقال مصر باقوالها ذكر ذلك في جواهر البحور * واول من سكن مصر شيث ابن آدم عليهما السلام وذلك ان أباه آدم اوصى له فكان فيه وفي بنيه النبوة والدين وانزل الله عليه تسعا وعشرين صحيفة وجاء الى ارض مصر وكانت تدعى بابلون فنزلها هو واولاد اخيه قابيل فسكن شيث فوق الجبل وسكن اولاد اخيه قابيل اسفل الوادي واستخلف شيث ولده انوش واستخلف انوش ابنه قينان واستخلف قينان ابنه

قبلتهم التي كانوا عليها أي ما للهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله في جوابهم قل لله المشرق والمغرب أي الحكم والتصرف كله لله فيثما توجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وقيل قالت اليهود اشتاق الى بلد أبيه وهو يريد أن يرضي قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبي الذي ننتظر أن يأتي فانزل الله تعالى وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم يعني اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهكم اليها بما في كتبهم عن أنبيائهم (فائدة) في ذكر نزول جبريل عليه السلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام نزل على آدم اثنتي عشرة مرة ونزل على ادريس أربع مرات ونزل على نوح خمس مرات ونزل على ابراهيم اثنتين وأربعين مرة مرتين في صغره ونزل على موسى أربع عشرة مرة ونزل على عيسى عشر مرات ثلاثا في صغره ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ذكر ذلك ابن عادل في تفسيره في سورة النحل عند قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره وروي أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدي فقال نعم يا رسول الله أنزل عشر مرات أرفع العشر جواهر من الارض قال يا جبريل وما ترفع منها قال الاول أرفع البركة من الارض الثاني أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الاقارب الرابع أرفع العدل من الامراء الخامس أرفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع السخاء من الاغنياء التاسع ارفع القرآن العاشر أرفع الايمان وقيل ان عدة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر نبيا مرسلا والمذكور منهم في القرآن باسمه العام ثمانية وعشرون ومنهم من لم يكن مرسلا وبعضهم كان يوحى اليه في المنام وبعضهم كان يسمع الصوت من الملك من غير أن يرى شخصه (نبذة في أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام) روي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم طوله ستون ذراعا وأنزل عليه تحريم الميتة والدم وحروف المعجم في احدى وعشرين صحيفة وفيها ألف لغة وعلمه ألف حرفة وخلق حواء من ضلع آدم في آخر النهار من يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض وأنزل معه الحجر الاسود وعصا موسى وكانت من آس الجنة وعاش ألف عام ومرض احد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه شيث وفي رواية كان طوله ستين ذراعا في عرض سبعة اذرع وانزل الله عليه الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين ألف باب من العلم ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين ألفا واختلف في موضع قبره فقال ابو اسحق دفن في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة في غار ابي قبيس وهو غار يقال له غار الكنز وقال ابن عباس دفن ببلاد الهند في موضع يقال له بوز باد فلما كان أيام الطوفان حمله نوح عليه السلام ودفنه ببيت المقدس وقال عروة لما مات آدم عليه السلام وضع بباب الكعبة وصلى عليه جبريل والملائكة ودفن في مسجد الخيف وقد روي ان الله تعالى أتحف آدم بثلاث تحف على يد جبريل عليه السلام بالعقل والحياء والدين وقيل له يا آدم اختر أيتهن شئت فالهمه الله أن اختار العقل فقيل للحياء والدين ارتفعا فقالا امرنا أن لا نفارق العقل وقد روي ان الله تعالى لما خلق آدم قال له من انت قال انت اعلم يا رب فقال انت انسان فقال وما الانسانية يا رب قال اطلاق الوجه وحلاوة اللسان وبسط اليدين والخلق الحسن قال صاحب البردة رحمه الله يشير الى النبي صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن

فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم

وفي الحديث ان حسن الخلق معلق بسلسلة في باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب فلا تزال به حتى ترده الى الجنة وان سوء الخلق معلق بسلسلة في باب جهنم مربوطة بصاحبه فلا تزال به حتى

الوصية اليه وعلمه جميع العلوم وأخبره بما يحدث في العالم ونظر في النجوم وفي الكتاب الذي نزل على آدم وولد له يزد اخنوخ وهو هرمس اي ادريس عليه السلام وكان الملك في ذلك الوقت تبلبل ونبئ ادريس عليه السلام وهو ابن اربعين سنة واراده الملك بسوء فقصمه الله وانزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه ابوه وصية جده والعلوم التي عنده وولد بمصر وخرج منها وطاف الارض كلها ورجع ودعا الخلق الى الله تعالى فاجابوه وأطاعه ملك مصر وآمن به فنظر في تدبير أمرها وكان النيل يأتيهم سيحا فينحازون عن مسيله الى أعالي الجبال والاراضي العالية حتى

تدخله النار فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بما روى
الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن أنه قال ان أحسن الحسن الخلق الحسن * شيث عليه السلام نبي
مرسل وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وهو أول من بنى الكعبة بالطين والحجر وعاش سبعمائة سنة وعنه أخذت
الشريعة * ادريس عليه السلام نبي مرسل أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ولد بمصر وهو أول من خط بالقلم
وأول من خاط الثياب وأول من بنى الهياكل وسجد لله فيها وفي عصره انتهت اليه الرياسة في علم النباتات
واسرار الحروف وغير ذلك من الحقائق الحكمية والادوار الفلكية وهو أول من رتب الناس على ثلاث
طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة سنة وعشرين سنة * نوح عليه السلام ابن
لامك بن متوشلخ بن ادريس نبي بعث بعد ادريس وهو ابن خمسين سنة او اربعين سنة وهو أول من
قسم الأرض بين أولاده فأما سام فأعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام وهو أبو العرب والفرس والروم وأما
حام فأعطاه بلاد المغرب وهو أبو السودان والبربر والقبط وأما يافث فأعطاه بلاد المشرق وهو أبو يأجوج
ومأجوج والترك والصقالبة ولبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وجعل لها ثلاث طبقات فجعل في اسفلها الدواب والوحش وفي
وسطها الانس وفي أعلاها الطير وروى أنه كان اذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد أن ترسو قال
بسم الله فرست وعاش بعد الغرق خمسين سنة * هود عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى عاد بن صفوان
ابن سام وبعثه الى ثمود فكذبوه فأهلكهم الله بالصواعق والزلزلة وعاش ثمانمائة وخمسين سنة * حنظلة بن
صفوان عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أصحاب الرس فقتلوه وأحرقوه بالنار فمسخهم الله حجارة
* ابراهيم الخليل عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى النمرود بن كنعان فأهلكه الله ببعوضة قال ابو الحسن
الماوردي ابراهيم بالسريانية أب رحيم وأنزل عليه عشر صحائف وهو أول من قاتل بالسيف وأول من
اختتن وأول من لبس السراويل وأول من جز شاربه وأول من قص اظافيره وأول من رأى الشيب وأول
من أضاف الضيوف وأول من ثرد الثريد وعاش مائة وخمسا وسبعين سنة ودفن عند قبر سارة بمزرعة
حبرون بالحاء المهملة * ذو القرنين كان في زمن ابراهيم عليه السلام قال عكرمة كان ذو القرنين نبيا وقال
علي بن أبي طالب كان عبدا صالحا وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان له مربع مائة في مائة موضوع على
لوائه وبه افتتح اقاليم البلاد وقال المفسرون ملك الدنيا مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران بختنصر
ونمرود بن كنعان (توضيح) الاسكندر اثنان رومي وهو صاحب الخضر ويوناني وهو صاحب ارسطو وأيضا
دانيال اثنان الاكبر وهو الذي حفر الدجلة والفرات وكان أنفه ذراعا وهو بعد نوح عليه السلام ودانيال
الاصغر وهو بعد سليمان ولقمان اثنان العمادي وهو في زمن ذي الحكم ولقمان الثاني وهو في زمن داود
عليه السلام روى أنه لما هلكت عاد بقي لقمان بالحرم فقال يا رب أعطني عمر سبعة أنسر وكان يعيش النسر
ثمانين سنة فلما مات النسر السابع مات لقمان وموسى اثنان موسى بن بيشار وموسى بن عمران وهو
صاحب فرعون * لوط عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى اهل سدوم فكذبوه فأهلكهم الله بحجارة من
سجيل وعاش ثمانين سنة * اسمعيل عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى العمالقة وهو أول من ركب
الخيل ومن ولده قيدار وعاش مائة وثمانين سنة * اسحق عليه السلام نبي مرسل ولد بعد اسمعيل عليه
السلام بثلاث عشرة سنة وولد اسحق العيص ويعقوب وهو ابن ستين سنة فأما العيص فانه تزوج بنت عمه
اسمعيل عليه السلام فولدت الروم وصاروا ملوك الارض واليونان من ولده وعاش مائة وثمانين سنة
وتوفي بفلسطين ودفن عند قبر أبيه بمزرعة حبرون * يعقوب عليه السلام نبي مرسل وهو اسرائيل الله وعاش
مائة وسبعة وعشرين سنة * يوسف عليه السلام نبي مرسل وهو أول من صنع القرطاس قال رسول الله

ينقص فينزلون ويزرعون
حيثما وجدوا في الارض
تربة وكان يأتي في وقت
الزراعة وفي غير وقتها
فلما جاء ادريس جمع
أهل مصر وصعد بهم الى
أول مسيل اليها ودبر
وزن الارض ووزن
الماء على الارض وأمرهم
باصلاح ما أراد من خفض
المرتفع ورفع المنخفض
وغير ذلك مما رأى في علم
النجوم والهندسة والهيئة
وكان أول من تكلم في
هذه العلوم وأخرجها من
القوة الى الفعل ووضع
فيها الكتب ورسم فيها
التعليم ثم سار الى بلاد
الحبشة والنوبة وغيرها
وجمع أهلها وزاد في
مسافة جرى النيل ومات
ادريس بمصر ذكر ذلك
في حسن المحاضرة وقيل
رفع الى السماء وهو ابن
ثلثمائة وعشرين وقيل

صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
عليهم الصلاة والسلام وعاش مائة وعشرين سنة بمصر * أيوب عليه السلام نبى مرسل وكان روميا من اولاد
عيص بن اسحق استنبأه الله سبحانه وتعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم
وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمان عشرسنة او ثلاث عشرة اوسبعا اوسبعة اشهر وسبع ساعات وروى ان
امرأته قالت له يوما لودعوت الله سبحانه وتعالى أن يشفيك فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة
فقال أستحيى من الله سبحانه وتعالى أن ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وعاش ثلاثا وتسعين سنة
وكان فى ضياعه اربعون الف وكيل * شعيب عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى اهل مدينته فكذبوه
فاهلكهم الله بالصيحة وهو خطيب الانبياء عاش مائة واربعين سنة وقبره بالمسجد الحرام قبالة الحجر الاسود
* موسى عليه السلام نبى مرسل أرسله الله تعالى وأخاه هرون عليهما السلام الى فرعون فكذبهما فاغرقه
الله وجنوده فى اليم وانزل على موسى عشر صحائف التوراة فى الواح الزمرذ وهى ألف سورة فى كل سورة ألف
آية روى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كلم الله موسى مائة الف وعشرين
الفا وثلثمائة وثلاث عشرة كلمة وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة وقبره عند الكثيب الاحمر
بفلسطين وعاش هرون مائة وعشرين سنة ومات قبل موسى بثلاثين سنة فى التيه * الخضر عليه السلام
قيل انه نبى من الانبياء وقيل انه ولى من اولياء الله تعالى * يوشع بن نون عليه السلام نبى مرسل بعثه الله
بعد موسى عليه السلام وقد رد الله له الشمس فى قتال الجبارين على مدينة اريحاء وهو الذى ارسل الله
تعالى على قومه ظلمة فمات منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا وعاش مائة وعشرين سنة * كالب بن يوقنا
عليه السلام قيل انه نبى وقيل انه ولى * حزقيل عليه السلام قيل انه نبى بعثه الله الى بنى اسرائيل وهو
حزقيل بن بورى الذى احيا الله القوم الذين خرجوا من ديارهم بعد موتهم بدعائه ولاجله قال عطاء
الخراسانى كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال ابو مالك ثمانين الفا وقال ابن جرير
اربعين الفا وقال ابن ابى رباح سبعين الفا * الياس عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى بنى اسرائيل واعطاه
الله قوة سبعين نبيا وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا * اليسع بن عدى بن
سوار بن افرائم بن يوسف الصديق بعثه الله بعد الياس عليه السلام الى بنى اسرائيل وعاش خمسا وسبعين
سنة * ذو الكفل عليه السلام بعثه الله بالشام وهو من اولاد أيوب عليه السلام قال ابو موسى الاشعرى ان
ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا وقيل هو الياس وقيل هو زكرياء * شمويل عليه السلام ابن
بالى بن علقمة بن حام أرسله الله الى بنى اسرائيل ومعناه بالعبرانية اسمعيل وهو الذى اقام لطالوت الملك
* داود عليه السلام نبى مرسل أنزل الله عليه الزبور بالعبرانية وهى مائة وخمسون سورة والان له الحديد ولم
يعط احد من الخلق مثل صوته وكان لا يأكل الا من عمل يده وهو أول من قال أما بعد قال ابن عباس رضى
الله عنهما كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثون الفا وكان عمر داود مائة سنة وشيع جنازته اربعون الف
راهب وكان الانس والجن يستمعون لحسن قراءته اذا قرأ الزبور وكذلك الوحوش والطيور يستمعون
وكان يحمل من مجلسه فى بعض الاوقات أربعمائة جنازة ممن قد مات فى مجلسه من لذة سماع صوته وحسن
قراءته * سليمان عليه السلام نبى مرسل قال كعب بن محمد القرظى كان عسكر سليمان عليه السلام مائة
فرسخ وخمسة وعشرين فرسخا للانس ومثلها للجن ومثلها للوحوش ومثله للطير وهو أول من كتب بسم
الله الرحمن الرحيم وأول من دخل الحمام وأول من صنع له النورة وكان حرس سليمان ستمائة ألف وكان
له ألف بيت من قوارير على خشب فيها ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية قال ابن عباس رضى الله عنهما كان
فى مطبخ سليمان مائة ألف رجل وكان يذبح له كل يوم ألف شاة وثلاثون ألف بقرة وكان يأكل الشعير

وستين سنة وقد ملك
مصر بعده أربعة
وثلاثون فرعونا أقلهم
عمرا مائتا سنة وأكثرهم
عمرا ستمائة سنة ولم يكن
فيهم أعتى ولا اشر من
فرعون موسى * قال
وهب بن منبه كان
فرعون موسى قصيرا
قيل كان طوله ستة أشبار
وطول لحيته سبعة أشبار
وقيل كان طوله قدر ذراع
* وقال قتادة الفراعنة
ثلاثة أولهم سنان بن
الاشل صاحب سارة كان
فى زمن الخليل بمصر
* الثانى الريان بن الوليد
وهو فرعون يوسف
* الثالث الوليد بن مصعب
فرعون موسى وهو عات
وكل عات فرعون والعتاة
الفراعنة انتهى وكان
من جملة الفراعنة الذين
ملكوا مصر سبعة من
الكهان لهم الاعمال

و يلبس الصوف وعاش ثلاثاً وخمسين سنة فبينما هو متكئ على عصاه فمات فدفن على ساحل بحيرة طبرية * لقمان الحكيم ابن باعورا ابن أخت أيوب عاش خمسمائة وخمسين سنة واختلف في نبوته فقال عكرمة كان نبياً وقال حذيفة كان عبداً صالحاً وقيل كان قاضياً في بني اسرائيل وقيل كان عبداً أسود نوبياً من سودان مصر وقيل كان خياطاً او نجاراً أو راعي غنم وقد أخذ الحكمة من ألفي نبي وقبره ما بين مسجد الرملة وسوقها وفيه قبر سبعين نبياً وكان داود عليه السلام يقول يا لقمان لقد أوتيت الحكمة وصرفت عنك النقمة * (فائدة) * المعمرون شيث عليه السلام عاش سبعمائة سنة نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاماً وعاش بعد الغرق خمسين عاماً ابراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين عاما اسمعيل عليه السلام عاش مائة وثمانين عاما وكذلك اسحق عليه السلام يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعين عاماً يوسف عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما * شعيب عليه السلام عاش مائة وأربعين عاما موسى عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما وكذلك هرون عليه السلام وكذلك يوشع عليه السلام لقمان عاش خمسمائة وستين عاما * المستوغر بن ربيعة عاش ثلثمائة وثلاثين عاما معديكرب الحميري عاش مائة وخمسين عاما عامر بن الظرب عاش ثلثمائة عام وكذلك أكثم بن صيفي وكان من حكماء العرب وأدرك الاسلام واختلف في اسلامه قس بن ساعدة الايادي عاش ستمائة عام وكان من عقلاء العرب وشعرائهم وهو أول من أقر منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة اما بعد دريد بن الصمة عاش دهراً طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنيناً عبيد الجرهمي عاش مائة وعشرين سنة معاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين عاما صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر

قل لمعاذ اذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الابد

رجعنا لما نحن بصدده من أخبار الانبياء * يونس عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل نينوى قرية بمصر وهو ابن أربعين عاما فالتقمه الحوت فمكث في بطنه ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعين يوما * شعياء عليه السلام من أنصار بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم * أرمياء عليه السلام نبي بعثه الله الى بني اسرائيل فكذبوه فارسل لهم بختنصر فخرب بيت المقدس واحرق التوراة وقتل من بني اسرائيل سبعين ألفاً وأسر سبعين ألف غلام وذهب بهم الى بابل وفيهم دانيال وحزقيل النبي عليهما السلام وسبعة آلاف من آل داود عليه السلام * عزير عليه السلام ابن شريق عليه السلام أماته الله وهو ابن اربعين سنة فاماته مائة عام ثم بعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة وقيل ابن مائة وعشرين سنة وأحيا حماره * دانيال عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وهو ممن آتاه الله الحكمة والنبوة وألقاه بختنصر في أتون الحمام فلم يحترق وبه أنقذ الله بني اسرائيل من أرض بابل وقبره بالسويس * زكريا عليه السلام بعثه الله الى بني اسرائيل فقتلوه وكان نجاراً * يحيى عليه السلام روى انه كان نجاراً وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين او سبع وقتل بدمشق واسم المرأة التي قتلته أرميل وانها قتلت سبعين نبياً آخرهم يحيى عليه الصلاة والسلام قال سعيد بن المسيب لما دخل بختنصر دمشق رأى دم يحيى عليه السلام يفور فقتل عليه سبعة وخمسين ألفاً وقد بعث الله بين موسى وعيسى ألف نبي من بني اسرائيل * عيسى عليه السلام نبي مرسل بعثه الله على رأس ثلاثين سنة من عمره فكذبوه فرفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ونزل عليه الانجيل باللغة السريانية وهو كلمة الله وأمه مريم بنت عمران وهو من اولي العزم المرسلين وأحيا الله له سام بن نوح عليه السلام بعد أربعة آلاف سنة قال كعب بعث الله بعد عيسى بن مريم رسولين من الحواريين من مدينة انطاكية حبيب النجار وهو ثالث الرسل وقبره بانطاكية شمعون ومن زمن هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى رفع عيسى عليه السلام خمسة

العجيبة والامور الغريبة * الاول اسمه صيلم وهو أول من اتخذ مقياساً لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وانثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عالياً وان كان الانثى كان النيل ناقصاً * الكاهن الثاني اسمه اشامش من أعماله العجيبة انه عمل ميزاناً في هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقاً وعلى الثانية باطلاً وعمل تحتها فصوصاً فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما في كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم

آلاف وخمسمائة وخمسون سنة وكانت الفطرة التي لم يبعث فيها رسول أربعمائة وأربعا وثلاثين سنة

(فائدة) لا بأس بذكرها وهو ان الصفي الحلي صحف اسم عيسى عليه السلام

سألت الحبيب ما اسمك وهو ظبي * من العرب الكرام فقال عيسى — الاسم

فقلت له انتسبت لاى قوم * تكون من الكرام فقال عيسى — عبسى — نسبة الى عبس

فقلت وما صنيعك في البوادي * لتحصيل الطعام فقال عيسى — عشبى — من يجمع العشب

فقلت وما أنيسك في الفيافي * بآناء الظلام فقال عيسى — عيسي — العيس الابل

فقلت وهم تسئل كل غاد * يمر على الدوام فقال عيسى — عنسى — العنس المرأة

فقلت ولم عصيت نصيح حب * دعاك الى المقام فقال عيسى — عيشى

فقلت لقد سلبت القلب منى * بلحظك والقوام فقال عيسى — عسنى — العسن الطول

فقلت عساك تسمح لى بوصل * أيا بدر التمام فقال عيسى — عسنى — أصله عسى

فقلت وما الذى يدعوك حتى * تجافى بالكلام فقال عيسى — عبتنى — من العيب

فقلت له صدقت وأى شئ * يقول على النظام فقال عيسى — غبتنى — من الغيبة

فقلت بمن أعيش وأنت سؤلى * وتجهد بالغرام فقال عيسى — عشبى — من العيشة

وذيله الشهاب الحجازي بما أخل به الصفي الحلي من الالفاظ المصحفة فقال

فقلت أراك ياسؤلى طروبا * لانشاد النظام فقال عيسى — غنيتنى — من الغناء

فقلت أراك حيرانا ذهولا * فات الهديت فقال عيسى — عنبيتى — عن بيتى

فقلت من الهوى حملت ثقلا * بما حملتنيه فقال عيسى — عييتنى — من الاعياء

فقلت ولا أريد سواك فاعطف * على فقرى اليك فقال عيسى — غنيتنى — من الغنى ضد الفقر

فقلت أراك ذا نظر لخود * تثنت بالقوام فقال عيسى — عبثتنى — من العبث

فقلت فنيت فى حبك فارحم * وداوى ذا السقام فقال عيسى — عنيتنى — من العناية

فقلت معاتبا فاحمر خدا * لماذا الاحمرار فقال عيسى — عتبتنى — من العتاب

فقلت ملاطفا من أى شئ * تمايل ذا القوام فقال عيسى — عنثنى — عن تثنى

(فائدة) أول من تكلم بالتصحيف فى الاسلام الامام على رضى الله عنه من ذلك قوله كل عنب يغطيه الكرم الاعنب الذئب معناه كل عيب يغطيه الكرم الاعيب الدين ومنه نجم عشق يحيي معناه نجم عسق نجى رجعنا لما نحن بصدده (لاحقة) فى ذكر جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دراوست الفارسى عليه السلام هو نبى وقيل ولى من عباد الله الصالحين وهو من أهل فلسطين بعثه الله الى قوم يعبدون الاصنام فدعاهم الى الله سبعين مرة *شمويل وحزقال وشمعون وجيحون من أنبياء بنى اسرائيل* خالد ابن سنان العبسى كان فى الفطرة عليه السلام وله

شهيد على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم فلومد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

محمد رسول الله وقد تقدم الكلام على بعثته ومقامه بمكة وهجرته ولما استقر عليه أفضل الصلاة والسلام بالمدينة المنورة واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار اسلام شرع الله له جهاد الاعداء فكان مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى حين وفاته عشر سنوات وفى سنة ست من الهجرة كاتب النبى صلى الله عليه وسلم المقوقس ودعاه الى الاسلام وكان الرسول اليه حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ذكر البيضاوى فى تفسيره فى أول سورة الممتحنة فى قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء نزلت فى حاطب المذكور فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يغزو أهل مكة كتب

اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني عبد المطلب فنزل جبريل عليه السلام واخبره بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمت فجحدت فسل علي عليها السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكنني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره رجعنا الى ما نحن بصدده فلما انتهى حاطب الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بين أصبعيه فامر المقوقس بحمل حاطب فلما وصل اليه ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم الذي نجد نعته ووصفه في كتاب الله وانا نجد صفته أنه لا يجمع بين أختين في زواج وأنه لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية وأن جلساءه المساكين وان خاتم النبوة بين كتفيه ثم قرأ الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما أتم المقوقس قراءة الكتاب أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه وأرسل ليلا أخذ حاطبا عنده وليس عنده احد الا ترجمانه فقال له ألا تخبرني عن أمور أسالك عنها فاني أعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك فقال حاطب لا تسألني عن شئ الا صدقتك فيه فقال الى ما يدعو محمد فقال ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتخلع ما سواه ويامر بالصلاة فقال كم تصلون فقال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت الحرام والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم قال من أتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل يقاتل قومه قال نعم قال صفه لي بصفته قال فوصفه بصفة من صفاته قال بقي أشياء لا أراك ذكرتها في عينيه حمرة قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت نعم هذه صفاته قال كنت أعلم أن نبيا قد بقي وكنت أظنه يخرج من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من قبله فاراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا يطاوعني فارجع الى صاحبك ثم دعا بكاتب يكتب بالعربية فكتب أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظنه يخرج من الشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك جاريتين لهما مكانة في القبط وهي مارية واختها شيرين وخصيا يقال له مابور وبغلة وحمارا وعسلا وقباطي من قباطي مصر وكان الذي بعثه المقوقس مع الهدية شخصا اسمه خبير القبطي فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الهدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية فلما نظر الى مارية واختها أعجبته وكره ان يجمع بينهما فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية فاسلمت وآمنت ومكثت اختها ساعة واسلمت فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن سلمة الانصاري رضي الله عنه ولم تزل مصر في يد المقوقس مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنه وفتحت مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال يا أمير المؤمنين أتاذن لي بالمسير الى مصر فانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي أكثر أهل الارض أموالا وأعجزهم حربا وقتالا فتخوف عمر رضي الله

الكاهن الثالث عمل مرآة من المعادن ينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب منها وما أجدب وما حدث من الحوادث وعمل في وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه فان امرأة أصابها وجع في جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فتبرا من ساعتها * الكاهن الرابع عمل شجرة أغصانها من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كذان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سنين * الكاهن الخامس عمل شجرة من

عنه على المسلمين فلم يزل يعظم أمرها عنده حتى ركن لذلك عمر رضى الله عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل وقال له سر وامض واستعن بالله واستنصره فسار عمرو حتى نزل العريش وهو من حدود أرض مصر ثم سار حتى وصل قريبا من مصر فقاتله المقوقس قتالا شديدا فكتب عمرو بن العاص الى سيدنا عمر بن الخطاب يستنجده فامده باثنى عشر ألفا منهم أربعة قوموا بأربعة آلاف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن مخلد فوصلوا اليه وأحاطوا بالحصن فنصب عمرو رضى الله عنه الفسطاط وهو البيت الذى من الشعر فاقاموا على باب الحصن سبعة أشهر فلما رأى المقوقس ذلك نزل فى سفينة كانت بباب الحصن وهو قصر الشمع ومعه أهل القوة فلحق بالجزيرة وهى الروضة وسال فى الصلح فبعث اليه عمرو ابن العاص رضى الله عنه عبادة بن الصامت والمقداد بن الاسود فصالحه المقوقس عن القبط والروم وجعل الخيار له فى الصلح الى أن يوافى كتاب ملكهم بما يكون وأن القبط يعطون عن كل بالغ من الرجال دينارين فكان عدتهم يوم الصلح ستة آلاف نفس وأن عليهم الضيافة للواردين ثلاثة أيام وذلك فى سنة ثمان عشرة من الهجرة ثم ان المقوقس توجه الى الاسكندرية وفى سنة تسع عشرة من الهجرة هلك ملك الروم وفتحت الاسكندرية وقت الظهر يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين وذلك بعد ان حوصرت أربعة عشر شهرا وقتل من المسلمين ثلاثة عشر رجلا والله تعالى أعلم

(الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه)

روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لحوضى أربعة أركان ركن منه فى يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على ومن أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور رب العالمين ومن أحسن القول فى على فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن أحسن القول فى أصحابى فهو مؤمن ومن أساء القول فى أصحابى فهو منافق ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على أبى بكر وعمر وهو يقول هكذا نحيا وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة روى محمد بن آدم قال رأيت بمكة اسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذى أخرجك عن دين آبائك فقال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الامواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من الشجر واشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بأمره فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش فطلعت على شجرة فنمت على غصن من أغصانها فلما كان فى جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل فى الدار على سيف الله على الكفار فعلى مبغضيهم لعنة العزيز الجبار ومأواهم النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الموفق السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد على بن أبى طالب ذو الباس الشديد فعلى مبغضيهم لعنة الملك المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسى الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح وقالت يا هذا قف والا تهلك فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمى الجن لا ينجو منهم

نحاس فكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس لحما فى أيامه وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن يساره فاذا دخل أحد فان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب * الكاهن السادس عمل درهما اذا ابتاع صاحبه شيأ اشترط على البائع ان يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد شراءه لا يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية * الكاهن السابع كان يعمل اعمالا عجيبة من جملتها أنه كان يجلس فى

الامن كان مسلما فقلت وكيف الاسلام فقالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها فقالت
أتم اسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فقلت ومن أتاكم بذلك قالت قوم منا
حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق
فصيح الهي قد وعدتني ان تشيد أركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان
وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريد المقام ههنا أم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع
الى أهلي فقالت اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت تجري فأومأت اليهم فدفعوا الى
زورق فنزلت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر ألف رجل كلهم نصارى فقالوا ما الذي جاء
بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا كلهم وأسلموا عن آخرهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومما يحكى عن عبد الواحد بن زيد قال كنت في مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد
صنما فقلت له يا رجل من تعبد فأومأ الى الصنم فقلت ان معنا في المركب من يسوي مثل هذا ليس هذا
باله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا الله قال وما الله قلنا الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي
الاحياء والاموات قضاؤه قال كيف علمتم بذلك قلنا وجه الينا هذا الملك رسولا كريما فأخبرنا بذلك قال فما
فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله اليه قال هل ترك عندكم علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك قال
اروني كتاب الملك ينبغي ان تكون كتب الملوك حسانا فأتيناه بالمصحف فقال لا أعرف هذا فقرأنا عليه سورة
من القرآن فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكي حتى ختمنا السورة فقال ينبغي لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم
أسلم وحملناه معنا وعلمناه شعائر الاسلام وسورا من القرآن وكنا حين جن الليل صلينا العشاء وأخذنا
مضاجعنا فقال لنا يا قوم هذا الاله الذي دللتموني عليه اذا جن الليل ينام قلنا يا عبد الله هو حي قيوم لا ينام
قال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي هذا قريب
عهد بالاسلام فجمعنا له دراهم وأردنا اعطاءها له فقال ما هذا فقلنا نفقة تنفقها فقال لا اله الا الله دللتموني
على طريق ما سلكتموها انا كنت في جزائر البحر أعبد صنما من دونه ولم يضيعني فيضيعني وأنا أعرفه فلما
كان في بعض الايام قيل لي انه في الموت فأتيته فقلت هل لك من حاجة فقال قضى حوائجي من جاء بكم الى
الجزيرة قال عبد الواحد فغلبتني عيني فنمت عنده فرأيت مقابر عبادان روضة وفيها قبة وفي القبة سرير
عليه جارية لم ير احسن منها فقالت سألتك بالله الا ما عجلت به فقد اشتد شوقي اليه فانتبهت فاذا به قد فارق
الدنيا فقمت اليه فغسلته وكفنته وصليت عليه وواريته فلما جن الليل نمت فرأيته في القبة مع الجارية
وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

(خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

اسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن
عامر بن سعد بن تيم بن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الكعبة فسماه النبي صلى
الله عليه وسلم عبد الله وانما سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد ان ينظر الى عتيق من النار
فلينظر الى أبي بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة
أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين بويع له في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من
الهجرة فجلس على المنبر وخطب الناس فقال أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم انما أنا متبع ولست
بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني فان الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم
قوي عندي حتى أريح عليه حق الله ان شاء الله والقوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله

السحاب في صورة انسان
عظيم فأقام مدة ثم غاب
فأقاموا بلا ملك الى أن
رأوه في صورة الشمس
في برج الحمل فأعلمهم أنه
لا يعود اليهم وان يولوا فلانا
بعده وسبب تولية الوليد
ابن مصعب الذي هو
فرعون موسى على مصر
كما أخرجه ابن عبد الحكم
ان ملك مصر لما توفي
تنازع الملك جماعة من
أبناء الملوك ولم يكن للملك
عهد لاحد ولما اشتد
الامر بينهم تداعوا الى
الصلح فاصطلحوا على ان
يحكم بينهم أول من يطلع
من سفح الجبل فطلع
فرعون بين عدلتي
نطرون على حمار أقبل
بهما ليبيعهما فاستوقفوه
وقالوا انا جعلناك حكما
بيننا فيما تشاجرنا فيه من
الملك وآتوه مواثيقهم
على الرضا فلما استوثق

لا يدع الجهاد قوم في سبيل الله الاضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الاعمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله ثم قام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس كنت قلت لكم مقالة ما كانت في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهدا عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا ولا كانت من رأى ان الله عز وجل قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين في الغار قوموا بنا فبايعوه فقام الناس الى مبايعته عامة ولما بايع على رضي الله عنه ابا بكر اعتنقا وتبا كيا وسر المسلمون بذلك فقال ابو سفيان بن حرب أرضيتم يا بني عبد مناف أن تليكم تيم وأن يلي أمركم ابن ابي قحافة والله لئن شئتم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا فقال على رضي الله عنه يا أبا سفيان ان المسلمين قد نصح بعضهم لبعض ولولا انا رأينا أبا بكر أهلا لها ما بايعناه * (نبذة) * في فضائله رضي الله عنه منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في مرض موته بتجهيز أسامة بن زيد في سبعمائة بطل لغز والروم وانه امير عسكره وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة وقال له سر الى موضع مقتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغد صباحا على اهل ابنى وحرق عليهم وأسرع السير فان ظفرك الله عليهم فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع فلما كان يوم الاثنين بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع فحم وصدع فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء بيده لاسامة ثم قال اغز بالله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة بن الحصيب الاسلمي فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في امرتي أسامة فلقد طعنتم في امرتي أباه من قبله وايم الله ان كان ابوه لخليقا للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الاحد اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مغمور فطاطا أسامة يقبله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ويضعهما على أسامة وعاد أسامة الى معسكره فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الاول بلا خلاف حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى من يوم الاثنين في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة واختلفوا في تعيين ذلك اليوم من الشهر فقيل كان أوله وقيل كان ثانيه وقيل ثاني عشره وقيل ثالث عشره وقيل خامس عشره والمشهور انه كان ثاني عشر شهر ربيع الاول وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم في اواخر شهر صفر وكان مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وقيل أربعة عشر يوما واختلفوا في وقت دفنه صلى الله عليه وسلم فقيل دفن من ساعته وقيل بعد وقيل من ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء ثم ان عسكر أسامة دخل المدينة ودخل بريدة باللواء حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه فلما ولي ابو بكر الخلافة امر الناس بما كان امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الانصار لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قل لابي بكر يرجع بالمسلمين فان ابى أن لا يفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة فبلغ أسامة ذلك فارسل الى عمر بن الخطاب يسأله في عرض ذلك على ابي بكر رضي الله عنه وهل يأذن لي أن ارجع بالناس فان وجوه الناس معنا ونخاف ان اثقال المسلمين يخطفها المشركون فاتى عمر أبا بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعند ذلك رجع عمر الى أسامة

منهم قال اني رأيت ان أملك نفسي عليكم فهو أذهب لضغائنكم وأجمع لاموركم والامر من بعد اليكم فامروه عليهم واقعدوه في دار الملك بمنف فارسل الى كل صاحب أمر رجلا منهم فوعده ومناه ان يملكه على ملك صاحبه ليلة يقتل فيها كل رجل منهم صاحبه ففعلوا ودان له أولئك بالربوبية فملكهم نحوا من خمسمائة سنة وقيل أربعمائة لم يصدع له رأس وكان ملكه ما بين مصر الى افريقية من بلاد المغرب وقيل كان عطارا باصبهان فافلس وركبته الديون فخرج هاربا الى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى

والأنصار فذكر لهم مقالة أبي بكر رضي الله عنه فقام الأنصار وقالوا لعمر لا بد أن تراجع أبا بكر في ذلك فراجعه
عمر رضي الله عنه فقام أبو بكر فأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأمره وتأمرني أن أنزعه قال فعند ذلك رجع عمر رضي الله عنه إلى الناس
وأخبرهم بالجواب فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن
عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة لأبي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر والله
لا أركب والله لا تنزل والله ما ضرني أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش ولم
يضره حداثة سنه وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلا وقالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج هذا من عندهم وأن
أسامة وصل إلى أهل أبنى في عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وحرثهم وأجال
الخيل في عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وكان أسامة على فرس أبيه فقتل قاتل أبيه في الغارة ووصل إلى
المدينة سالماً وكان سن أسامة سبع عشرة سنة ٭ وذكرت على سبيل الاستطراد بعض لطائف لأجل المناسبة
يأتي ذكرها فيه ٭ منها ما حكاه المسعودي في شرح المقامات أن المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن
معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأرباب الطيالسة وإياس يقدمهم فقال المهدي أف لهذه
العثانين أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم أن المهدي التفت إلى إياس وقال له كم سنك يا فتى
قال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً
وكان في الجيش من الصحابة من هو أقدم سناً من أسامة فقال له تقدم بارك الله فيك ٭ وحكي أن يحيى بن
أكثم لما ولاه المأمون قضاء البصرة وكان سنه عشرين سنة فاستصغروه فقال أحدهم كم سن القاضي فقال أنا
أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من
معاذ بن جبل الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن وأكبر من كعب بن سوار الذي
وجهه عمر قاضياً على البصرة فجعل جوابه احتجاجاً ٭ وحكي أن المأمون لما حضر إليه يحيى بن أكثم المذكور
أطال النظر إليه وكان يحيى بن أكثم ذميم الخلقة فقال له يا أمير المؤمنين انظر إلى خلقي ولا تنظر إلى خلقي
فقال له المأمون ملك هالك عن أبوين وعن أختين ولم تقسم التركة حتى ماتت إحدى الأختين عمن ذكر في
المسئلة فقال يا أمير المؤمنين الميت الأول ذكر أم أنثى فعرف المأمون فضله وقال بفرقك بين الذكر والأنثى
قد سهل علينا الجواب وقد ذكر أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز قدم عليه وفود أهل كل بلد فتقدم وفد
أهل الحجاز فتقدم منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين
إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد أجاد له الاختيار ولو كان الأمر
بالسن لكان هنا من هو أحق منك بمجلسك فقال عمر صدقت فهذا هو السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين
نحن وفد التهنئة لم يكن يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة إلا أنا قد أمنا في أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل
عمر عن سن الغلام فقيل له عشرون سنة وقد روي أن محمد بن كعب القرظي كان حاضراً فنظر إلى وجه عمر
وقد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فإن قوماً
خدعهم الثناء وغرهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا في النار أعاذك الله أن تكون منهم وألحقك بسالف هذه
الأمة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ وقد سمعت من بعض الأفاضل أن أبا عبد الله
المازري وهو غلام لم يبلغ الحلم جلس نهاراً في شهر رمضان لتدريس العلم الشريف وخلفه ما ينوف عن مائة
رجل من طلبة العلم الشريف يستفيدون منه ما يلقيه لهم من العلوم فقال لهم اصبروا حتى أتغدى فقال له
شخص من الحاضرين تكون شيخ هذه الطائفة وتتغدى نهاراً في رمضان فأجابه بأن قال له يا طويل
لا ذان ما وجب علي صوم فخجل الرجل ٭ وحكي أنه كان للعتابي غلام بديع الحسن حسن الصورة وكان

مشغوفا

نفسه عامل الأموات
وصار يأخذ من كل ميت
جعلاً حتى بلغ الملك خبره
فأحضره وكلمه فأعجبه
عقله ومعرفته فاستوزره
ثم قتل الوزير فصار له
في الناس سيرة حسنة
وكان عدلاً شجاعاً يقضي
للسيد أن يعطف على
عبيده ويفيض عليهم ولا
يرغب فيما بأيديهم رد
على أهل كل قرية ما أخذت
منهم فرده كله على أهله
وكان خراج مصر في زمنه
في كل سنة ثمانين وسبعين
ألف ألف دينار يأخذ
فرعون من ذلك الربع
خالصاً لنفسه يصنع
فيه ما يريد والربع
الثاني لجنده وما يتقوى
به على محاربه وجباية
خراجه ودفع عدوه
والربع الثالث في
مصلحة الأرض وما تحتاج
إليه من جسور وخليج

مشغوفا بحبه فكتب اليه يقول قد علمت أيدك الله مصالتى اليك واستمالة قلبى عليك وأنت تؤثر بعدى وتنكره قصدى وأنا أشكو أحوالى كلها اليك وأستعين بك عليك فاجابه الغلام يقول شكواك تقتضى انصافك وايثار صيانتنا يمنعنى اسعافك ومكروه مع صيانتنا أولى من الاجتماع على فضيحتنا فان وجدت أيدك الله فرصة ليس معها انتهاك الستر وقبح الذكر صرت اليك ومع هذا لا يفى بلوغ الشهوات باسقاط المروآت ولا خير فى شئ تذهب لذته وتبقى تبعته فاختر أيدك الله أحد الامرين اما طاعة الله لسخطك او سخطه لطاعتك قال بل طاعة الله أحب وأوجب والرجوع اليه أحسن وأقرب والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقيل فى المعنى

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها * من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها * لا خير فى لذة من بعدها النار

وقال ابراهيم بن محمد المهلبى الواسطى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى ان أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وحكى ان شخصا نظر الى ولد أمرد جميل الصورة فكتب اليه يقول

ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد * وأقول الرحمن هذا قاتلى

فاجابه الولد بان قال أقول له يارب هذا طالب منى فعل السوء فما وافقته * وحكى ان رجلا خلا بولد أمرد فقيل له فى ذلك فقال أردت ان أريه باب الفاعل والمفعول فقيل له وما هذا المتحرك بينكما فقال حرف جاء لمعنى * وحكى عن على بن بسام البغدادى انه قال كنت أتعشق غلاما خالى ابن حمدون فنمت ليلة عنده ووقت لادب عليه فلسعتنى عقرب فانتبه خالى فقال لى ما أتى بك ههنا فقلت له قمت لابول قال صدقت فى است غلامى وأنشد يقول

وداري اذا نام سكانها * يقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن مالهم * فان عقاربها تضرب

وفى المعنى يقول

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها انها * دبابة دبت الى دباب

ومن عجيب أمر العقرب انها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك شئ من بدنه وربما لسعت الافعى فمات والى ذلك أشار عمارة اليمنى فقال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب * ولا تحقرن كيدا ضعيفا فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب * فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
وبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

وفى ربيع الابرار أن أرض حمص لا تعيش بها العقرب وزعم أهلها ان ذلك لطلسم وان طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها وقد سمعت من شخص من أهل حمص أنه رحل منها وسكن فى مصر وكان من جملة أمتعته التى اصطحبها معه بساط ففرشه بالمنزل الذى سكن فيه بمصر فكلما دب عليه عقرب مات لوقته وهذا عجيب * وروى الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان والمستغفرى فى الدعوات والبيهقى فى الشعب

وقناطر ولقوة المزارعين على زروعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يدفن فى الارض فيؤخذ ربع ما يصيب كل قرية من خراجها ليدفن ذلك فيها لنائبة تنزل أو حاجة تطرأ يقضى بالحق ولو على نفسه فاحبه الناس لكثرة عدله فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى وقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فاطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون جحدك مائتى سنة فكيف أمهلته فاوحى الله تعالى اليه انه عمر بلادى وأحسن الى عبادى ومن جملة احسانه أن هامان وزيره لما ابتدأ حفر خليج سردوس أتاه أهل قرية يسألونه أن يخرج الخليج اليهم

عن علي رضي الله عنه أنه قال لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو في الصلاة فلما فرغ قال لعن الله العقرب لاتدع مصليا ولاغيره ولانبيا ولاغيره الالدغته وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين * وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتني البارحة قال أما انك لوقلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك ان شاء الله * حكاية عن جابر قال كان بالمدينة رجل يكنى أبامذكور يرقي من العقرب وينفع بها الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا مذكور مارقيتك هذه فقال أبومذكور شجنية قرنيه ملحة بحر قفطا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابأس بها انها مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام عدنا الى ذكر الدب وما أدراك ما الدب قال

أبونواس   اذاهم النيام نحل عني * وممن كان يصلح للدبيب
الذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب أومنع الرقيب

وقال الاشعري   كنت مثل النسم عند دبيبي * سحرا نحو ردف حبيبي
فلهذا فتحت زهرة ورد * بقضيب عند الهبوب رطيب

وقد جمع ابن دانيال آلات الدب في بيت فقال

قلما دب في السماعات الا * لقبوني باللائط الدباب * ولعمري قد كنت اقحم الدب
ب وآلاته معي في جراب * مثل درج وابرة وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

قال في القاموس دب يدب دبا ودبيبا مشي على هينة كالسقم في الجسد والبلاء في الثوب سرى وعقارب سرت عليه وآذته وهو دبوب وديبوب والديبوب الجامع بين الرجال والنساء والنمام والقواد * وحكى ان رجلا حكى وبعض القضاة حاضر ان الجاحظ مر على مكتب فرأى غلاما حسنا فخاف لابد من تقبيله عشرا فلما استوفى يمينه قال الغلام بيننا الحاكم فحضرا فادعى الغلام وأقر الخصم فقال القاضي ماحملك على فعلك فقال

تعلم العطف من حديه فانعطفا * وكان من دينه أن لايفي فوفا
دب العذار على ميدان وجنته * حتى اذاهم أن يسري به وقفا
كأنه كاتب عن المدادبه * أراد يكتب لامافابتدا ألفا

فقال القاضي أتحبون أن أحكم بينكما بحكم الله أو بحكم الناس فقال الصبي بحكم الله قال القاضي قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به قم قبله كما قبلك فغضب الغلام وقال لاأريد ذلك فانشد القاضي يقول

اذا كنت للتعنيق والبوس كارها * فلاتمش في الاسواق الامنقبا * ولاتخرج الاصداغ من تحت طرة
وتظهر منها فوق خديك عقربا * فتهتك مستورا وتتلف عاشقا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

فانشد الغلام يقول   وقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا * فاعقبني بعد الرجاء قنوط
متى تفلح الدنيا ويفلح أهلها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط

* حكاية لطيفة وهي عشق صبي جارية في مكتب فجعل نفسه عند الفقيه عريفا فترقب العريف غفلة الفقيه وكتب في لوحها   ماذا تقولين في صب أخي وله * أضحى بحبك بين الناس ولهانا
ولم يجد فرجا مما يكابده * الاعرافته الكتاب تبيانا

فكتبت تحته تقول   ان العريف اذاما كان ذاوله * بحبنا وبنا قد صار ولهانا
أوصلنه على غيظ الوشاة فدع * لمن يكون علينا كيف ما كان

فنظر الفقيه ذلك اللوح وقرأه وكتب تحته

صحت قريتهم ويعطونه مالا فاجتمع له من ذلك مائة ألف دينار ولايعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه لما فعل هامان بحفره ولما أخبر فرعون بما أخذه من الاموال قال له ويحك رده لاهل القرية وهذا الربع الذي يدفن في كل قريته وكنوز فرعون الذي يتحدث الناس انها ستظهر فيطلبها من يتتبع الكنوز وكان فرعون اذا اكمل الزرع في كل سنة يرسل مع قائدين من قواده أردب قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائدان في كل قريه فان وجد أحد القائدين موضعا باترا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة فاذابلغ

صلى العريف ولا تخشين من أحد ٭ ان العريف حزين القلب ولهانا
أما الفقيه فلا تخشين حرمته ٭ لانه قد بلى بالعشق ألوانا
فبينما هم كذلك اذ دخل أبو الجارية فأخذ اللوح وقرأ ما فيه وكتب تحته يقول
والله والله لا فرقت بينكما ٭ ولا أكون على ما قلت ندمانا
أما الفقيه فلا والله ما نظرت ٭ عيناى اعرص منه قط انسانا

٭ حكى ان بعضهم رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت طاقتها الى أن أعيا وقل صبره وحصل على الاياس منها فدق عليها الباب فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبول فى هذه الصحفة فبالت فى الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظرى ما يصنع فلم يزل الى أن دخل الى بعض الخرابات فوضع ايره فى ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق

٭(ذكر وفاة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه)٭

عن ابن شهاب ان أبا بكر والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لابى بكر فقال الحرث ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها السم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد عند انقضاء السنة فلا زالا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل اغتسل فى يوم بارد فحم جسمه خمسة عشر يوما فقيل له ألا ندعو الطبيب فقال قد رآنى فقالوا فاى شئ قال فقال لهم قال انى فعال لما أريد وقيل سبب موته لما لدغته الحية فى الغار انتقض عليه السم ذكر ذلك ابن الاثير فى جامعه ٭ فكانت خلافة أبى بكر من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وثلاثة أشهر وتوفى ليلة الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى أن تغسله زوجته فغسلته ودفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه لما بلغه وفاة أبى بكر رضى الله عنه جاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا أبا بكر والله لقد كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم بالله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسنهم صحبة وأفضلهم مناقب وأكرمهم سوابقا وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقا وسمة وفضلا وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فضلا وفخرا فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله فى كتابه العزيز صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآنسته حين تخلفوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته فى الشدة أكرم صحبة ثانى اثنين فى الغار والمنزل عليه السكينة ورفيقه فى الهجرة ومواطن الكره فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا وقمت حين كسلوا ومضيت بقوة الله عز وجل حين وقفوا وكنت أطولهم صمتا وأشغلهم قلبا وأشدهم يقينا وأحسنهم عملا فحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ووعيت ما أهملوا وعلوت اذ طلعوا وصبرت اذ جزعوا وكنت كالجبل لا تحركه العواصف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ضعيف فى بدنه قوى فى أمر دينه متواضع فى نفسه عظيم عند الله محبوب الى أهل الارض والسموات فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا قال حسان رضى الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة ٭ فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ٭ بعد النبى وأوفاها بما حملا ٭ الثانى التالى المشهود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا ٭ وكان حب رسول الله قد علموا ٭ من البرية لم يعدل به رجلا

٭(خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه)٭

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن رواح بن عدى بن

فرعون ذلك أمر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله فرجع القائدان ولم يجدا موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستغلها والزراع ولما أراد الله هلاك فرعون خرج فى طلب موسى عليه السلام وفى طلب بنى اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان فى ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان فى عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائة ألف حصان ادهم فلما انتهى موسى ومن معه من بنى اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت

كعب بن لؤى بن غالب يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لؤى بن غالب وأمه حنتمة بنت هشام وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أسلم بمكة وشهد المشاهد واسلامه سنة ست من النبوة وبه تمت الاربعون وهو أول من دعى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار الى أبى بكر رضى الله عنه بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان كان أبيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين فى عارضيه خفة أعسر صفته فى التوراة قرن من حديد أمير شديد ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وقال عليه الصلاة والسلام عمر سراج أهل الجنة فى الجنة بويع له بالخلافة بعد موت أبى بكر رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد عمر المنبر فجلس دون مجلس أبى بكر رضى الله عنه ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم منى ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ابتغى بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فانى كثير الغفلة والنسيان والهمنى ذكرك على كل حال ثم قال الاوب الكعبة لاحملنهم على الطريق ثم نزل* (نبذة فى مناقبه رضى الله تعالى عنه) * منها انه لما استخلف حمل اليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضى الله عنهم فالتفت اليه ولده عبد الله وقال يا أبت أنا أحق أن تقدمنى بالعطية لمكانى فى الخلافة فقال له هل لك أب كأبيهما أو جد كجدهما حتى أبدأك بالعطية فجاآ وأعادا ذلك على أبيهما رضى الله عنه فالتفت اليهما وقال مرابه وفرحاه بانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل عن الله عز وجل ان عمر سراج أهل الجنة فى الجنة فجاآ وبشراه بذلك ففرح فرحا شديدا وقال خذا بهذا الذى ذكرتما خطا على رضى الله عنه فجاآ اليه وأخذا خطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضى الله عنه قال لولده اذا مت فادفنوا معى خط الامام على رضى الله عنه ففعل ذلك * ومنها انه خرج يطوف ليلة من الليالى بالمدينة ببعض السكك فسمع امرأة من نساء جنده وهى تقول

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه * وأرقنى ألا ضجيع الاعبه
لقد ضرنى من كنت آلف قربه * ولم أنسه لما نسيته أقاربه
فوالله لولا العار والنار بعده * لحرك من هذا السرير جوانبه

ثم تنفست وقالت هان على ابن الخطاب وحشتى فى بيتى وغيبة زوجى عنى فلما أصبح بعث اليها نفقة وبعث الى عامله يرد زوجها ثم ان عمر رضى الله عنه سأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة فقالت أربعة أشهر وعشرا ومنها أنه لما قدم بيت المقدس وقف بطور سينا ولم يأمر بقتال فأرسل البطريق الذى ببيت المقدس رجلا من أعظم أصحابه وقال أنظر الى ملك العرب وائتنى بحليته فجاء فرآه راكبا على فرسه وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاة فرسه معلقة فى قربوس السرج وعمر يدخل يده فى المخلاة فيخرج منها خبزا فيمسحه من التبن ويلوكه فوصف ذلك للبطريق فقال هذا الذى يفتح بيت المقدس فسلمه واليه من ساعته ومنها أنه افتتح فى خلافته بلاد الروم والترك وبعض الصين والهند والخزر والشام والعراق والسواحل ومصر وقبرص والاسكندرية وسلس والنوبة ومنها ان عمرو بن العاص لما افتتح مصر أتى اليه أهلها وقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وماهى قالوا انه اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر القبط عمدنا الى جارية بكر وأخذناها من أبويها وحليناها من الحلى والثياب أفضل مايكون ثم نلقيها فى النيل فقال لهم عمرو لا يكون هذا فى الاسلام وان الاسلام يهدم ماقبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجرى النيل فيه الا قليلا ولا كثيرا حتى هموا أهل مصر بالرحيل فلما رأى عمرو بن

الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر امامنا فقال موسى عليه السلام الى هنا فخاض يوشع الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله اين امرت فقال ههنا فكبح حزقيل فرسه اى نخعها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم ادخلها فارتسبت فى الماء اى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه السلام لايدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم

العاص فذلك كتب الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمر الى عمرو بن العاص انى كتبت
اليك بطاقة فالقها فى النيل فاخذها عمرو بن العاص فقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
أمير المؤمنين عمر الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار
هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم
واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة
عن أهل مصر وصار يعمل فى ليلة وفاء النيل المبارك فى كل سنة اشارة عظيمة كبيرة ينصب بها قناديل
تعلق بحبال كثيرة على أخشاب مرتفعة توضع بمركب وتوقد القناديل وتسير فى البحر يمينا وشمالا وتزف
بالطبول وتسمى عروسة البحر وذلك باق مستمر الى تاريخه ومنها عن زيد بن أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا
عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر بن الخطاب الى حرة واقم وهى منزلة بظاهر المدينة فرأى نارا فقال لابن
أسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب أضر بهم الليل والبرد فقلت لا أعلم يا أمير المؤمنين قال انطلق بنا اليهم
قال فخرجنا نهرول فاذا امرأة معها صغار لها وقدر منصوب على نار وصبيانها يبكون قال عمر رضى الله عنه
السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره أن يقول يا أهل هذه النار فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته ادن بخير أو فدع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال فما فى هذا القدر
قالت ماء اسكتهم به فقال لها عمر يرحمك الله ما الذى يدرى عمر بن الخطاب بحالكم فالتفت أمير المؤمنين
الى وقال انطلق بنا فرجعنا نهرول الى المدينة حتى أتينا دار الدقيق وقال احمل هذا العدل على فقلت أنا
أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال ثانيا احمله على فقلت أنا أحق به عنك يا أمير المؤمنين فقال ثالثا احمله على
ثكلتك أمك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة قال فحملته عليه وانطلق وانطلقت معه وهو يهرول حتى
أتينا اليها فالقى ذلك العدل عندها فاخرج قطعة من دهن والقاها فى القدر وجعل يقول للمرأة ذرى وأنا أحرك
لكم قال أسلم والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ
القدر ثم أنزله بيده وقال لها اعطى شيأ فاتته بقصعة أو قال بصحفة فافرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا
أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا
فلم يلتفت الى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده
على يدى ثم قصدنا المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فاحببت أن أفارقهم
وهم يضحكون * ومنها ما ذكره القاضى البيضاوى فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله عز وجل من كان
عدوا لجبريل قيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا
على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب كل خصب والسلام فقال وما منزلتهما
من الله سبحانه وتعالى فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما
تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل
قد سبقه بالوحى فقال عليه أفضل الصلاة والسلام لقد وافقت ربك يا عمر ومنها ان طائفة من النصارى
جاءت اليه رضى الله عنه وسألته بأن قالت له لاى شئ آدم دخل الجنة وخرج منها فقال لهم جنة الله نظيفة
ملائكية لا يكون فيها الا النظيف أخرج آدم منها حتى نظف ظهره من الزبالة التى هى مثلكم فى الدنيا ولما
صار نظيفا أدخل الجنة * ومنها ان الشعبى روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حججنا مع عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فلما دخل فى الطواف استقبل الحجر وقال اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ومضى فقال له على بن ابى طالب يا امير المؤمنين بل يضر
وينفع قال له لم قال بكتاب الله عز وجل قال واين ذلك من كتاب الله تعالى قال فى قوله تعالى واذ اخذ ربك

بينهما امسالك فدخل
كل سبط مسلكا يرى
بعضهم بعضا من خلال
الماء ودخل فرعون
وقومه فى أثرهم فلما
استقروا جميعا اطبق الله
البحر عليهم فاغرقوا جميعا
ولما اراد موسى أن يسير
ببنى اسرائيل ضل عنه
الطريق فقال ما هذا
فقال علماء بنى اسرائيل
ان يوسف لما حضره
الموت أخذ علينا موثقا
من الله أن لا نخرج من
مصر حتى ننقل عظامه
منها فقال موسى أيكم
يدرى مكان قبره فلم يكن
علم قبره الا عند عجوز عمياء
فدلتهم عليه بعد أن
اشترطت على موسى رد
بصرها وشبابها وكونها
رفيقته فى الجنة فاجابها
الى ذلك فنقلوا تابوت
يوسف بعد أن مات بنحو
من ثلاثين سنة ودفن

من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى خلق الله آدم ومسح بيده على ظهره اخرج ذريته من ظهره فعرفهم بانه الرب وانهم العبيد واخذ عليهم مواثيقهم وكتب ذلك في رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال افتح فاك قال فالقمه ذلك الرق وقال اشهد لمن وافاك يوم القيامة فهو يضر وينفع قال عمر اعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا ابا الحسن ذكر البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى واذن في الناس بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمع الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه انه يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره بذلك في حجة الوداع غريبة نقلتها من حياة الحيوان وهي بينما عمر رضي الله عنه جالس واذا برجل معه ابنه فقال له ويحك ما رايت غرابا اشبه بغراب من هذا منك قال يا امير المؤمنين هذا ما ولدته امه الا وهي ميتة فاستوى عمر جالسا وقال حدثني قال خرجت وامه حامل به فقالت تخرج وتتركني على هذا الحال حاملا مثقلة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت وغبت اعواما ثم اتيت فاذا بابي مغلق فقلت ما فعلت فلانة فقالوا ماتت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم انطلقت الى قبرها فبكيت عنده ثم رجعت فجلست الى بني عمي فبينما انا كذلك اذ ارتفعت لي نار من بين القبور فقلت لبني عمي ما هذه النار قالوا نرى على قبر فلانة كل ليلة فقلت انا لله وانا اليه راجعون اما والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلقوا بنا اليها فانطلقنا فاخذت الفاس واتيت القبر فاذا القبر مفتوح واذا هي جالسة وهذا الولد يدور حولها واذا مناد ينادي ايها المستودع ربه وديعة خذ وديعتك اما والله لو استودعت امه لوجدتها فاخذته وعاد القبر كما كان والله يا امير المؤمنين (فائدة) اذا علق منقار الغراب على انسان حفظ من العين واذا غمس الغراب الاسود جميعه في الخل بريشه وطلي به الشعر سوده وزبل الابلق ينفع من الخنازير واذا صر في خرقة وعلق على الصبي الذي لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه ونظيره ما حكاه السكاكي الدميري ان رجلا من البهنسا اخبر في شفاها ان بها شخصا مشهورا بابن الميتة قال وذلك ان امه ماتت وهي حامل به فلما مضى مدة من دفنها ماتت امرأة من أقاربها فحفروا قبرها الدفن تلك الميتة فاحس الحفار بشيء يدور حول الميتة فطلع الحفار وهو مرعوب واخبر من حضر بما شاهده في القبر فظنوه وحشا ثم اوقدوا نارا واشرفوا على داخل القبر فوجدوا ولدا معلقا بالميتة ملتقما ثديها وقد أجرى الله فيه اللبن لرضاعه فاخذ الحفار الولد وضمه الى صدره وعصب عينيه خوفا من مفاجاة النور واطلعه من القبر وعاش وتزوج ورزق الاولاد فسبحان من يحيي العظام وهي رميم * وايضا سمعت من بعض الافاضل انه قال لي شفاها اطال الله عمره مسامرة الشيخ الاكبر فرأيت بها اعجوبة وهي ان الشيخ الاكبر حكى ان بعض التجار اخبره انه سافر الى بلاد الهند بمتجر فدخل مدينة من مدائن الهند فباع لشخص منها متجرا بالف مثقال ذهبا نسيئة وتوجه بما بقي معه من البضائع الى مدينة أخرى فباع ما بقي معه ومكث الى ان قبض ثمن ما باعه ثم عاد الى المدينة الاولى فوجد الرجل الذي أخذ منه البضائع بالف مثقال مات يوم قدومه ودفن فحصل له من الغم والحزن ما لا يوصف وقال انا لله وانا اليه راجعون قد ذهب مالي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال له شخص من أهل المدينة لا تحزن فانه لا يضيع لك شيء من مالك قال وكيف لا أحزن والرجل قد مات ومن أين آخذ حقي بضاعتي فقال له صاحبك الميت يطلع من قبره بعد ثلاثة أيام ويفتح حانوته ويقضي ديونه قال فاستبعدت ذلك وقلت كيف يتصور ذلك وصرت متفكرا متعجبا من ذلك فلما مضت الثلاثة أيام طلع الرجل من قبره وفتح حانوته وجلس نهارا والناس حوله من ورثته وغيرهم ثم جئت اليه فقال لا باس عليك واخذ دفترا كان بجانبه ونظر فيه وقال لك ألف مثقال ذهبا فقلت نعم فنقدها لي فاخذتها وتقدم اليه بعدي من كان له علاقة فما زال يوفي ديونه الى ان قضاها جميعا وضبط ما بقي من أمتعته وقفل حانوته وسلم

بيت المقدس وغرق مع فرعون من أشراف أهل مصر وأكابرهم أكثر من ألفي ألف فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاجمع رأيهن على أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة ذات عقل ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع الملوك في البلاد فبنت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغارا على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم احد يخافونه ضرب بعضهم

مشاهدته الى ورثته وتوجه الى المقبرة فتبعته الى ان تلاحقت به وقبضت على أثوابه وقلت له بالله عليك أنت صاحبنا المتوفى أم لا فقال لا وانما أنا ملك من ملائكة ربى وقد جرت عادة الله فى أهل هذه المدينة اذا مات منهم أحد يلقى الله شبهه على ملك من الملائكة ويطلع بعد ثلاثة أيام ويفعل ما رأيت قال فتعجبت من ذلك غاية العجب وانصرفت الى حال سبيلى وهذا من العجب العجاب قلت وفى ذلك من دقائق حكمة الله ما يبعث اولى الافكار على الاعتبار بخرج الحى من الميت ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * وأقام عمر رضى الله عنه فى الخلافة عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال

(ذكر وفاته رضى الله عنه)

حكى الطبرى قال جاء كعب الاحبار اليه رضى الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما يدريك قال أجد صفتك وحليتك فى التوراة وانه قد اقترب أجلك وكان عمر رضى الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا ألما فلما كان الغد جاء كعب الاحبار وقال يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقى يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر فى الناس فدخل ابو لؤلؤة فى الناس وفى يده خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن النضر الليثى فلما وجد عمر حر الحديد سقط الى الارض وقال أفى الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فليتقدم يصل بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الارض ثم حمل الى داره ثم قال لولده أخرج فانظر من قتلنى فقال له يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى الا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب الى عائشة فاسألها هل تأذن لى ان أدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس ان يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون والمهاجرون والانصار يسلمون وكان كعب الاحبار فى الناس فلما نظر عمر الى كعب الاحبار انشأ يتمثل

فاوعدنى كعب ثلاثا أعدها * ولاشك ان الحق ماقاله كعب
ومابى حذار الموت انى لميت * ولكن حذار الموت يتبعه الذنب

ثم توفى ليلة الاربعاء لثلاث ليال من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه)

هو أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب أسلم قديما وهاجر الهجرتين واروى أسلمت رضى الله عنها وأسلم عثمان رضى الله عنه فى أول الاسلام على يد أبى بكر قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم ولم يشهد بدرا لانه تخلف لمرض * كان أبيض اللون وقيل أسمر اللون رقيق البشرة كثير شعر الرأس عظيم اللحية وسمى ذا النورين لجمعه بين بنتى النبى صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم وسمع أبو سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ان عثمان رضيت عنه فارض عنه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله عنه على مائة بعير ثم حث فقال على ثلثمائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا وكان عثمان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت بالخل بويع له بالخلافة أول المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة *(نبذة)* فى فضائله رضى الله عنه منها انه سئل على رضى الله عنه عن عثمان قال ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الاعلى ذا النورين وعن أبى سعيد

الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أى الجهات وجه كان فى ساعة واحدة فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه فى ستة أشهر ويقال له جدار العجوز وقد بقيت بالصعيد منه بقايا وملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ من أبناء أكابرهم واشرافهم رجل ملكوه عليهم واستمر الملك للرجال ولم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو أربعمائة سنة وجملة من ملك منهم من الرجال عشرة الى ان ظهر بختنصر على بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل ورجع بهم الى أرض بابل ثم ملك مصر واستولى عليها وأخذها من أيدى القبط وقتل من قتل وخرب مدائن مصر وقراها ولم يترك منها أحدا حتى

الخدرى قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى طلوع الفجر يقول اللهم انى رضيت عن عثمان فارض عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة وفى رواية جابر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه فقيل له يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فبغضه الله عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يشفع عثمان فى سبعين ألفا عند الميزان ممن استوجبوا النار وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخل عثمان رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاستحيى ممن استحيت منه الملائكة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما أسرى بى الى السماء دخلت جنة عدن واعطيت تفاحة فلما وضعتها فى كفى انفلقت عن حوراء عيناء مريضة الاجفان عيناها قوادم النسور فقلت لها لمن أنت فقالت للخليفة من بعدك يقتل ظلما عثمان بن عفان * ومن فضائله رضى الله عنه عن أبى قلابة قال كنت فى رفقة بالشام فسمعت رجلا يقول واويلاه النار فقمت اليه واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين أعمى العينين منكب على وجهه فسألته عن حاله فقال انى كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار قال فاخذتنى رعدة عظيمة وخرجت هاربا ولم يبق من دعائه الا النار * ومن فضائله رضى الله عنه انه افتتح فى أيام خلافته سابور وافريقية وسواحل الاردن وسواحل الروم واصطخر الآخرة وفارس الاولى وطبرستان وكرمان وسجستان والاساورة ومنها انه اختصم يوما هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهما فقال أبو عبيدة يا عثمان تخرج على فى الكلام وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان وما هن قال الاولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب والثانية شهدت بدرا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد فى الوقعة ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الى مكة فى حاجة ومد يده عنى وقال هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرا من يدى وأما وقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها وأما انهزامى يوم أحد فان الله عفا عنى واضاف فعلى الى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم فخصمه عثمان اى غلبه (ذكر قتله رضى الله عنه) حوصر فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو بداره أكثر من عشرين يوما روى عن أبى على الكندى انه قال أشرف علينا عثمان يوم الدار وقال أيها الناس لا تقتلونى فانكم ان قتلتمونى كنتم كهاتين وشبك بين أصابعه وعن عبد الله بن سلام قال أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لاسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا يا أخى فقلت يسرنى لو كنت فداك يا أمير المؤمنين فقال الليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مثل لى فى هذه الخوخة وأشار عثمان بيده الى خوخة فى أعلى داره فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى دلوا شربت منه فها أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديى وبين كتفى فقال ان شئت أفطرت عندنا وان شئت نصرت عليهم فاخترت الفطر وكان عنده بالدار ستمائة رجل ثم دخلوا عليه من دار بنى حزم الانصارى فضربه نيار بن فياض الاسلمى وقيل جبلة بن الايهم وقيل سوار بن حمران وقيل رمان اليمانى وضربه بمشقص فى وجهه فسال الدم فى حجره وكان قتله بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة او سبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة ودفن بالبقيع ليلا وصلى عليه جبير بن مطعم فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة

بقيت مصر أربعين سنة خرابا ليس بها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به أحد ثم ردهم اليها بعد الاربعين سنة فعمروها فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الارض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال فى البر والبحر فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم فلما غلبت فارس على الشام رغبوا فى مصر وطمعوا فيها فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم وقامت دونهم فلما ألحت فارس على أهل مصر وخشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارسا على ان يكونوا ما صالحوا به الروم بين الروم وفارس فرضيت الروم بذلك

الا اثنتى عشرة ليلة ❊(خلافة سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه)❊

وهو على بن أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهى أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وهاجرت الى المدينة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من أسلم من الذكور والصبيان واختلف فى سنه قيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة شهد المشاهد كلها غير تبوك وكان رضى الله عنه شديد الأدمة عظيم العينين أقرب الى القصر أبطن كثير الشعر عريض اللحية بويع له بالخلافة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام على رضى الله عنه وقالوا لابد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لى فى امركم فمن اخترتموه رضيته قالوا نختارك قال اذا ولابد فان بيعتى لا تكون خفية فخرج الى المسجد وعليه ازار وقميص وعمامة خز ونعلاه فى يده متكئ على قوسه وبايعه الناس وكان أول يد مدت اليه يد طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة فنظر اليه حبيب بن ذؤيب وقال انا لله أول يد مدت اليه بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وكانت البيعة يوم الجمعة ثم ان عليا صعد المنبر وحمد الله وأثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان هذه امركم ليس لاحد فيها حق الا من أمرتموه وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها الامر تكم فأبيتم الا أن أكون عليكم أميرا وليس لى ان آخذ درهما دونكم فان شئتم والا فلا قالوا بلى نحن على ما فارقناك عليه بالامس وبايعه الناس كافة ثم دخل بيته فدخل عليه المغيرة بن شعبة وقال يا امير المؤمنين ان لك عندى نصيحة قال وما هى قال ان أردت أن تستقيم لك الخلافة فاستعمل طلحة ابن عبد الله على الكوفة وعبد الله بن الزبير بن العوام على البصرة ومعاوية بن أبى سفيان على الشام على ما كانوا عليه حتى تلزمهم طاعتك وتأتيك بيعتهم فاذا استقر قرارها رأيت رأيك تعزل من تريد وتولى من تريد فقال أما طلحة والزبير فسأرى فيهما رأيى وأما معاوية والله لا يرانى الله أستعين به على حالتى ولكننى أدعوه الى البيعة فان هو أجابنى والا حاربته فانصرف المغيرة مغضبا وهو يقول

نصحت عليا فى ابن هند مقالة ❊ فردت فلم أسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له أوجز عليه بعهده ❊ وبالامر حتى يستقر معاويه
وتعلم أهل الشام أن قد ملكته ❊ وان أذنه صارت لأمرك واعيه
فتحكم فيه ما تريد فانه ❊ لداهية فارفق به أى داهيه
فلم يقبل النصح الذى قد نصحته ❊ وكانت له تلك النصيحة كافيه

فلما بلغ معاوية كتب الى على رضى الله عنه أما بعد فلو علمنا ان الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وان كان قد غلب على عقولنا فقد بقى لنا ما نرم به ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمنى لك طاعة وأنا أدعوكم اليوم لما دعوتكم اليه بالامس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من اللقاء الا ما أخاف وقد والله رقت الاجساد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ولا يسترق به حر فكتب اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انا لو علمنا أن الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لن تبلغها وأما طلبك منى الشام فانى ما أعطيتك بالامس فامنعك اليوم وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فليس على حد سواء وليس أهل الشام على الدنيا باحرص من أهل العراق وأما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق ولا المؤمن كالمدغول وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام فكتب اليه معاوية رضى الله عنه يا أبا الحسن أنا لى فضائل كثيرة كان أبى سيدا فى الجاهلية وصرت أنا ملكا فى الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحى فقال على رضى الله عنه أبالفضائل يفاخرنى معاوية اكتب

حين خافت ظهور فارس عليها وأقامت مصر بين الروم وفارس نصفين سبع سنين ثم استجاشت الروم اى ضعفت وظهرت فارس وألحت بالقتال والمدد حتى ظهروا عليهم وخربوا مصانعهم وديارهم التى بالشام ومصر وكان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نزلت الم غلبت الروم الآن ثم غلبت الروم فارسا فصارت الشام كلها وصلح اهل مصر كله خالصا للروم وليس لفارس منه شئ وذلك فى زمن الحديبية سنة ست من الهجرة وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر اميرا عليها وجعل اليه حربها وجباية خراجها فنزل الاسكندرية فلم تزل مصر فى ملك الروم حتى فتحها

ياقلام محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي * وجعفر الذي يمسي ويضحي
يطير مع الملائكة ابن أمي * وبنت محمد سكني وعرسي * منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها * فايكموله سهم كسهمي * سبقتكمو الى الاسلام طفلا
صغيرا ما بلغت أوان حلمي * وأوجب طاعتي فرضا عليكم * رسول الله يوم غدير خمي
فويل ثم ويل ثم ويل * لمن يرد القيامة وهو خصمي

فكتب اليه معاوية أما بعد يا علي فانك قلت ما يضرك وتركت ما ينفعك وايم الله لارمينك بشهاب قابس لا تدركه الرياح ان وقع في الارض ارتسب أو وقع في الصخر ثقب والسلام فكتب اليه علي أما بعد يا معاوية فاني قاتل عمك وجدك وخالك والسيف الذي قتلتهم به معي لم أستبدل بالسيف سيفا ولا بغير الله ربا ولا بغير النبي نبيا فافعل ما شئت ستجدني بطلا شديدا أقاتل كل جبار عنيد وطوى الورقة ودفعها الى رجل أسود يقال له الطرماح فتعمم الطرماح بعمامة سوداء وركب ناقته ثم سار حتى وافى دمشق فقال اعوان معاوية هذا اعرابي قدم من عند علي بن ابي طالب قوموا حتى نهزأ به فقالوا له يا اعرابي معك خبر من أهل السماء جئت به الى أهل الارض وما خلفت وراءك قال ملك الموت لقبض أرواحكم فقالوا أتحب أن تدخل على أمير المؤمنين فقال الطرماح نحن المؤمنون فمن أمره علينا قال فذهبوا الى معاوية يخبرونه بقدوم الطرماح فامر باحضاره فلما دنا من قصر معاوية واذا يزيد بن معاوية جالس على باب القصر فقال الطرماح من يكون هذا الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على الخرطوم قالوا هذا يزيد بن معاوية أمير المؤمنين فقالوا أتحب الدخول على الملوك فقال أحب الدخول على ابن آكلة الاكباد الضالة عن طريق الرشاد التي قال الله في حقها في جيدها حبل من مسد فلما حضر بين يدي معاوية لم يطأ بساطه فقال له معاوية هات كتابك فقال الطرماح لمعاوية تنزل عن مرتبتك وتأخذ كتابي بيدك فقد أمرت أن لا أسلمه الا من يدي الى يدك فقام معاوية من مكانه وقبل الكتاب وفتحه فلما قرأه اغتاظ غيظا وقال للطرماح كيف خلفت عليا وأصحابه قال خلفته خصما سالما سليما ان اتى جيشا هزمه وان أتى حصنا هدمه وأصحابه حوله كالنجوم الزاهرة والعصابة القاهرة وهو بينهم كالقمر المنير ان نهاهم ارتدعوا وان أمرهم ابتدروا فامر له معاوية بالف دينار فاخذها وانصرف وفيما أوردناه كفاية والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآب * (نبذة) * في فضائل الامام علي رضي الله عنه * منها ما حكي عن كميل رضي الله عنه قال دخلت على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وبين يديه قصعة فيها ثردة خبز شعير وملح وزيت فقال يا كميل هلم الى الزاد فتقدمت وأكلت ثم قلت يا أمير المؤمنين لو احسنت الى نفسك في لون يتخذ لك فانه حكي لي من دخل على معاوية وحضر الطعام عنده انه قدم له مائدة فيها مائة وستون لونا وفيها لون لم نعرفه فسألت معاوية فدعا بصاحب مطبخه فسأله عنه فقال ادمغة الكراكي في مصارين البط مقليا بدهن الفستق والعسل والسكر الطبرزذ والزعفران والماورد فقال يا كميل ذاك طعام الجبابرة وروي عن عبد الله بن أسد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي أتيت الى ربي عز وجل فأوحى لي أو امرني في علي بثلاث انه سيد المؤمنين وولي المتقين وقائد الغر المحجلين وروي عن انس رضي الله عنه انه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج فادع لنا ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص والزبير وعدة من الانصار قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم وكان علي غائبا في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمائه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بنبيه محمد وان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا

الله على المسلمين وكان من دأب المقوقس ان يصيف بمصر ويشتي بالاسكندرية واستمر حاكما بمصر من طرف هرقل احدى وثلاثين سنة حتى افتتح عمرو بن العاص رضي الله عنه الديار المصرية في سنة عشرين من الهجرة النبوية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أتى مصر حاصرها ثلاثة أشهر وكان المقوقس بقصر الشمع على بحر النيل وكانت السفن تجري تحته فلما رأى العرب أشرفوا على أخذ البلد نزل في مركب كانت راسية على باب قصره ثم توجه هاربا الى نحو الاسكندرية وكان يعلم ان العرب لابد لهم من ان يملكوا مصر وذلك انه كان بالاسكندرية باب مغلق عليه أربعة

مفترضا

لمقترضا اوثبج به الاوهام والزم به الانام فقال عزمن قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرنى ان ازوج فاطمة بنت خديجة من على بن ابى طالب فاشهدوا انى قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين ايدينا ثم قال انهبوا فنهبنا فبينما نحن ننهب اذ دخل على على النبى صلى الله عليه وسلم فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه وقال ان الله أمرنى أن أزوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ارضيت بذلك فقال رضيت بذلك يا رسول الله قال أنس فقال النبى صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما واسعد جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال أنس فوالله لقد أخرج منهما كثيرا طيبا ومنها ما حكى عن ضرار رضى الله عنه انه قال كان على رضى الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا تنفجر الحكم من جوانبه وينطق العلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كاحدنا يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد ان نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته فان تبسم تبسم عن لؤلؤ منظوم يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رايته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل ستوره وغارت نجومه وقد تمثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السقيم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرى غيرى لا حاجة لى بك ابى تعرضت والى تشوقت هيهات هيهات قد بتتك ثلاثا لا حاجة لى فيك فعمرك قصير وحظك حقير آواه آوه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فقيل لضرار ما حزنك عليه قال كحزن امرأة ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقا لها عبرة ولا تنقضى لها حسرة وأخبر أبو عبد الله بن منصور بن سكبان التسترى قال أخبرنا محمد بن الحسن بن غراب قال حدثنا القاضى موسى بن اسحق قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن ابى شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله الاسدى قال كان على ابن ابى طالب رضى الله عنه يقول فى مناجاته الهى لولا ما جهلت من امرى ما شكرت عثراتى ولولا ما ذكرت من الافراط ما سحت عبراتى الهى فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات وهب كثير السيئات لقليل الحسنات الهى ان كنت لا ترحم الا المجد فى طاعتك فالى من يلتجئ المخطئون وان كنت لا تكرم الا اهل الاحسان فالى من يصنع المسيئون وان كان لا يفوز يوم الحشر الا المتقون فكيف يستغيث المذنبون الهى ان كان لا يجوز على الصراط الا من اجازته براءة عمله فانى بالجواز لمن لم يتب قبل حلول أجله الهى ان كان حبلك عن موحديك عهد جنايتهم اوقعهم غضبك بين المشركين فى كرباتهم الهى فاوجب لنا بالاسلام مذخور هباتك واستصف لنا ما كدرته الجرائم بصفح صلاتك الهى ارحم غربتنا اذا ضمتنا بطون لحودنا وعميت علينا باللبن سقوف بيوتنا واضجعنا على الايمان فى قبورنا وخلفنا فرادى فى أضيق المضاجع وصرعتنا المنايا فى أنكى المصارع وصرنا فى ديار قوم كانها ماهولة وهى فيهم بلاقع الهى اذا جئناك عراة مغبرة من ثرى الاجداس رؤسنا وشاهبة من ثرى الملاحد وجوهنا وخاشعة من أهوال القيامة أبصارنا وبادية هنالك للعيون سوآتنا ومثقلة من تحمل الاوزار ظهورنا ومشغولين بما قد دهانا من أهلينا وأولادنا فلا تضعف علينا المصائب باعراض وجهك الكريم عنا وسلب عائدة ما مثله الرجاء منا الهى ما حنت هذه العيون الى بكائها ولا جادت مشربة بمائها ولا اشتهرت بنحيب المشكلات فقد عزائها الا لما سلف من نفورها واباتها وما دعاها اليه عواقب بلائها وأنت القادر يا كريم على كشف عمائها الهى ثبت حلاوة ما يستعذب به لسانى من النطق فى بلاغته بزهادة ما يرفعه قلبى من النصح فى دلالته الهى أمرت

وعشرون قفلا عزم على فتحه المقوقس فمنعه القسس والرهبان وقالوا له كل من تقدم من الملوك لم يفتحه ويضع عليه قفلا وأنت الآخر اجعل عليه قفلا ونحن نعطيك ما حضر لك من المال الذى ظننت أنه فيه فامتنع وفتحه ودخل فلم يجد فيه شيأ من المال لكن رأى منقوشا على حيطانه تصاوير العرب راكبين خيولا وعلى رؤسهم عمائم وسيوف متقلدين بها وكتابة فى صدر المكان تملك العرب المدينة فى هذه السنة ولما فتح عمرو بن العاص مصر واستقر بها قصد التوجه الى مدينة الاسكندرية فلما وصل اليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل اليه المقوقس يسألهم فى

بالمعروف وأنت اولى به من المأمورين وامرت بصلة السؤل وانت خير المسؤلين الهى كيف يقل بنا
الياس من الامساك كما لهجتنا بطلابه وقد ادرعنا من تأميلنا اياك أسبغ أثوابه الهى اذا تلونا من صفاتك
شديد العقاب أشفقنا واذا تلونا منها الغفور الرحيم فرحنا فنحن بين أمرين لا يؤمننا سخطك ولا تؤيسنا
رحمتك الهى ان قصرت بنا مساعينا عن استحقاق نظرك فما قصرت رحمتك بنا عن اندفاع نقمتك الهى
كيف تفرح بصحبة الدنيا صدورنا وكيف تلتئم فى غمراتها أمورنا وكيف يملكنا اللهو واللعب غرورنا
وقد وعدتنا باقتراب آجالنا قبورنا الهى كيف نبتهج بدار حفرت لنا حفائر صرعتها وقيدتنا بايدى المنايا
حبائل غدرتها وجرعتنا مكرهين جرع مرارتها ودلتنا العبر على انقطاع عيشتها الهى فاليك التجئ من
مكايد خدعتها وبك نستعين على عبور قنطرتها وبك تستعصم الجوارح على خلاف شهوتها وبك
تستكشف جلابيب حيرتها وبك يقوم من القلوب استصعاب جهالتها الهى كيف للدوران تمنع من فيها
من طوارق الرزايا وقد أصيب كل دار بسهم من أسهم المنايا الهى ما تفجع بانفسنا على الديار ان لم يوحشنا
هنالك موافقة الابرار الهى ما تضرنا فرقة الاخوان والقرابات اذا قربتنا اليك يا ذا العطيات الهى ارحمنى
اذا انقطع من الدنيا أثرى وانمحى من المخلوقين ذكرى وصرت فى المنسيين كمن نسى الهى كبرسنى ودق
عظمى ورق جلدى ونال الدهر منى واقترب اجلى ونفدت أيامى وذهبت شهوتى وبقيت تبعتى
وامحت محاسنى وبلى جسمى وتقطعت أوصالى وتفرقت أعضائى الهى فارحمنى الهى أفحمتنى ذنوبى
وانقطعت مقالتى فلا حجة لى ولا عذر فانا المقر بجرمى والمعترف باساءتى والاسير بذنبى المرتهن بعملى
المتهور فى خطيئتى المتحير عن قصدى الهى فصل على محمد وعلى آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى
اللهم ان صغر فى جنب طاعتك عملى فقد كبر فى جنب رجائك أملى الهى كيف انقلب بالخيبة من عندك
محروما وكان ظنى بجودك ان تقبلنى مرحوما لانى لم أسلط على حسن ظنى بك قنوط الآيسين فلا تبطل
صدق رجائى لك بين الآملين الهى فان كنا مرحومين فاننا نبكى على ماضيعناه فى طاعتك ما نستوجبه
وان كنا غير مرحومين فاننا نبكى على انفسنا اذ فاتنا من جودك ما نطلبه الهى عظم جرمى اذ كنت المبارز به
وكبر ذنبى اذ كنت المطالب به الهى اذا ذكرت ذنوبى وعظيم غفرانك وجدت الحاصل لى بينهما عفو
رضوانك الهى ان أوحشتنى الخطايا من محاسن لطفك فقد آنسنى اليقين بمكارم عطفك الهى ان أنامتنى
الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد أنبهتنى المعرفة بكريم آلائك الهى ان عظم لى عن تقويم ما يصلحنى
فما عزب ايقانى بنظرك لى فيما ينفعنى الهى جئتك ملهوفا قد ألبست ثوب عدمى وفاقتى وأقام مقام
الاذلاء بين يديك ذل حاجتى الهى اكرمنى اذ كنت من سؤالك وجدت معروفك فاخلطنى باهل نوالك الهى
اصبحت على باب من ابواب منحك سائلا وعن التعرض لغيرك بالمسئلة عادلا وليس من جميل امتنانك ان
ترد سائلا ملهوفا ومضطر الانتظار أمرك مألوفا الهى أقف على قنطرة الاخطار مملوأ بالاغمار وبالاعتبار وأنا
الهالك ان لم تعن عليها بتخفيف الآصار الهى أمن اهل الشقاء خلقتنى فأطيل بكائى أم من اهل السعادة
فانشر رجائى الهى ان لم تهدنى الى الاسلام ما اهتديت ولو لم تطلق لسانى بدعائك ما دعوت ولو لم تعرفنى
حلاوة نعمتك ما عرفت ولو لم تبين لى شديد عقابك ما استجرت الهى ان اقعدنى التخلف عن السير مع الابرار
فقد أقامتنى الثقة بك على مدارج الاخيار الهى نفس اعززتها بتأييد ايمانك فكيف تذلها بين اطباق نيرانك
الهى لسانا كسوته من وحدانيتك أنقى أثوابها كيف تهوى اليه من النار مشعلات التهابها الهى كل
مكروب فاليك يلتجى وكل محزون فاليك يرتجى الهى سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا وسمع
المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب العصاة ببابك وعج منهم اليك العجيج والضجيج
بالدعاء فى بلادك وكل امل ساق صاحبه اليك محتاجا وكل قلب تركه يارب وجف الخوف منك منهاجا فانت

الصلح وان يجعل لهم عليه الجزية فاتى الى عمرو ابن العاص رجل بواب على الاسكندرية وقال له أتؤمننى على نفسى وعيالى وانا أفتح لك الباب فاجابه عمرو لذلك ففتح له الباب ودخل هو ومن معه من المسلمين فملكوها وأسروا المقوقس وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر أول جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة وقيل سنة اثنتين وعشرين ثم رجع عمرو الى مصر وأراد ان يبنى مدينة الفسطاط وسبب تسميتها بذلك انه لما وصل الى مصر نصب له خيمة تسمى الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة فوجد فيها عشا فيه يمامة قد فرخت فيه فترك القبة لاجلها شفقة على فراخ اليمامة فلما

المسؤل الذي لا تسود لديه وجوه المطالب الهي ان أخطأت طريق النظر لنفسي بما فيه كراماتها فقد أصبت
طريق الفزع بما فيه سلامتها الهي ان كانت نفسي قد استسعدتني متمردة على ما يؤذيها فقد استسعدتها
الآن بدعائك على ما ينجيها الهي ان قسطت في الحكم على نفسي بما فيه حسرتها فقد أقسطت في تعريفي
اياها من رحمتك أسباب رأفتها الهي ان قطعني قلة الزاد في المسير اليك فقد وصلته بما أعددته من فضل
تعويلي عليك الهي اذا ذكرت رحمتك ضحكت لها عيون وسائلي واذا ذكرت سخطك بكت لها عيون
مسائلي الهي أدعوك دعاء من لم يرج غيرك في دعائه وأرجوك رجاء من لم يقصد غيرك في رجائه الهي
كيف أسكت بالافهام لسان ضراعتي وقد أقلقني ما أبهم من مصير عاقبتي الهي قد علمت حاجة جسمي
الى ما تكفلت له من الرزق في حياتي وعرفت قلة استغنائي عنه في الجنة بعد وفاتي فيا من سمح لي به
متفضلا في العاجل فلا تمنعنيه يوم فاقتي اليه في الآجل الهي ان عذبتني فعبد خلقته لما أردت فعذبته
وان رحمتني فعبد لقيته مسيأ فأنجيته الهي لا احتراس مع الذنب الا بعصمتك ولا وصول الى عمل الخيرات
الا بمشيئتك وكيف لي بافادة ما سلبتني فيه مشيئتك وكيف لي باحتراس من الذنب ما لم تدركني فيه
عصمتك الهي أنت دللتني على سؤال الجنة قبل معرفتها فأقبلت النفس بعد العرفان على مسئلتها أفتدل
على خير بالسؤال ثم تمنعه وأنت الكريم المحمود في كل ما تصنعه يا ذا الجلال والاكرام الهي ان كنت غير
مستأهل لما أرجو من رحمتك فأنت أهل أن تجود على المذنبين بفضل سعتك الهي نفسي قائمة بين يديك
وقد أظلها حسن التوكل عليك فاصنع بي ما أنت أهله وتغمدني برحمتك الهي ان كان دنا أجلي ولم
يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان غفرت فمن أولى منك بذلك وان
عذبت فمن أعدل منك في الحكم هنالك الهي انك لم تزل بارا بي أيام حياتي فلا تقطع برك بي بعد مماتي
الهي كيف آيس من حسن نظرك بعد وفاتي وأنت لم تولني الا الجميل في حياتي الهي ذنوبي قد أخافتني
ومحبتي لك قد أجارتني فتول في أمري ما أنت أهله وجد بفضلك على من غمره جهله يا من لا يخفى عليك
خافية صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واغفر لي ما خفي عن الناس من أمري الهي ليس اعتذاري
اليك اعتذار من يستغني عن قبول عذره فاقبل عذري يا خير من اعتذر اليه المسيئون الهي لو أردت اهانتي
لم تهدني ولو أردت فضيحتي لم تعافني فمتعني بما له هديتني وأدم علي ما به سترتني الهي لولا ما اقترفت من
الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وأنت أكرم الأكرمين بتحقيق آمال
الآملين فارحم من استرحم في تجاوزه من المذنبين الهي نفسي تمنيني بانك تغفر لها فأكرم بها أمنية
فقد بشرت بعفوك وصدق كرمك مبشرات تمنيها وهب لها بجودك مقصرات تجنيها الهي ألقتني الحسنات
بين جودك وكرمك وألقتني السيئات بين عفوك ومغفرتك وقد رجوت أن لا يضيع بين هذين وهذين
محسن ومسيء الهي اذا شهد الاحسان بتوحيدك وانطلق لساني بتمجيدك ودلني القرآن على فضل
جودك فكيف لا يبتهج رجائي بحسن موعدك الهي تتابع احسانك يدلني على حسن نظرك فكيف يشقى
امرؤ أوليته منك حسن النظر الهي اذا نظرت بالهلكة الى عيون سخطك فما نامت عن استنقاذي عيون
رحمتك الهي ان عرضني ذنبي لعقابك فقد أدناني رجائي من ثوابك الهي ان غفرت فبفضلك وان عذبت
فبعدلك فيا من لا يرجى الا فضله ولا يخاف الا عدله صل على محمد وامنن علي بفضلك ولا تستقص علي
بعدلك الهي خلقت لي جسما وجعلت لي آلات أطيعك بها وأعصيك وأغضبك بها وأرضيك وجعلت
لي من نفسي داعيا الى الشهوات وأسكنتني دارا ملئت من الآفات وقلت لي ازدجر فبفضلك أعتصم
واحترز واستوفقك فيما يرضيك وأسألك فان سؤالي لا يحفيك الهي لو عرفت اعتذارا وتنصلا هو أبلغ
من الاعتراف بالذنب لأتيته فهب لي ذنبي بالاعتراف ولا تردني في طلبي بالخيبة عند الانصراف الهي كأني

توجه الى الاسكندرية ورجع منها قيل له تنزل في أي مكان قال مكان الخيمة التي تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت جيدة على ساحل البحر ولم تزل عامرة الى الدولة الفاطمية فخربت بسبب الافرنج ومجيئهم الى ديار مصر وبني عمرو بن العاص بها جامعه الكبير ووقف على قبلته سبعون من الصحابة رضي الله عنهم وهو أول جامع بني في الاسلام بمصر المحروسة وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء وحررت مسافة مصر بعد ان تلاشى أمرها بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مسافتها مائة ألف فدان

بنفسي وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف عنها المشيعون من عشيرتها من شفير القبر ذو مودتها ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعتها ولم يخف على الناظرين اليها ذل فاقتها ولا على من رآها توسدت الثرى عجز حيلتها وقالت ملائكته غريب نأى عنه الاقربون وبعيد جفاه الاهلون وخذله المؤملون نزل بنا قريبا فاصبح في اللحد غريبا وقد كنت في دار الدنيا داعيا وتنظرك الي في هذا اليوم راجيا فتحسن عند ذلك ضيافتي وتكون أشفق على من أهلي وقرابتي الهي سترت على في الدنيا ذنوبا فلم تظهرها فلا تفضحني يوم القيامة على رؤس العالمين بها واسترها على هنالك يا أرحم الراحمين الهي لو طبقت ذنوبي بين السماء والارض وخرقت النجوم وبلغت أسفل الثرى ما ردني اليأس عن موقع غفرانك ولا صرفني القنوط عن انتظار رضوانك الهي سعت نفسي اليك تستوهبها وفتحت أفواه آمالها تستوجبها فهب لها ما سألت وجد لها بما طلبت فانك أكرم الاكرمين بتحقيق أمل الآملين الهي قد أصبت من الذنوب ما عرفت وأسرفت على نفسي بما قد علمت فاجعلني اما عبدا طائعا فاكرمتني واما عاصيا فرحمتني الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتني فلا تحرمني من جنانك التي عرفتني فمن النعمة ان هديتني بحسن دعائك ومن تمامها ان توجب لي حسن جزائك الهي انتظرت عفوك كما ينتظره المسيؤن ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي جودك بسط أملي وشكرك قبل عملي فصل على محمد وعلى آل محمد وبشرني بلقائك وأعظم رجائي بجزائك الهي أنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك سبق السابقين الهي ان كنت لا أستحق معروفك ولم أستوجبه فكن أنت أهل التفضل به علي فالكريم من لم يضع معروفه عند من لا يستوجبه الهي مسكنتي لا يجبرها الا عطاؤك وأمنيتي لا يغنيها الا نعماؤك الهي استوفقك لما يدنيني منك وأعوذ بك مما يصرفني عنك الهي أحب الامور الى نفسي وأعودها على منفعة ما استرشدتها بهدايتك اليه ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عني اذ أنت أرحم الراحمين بها مني الهي أرجوك رجاء من لا يخافك وأخافك خوف من لا يرجو ثوابك فقني بالخوف شر ما أحاذر واعطني بالرجاء خير ما أحاذر الهي انتظرت عفوك كما ينتظره المذنبون ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي مددت اليك يدا بالذنوب مأسوره وعينا بالرجاء مزروره وحقيق لمن دعا بالندم تذللا ان يجيبه بالكرم تفضلا الهي ان عرضتني ذنوبي لعقابك فقد أدناني رجائي من ثوابك الهي لم أسلط على حسن ظني بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائي لك بين الآملين الهي ان انقرضت بغير ما أحببت من السعي أيامي فبالايمان أمضتها الماضيات من أعوامي الهي ان أخطأت طريق النظر بما فيه كراماتها فقد أصبت طريق الفزع بما فيه سلامتها الهي ما أضيق الطريق على من لم تكن أنت دليله وما أوحش المسلك على من لم تكن أنت أنيسه الهي انهملت عبراتي حين ذكرت خطيآتي وما لها لا تنهمل وما أدري ما يكون اليه مصيري وماذا يهجم عليه عند البلاغ مسيري وأرى نفسي تخاتلني وأيامي تخادعني وقد خفقت فوق رأسي ألوية أجنحة الموت ورمتني عن قريب أعين الفوت فما عذري وقد أوجس في مسامعي رافع الصوت لقد رجوت ممن ألبسني بين الاحياء ثوب عافيته أن لا يعريني بين الاموات بجود رأفته ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه أن يسعفني بعد وفاتي بغفرانه يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي ويا ثاني كل وحيد ارحم في القبر وحدتي ويا عالم السر والاخفى ويا كاشف الضر والبلوى كيف نظرك لي من بين سكان الثرى وكيف صنيعك بي في دار الوحشة والبلى قد كنت بي لطيفا أيام حياتي فلا تقطع برك عني بعد وفاتي يا أفضل المنعمين في آلائه وأنعم المتفضلين في نعمائه كثرت عندي أياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعا في شكري لك بجزائها فلك الحمد على ما أوليت ولك الشكر على ما أبليت يا خير من دعاه داع وأفضل من

تزرع غير البور وكان فيها في الزمن الاول مائة وخمسون كورة مدينة وثلاثمائة وستون قرية فلما ملكها بختنصر وخربها أعيدت بعد ذلك وصار بها خمس وثلاثون كورة مدينة ثم تناقصت حتى صارت في دولة عمرو ابن العاص أربعين كورة وعدة قراها ألفان وثلاثمائة وخمس وسبعون قرية دون الكنوز وكان خراجها في زمن عمرو بن العاص اثني عشر ألف ألف دينار ثم تغيرت أحوال مصر في دولة الاسلام الى الغاية وخرب غالب قراها وانحط خراجها ولم يزل عمرو بن العاص واليا على مصر الى ان توفي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وولي عثمان بن عفان فعزله وولى بدله عبد الله ابن أبي سرح فلما أتى الى

ار بها مراج بذمة الاسلام أتوسل اليك وبحرمة القرآن اعتمد عليك فصل على محمد وآل محمد واختم لي بخير واعصمني من النار واسكني الجنة مع الابرار ولا تفضحني بسر برقى حيا وميتا وهب لى الذنوب التى فيما بيني وبينك وارض عبادك عنى فى مظالمهم قبلى واجعلني ممن رضيت عنه فحرمته على النار واصلح لى أمورى انى دعوتك بها فى الدنيا والآخرة ياحنان يامنان ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم يامن له الخلق والامر تباركت يا أحسن الخالقين يارحيم ياقدير ياكريم صل على محمد وآله الطيبين وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته انه حميد مجيد والحمد لله رب العالمين روى عن شريح انه قال اشتريت دارا بالكوفة فبلغ ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ياشريح اشتريت لك دارا بالكوفة فقلت نعم فقال اشهدت عدولا فقلت نعم فقال اتق الله فانه سيأتيك من لا ينظر فى كتابك ولا يسال عن بينتك اذا نظرت أن لا تكون اشتريت دارا من غير مالك ووزنت من غير حقه فاذا انت قد خسرت الدارين جميعا الدنيا والآخرة ياشريح لقد كنت حين اشتريت هذه الدار وصرت الى كنت اكتب لك الصك على هذه النسخة اذا ما كنت تشتريها بدرهمين قلت وما كنت تكتب يا امير المؤمنين قال كنت اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد أزعج للرحيل اشترى هذا العبد المفتون بالامل من هذا العبد المزعج بالاجل دار المحنة والغرور من الجانب الفانى فى عسكر الهالكين لها حدود أربعة فحدها الاول ينتهى الى دواعى الآفات الثانى ينتهى الى دواعى الهلكات الثالث ينتهى الى دواعى المصيبات والحد الرابع ينتهى الى الهوى والردى والشيطان الغوى وفى هذا الحد مشرع باب هذه الدار فى الخروج من عز القنوع والدخول فى دار الحرص والفضول فما أدرك هذا المشترى من درك كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن بنى وشيد وقصر

أنسيت يامغرور انك ميت * أيقن بانك فى المقابر نازل
تبلى وتفنى والخلائق للبلى * أبمثل هذا العيش يفرح عاقل

وكانت خلافة الامام على رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر وتوفى قتيلا يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين من الهجرة وكان سنه ثلاثا وستين سنة ودفن سحرا بقصر الامارة بالكوفة وغير قبره والله أعلم وكان السبب فى قتله رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه لما اختلف نوابه ونواب معاوية بسبب قتل عثمان ابن عفان اتفق طائفة من الخوارج على قتلهما فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال الحجاج بن عبد الرحمن الصيرفى وأنا اقتل معاوية فاما عبد الرحمن بن ملجم فانه توجه الى الكوفة وكان يكتم أمره ولا يظهر الذى يقصده على احد ثم انه اتى قوما من بنى تيم فرأى امرأة جميلة الصورة يقال لها قطام وكان الامام على قتل اباها واخاها يوم النهروان فخطبها ابن ملجم فقالت له لا أتزوجك الا على شروط ثلاثة أولها ثلاثة آلاف درهم والثانية قينة تغنى والثالثة قتل على بن ابى طالب فقال لها أما الدراهم والقينة فهما مهر وأما قتل على بن ابى طالب فلم ذكرت لى ذلك وماتريدين منه قالت نلتمس ضربه بالسيف فان ضربته وسلمت شفيت نفسى منه ونفعك العيش معى والا فما عند الله لك خير منى فقال لها والله ماجئت الا لقتل على بن ابى طالب وكان ما أراده الله فى الازل وتوجه من عندها الى الكوفة وكان من عادة الامام على رضى الله عنه اذا خرج الى الصلاة من بيته وقف بباب المسجد ونادى أيها الناس الصلاة الصلاة وكان ابن ملجم قد وقف له مقابل المسجد فاعترض الامام عليا وكان رفيقا لابن ملجم شبيب بن بجرة قال ابن التياح فرأيت بارقة السيف وسمعت قائلا يقول الحكم لله ياعلى ثم رأيت سيفا ثانيا فاما سيف ابن ملجم فاصاب جبهة الامام على رضى الله عنه مع قرنه الى ان وصلت الى دماغه وأما سيف بن بجرة فوقع فى الطاق فقال على لا يفوتنكم هذان الرجلان فشد الناس عليهما من كل جانب فاما ابن بجرة فتبعته خيل المغيرة بن شعبة فقتلوه وأما ابن ملجم فصرعوه وأخذوه ودخلوا به على الامام على رضى الله عنه فقال طيبوا طعامه وألينوا فراشه فان

مصر ارتحل عمرو الى المدينة الشريفة فجبى عبد الله بن أبى سرح خراج مصر فى تلك السنة اربعة عشر الف الف دينار فلما وصل ذلك الى عثمان بالمدينة نظر الى عمرو ابن العاص وقال له قد درت اللقحة ياعمرو فقال له نعم ولكن جاعت اولادها فان هذه الزيادة التى أخذها عبد الله بن ابى سرح انما هى كلى الجماجم فانه أخذ من كل رأس دينارا خارجا عن الخراج وحصل لاهل مصر بسبب ذلك ضرر شديد وهى أول ثلمة حلت بهم ثم أعيد عمرو ابن العاص الى ولاية مصر فى زمن معاوية وأقام أميرا بها الى ان مات بها ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين على المشهور ودفن بالمقطم وهو جبل

أنا اعيش فانا ولى دمى فاما أن اقتص منه واما ان أعفو عنه وان مت فالحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال فى زهر الآداب ان عليا رضى الله عنه لما رأى عبد الرحمن بن ملجم قال أنت الذى تخضب هذه من هذه فقيل له يا أمير المؤمنين الا تقتله قال كيف يقتل الانسان قاتله وفى رواية ومن يقتلنى وأحضر عبد الرحمن بن ملجم بعد وفاة الامام على رضى الله عنه وجاء الناس بالنفط والبوارى وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه ولم يتأوه بل يتلو القرآن فلما أرادوا قطع لسانه تأوه وامتنع من اخراجه فقيل له قطعت يداك ورجلاك وما تألمت ولا امتنعت ولم هذا الامتناع عند قطع لسانك فقال لئلا يفوتنى شئ من تلاوة القرآن وأنا حى فشقوا اشدقه وأخرجوا لسانه وقطعوه وقتل شر قتلة والله يحكم بين العباد قال أبو بكر بن حماد يرثى الامام عليا رضى الله عنه

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويحك للاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم * واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن النبى لنا شرعا وتبيانا
صهر الرسول وعاضده وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * ما كان هرون من موسى بن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا ماضيا بطلا * ليثا اذا لقى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لاحسبه ما كان من بشر * يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادا اذا عدت قبائلها * وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التى جلبت * على ثمود بارض الحجر خسرانا
وكان يخبرهم أن سوف يخضبها * قبل المنية ازمانا وأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله * ولا سقى قبر عمران بن حطان

وقال أيضا

وهز على بالعراقين لحية * مصيبتها حلت على كل مسلم
وقال سيأتيها من الله حادث * يخضبها أشقى البرية بالدم
فباكره بالسيف شلت يمينه * لشؤم قطام عنه ذل ابن ملجم
فيا ضربة من خاسر ضل سعيه * تبوأ منها مقعدا فى جهنم

وقال البحترى

ولا عجب للاسد ان ظفرت بها * كلاب الاعادى من فصيح واعجم
فضربة وحشى ثقت حمزة الردى * وموت على من حسام ابن ملجم

(خلافة سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما)

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع له يوم مات أبوه وأقام ستة اشهر وخلع نفسه فى ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومات سنة خمس وسنه سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع وروى سفينة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثين سنة من خلافة أبى بكر رضى الله عنه وروى ان النابغة الجعدى نظر الى الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقال رحبا على رحب وقربا على قرب هذان سبطا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة ابراهيم وصريحا اسمعيل وفرعا قريش وشبلا هاشم وسيدا شباب اهل الجنة ثم أنشأ يقول

بدران من شمس كريم نابعة * أفنانها بيد النبوة تزهر
من جرطاهرة لفرع طاهر * كرمت منابته وطاب العنصر
الاطيبون أرومة من هاشم * والاكرمون مآثرا لا تنكر
جبريل منهم والنبى محمد * والمروتان وزمزم والكوثر
والبيت بيتهمو وينسب منهمو * ومنى يورثها الصغير الاكبر
واذا وقفت على المشاعر عشية * جوتهمو جمراتها والمشعر

(مسئلة مفيدة) سئل عنها مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين احمد الرملى الشافعى تغمده الله برحمته وهى

الجيوشى من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فاحب ان يدعو له من مر به من الناس وهو اول أمير مات بمصر

(الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم)

وهو الحسن بن على وفى دولة بنى أمية والدولة العباسية ومن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين والدولتين المذكورتين ومن دخل فى ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية ولنقدم على ذلك نبذة مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم تبركا به فنقول هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء المشددة وكسر اللام ابن هاشم بوزن اسم الفاعل ابن عبد مناف بفتح الميم ابن قصى بضم

هل يقال لمن هو من ذرية العباس رضي الله عنه سيد وشريف وهل له تعليق علامة الشرف أم لا أجاب
لبس الامور المذكورة لأحد من اولاد العباس ولا لأحد من اقاربه وأولاد بناته صلى الله عليه وسلم الا
لأولاد سيدتنا فاطمة رضي الله عنها فالشرف مختص باولادها الحسن والحسين ومحسن فاما محسن فمات
صغيرا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والعقب للحسن والحسين رضي الله عنهما وانما اختصا بالشرف هما
وفروعهما الامور كثيرة منها كونهما شاركين للنبي صلى الله عليه وسلم في نسبه فانهما هاشميان ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم لهما وكونهما سيدي شباب اهل الجنة في الجنة قال صلى الله عليه وسلم انهما بضعة
مني يريبني ما رابهما ويؤذيني ما يؤذيهما وكونهما اشبه بناته في الخلق والخلق حتى في المشي ومنها اكرامه
لها حتى انها كانت اذا جاءت اليه قام لها وأجلسها في مجلسه لما أودعه الله فيها من السر ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال ابشر يا ابا الحسن فان الله عز وجل قد زوجك بها في السماء قبل أن أزوجك بها في الارض
ولقد هبط على ملك من السماء قبل أن تأتيني فقال لي السلام عليك يا رسول الله أبشر باجتماع الشمل
وطهارة النسل فما استتم كلامه حتى هبط جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم
وضع من يده حريرة بيضاء مكتوب فيها سطران بالنور فقلت ما هذه الخطوط فقال ان الله عز وجل اطلع
الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع اليها ثانية فاختار لك منها أخا ووزيرا وصاحبا
وحبيبا فزوجه ابنتك فاطمة فقلت من هذا الرجل فقال أخوك في الدين وابن عمك في النسب وقد أمرني
ان آمرك بتزويجها بعلي في الارض وان أبشرهما بغلامين زكيين نجيبين فضيلين طاهرين خيرين في الدنيا
والآخرة ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي في كتابه الصواعق المحرقة حيث قال ينبغي لكل
احد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم احد الا
بحق ولم تزل أنساب اهل البيت النبوي مضبوطة على تطاول الايام واحسابهم التي بها يتميزون محفوظه
عن أن يدعيها الجهال والاثام عند من يقوم بتصحيحها في كل زمان ومن يعتني بتأصيلها في كل اوان
خصوصا انساب الطالبيين والمطلبيين ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة بفاطمة من
بني ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهارا لمزية شرفهم ثم في سنة ثلاث وسبعين
وسبعمائة أمر السلطان الاشرف شعبان بن السلطان حسن بن الناصري محمد بن قلاوون ان يمتازوا
عن الناس بعصائب على العمائم ففعل ذلك باكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول ابن
جابر الاندلسي نزيل حلب وهو صاحب شرح ألفية ابن مالك المسمى بالاعمى والبصير

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن أحسنه قول الاديب محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقي

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر لاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهمو بها * شرفا ليعرفهم من الاطراف

* (فائدة عظيمة) * وهو ان النابغة الجعدي المذكور كان من شعراء الجاهلية ثم أدرك الاسلام وروى عنه انه
قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فانشدته قصيدتي حتى انتهيت الى قولي

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى * ويتلو كتابا واضح الحق نيرا
بلغت السما مجدا وجودا وسوددا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى فقلت الى الجنة يا رسول الله فقال الى الجنة ان شاء الله ثم
انتهيت الى قولي ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله ابن لؤي بضم اوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر اوله ابن خزيمة بن مدركة بضم أولهما ابن الياس بكسر الهمزة وسكون اللام قبل المثناة التحتية ابن مضر بضم اوله ابن نزار بكسر أوله وفتح الزاي قبل الالف ابن معد بفتح أوله وتشديد ثالثه ابن عدنان بوزن فعلان وهذا هو النسب المتفق عليه وليس مما وراءه طريق صحيح ولما نفخ الروح في آدم كان نور نسمة محمد صلى الله عليه وسلم يلمع في جبهته

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال صدقت وأحسنت لا يفضض الله فاك قال فبقيت عمرى أحسن الناس ثغرا وعمرت عمرا طويلا فكنت كلما سقطت لى سن نبتت مكانها أخرى لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم

(الباب الثانى فى دولة بنى أمية)

كانت بالشام وعدة الخلفاء منهم أربعة عشر خليفة وكانت عمالهم بمصر وغيرها ومدة تصرفهم اثنتان وتسعون سنة أولهم معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه واسمه صخر بن حرب بويع له فى ذى الحجة سنة أربعين ببيت المقدس قال الطبرى لما مات الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه اتفق معاوية وعمرو بن العاص على ان يكون معاوية بالشام وعمرو بن العاص بمصر ولا يكون لاحدهما على الآخر كلام ثم جعل الناس يقدمون على معاوية من سائر الاقطار وهو يرضى الناس بالاموال فلما فرغ ما عنده من الاموال كتب الى عمرو بن العاص انه قد كثر على وارد الحجاز ووفود العجم والشام والروم واليمن ولم يكن عندى شئ ارضيهم به فصير الى خراج مصر سنة واحدة لاستعين به على من يرد على فقال عمرو بن العاص فى نفسه متى سيرت اليه مالا يطلبه منى فى كل سنة فكتب جوابا لمعاوية يقول له هذه الابيات

معاوى ان تدركك نفس شحيحة * فما ورثتنى مصر أمى ولا أبى

وما نلتها عفوا ولكن شرطها * وقد دارت الحرب العوالى على قطبى

ولولا دفاع الاشعرى وصحبه * لالفيتها تدعو كماقدة الصبى

فكتب اليه معاوية انه قد تردد كتابى اليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتدافع ولم تسيره فسيره الى قولا واحدا وطلبا جازما والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص جوابا وهى القصيدة الجلية المشهورة التى اولها

معاوية الفضل لا تنس لى * وعن منهج الحق لا تعدل

نسيت احتيالى فى جلق * على أهلها يوم لبس الحلى

وقد أقبلوا زمرا يهرعوا * ويأتون كالبقر المهمل

ومنها أيضا

ولولاى كنت كمثل النسا * تعاف الخروج من المنزل

نسيت محاورة الاشعرى * ونحن على دومة الجندل

والعقته عسلا باردا * وأخرجت ذلك بالحنظل

ألين فيطمع فى جانبى * وسهمى قد غاب فى المفصل

وأخلعها منه عن خدعة * تخلع النعال من الارجل

وألبستها فيك لما عجز * ت كلبس الخواتم فى الانمل

ومنها أيضا

ولم تك والله من أهلها * ورب المقام ولم تكمل

وسيرت ذكرك فى الخافقين * كسير الجنوب مع الشمأل

نصرناك من جهلنا يا ابن هند * على البطل الاعظم الافضل

وكنت ولن تراها فى المنام * فزفت اليك ولا مهر لى

وحيث تركنا أعالى النفوس * نزلنا الى أسفل الارجل

وكم قد سمعنا من المصطفى * وصايا مخصصة فى على

ومنها أيضا

وان كان بينكما نسبة * فاين الحسام من المنجل

وأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

فلما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك * قيل دخل عقيل بن أبى طالب على معاوية وقد كف بصره وجلس الى جانبه على سريره فقال له معاوية أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصائركم فسكت ولم يتكلم وقيل ان معاوية قال يوما لجلسائه ما تعدون الغريب فيكم فقالوا الذى لا أحد له فقال بل الغريب الذى مات نظراؤه الذين كان يستأنس بهم وأنشد

اذا ذهب القرن الذى أنت منهم * وخلفت فى قرن فأنت غريب

كالشمس المشرقة ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم عليه السلام الى رحم حواء ومنها الى صلب شيث ولم يزل ينتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وهو معنى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وكان كل جد من أجداده من لدن آدم يأخذ العهد والميثاق ان لا يوضع ذلك النور الا فى الطاهرات فاول من أخذ العهد آدم أخذه على شيث وشيث على أنوش وأنوش على قينن وهكذا الى ان وصلت النوبة الى عبد الله بن عبد المطلب فلما أودع ذلك فى صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن فى نكاحه وقد لقى فى زمانه مالقى يوسف عليه السلام من امرأة

مفرداً فى المعنى　　　أجالس معشر الاشكال فيهم * وأشكالى قد اعتقوا الجمودا

قيل دخل نجار العدوى على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها فقال معاوية ما رأيت أحقر منه أولا ولا أكبر منه آخرا وقيل قال الاسكندر لرجل دنا من مجلسه فتكلم بفصاحة ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك فقال أما الكلام فانا قادر عليه وأما الثياب فانت تقدر عليها فخلع عليه وأكرمه (ذكر قدوم عكرشة بنت الاطروش من رواحة على معاوية) قيل دخلت عليه وهى متكئة على عكازها فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية يا عكرشة اليوم صرت عندك أمير المؤمنين فقالت له نعم اذ لا على حى فقال معاوية يا عكرشه ألست يوم صفين المقلدة حمائل سيفك بين الصفين وأنت واقفة تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها مستظهرين بالصبر على من طلب حقوقكم ان معاوية قد وفد عليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون الحكمة دعاهم بالدنيا فاجابوه واستدعاهم بالباطل فلبوه فالله الله عباد الله فى دين الله يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على سيركم واصبروا على هزيمتكم واعلموا أن مصيركم الى الموت كانى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر النافرة وكانى أراك على عكازك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش كان كدت تقتلين أهل الشام كان أمر الله قدرا مقدورا فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان اللبيب اذا كره أمرا لم يحب اعادته فقال لها معاوية صدقت اذكرى حاجتك وما جئتنى بسببه قالت ان صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك فلا يجبر لنا كسير ولا ينتعش لنا فقير ثم قالت فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة وان كان عن رأى غيرك فمثلك من لا يستعين بالخونة ولا يستخدم الظلمة فقال لها معاوية يا هذه اتقى الله انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنفتق وبحور تندفق فقالت سبحان الله والله ما فرض لنا حقا وفيه ضرر لغيرنا وهو علام الغيوب فامر لها معاوية ولمن معها برد صدقاتهم اليهم وانصرافهم واكرامهم وأعطاها خمسمائة دينار فاخذتها وانصرفت وأقام معاوية فى الخلافة عشرين سنة وتوفى فى رجب سنة ستين وسنه ثمان وسبعون سنة ودفن بدمشق

(خلافة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان)

بويع له يوم مات أبوه قيل جلس يزيد فى بيته يأكل الطعام فاجلس على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم على ركبته اليمنى وأجلس خالدا ولده على ركبته اليسرى وكان سن كل واحد منهما خمس سنين فقال لعلى يا أبا الحسن اما تقوم تتصارع أنت وابن عمك خالد لنتفرج عليكما فقال على بن الحسين وما يأتينا من الصراع يا عم اعطنى سيفا واعطه سيفا وانظر أينا أصبر على الموت قال فنظر اليه يزيد شزرا وقال والله كنت أحسب ان الضغائن تفرغ من القلوب ولا تلد الحية الا حوية ثم رفعه من على ركبته وكان قبل ذلك يأكل معه فى البيت فلم يطلبه بعدها ومات يزيد فى تلك السنة ومما يحكى انه لما قتل الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهما ووصل رأسه الى يزيد وضعه بين يديه وقرعه بقضيب كان معه بيده على ثناياه ثم امر بالرأس فنصب أياما على باب دمشق وطلب يزيد أهل الشام وأحضرهم حوله وأحضر عليا الاصغر ابن الحسين والنساء معه ينظرون اليهم فقال يزيد اعلى ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى أبيك الذى قطع رحمى ونازعنى فى سلطانى فصنع الله به ما رأيت فقال على ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب فقال يزيد لابنه خالد أجبه عما قال فلم يدر خالد ما يقول فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير روى الطبرى ان يزيد امر بخطب من بنى امية

العزيز * وقد روى الترمذى عن العباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وجعلنى من خيارهم ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيت فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أى ذاتا وأصلا * وأخرج ابن جرير فى تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام عن مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوة سيدنا ابراهيم فى ولده فلم يعبد احد منهم صنما بعد دعوته وجعل من ذريته من يقيم الصلاة * قال السيوطى رحمه الله وهذه الاوصاف كانت لاجداده صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه

أن يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من على ومن الحسين وأطنب فى ذلك فاستأذن على بن الحسين فى أن يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد من ذلك فالح عليه فى ذلك فاذن له فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة حتى أبكى العيون وأوجل القلوب من جملتها أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانى أعرفه بنفسى وأنسب له حسبى ونسبى أنا ابن مكة أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن من حمل الركن باطراف الردا أنا ابن خير من اتزر وارتدى انا ابن خير من انتعل واحتفى انا ابن خير من حج ولبى انا ابن خير من ركب البراق فى الهواء انا ابن خير من أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى انا ابن خير من بلغ به جبريل سدرة المنتهى انا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى انا ابن خير من صلى بملائكة السما انا ابن محمد المصطفى انا ابن على المرتضى انا ابن فاطمة الزهراء انا ابن سيدة النساء انا ابن الاولياء أنا ابن آخر الاصفياء فعند ذلك ضج الناس بالبكاء وكادت أن تكون فتنة فولى وخشى الفتنة ولما جل رأس الحسين الى الشام خرجت زينب بنت على بن أبى طالب فى نساء من قومها من بنى هاشم وهن حاسرات وكن يومئذ بدمشق وهى تنشد وتقول

ماذا تقولون اذ قال النبى لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى * نصف أسارى ونصف خضبوا بدم
ماكان هذا جزائى اذ نصحت لكم * ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

وقيل ان يزيد بن معاوية قال من جاء فى برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا فانفرد واحد من القوم وهو على ماقيل انه شبل بن يزيد الحميرى وقيل شمر بن أبى الجوشن وجز رأسه ودفعه الى أخيه خولى وقيل غيره لما قدموا به على يزيد وضعه الحامل له بين يديه وأنشد مخاطبا ليزيد

املا ركابى فضة وذهبا * انا قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال له يزيد لما علمت انه موصوف بهذه الاوصاف لاى شئ قدمت على قتله فامر بضرب عنقه لوقته وفاته ما أمله من الذهب والى جهنم قد ذهب وقد سئل مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملى الشافعى رحمه الله تعالى فى يزيد بن معاوية هل يجوز لعنه لانه قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم او أمر بقتله أو لا يجوز لعنه لانه لم يقتله ولا أمر بقتله وفى عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا هل هو مسلم أو كافر اجاب رحمه الله لا يجوز لعن يزيد بن معاوية كما صرح به جماعة منهم صاحب الخلاصة وغيره لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المسلمين ومن كان من اهل القبلة ولا يخالفه قول بعض المتأخرين انهم اتفقوا على جواز لعن من قتل الحسين او أمر بقتله او أجازه او رضى به لان معناه على وجه التعميم وهو لعن الطوائف المذكورة بالاوصاف دون تعيين لانسان ليكون من باب لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها رواه ابو داود وابن ماجه بل لم يثبت انه قتل الحسين رضى الله عنه ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة منهم حجة الاسلام الغزالى قال فى الانوار ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فانه من جملة المسلمين ان شاء رحمه وان شاء عذبه قاله الغزالى والمتولى وغيرهما وقد طعنه سنان بن ابى انس فالقاه عن فرسه وأجهز عليه خولى بن يزيد من حمير ونزل ليجز رأسه فارتعدت يداه فنزل اخوه شبل ابن يزيد فاحتز رأسه ودفعه الى اخيه خولى ولما قدموا به على يزيد وذكروا له قتله دمعت عيناه وقال ويحكم كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة اما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال رحم الله اباعبد الله وغفر له ولما دخل عليه على بن الحسين فى السبى قال خلوا عنهم وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة ثم قال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ماقتلهم ثم ردهم الى المدينة وأما عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا كرم الله وجهه فهو مسلم من الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبائر

السلام وكل ماذكر من ذرية سيدنا ابراهيم من المحاسن فان أولى الناس به سلسلة الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم النبوة واحدا بعد واحد ولم يدخل ولد اسحق عليه السلام وبقية ذرية ابراهيم لانه دعا لاهل هذا البلد الاتراه قال اجعل هذا البلد آمنا وعقبه بقوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام فلم تزل ناس من ذريته ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى ويدل له قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فان الكلمة الباقية هى التوحيد وعقب ابراهيم عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونسله وآباؤه الكرام فابواه ناجيان منعمان فى أعلى درجات الجنان لانهما

فقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه انه قتل متأولا لانه وكيل امرأة قتل على اباها يعني متأولا ضد نفسه فيما كان مخاطبا فيه وفيما لا يحتمل التأويل وليس كل من يؤول كان له ان يتأول وقد قطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ثم أرادوا قطع لسانه فجزع فقيل له لم لا جزعت لقطع يديك ورجليك وجزعت لقطع لسانك قال اني أكره أن تمر ساعة على من نهار ولا أذكر فيها اسم الله تعالى

*(نكتة مضحكة) * قال صاحب النوادر اللطيفة مات مأبون يقال له قرنفل فرآه شخص في المنام فقال ايش حالك يا قرنفل قال لا تسألني عن شئ قال الى أين صرت يا قرنفل قال الى جهنم قال ويحك ومن يلوط بك في جهنم قال يزيد بن معاوية وأنا واياه أصحاب ذكر في القاموس في باب الثاء في حرف الدال الدغيوث بالضم هو المأبون قال مؤلف النفحات المسكية اجمع العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريم اللواط ومن قال بحل ذلك فهو زنديق كافر من غير خلاف بين اهل السنة والكتاب قال صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما أخاف على امتي فعل قوم لوط فمن عمل عمل قوم لوط فاحرقوه وقال ابن عباس حد اللواط ان يرمى فاعله من سطح عال ثم يرجم حتى يموت وفي رواية ينكس من مكان مرتفع وقيل يهدم الجدار عليه وعن مالك والشافعي واحمد بن حنبل يرجم في الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به ومن استحله كفر واذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش * حكي عن بعض اهل اللطافة قال طلعت يوما نحو القرافة في تحف وترافة لازور من فيها من الاموات واتعظ على مافات والى ماهو آت واذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات وارتدع عن المعاصي والسيآت فاخترقت تربها واستجليت عجبها وجعلت اجول بطرفي في أزهارها وعشبها واتفكر كيف ساوت تلك البقعة بين الملك والمملوك وخالطت بين الغني والصعلوك وكم فيها ابر بزار وكم قبر مندرس علا عليه التراب والغبار فجعلت تارة أدير طرفا اغرغرت عليه الدموع وتارة اعاتب قلبا لفراق الاحبة موجوع وتارة أندب ناسا ساروا وأخلوا الاطلال والربوع وتارة ابكي لفقد اناس كانت وجوههم أضوأ من الشموع وأسبح الله الذي أرقدهم المحيي المميت الذي لا راد لامره ولا قضاؤه ممنوع فبينما انا كذلك وفي وسط الطريق سالك اذ نظرت في كهف الجبل الى بناء منقطع وجوسق في الجو مرتفع فمشيت الى أن وصلت اليه ونويت الجلوس على بابه لاسقط التعب عليه واذا انا بصوت داخل البناء احسن من نغمات الاوتار وأطيب من صوت المزمار وتسجيع الاطيار يكرر بصوته النياحة ويندب بنغمته أوقات الراحة بصوت تميل اليه قلوب سامعيه لما فيه من الذكاء والفصاحة يهيج الاشواق ويفتت قلب المشتاق وتتطاول اليه الاعناق وتهمي بسماعه العيون من الآماق بقلب جريح كابد مرارة الفراق ينشد ويقول

ما انت يا قبر لا روض ولا فلك * فكيف يجمع فيك الشمس والقمر * بالله يا قبر لا تبلى محاسنه

وهل تغير ذاك المنظر النضر * وهل بها وجهه فان وبهجته * وهل فني بقناه شرد العطر

وهل تدوم مسراتي لفرقته * هيهات قد عاد صفوي بعده كدر

ثم شهقت شهقة في اثر انشادها وتزايد بي تعبي بتردادها وتقطع قلبي بنواحها وبكائها وتعدادها الى ان سلبت كل عضو مني وأذهبت نومي عني فقلت والله لاهجمن على هذا الباب واحظى بسماع هذا الخطاب وانظر من هذا الذي هو مصاب فلعلي الاحظ هذا الشاكي فاشاكيه فاما أسليه واما أنسيه فطرقت الباب طرق متردد في أمره حامد لله على زيادة نعمه وشكره ففتح لي الباب سريعا وبجوابه مريعا فاذا هي امرأة

ما انا في زمن الفترة وأهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الا من أخبر صلى الله عليه وسلم بعدم نجاتهم كامرئ القيس واضرابه وقد حفظ الله تعالى نسبه الشريف من سفاح الجاهلية * قال محمد بن السائب كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة جد فما وجدت فيهم سفاحا ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية فان بعض أهل الجاهلية كان اذا أراد النكاح يقول الزوج خطب ويقول ولي المرأة نكح وهذا عندهم عبارة عن العقد وأما نكاح عبد الله آمنة فكان عقدا موافقا لما عليه شريعة الاسلام مشتملا على تلك الشروط المعتبرة وان لم تكن بشرع بل بتوفيق من الله تعالى وكذ في بقية

ذات جمال فائق وشكل لائق وقد شاهق صاحبة عطف ومعاطف كأن شمائلها سرقت من الظبي
المعاطف بغنج ودلال وقد واعتدال و بهاء وكمال كما قال فيها الشاعر

تشابه غصن البان كالبدر والشمس * وقد طهرت من كل عيب ومن رجس
وليس لها بين البرية مشبه * فسبحان من بالحسن وجنتها مكسي
اذا نظرت عيناى نور جمالها * تزايد بي شوقي و وجدي مع الانس
تحاكي لغصن البان والبدر في الدجى * وطول نهاري في محاسنها درسي
عسى خالقي يمتن على بوصلها * فمالي سواها في حياتي وفي رمسي

ثم سألت اذناى في العبور فانعمت وسلمت السلام اتمام واكرمت فبدأت بقراءة آيات من كتاب الله تعالى
رب الارباب واهديتها لسكان التراب ثم تجاسرت بكلامي عليها وتقدمت اليها وسلمت عليها وسألتها عن
قصتها وحالها وقضيتها وما جرى لها فقلت لها من هذا الذي تندبينه وفي هذه البرية تبكينه وتنعينه
أذهبت عنوان شبابك وقتلت نفسك بين اترابك فقالت يا أخي هذا بعلي الذي أحسن الي فيما مضى
وخلاني للشقاوة والقضا فقلت لها يا أختي اشتغلي بما ينفعك منه فالموت سبيل لابد منه فابدت بكاء
وعويلا ونظرت الى القبر طويلا بدمع هاثل يشبه السيول وأنشدت تقول

يا ساكن القبر فوق القبر ذات جوى * يرثى لها القبر من حزن ومن شجن
تخالفت فيك أحوالي أسى وضنى * الى لقائك وطرف طالب الوسن
وحالف القلب فيك العين من كمد * واسود بالغم وابيضت من الحزن
من بعد بعدك بت الليل ساهرة * لم يهن لي بالجوى سكني الى سكني
وأصبحت بعدك الاطلال خالية * وكم أيادي لبعلي ثم كم منن
وكنت عونا لجمع النائبات وكم * أحسنت يا بعل لي في سالف الزمن

ثم بكت حتى أغشي عليها ومالت كأني بالشفقة اليها واحرقت قلبي ببكاها و رجت قلقها ونواها فلما
فرغت من البكاء مالت بجانبها الى جانبي وغازلتني بالعين والكتف وتبهرجت على بالخصر والردف
فلما رأيت ذلك من حالها وما أبدته من فعالها تزايد بي الطمع وداخلني في مداخلتها الرجا ولم أجد عن
هواها سبيلا ومخرجا فقلت يا سيدتي بحق من ألبسك الجمال وخصك بالحسن والبهاء والكمال
الا ما رضيتيني لك بعلا ولخدمتك أهلا لأكون أسبق الناس الى مرضاتك وأبذل المجهود في قضاء
حاجاتك فنظرت الي شزرا وغضبا وامتلأ قلبي منها رعبا وأنشدت تقول

أتطلب مني أن أكون مزوجا * فلست أرى هذا سبيلا ومخرجا * ولم ألتقي زوجي له المثل في الورى
ولا مثله لي في البرية مرتجا * فوالله لا أضجعت من تحت غيره * الى أن أراه من فنا القبر أخرجا
فزوجي له قدر وعلم وحكمة * وحلم وفضل وهو للخير مرتجا * فبالله دع هذا الكلام ولا تكن
بقولك هذا ما برحت مبهرجا * فلازلت مقلاة بغير تزوج * ورب من ضيق يكون مفرجا

ثم قالت وحق رب العباد الذي ألبسني حلة الحداد وقضى على بالفراق والبعاد لا كان ذلك الى يوم المعاد
فقلت لها يا ستي اذا لم تنعمي لي بالزواج وأنا من هذا الامر في ضيق وانزعاج فسألتك بحق الله شفي كل عله
وأبرد كل غله الا ما تصدقت على مملوكك بقبلة فقالت لقد اقسمت على بقسم عظيم وحلفتني بالله كريم ثم
ناحت وبكت لفرقة الاحباب وتأوهت تأوه المصاب ولعبت بعود كأنه كان معها في التراب وقالت
ان كان ولابد يا شاب فلاعظم قسمك تكون القبلة من فوق النقاب فلما سمعت ذلك بادرت اليها وأرميت
كليتي عليها ونهضت اليها نهضة لعاشق اليها وقبلتها تقبيل الرجل المشغوف وأنشدت أقول

أجداده عليه الصلاة
والسلام ولما قرب
وجوده صلى الله عليه
وسلم رأى عبد المطلب
وهو نائم في الحجر مناما هائلا
فانتبه فزعا مرعوبا واتى
كهنة قريش وقص عليهم
رؤياه فقالت له الكهنة
ان صدقت رؤياك
ليخرجن من ظهرك من
يسود اهل السماء والارض
فتزوج فاطمة بنت عمرو
ابن عائذ من نسل النضر
وامها صخر بنت عبد الله
ابن عمران من نسل النضر
ايضا فحملت بعبد الله
الذبيح وقصته في الذبح
مشهورة وسبب تسميته
بذلك ان عمرا الجرهمي
لما احدث قومه بحرم الله
الحوادث وقيض الله
تعالى لهم من اخرجهم
من مكة عمد عمرو الى زمزم
فطمها وهرب الى اليمن
ومضت مدة طويلة وزمزم

أحباب قلبي انعموا بالخطاب * ولاطفوا واغتنموا الثواب * وقد رضوا من بعد ما قد جفوا
وراق لي وقتي وطاب العتاب * وانعموا لي بالوفا عاجلا * بقبلة قبلت فوق النقاب
وطالت الخلوة ما بيننا * وناب الهجران ولى وغاب

ثم قلت يا سيدتي بحق الله علام الغيوب وكاشف الكروب الا ما وصلتني وصال محب لمحبوب فنظرت الي عند ذلك وقالت يا شاب ان قلبي بالفراق مكسور وحالي معذور وتطلب مني ان توقعني في محظور ويكون ذلك بين القبور ويبقى عرضك معك مهتوكا غير مستور واعصى الاله الغفور فوالله لا كان ذلك الى يوم النشور وأنشدت تقول

أتطلب مني الوصل في جيرة القبر * وتقصد هتكي في البرية مع ستري
وتقصد بي المحظور يا صاح ترمني * ليزداد اثمي والخطايا مع الوزر
وفي جيرة الاموات أعصى لخالقي * فلا كان هذا القول لو ينقضي عمري
وأنسى عهود الله بيني وبينه * ونحن توافينا الى أبد الدهر

قال فحصل لي عند ذلك الاياس وتزايد بي لنحوها القلق والوسواس وتزايدت بي الحسرات وانهملت العبرات وقلت يا سيدتي بحق الله يرى ولا يرى وبحرمة نبي أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى لنحو خالق الورى وصلى وحج واعتمر وحلل وحرم وتعبد في حرى الا ما قضيت لي بالوصل وطرا فقالت والله لقد اقسمت علي بما يقسم الورى والله لا كان هذا ولا جرى فان كان ولا بد فيكون من ورا فما استتمت كلامها حتى أجبتها الى ما اختارت وادرتها على جنبها فاندارت وبقت افعل فيها ما أشارت ومهجتي من الفرح قد طارت ففتحت عن مؤخر السراويل وكشفت وساوعت في الايلاج وتركته ساعة طويلة بلا اخراج وأنا في لذة وحبور وقد نلت فرحا وسرور فلما قضيت الحاجة وزالت مني اللجاجة أنشدت أقول

قد واصلوني احبابي وما كسروا * قلبي وبالوصل ما بين الورى جبروا
تالله ما كان أحلى وصلنا عجلا * ونحن في لذة لم يعلها كدر
والواش عنا غفول والرقيب معا * وسادتي عن محاسن وجههم سفروا
هذا هو العيش لو دام الزمان به * لكن زماني هذا كله غير
فافهم لقولي واسمع يا أخا ثقة * قولا بدا ما حكاه في الورى سمر

فقلت بعد ذلك لا بد من معرفتها لافوز بقربها وصحبتها فقلت يا سيدتي بحق اسمعيل الذبيح وبحق من جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بعد ان كان فيها طريح ونجى من اليهود المسيح الا ما كشفتي لي عن وجهك الصبيح ومتعتيني بجمالك المليح لا كون لك عارفا ولمحاسنك واصفا ولسائر أشغالك خادما وعلى بابك لم أزل ملازما فمدت يدها بتكليف وكشفت عن وجهها الظريف فاذا هو شيبة بيضاء قد فرشت سطرين وحكت بياض اللجين فعلاني البكاء والنحيب والزفير واللهيب ووقعت في غم عظيم وحزن مضني كظيم وقلت الهي بحرمة محمد ساكن طيبه لا تختم بخير لهذه الشيبه وخيب الله أعظم خيبه يا أنحس الناس وأنجس من الوسواس الخناس هذه الشيبة التي لا يستحي الله من عذابها ولا يبالي من أي باب من ابواب النار أتى بها ما حملك أيها الشيخ المنحوس على هذه الصوره وما ألجاك يا مأبون الى هذه الضروره فقال لي يا قليل الآداب يا من لم يزل من وراء حجاب يا عديم الرأي والتوفيق والصواب هكذا اصطاد الازباب فعلمت أنه شيخ جاهل ومختل ليس بعاقل وفهمت ان به مرضا من الامراض يحتال به على غرض من الاغراض فتركته ودخلت المدينه ومقلتي باكية حزينه فسألت

مطمومة مجهوله الى ان رأى عبد المطلب رؤيا تشير له بحفرها فاراد ذلك فمنعته قريش وآذاه سفهاؤهم حسدا ولم يكن له ولد سوى الحرث فنذر لله تعالى لئن ولد له عشر بنين ليذبحن احدهم ويستعين بباقيهم على حفر زمزم فتكامل له عشر بنين وهم الحرث والزبير وحجل وصرار والمقدم وابو لهب والعباس وحمزة وابو طالب وعبد الله ولما قرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى في منامه قائلا يقول يا عبد المطلب اوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان

ناسا من الاحباب والاصدقاء والاصحاب من هذا الشيخ القليل المبزه الذى ستروجهه وكشف طيزه فقيل لى هذا محتسب الجيزه فانصرفت وانا متفكر فى هذه القضيه وشؤم هذه الرزيه ونسال الله حسن الخاتمة بمحمد وآله * حكى الراغب فى تذكرته قيل أول من ظهرت فيه الابنة العزيز صاحب يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وكان أبو جهل مأبونا واذا أحزنه الداء ألقم دبره حجرا ويقول واللات والعزى لا علاك ذكر وكان جالينوس مأبونا ففعل به غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وقام عنه فقال جالينوس دعنى والدجاج فما زال يصفه للمرضى حتى انقطع اصل الدجاج من المدينة ودخل مطيع على صديق له فراى تحته غلاما وفوقه آخر فقال له ما هذا قال اللذة المضاعفة * حكى صاحب النوادر ان امرأة من القواحر علت فوق رجل وهو نائم على قفاه وأدخلت ذكره فى فرجها ثم ان رجلا آخر علاها وادخل ذكره فى دبرها فصار لها بينهما انخفاض وارتفاع وغير ذلك وهى تارة تلقم شفتها لمن هو تحتها وتارة تلتفت وتلقم شفتها لمن هو فوقها واستمرت على هذا الحال الى ان تم العمل ثم انها سئلت عن ذلك فقالت هذا انكاح العانى وايصال اللذة للتحتانى والفوقانى وقيل لمأبون لم لزمت هذا الغلام قال ان فى ايره خمسة اشياء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل وقيل لمأبون ان ابنك به ابنة فقال المفتاح لا يخرج من بنى شيبة وقيل لمأبون فى شهر رمضان هذا شهر كساد فقال أبقى الله اليهود والنصارى وقال بعضهم

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجل
وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقال آخر
رايت ابيض لون تحت اسوده * والوجه منه يضاهى الشمس فى الحمل
فقلت هذا عجيب قال لا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقال آخر
يقول له المعشوق وهو يلوطه * لعلك تحتى بعد ذاك تنام
فقال وهل فى العيش للناس لذة * اذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقال آخر
ولم أنس علقا نكته وهو واسع * طويل عريض المنكبين نتيف
فقال الخصى للاير يقعد ههنا * فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وقد سمعت ان شخصا من ذوى الاعراض ابتلى بمرض الابنة فخشى ان يشاع عنه ذلك فيمتهن عند الناس فصنع له خشبة مثل الذكر وكان اذا تحرك عليه المرض خلا بنفسه فى بستان له داخل داره ويحكم غلق أبوابه خوفا ان يطلع عليه أحد ويعالج نفسه بالخشبة الى ان يغيب عن وجوده ولما يفيق يتضرع الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والابتهال فى ازالة هذا المرض وكان يعتريه فى كل شهر ما يزيد على أربع مرات وكان مدة ابتلائه بهذا المرض مصفر اللون متغير الوجه ثم انه غفل يوما عن قفل باب البستان وكان متزوجا بابنة عمه وكلما يدخل البستان ويغلقه يحصل لها منه تطير وتظن انه مختل باحد فداخلها ما يداخل النساء من الغيرة وكانت ترصده عند دخول البستان رجاء ان تطلع على حاله فلم يتيسر لها ذلك فجاءت يوما فوجدت باب البستان مفتوحا فدخلت فوجدت ابن عمها وهو ملقى على الارض منكب على وجهه مكشوف العورة وقد نزع الخشبة من دبره وهو مغشى عليه فنظرت الى دبره وقد خرجت منه دودة لها قرنان وهى تنغنف حول حلقة دبره على ما خرج من العفونات فانتزعت الدودة من دبره فوجدتها نحو الفتر وهو لا يشعر ثم انها وضعتها فى قطنة بداخل علبة صغيرة فلما أفاق تضرع الى الله تعالى على معافاته من هذا المرض ثم مضى عليه ثلاثة أشهر ولم يعتره شئ فحمد الله على ذلك وعمل مولدا فقالت له ابنة عمه ما سبب هذا المولد فقال لها كان اعترانى مرض وازاله الله فضحكت فقال لها ما سبب هذا الضحك فلم تنبئه فما زال يلح عليها حتى أنبأته بالخبر وجاءت له بالعلبة التى بها الدودة وأخرجتها من القطنة فنظر اليها وقال جزاك الله خيرا فيما فعلت

قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه من نومه وقرب عجلا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما أكبر من ذلك قال قرب احد اولادك الذى نذرته فاغتم غما شديدا ثم جمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا جميعا انا لك طائعون نحن تذبح منا فاذبح فقال ليأخذ كل منكم قدحا بكسر القاف اى سهما ثم ليكتب فيه اسمه ففعلوا وأخذ قداحهم ودخل جوف الكعبة ودفعها الى القيم كما كانوا يصنعون وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عليه وأخذ الشفرة واقبل على ذبحه فمنعه سادة قريش وقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعتذر الى

وأحسن اليها فسبحان من عافاه مما ابتلاه وقال بعض الحكماء الابنة مرض يذل الله به الجبابرة وهو احتكاك في المسربة من داخل يورث أكلة فلا تبرد على صاحبها الابحك الذكر وتقطير المني وقد ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني في مختصره لتذكرة السويدي يؤخذ الماء الذي نقع فيه السمك المملوح ويحتقن به صاحب الابنة عشرين يوما كل يوم مرة فانها تذهب وكذلك يؤخذ الشعر الذي على الفخذ الايمن من الضبع الذكر والانثى ويحرق ويدهن برماده صاحب الابنة يبرأ باذن الله تعالى وذكر الامام الاكمل جمال الدين محمد في رسالته الشهابية في علم الطب ان هذا المرض قد يعرض لمن اعتاد باللواط واتيان النساء في الدبر ويكون منيه كثيرا قليل الحركة وقلبه ضعيفا وانتشاره قليلا * العلاج الضرب والحبس والاستهانة وايقاعه في هموم وغموم ومحاكمات وأن يستفرغ البلغم بمثل الغاريقون وشحم الحنظل وان شرب كل يوم وزن درهم من البسفايج نفعه وكذلك من السورنجان وذكروا ان أكل قلب الديك مشويا ينفعه وكذلك الحمام واذا اكل من ورق الآس وزن درهم نفعه وكذلك أكل الثوم واذا تحمل بالصابون او بعروق شجر الخطمي نفعه فنسأل الله العفو والعافية من هذه البلية * رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر يزيد فانه اقام ثلاث سنوات وسبعة اشهر وتوفي في رابع عشر ربيع الاول سنة اربع وستين وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدمشق

(خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه)

هو اول مولود ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من الهجرة بويع له بمكة سنة أربع وستين وخلع يزيد ابن معاوية ولعنه وعابه بشرب الخمر ولعب الكلاب والفهود والغفلة عن الدين وكثرة العبيد وقتل الحسين وخلو الحجاز من الاشراف وبايعه كثير من الامصار وقد اخترنا السكوت عما وقع لسيدنا عبد الله ابن الزبير فان واقعته مستفيضة والله يحكم بين العباد روى السهيلي في كلامه عن غزوة أحد في حديث مسند انه لما ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال هو هو فلما سمعت بذلك أسماء أمسكت عن ارضاعه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت اوليقتلن دونه فاقام تسع سنين وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان على يد عامله الحجاج الثقفي في سادس جمادى الآخرة بمكة سنة ثلاث وسبعين

(خلافة معاوية بن يزيد المكنى بابي ليلى)

كان رجلا صالحا صعد المنبر وشهد ان عليا رضي الله عنه كان أحق بالخلافة من جده وان الحسين رضي الله عنه كان اولى بها من أبيه ثم جلس طويلا وخطب خطبة بليغة تشتمل على الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا ثم قال صرت أنا الثالث والساخط على أكثر من الراضي وما كنت لاتحمل آثامكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا اوزاركم وألقاه بتبعاتكم وامرتكم فخذوها ومن رضيتموه فولوه خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام فاقام خليفة أربعين يوما ولما احتضر قالوا الم لا توصي بالخلافة فقال ماذقت حلاوتها الاتجرع مرارتها فتوفي بعد اربعين يوما وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة

(خلافة مروان بن الحكم)

ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وجرى بينه وبين نائب ابن الزبير محاربة على المدينة المنورة بويع له بالشام سنة اربع وستين وملكه بمصر والشام * حكى ان معاوية كتب اليه لما بلغه قتل عثمان وكان مروان اذ ذاك بالمدينة المنورة اذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يصاد الا بغيلة ولا يساور الا عن حيلة وكالثعلب لا يغلب الا روغانا واخف نفسك عنهم اخفاء القنفذ عند لمس الاكف وابحث عن اخبارهم بحث الدجاجة عن حبة الدخن عند نفاسها فالحازم في الحرب خير من الف فارس لان الفارس

ربك ولئن فعلت هذا لم يزل الرجل يأتي بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق الى قطيعة أو سجاح الكاهنة فلعلها تأمرك بامر فيه فرج فانطلقوا حتى أتوا خيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا مائة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا بينهما حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فاذبحوها فقد رضي ربكم وفدى صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح

يقتل عشرة أو عشرين والحازم يقتل جيشا كبيرا وقال عظماء الترك ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه شيء من أخلاق البهائم والطيور شجاعة الديك وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلاب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب وقيل الحزم أبلغ من النجدة وأقام مروان عشرة شهور وكان سنه ستا وثمانين سنة وقتلته زوجته بأن وضعت على وجهه مخدة محشوة ريشا فات وخلف أحد عشر رجلا

(خلافة عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أبوه قبل قتل عبد الله بن الزبير وكان من دهاة العالم وأحزمهم رأيا حتى قيل كل والد ولد إلا مروان فانه ولد والدا يرشد الى هذا تشعب البلاد عليه في أول أمره واستيلاء القائمين على غالب ملكه حتى على مقر مملكته دمشق وانتظامها بعد ذلك في أتم سلك ودخولها بعد الخروج في أحزمة ملك وأعظم ملك لكن كان له ظلم في بداية أمره وإجحاف في سره وجهره حكي في سراج الملوك أن عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فكان فيما حدثه أن قال له يا أمير المؤمنين انه كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل لابنها بنت بومة البصرة فقالت بومة البصرة لا أفعل الا أن تجعلي لي صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله تعالى سنة واحدة صيرت لك ذلك فاستيقظ عبد الملك وجلس للظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة ومما نقل من كتاب مفاكهة الظرفاء أن ملك الروم أرسل الى عبد الملك يطلب منه عالما من علمائهم يسأله عن مسائل فأرسل له الشعبي فلما وصل الى ملك الروم سأله عن أشياء منها أن قال له بلغنا أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون أيمكن مخلوق لا يغفل فقال الشعبي مثلهم كمثل النفس يصعد وينزل وأنت تتكلم وتأكل وتشرب قال صدقت فقال له وبلغنا أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون كيف ذلك قال نعم كالجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولو تغوط داخل المشيمة لاحترق قال صدقت قال وبلغنا أن نعيم الجنة لا ينقص بالانفاق كيف ذلك قال نعم كالسراج تقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص نوره قال صدقت فانعم عليه وكتب الى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا تجعلون رسولكم خليفة فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم قال يا شعبي أنظر ما قال عنك قال يا أمير المؤمنين ما رآك ولو رآك لاستصغرني ما استكبر ولاستحقرني ما استعظم فقال لله درك كم عطاءك قال ألفين ثم سكت الملك لحظة وقال كم عطاؤك قال ألفان قال له لم قلت أولا ألفين قال لما لحن أمير المؤمنين تابعته في اللحن ثم لما أعرب تابعته في الاعراب ولا يحسن ان أعرب وقد لحن أمير المؤمنين فأعجبه ذلك وقال أما وافاه جوهرا فأتوه فقال الشعبي هذا يدخر ولا ينفق فأمر له بثلاثين ألف درهم وثياب فاخرة فأخذها وانصرف* روى أبو العز أحمد بن عبد الله المسلمي فيما قرأ على أستاذه وقال أروعني أنبأ فلان عن فلان عن أبي حاتم العتبي قال لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية وهي أحصن كهف وأزين حلية وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور وإياكم والفرقة والخلاف فيم هلك الأولون وذل ذوو العز المعظمون أنظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذي منه تفترون ومجنكم الذي به تستجنون وأكرموا الحجاج فانه وطأ لكم المنابر وأثبت لكم الملك وكونوا بني أم بررة لا تدب بينكم العقارب وكونوا في الحرب أحرارا وللمعروف منارا واحتلوا في المشورة ولينوا في الشدة وضعوا الذخائر عند ذوي الأحساب والألباب فانه أصون لأحسابكم وأشكر لما يسدى اليهم ثم أقبل على ابنه الوليد فقال لا ألفينك اذا مت تعصر عينك وتحن حنين الأمة ولكن شمر وأتزر والبس جلد نمر ودلني في حفرتي وخلني وشأني وعليك وشأنك ثم ادع الناس الى البيعة فمن قال هكذا فقل بالسيف هكذا

على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا ضبع ولهذا روي أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين والذبيحان عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل اسحق * وأما والدته صلى الله عليه وسلم فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة القرشية ولما حملت به صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة في رجب أمر الله تعالى رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد في السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه الهادي الامين المأمون في هذه

ثم أرسل الى عبد الله بن يزيد بن معاوية وخالد بن أسيد فقال هل تدريان لم بعثت اليكما قالا نعم لتريناآثارعافية أثابك الله قال لا ولكن حضر من الامر ماترياه فهل فى أنفسكما من بيعة الوليد قال لا والله مانرى أحدا أحق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين قال أولى لكما أما والله لو قلتما غير ذلك لضربت عنقكما ثم رفع رأسه فاذا السيف مشهور ثم قال مسلمة آياكم واللجاج فانكم ان صلحتم صلح الناس وان فسدتم كان الفساد أسرع وأنشد

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى * على شخصه يوم على عصيب * فان تكن الايام أحسن مرة
الى فقد عادت لهن ذنوب * أتى بعد حلو العيش منهن مره * فكرت على آثارهن كروب

فقال سليمان مات والله أمير المؤمنين وكانت مدة تصرف عبد الملك بن مروان احدى وعشرين سنة ومات سنة ست وثمانين وسنه ستون سنة ومما يحكى ان ملكا من ملوك النصارى أرسل راهبا من علماء ملته لمناظرة علماء المسلمين وكان أبو حنيفة اذ ذاك صغيرا فلما جاء الراهب الى علماء المسلمين واجتمع فى المسجد الجامع رقى المنبر ليسألهم عن مسائل فقام أبو حنيفة من بين العلماء وقال للراهب أسائل أنت أم مسؤل فقال سائل فقال انزل مكانك الارض ومكانى المنبر فصعد أبو حنيفة المنبر وقال سل ماشئت قال الراهب ماذا قبل الله قال أبو حنيفة هل تحسن العدد قال نعم قال ماذا قبل الواحد قال لا شئ قبله قال اذا كان الواحد الفانى لا شئ قبله فالله سبحانه وتعالى لا شئ قبله ثم قال فى أى جهة يكون وجه الله قال اذا أوقدت السراج ففى أى جهة يكون وجهه قال ذاك نور يملأ البيت وليس له جهة قال اذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربى جل وعلا منزه عن الجهة والمكان قال بماذا يشتغل الله قال اذا كان عالم موحد مثلى رفعه واذا كان كافر مثلك وضعه كل يوم هو فى شأن فخرس الراهب وتوجه مخزيا * روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان قال من شانه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين ذكر البيضاوى فى تفسيره فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان يحدث أشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ (فائدة) ولد الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان رضى الله عنه سنة ثمانين من الهجرة ومات ببغداد سنة خمسين ومائة فعمره سبعون سنة وولد الامام مالك بن أنس رضى الله عنه سنة أربع وتسعين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة فعمره خمس وثمانون سنة وولد الامام الشافعى رضى الله عنه سنة خمسين ومائة ودفن بمصر المحروسة سنة أربع ومائتين فعمره أربع وخمسون سنة وولد الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سنة أربع وستين ومائة ودفن ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين فعمره سبع وسبعون سنة والله أعلم

(خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أبوه سنة ست وثمانين بعهد من أبيه فلما تولى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال انا لله وانا اليه راجعون يالها من مصيبة ما أعظمها وأجسمها وأعمها وأوجعها موت أمير المؤمنين ويالها من نعمة ما أعظمها وأجسمها وأوجب الشكر لله على بها خلافته التى سربلنيها فكان أول من عزى نفسه وهنأها بالخلافة فلما بايعه الناس جلس مجلس أبيه عبد الملك وجمع أهل بيته ثم قال

انفوا الضغائن والتحاسد بينكم * عند المغيب وفى حضور المشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مد فى عمرى وان لم يمدد * فمثل هذا الدهر نفع بينكم
بتواصل وتراحم وتودد * حتى تلين قلوبكم وجلودكم * لمسود فيكم وغير مسود

والوليد المذكور هو الذى عمر الجامع الذى بدمشق المعروف بجامع بنى أمية حدث ابراهيم بن هشام انه قال حدثنى أبى عن جدى قال قال عبد الملك لروح بن زنباع يا أبا زرعة قد غلبنى الوليد باللحن وأظهر العشية

الليلة يستقر فى بطن أمه الذى يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا ثم لما تم حمله وظهرت فيه العجائب ولد يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام فى بنى سعد أربع سنين وتوفى أبوه عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين وكفله جده عبد المطلب الى ان توفى وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتى عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها فى تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فى وضع

كا آبة فسألني عنها فلما أذن العشاء أظهر كا آبة وعنده الوليد وسليمان فقال له روح ماهذه الكا آبة يا أمير المؤمنين لا يسوءك الله ولا يريك مكروها فقال ذكرت مافي عنقي من حقوق هذه الامة والى أين يصير أمرها بعدي فقال روح غفر الله لك يا أمير المؤمنين فاين أنت من الوليد سيد شباب العرب فقال يا أبا قرعة لا ينبغي أن يلي العرب الا من يتكلم بكلامها فقام الوليد ودخل منزله وجمع أصحاب النحو فاقام ستة أشهر معهم وخرج وهو أجهل بالنحو من يوم دخل * ذكر شيخ الاسلام العلامة عمر بن الوردي في خريدته ان جملة ما انفق على عمارة الجامع الذي عمره الوليد بدمشق مائة ألف صندوق من الذهب وفي كل صندوق أربعة عشر ألف دينار واجتمع في ترخيمه اثناعشر ألف مرخم وبنى بأنواع الفصوص المحكمة والمرمر المصقول ويقال ان العمودين اللذين تحت القبة اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار ويقال ان رخام الجامع المذكور كان معجونا ولذا اذا وضع على النار ذاب وفي المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا في عرش بلقيس ومنارة الجامع الشرقية يقال ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل عليها في آخر الزمان وعندها حجر يقال انه قطعة من الحجر الذي ضرب به موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا * ذكر صاحب سراج الملوك قال خرج الوليد بن عبد الملك من باب الجامع الصغير فوجد رجلا عند الحائط تحت المأذنة الشرقية يأكل الخبز بالتراب فوقف على رأسه وقال له ما شأنك أيها الرجل حتى انفردت عن الناس فقال أحببت العزلة قال وما حملك على أكل الخبز بالتراب قال في ذلك قنع فلما رجع الوليد الى منزله أمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال أصدقني بالحق والا ضربت عنقك فقال الرجل يا أمير المؤمنين كان أصلي رجلا جمالا وعندي ثلاثة من الجمال أنقل عليها القمح والحبوب فحملتها في بعض الايام فاتيت الى خربة بالشام فحصر في البول فقعدت لابول فرأيت البول ينصب في شق فاتبعته حتى انكشف عن حفيرة كالمطمورة فنزلت فيها فرأيت بها مالا مسكوبا فانخت رواحلي وأفرغت ما كان عليها من الغلال وملأت الزكائب من ذلك المال وغطيت المكان الذي فيه الذهب كما كان فلما سرت قليلا وجدت معي مخلاة فقلت ارجع الى ذلك المكان واملأها من الذهب فجئت الى ذلك الموضع فخفي عني فرجعت الى الجمال فلم اجدها في المكان الذي تركتها فيه فتأسفت على ذلك المال وآليت على نفسي أن لا آكل الخبز الا بالتراب وروي ان الجمال التي كانت عليها الذهب أتت الى بعض عمال الوليد وأناخت بما عليها فاحضرها الى الوليد وكان هذا سببا لعمارة الجامع وقيل ان الوليد توعك فبلغه ان أخاه سليمان شمت فيه فكتب اليه يقول

تمنى رجال أن أموت فان أمت * فتلك طريق لست فيها باوحد * وقد علموا لو ينفع العلم عندهم
لئن مت ما من شامت بمخلد * منيته تجري لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

فكتب اليه فهمت ما كتبت يا أمير المؤمنين فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأميلا لم لا يخطر في نفسي اني لاول لاحق به ومنعي من أهلي فعلام أبي زوال ملك لا يلبث من تمناه ولقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يجر على لساني ولم يره وجهي ومن يسع من أهل النميمة يوشك ان يسرع في فساد النيات ويقطع ذوي الارحام وكتب في آخره ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب
فكتب اليه الوليد فهمت كتابك وانت الصادق في المقال الكامل الفعال فما شيء أشبه بك من اعتذارك ولا ابعد منك من الشيء الذي قيل فيك والسلام * وحكى ان شخصا بلغه عن شخص انه انتقصه وعابه فكتب اليه الحمد لعلام الغيوب المنزه عن النقائص والعيوب والصلاة على من يشفع في فصل القضا ويخالق الناس باخلاق الرضا سيد من اذا قوبلوا بالسيئة أحسنوا ومن شرعه ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وحق

الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفى أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فاقام شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي ولما تمت له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تمت له احدى وخمسون سنة أسري به ولما اشتد البلاء من المشركين على المسلمين استأذنوه في الهجرة فقال قد أريت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار

من أوفى الرسالة لم يصدر مني شيء مما كتبتم في هذه العجالة اذ ليس من الانسانية ولا من المعقول أن يخطر ببال عاقل ماذكرتم فضلا عن ان يقول وليس من سجايا الاذكياء اعتقاد السوء بكلام الاشقياء وليس من شأن الكرام المبالغة بالايذاء بمثل هذا الكلام ولكن التحمل يورث التجمل كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل انا ظالم

والله مطلع على القلوب علام الشهادة والغيوب ولكن صبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي معنى ذلك قال أمير المؤمنين القائم بامر الله

جمعت لدى من الغرام عجائب * خلفن قلبي في أسى وتوحش
خل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذي ونمام يشي

وقال ابن عطية

لا تسمعن من الحسود نميمة * فكلامه ضرب من الهذيان
ان كان قد أوحى اليه تحرضا * فالناس قد كذبوا على الرحمن
سل غيره عني لتعلم افكه * واسخط عليه فبالمحال رماني
لا يثبت الحق المبين لحاكم * في الشرع حتى يناتي الخصمان

ومن نكت صاحب الخريدة لطيفة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهي انه كان له أخ اسمه احمد وكانا يتناوبان القضاء من جانب القاضي محمد بن النقيب فجاءت نوبة الشيخ عمر واحمد مستمر فكتب الشيخ عمر للقاضي محمد بن النقيب

جعلتني وأخي تباريح البلا * وجعلتنا ضدين مختلفين
ياحي عالم عصره وزمانه * فلك التصرف في دم الاخوين

فكتب اليه جوابا

أيا عمر استعد لغير هذا * فاحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل * فاحمد فيه معرفة ووزن

ثم ان الشيخ عمر بن الوردي رأى مناما أزعجه وهاله وعوتب فيه على ولاية القضاء فلما أصبح جاء الى القاضي محمد بن النقيب وحلف أيمانا مغلظة انه ما بقي يلي القضاء مطلقا وانشد يقول

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عني * يكون لي الجاه بالعلوم

حدث عبد الصمد بن معقل قال قيل لوهب بن منبه يا أبا عبد الله كنت ترى الرؤيا فتحدثنا بها فما نلبث أن نرها كما رأيت قال هيهات ذهب ذلك عني مذ وليت القضاء وانه تولى القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز وقال البها زهير

حبيبي ماهذا الجفاء الذي أرى * وأين التقاضي بيننا والتعاطف
لقد نقل الواشون عني باطلا * وملت لما قالوا فزادوا وأسرفوا
وقد كان قول الناس في الناس قبلها * فكذب يعقوب وسرق يوسف
بعيشك قل لي ما الذي قد صنعته * فانك تدري ما أقول وتنصف
فان كان قولا صح اني قلته * فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب انه قول من الله منزل * فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وها أنا والواشي وانت جميعنا * يكون لنا يوم عظيم وموقف

وأقام الوليد في الخلافة تسع سنين وثمانية اشهر وتوفي في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسنه ثمانية واربعون سنة ودفن بدمشق روى عن يزيد بن المهلب انه قال لما ولاني سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ودعني عمر بن عبد العزيز فقال لي يا يزيد اتق الله فاني كنت وضعت الوليد في لحده فاذا هو يركض في اكفانه وفي رواية ان عمر بن عبد العزيز قال لما تناولناه من السرير ووضع على أيدينا اضطرب في اكفانه فقال ابنه أبي أبي قال قلت ويحك ان اباك ليس بحي ولكنكم تلقون ماترى

هجرتكم ألا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويرتحلون الى المدينة ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي ثم خرج صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ومنه الى المدينة وكان خروجه من مكة يوم الاثنين وقدومه المدينة يوم الاثنين هلال ربيع الاول وأقام علي رضي الله عنه بمكة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين ثم أسس مسجد قباء وهو المسجد الذي أسس على التقوى ثم خرج من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وركب راحلته متوجها الى

وصلى عليه عمر بن عبد العزيز لما كان ابنه سليمان غائبا ببيت المقدس

(خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أخوه * قيل دخل ابو حازم عليه بعد ما استخلف وكان ابو حازم من اهل الزهد فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم فتكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال اخبرني كيف القدوم على الله فقال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب الذى أتى الى أهله فرحا مسرورا وأما المسيء فكالعبد الآبق الذى أتى مولاه خائفا محزونا ان شاء رحمه وان شاء عذبه فبكى امير المؤمنين بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت الى امير المؤمنين فقال ابو حازم اسكت فان الله آخذ ميثاق العلماء ليبينن للناس العلم ولا يكتمونه ثم خرج فلما وصل الى منزله بعث اليه مالا فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين انى لا ارضاه لك فكيف أرضاه لنفسى وانشد فى المعنى

منازل دنياك شيدتها * وأخربت دارك فى الآخره * فاصبحت ترغب فى ذى الخراب
وتفرغ عن هذه العامره * فلو كنت شيدت دار البقا * ولم ترض بالصفقة الخاسره
لسارعت سرعة من قد نجا * وسرت الى العترة الطاهره

ذكر صاحب السكردان انه فى أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب من ابن هبيرة ان بخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء ودوى كالرعد القاصف أسقط منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزل اشخاص رؤسهم فى السماء وارجلهم فى الارض وقائل يقول يا أهل الارض اعتبروا باهل السماء هذا صغوائيل الملك عصى الله فعذبه فلما طلع النهار وجاء الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خسفا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان اسود وكل ذلك مثبوت على يد قاضى بخارى باربعين عدلا * روى عن زكريا التيمى انه قال بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقوش فاتى بوهب بن منبه فقرأه فاذا عليه ابن آدم لو انك رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة فى عملك واقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك أهلك وحشمك وبان عنك الولد وفضك النسيب والوالد فلا انت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامه قبل الحسرة والندامه * وذكر ان سليمان بن عبد الملك كان شرها فى أكله فلما حج فى سنة سبع وتسعين توجه الى الطائف تطلبا لرطوبته فأتاه بعض العرب برمان من رمان الطائف فاكل منه مائة وسبعين رمانة ثم أتوه بزبيب فاكل منه سلتين ثم قال اطعمونا من خرفان الطائف فاتوه باربعة وثمانين خروفا مشوية فاكل من كل خروف بجمته وكليتيه حتى أتى على آخرها ثم قعد على السماط واكل مع الناس على عادته وأقام فى الخلافة سنتين وثمانية اشهر وتوفى فى صفر سنة تسع وتسعين وسنه خمس واربعون سنة

(خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه)

هو الاشج الذى ورد فى حقه الحديث الشريف الناقص والاشج أعدلا بنى أمية وسبب شجه ان أتانا رفسته فصار أبوه يمسح له الدم ويقول ان كنت أشج بنى أمية انك لسعيد فكان كذلك وكان اماما عادلا فقيها محدثا روى عن جلة من العلماء وروى عنه أجلة بويع له يوم مات ابن عمه سليمان * مما يحكى ان المنصور قال لعمرو بن عبيد عظنى بما رأيت أو بما سمعت قال بل بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف احد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع القبره بدينارين وأصاب كل واحد من اولاده ثمانية عشر قيراطا من دينار ومات هشام بن عبد الملك فخلف احد عشر ابنا وأصاب كل واحد من اولاده الف الف دينار فرأيت رجلا من ولد عمر قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من اولاد هشام على قارعة الطريق يسال التصدق

المدينة فلما قدم على ناقته ساروا يمسكون زمامها ويقولون يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فصارت تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد ابن حارثة وأقام عنده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ثم بنى مسجده الشريف ثم أذن له فى الجهاد فاول غزواته غزوة الابواء خرج الى الجهاد يريد عير قريش ثم غزوة العشيرة بضم

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا الفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى المال والولد

وفى المعنى أيضا

لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعور له * والانس والجن فى حاجاته ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها * من كل قطر اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من وردة يوما كما وردوا

وهذه الابيات من جملة أبيات لورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن مالك القرشى الاسدى وأول الابيات

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم احد * لاتعبدون الها غير خالقكم
فان دعيتم فقولوا بيننا جدد * سبحان ذى العرش سبحانا يعادله * رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعادله * وقبل سبحه الجودى والجمد * مسخر كل من تحت السماء له
لاينبغى ان يحاكى ملكه احد * لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد

روى ان ورقة كره عبادة الاوثان وطلب الدين فى الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما أراه الانبى هذه الامة الذى بشر به موسى وعيسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا ورقة فانى رأيته فى ثياب بيض وروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أتت ورقة بن نوفل وهو عم خديجة أخو أبيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعربية من الانجيل ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اى عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجى هم قال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وروى عن هشام بن عروة عن أبيه ان خديجة بنت خويلد كانت تأتى ورقة وتخبره بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ورقة لئن كان مايقول حقا انه ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى الذى يخبره أهل الكتاب ولئن نطق وأنا حى لابلين لله فيه بلاء حسنا وروى ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا الى الشام يلتمسان الدين فاتيا على راهب فسألاه فقال ان الذى تطلبان لم يجئ بعد وهذا زمانه وانه نبى هذه الامة الذى يخرج من قبل تهامة فرجعا وروى عن جابر بن عبد الله انه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ابى طالب هل تنفعه نبوتك قال نعم اخرجته من غمرة جهنم الى ضحضاح فيها وسئل عن خديجة انها ماتت قبل الفرائض واحكام القرآن فقال أبصرتها فى الجنة فى بيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب وسئل عن ورقة بن نوفل فقال ابصرته فى بطنان الجنة عليه السندس وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث أمة وحده وقيل انه ارتفع غيم فى ايام خلافة عمر بن عبد العزيز فوقع مع المطر بردة عظيمة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار هنيأ له وأقام سنتين وخمسة اشهر وتوفى فى رجب سنة احدى ومائة وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره يزار

(خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات عمر بن عبد العزيز فاقام اربع سنين وشهرين وتوفى بحران فى شهر شعبان سنة خمس

العين ثم شين معجمة مفتوحة وهى أرض بنى مدلج بناحية الينبع فسارت الى الشام ولم يدركها ولما رجع الى المدينة من العشيرة لم يقم الا تسع ليال حتى سافر يريد بنى سليم ولما وصل الى ماء من مياههم أقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وتسمى هذه بدرا الاولى ولما بلغه صلى الله عليه وسلم رجوع العير من الشام خرج اليها فى ثلاثمائة وثلاثة عشر وخرج ابو سفيان من مكة فى قريب من الالف وحصل القتال الشديد ونصر الله المسلمين وتسمى هذه بدرا الثانية وبدر الغنائم ثم غزا صلى الله عليه وسلم بنى قينقاع بفتح القاف وضم النون وكان صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بنى

وماثةوسنه تسع وعشرون سنة ودفن بدمشق وكان عادلا مشهورا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ونقص الجيش من ارزاقهم فسمى الناقص وهو وعمر بن عبد العزيز أعدلا بني أمية والله اعلم

(خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات اخوه وسنه خمس وثلاثون سنة قيل بينما هو في صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب وأرمته الى صبي اعرابي يرعى غنما فقال هشام ياصبي دونك هذا الظبي فانه فاتني فرفع رأسه اليه وقال له ياجاهلا بقدر الاخيار لقد نظرت الي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعالك فعل حمار فقال له هشام ويلك ماتعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابي لاقرب الله دارك ولاحيا مزارك ما أكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام أقصروا من هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام فاتي به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وأبناء الدولة فلم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس راسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع عن الكلام فقال له بعض الخدم يا كلب العرب مامنعك ان تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يابرذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال والله ياهشام لئن لم يكن في المدة تقصير وكان في الاجل تأخير لاضرني من كلامك لاقليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من محلك ان تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمه فقال مسرعا لاقيت الخذل ولامك الويل والهبل أماسمعت ماقال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك قام هشام وغتاظ غيظا شديدا وقال ياسياف علي برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام مما لايخطر على الاوهام فاخذ الصبي وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف يا أمير المؤمنين عبدك المذل بنفسه المتقلب في رمسه أضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فاذن له ثم استأذن ثالثا فهم هشام ان يأذن فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام تعجبا وقال ياصبي أظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا وأنت تضحك هزؤا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لاضرني من كلامك قليل ولا كثير ولكن أبيات حضرت الساعة فاسمعها فان قتلي لايفوت وان كثرت الصموت فقال هشام هات وأوجز فقال

نبئت ان البازعلق مرة * عصفور برساقه المقدور
فتكلم العصفور في أظفاره * والبازمنهمك عليه يطير
مافي مايغني لمثلك شبعة * ولئن أكلت فانني لحقير
فتبسم الباز المغر بنفسه * عجبا وأفلت ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ في أول وقت من أوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته ياخادم احش فاه جواهر وأحسن جائزته ويمضي الى حال سبيله * ومما يناسب ذلك ماوقع لخالد بن حبلويه فانه لما كان علي بن طاهر أحد قواد المأمون عند محاصرته بغداد فاحتاج الى مال يصرفه فكتب الى المأمون يطلب منه مالا يصرفه فكتب الى خالد بان يعطيه مايحتاج اليه فامتنع خالد من ذلك فلما أخذ علي بن طاهر بغداد أحضر خالدا وقال له لاقتلنك اشنع قتلة فبذل له من المال شيأ كثيرا فلم يقبله فقال خالد قد قيل شيء فاسمعه ثم شأنك وما أردت فقال علي بن طاهر هات فقال

نبئت ان البازعلق مرة * عصفور برساقه المقدور

قريظة وبني النضير أن لايحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا ولما كانت وقعة بدر اظهروا العداوة والحسد فنبذوا العهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يامعشر اليهود احذروا ان ينزل بكم مانزل بقريش من النقمة اي يوم بدر فلم يقبلوا واظهروا الشدة فسار اليهم صلى الله عليه وسلم واعطى اللواء الابيض عمه حمزة بن عبد المطلب وقد تحصنوا في حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة اشد الحصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوه صلى الله عليه وسلم ان يخلي سبيلهم ويخرجوا من المدينة باولادهم ونسائهم ويتركوا اموالهم فاجابهم واخذاموالهم فنأوا بعدهم عن المدينة ونزلوا باذرعات قريبة من

الى آخر الابيات المتقدم ذكرها وكان على بن طاهر يعجبه الشعر فقال أحسنت وعفا عنه * ومن أحسن ما قيل فى الاعتراف بالذنب وطلب العفو قول ابن زيدون فى رسالته

ان لا يكن ذنب فعفوك واسع * او كان لى ذنب ففضلك اوسع

وقال أيضا

تلمست هل من شافع لى فلم أجد * سوى رحمة أعطاكها الله تشفع

لئن جلت الاجرام منى وأفظعت * لعفوك من جرمى أجل وأوسع

وقال

لا شئ أعظم من ذنبى سوى أملى * فى حسن صفحك عن جرمى وعن زللى

فان يكن ذا وذا فى القدر قد عظما * فانت أعظم من ذنبى ومن أملى

واقام هشام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتوفى بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة وكان وكلاء الوليد قد ختموا خزائن هشام و بيوت أمواله فلم يوجد له كفن فكفنه خادم له وهكذا حال الدنيا

(خلافة الوليد بن يزيد)

بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام فى ربيع الآخر فى عشر ليال خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وسنه اثنتان وأربعون سنة بعهد من أبيه وكان متعديا بالحدود مستخفا بالقرآن والحديث ومما يحكى عنه ان له فى الخلاعة والمجون وسخافة الدين ونظم الشعر الركيك لضلاله وكفره ما يطول ذكره ومن ذلك ما ذكره المعافى بن زكريا ان الوليد نظر الى جارية نصرانية يقال لها شقراء فجن بها وجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيد النصارى قد قرب وأنها ستخرج فيه وكان فى موضع العيد بستان حسن وكان النساء يدخلنه فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر النصرانية فوافقه وحضر الوليد وغير حليته ودخلت النصرانية البستان فجعلت تمشى حتى انتهت الى الوليد فقالت لصاحب البستان من هذا فقال رجل مصاب فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها فقال لها صاحب البستان ويلك تدرين من ذلك الرجل فقالت لا فقال لها انه الوليد وانما غير حليته حتى ينظر اليك فكانت بعد ذلك أحرص على الاجتماع به وله معها مجالس مشهورة وأسمار مسطورة وله فيها من الأشعار ما يجاوز حد العشق والغرام فمن ذلك قوله

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا

من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

ما زلت أرمقها بعينى رامق * حتى بصرت لها تقبل عودا

عود الصليب فويح نفسى من أرى * منكم صليبا مثله معبودا

فسألت ربى ان أكون مكانه * وأكون فى لهب الجحيم وقودا

قال الراوى لذلك لم يبلغ مدرك الشيبانى هذه الخلاعة اذ قال فى عمرو النصرانى

ياليتنى كنت له صليبا * فكنت منه أبدا قريبا أبصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا

فلما ظهر أمر الوليد وعلمه الناس قال

الا حبذا شقرى وان قيل انتى * وقعت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا ان تضل نهارنا * الى الليل لا ظهرا نصلى ولا عصرا

وروى عن زينب بنت أم سلمة قالت دخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم وعندنا غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا أم سلمة قالت هذا الوليد فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا غيروا اسمه الوليد فانه سيكون فى هذه الامة فرعون يقال له الوليد وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال ولد لاخى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبى صلى الله عليه وسلم سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو أشد على هذه الامة من

الشام * ثم كانت غزوة السويق خامس ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة وذلك انه لما اصاب قريشا فى بدر ما اصابهم نذر ابو سفيان ان يغزو محمدا وأصحابه فخرج من مكة فى مائتى راكب حتى نزل قريبا من المدينة بحيث بينه و بينها نحو ميل وقطع جانبا من النخل ولقى رجلين من الانصار فقتلهما و بلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فى طلبه فهرب هو واصحابه وصاروا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة و يجعلونه زادهم فلذا سميت غزوة السويق * ثم كانت غزوة كركرة الكدر وهى ارض بها طيور فى الوانها كدرة وذلك انه صلى الله عليه

فرعون موسى على قومه ولما تعدى الوليد الحدود حوصر فى قصره فاراد استعطاف خواطر الجند المحاصرين له فلم يقبلوا اعتذاره فجلس وأخذ مصحفا وقال يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فنزلوا وقتلوه فى شهر جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت مدة تصرفه سنة وشهرين وعشرين يوما

(خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم قتل ابن عمه الوليد فاقام خمسة اشهر وتوفى فى سنة ست وعشرين ومائة وسنه اربعون سنة والله اعلم

(خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك)

بويع له يوم مات اخوه فى ذى الحجة فاقام سبعين يوما وخلع نفسه فى سنة سبع وعشرين ومائة ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

(خلافة مروان المعروف بالحمار)

وسمى بالحمار لان الذى يتولى بعد مضى قرن يقال له الحمار وقيل سمى هذا الاسم لصبره على الحرب وهو ابن مروان الاول بويع له يوم خلع ابراهيم فاقام ست سنين وشهرا الى ان قتل بناحية أبوصير من قرى مصر المحروسة فى ثالث شهر الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بنى أمية وبموته انقرضت دولة بنى أمية كما نقرض من قبلها من الدول ولله العزة والبقاء

(الباب الثالث فى الدولة العباسية)

وكانوا بالعراق وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم فى العراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها سبعة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمس وتسعمائة وكانوا يظنون بقاءها فيهم الى أن يسلموها للمهدى آخر الزمان

(أولهم ابو العباس السفاح)

واسمه عبد الله بن محمد بن على بن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم بويع له رابع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنوات وثمانية اشهر وسنه اثنتان وثمانون سنة وتوفى فى المحرم سنة ست وثلاثين ومائة

(خلافة ابى جعفر المنصور)

بويع له يوم مات أخوه وسنه ثلاث وستون سنة وهو الذى بنى بغداد سنة أربعين ومائة ونزل بها فى سنة ست واربعين وفى سنة تسع وأربعين تم بناؤها وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر محلة منها الى غيرها وهى على شاطئ الدجلة فالاولى بالجانب الشرقى بالرصافة بناها المهدى بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين والثانية مشهد أبى حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور فى الجانب الغربى وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون الف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار القز ويقال ان المنصور سأل راهبا كان فى صومعة عن مكان بغداد عندما أراد أن يختطها قال أريد ان ابنى هنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أنا هو وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدانق فسمى أبا الدوانيق وقد ورد ان ابا جعفر المنصور بنى أربع مدن على اربع ضوال لا يخربون ابدا لا بخراب الدنيا المدينة الاولى المنصورة وهى مدينة طولها ميل فى ميل وبها خلق كثير وتجار وليس فيها الا النخل والقصب وهى مدينة حارة جدا والثانية المصيصة على بحرين والثالثة بارض الجديين والرابعة بغداد ذكر الشيخ عمر بن الوردى فى خريدته ان بغداد فى الجانب الغربى على الدجلة انفق عليها المنصور اموالا عظيمة ونقل ابواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة وجعل دورها اثنتى عشرة الف قصبة وبنى بها قصرا أعظم بوسطها وبنى المهدى قصرا مقابله فى الجهة الاخرى وبينهما نهر الدجلة به جسر من السفن ويقال ان حماماتها حصرت فى وقت من الاوقات فكانت ستين الف حمام قال الطبرى فى تاريخه كان بها ستون الف حمام كل حمام يحتاج على

وسلم بلغه ان قوما من بنى سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم فى مائتين من اصحابه فهربوا واخذ ابلهم وكانت خمسمائة بعير مع رعاة لهم منهم غلام يقال له يسار فاخذه صلى الله عليه وسلم واعتقه لانه رآه يصلى بعد ان اسلم ولما قرب من المدينة خمسها فخص كل رجل بعيران * ثم كانت غزوة امر بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ثم ثاء مثلثة ابن الحرث الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من بنى ثعلبة واراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فى اربعمائة وخمسين رجلا من اصحابه

الاتلاف الى سنة الفار ومثل ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلثمائة
الف وستون الف رطل صابون والمشاع ان بغداد كانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وارباب الصنائع
الظريفة النفيسة والآن غالبها خراب وقد تغيرت اوضاعها وخلت من العلماء والافاضل بقاعها وقد
أخبرني من أثق به من أفاضل الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر المسائل الفقهية
بل ولا غيرها من غالب العلوم والله يفعل ما يشاء وذكر انه لما انتشت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي
خرج منها طالبا مصر فشيعه من اكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين
ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتكفل له بذلك ومن شعره

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
أقمت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وفي المعنى

يا وافقا بين الفرات ودجلة * عطشان يطلب شربة من ماء
ان البلاد كثيرة انهارها * وسحابها بغزيرة الانواء
ماضاقت الدنيا ولا عدم السرى * فيها ولا ضاقت على العلماء
أرض بأرض والذي خلق الورى * قد قسم الارزاق في الاحياء

وقال أيضا

مالي لأرغب من منزل * يكثر فيه الدهر حسادي
ما الرزق في الكرخ مقيم ولا * طوق الغلا في جيد بغداد

ذكر القاضي البيضاوي في تفسيره في سورة الفرقان عند قوله تعالى يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجورا أي تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم
ينظر فيه جاء يوم القيامة معلقا به يقول يارب هذا اتخذني مهجورا أقول اين اهل بغداد وشحهم وجبنهم
وقلة مروآتهم من اهل مصر فانه ذكر ان القاضي عبد الوهاب المذكور لما قدم مصر تلقاه اكابرها
وفضلاؤها بالبشر والكرامة والترحيب وانزلوه في احسن البيوت واهدوا اليه الهدايا الوافرة والارزاق
المتكاثرة وصار عندهم عزيزا فجزاهم الله تعالى خيرا عن مروآتهم وقد شاهدنا ذلك في كثير ممن ورد عليهم
من العلماء * ومما يحكى ان خالدا ابا يحيى البرمكي كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله
ويدني مجلسه ويصغي لمحادثته فدخل عليه في بعض الايام وفي يده خاتم به فص من السموم القاتلة وأراد
أن يجلس على عادته فزأر فيه زأرة عظيمة مزعجة ومنعه من الجلوس فقال ما السبب ياأمير المؤمنين فقال
له تدخل علي بالسم القاتل فقال ياأمير المؤمنين جال في صدري شئ كان سببا لحمل الفص القتال وهو
اني خشيت من بعض الحسدة أن يدسوا عليك دسيسة من قبلي فربما يكون فيها الهلاك والتشنيع فاذا
حصل ذلك والعياذ بالله تعالى ألعق الفص واستريح من التمثيل فاستحسن ذلك منه واجلسه على عادته
فلما سكن روعه قال ياأمير المؤمنين بالله عليك بماذا عرفت ان معي سما فقال له ان في عضدي دملجا
اذا دخل علي احد بسم يتحرك الدملج فتعجب كل من كان حاضرا وهذا من العجائب * ويحكى ان رجلا من
اهل الشام قال للمنصور ياأمير المؤمنين من انتقم فقد شفي غيظه ومن عفا فقد تفضل ومن اخذ حقه لم
يجب شكره ولم يذكر فضله وكظم الغيظ حلم والتشفي طرف من العجز وقال زياد تأخير جزاء المحسن لؤم
وتعجيل عقوبته دناءة والتثبت في العقوبة ربما أدى الى سلامة منها وتأخر الاحسان ربما أدى الى ندم
لم يمكن صاحبه ان يتلافاه * ومما يحكى ان المنصور أمر وزيره أن يأتيه برجل لايسأله عن شئ الا ويحسن
الجواب ولا يبتدئه بسؤال فاتاه برجل وقال ياأمير المؤمنين هذا ما أردت فرفع منزلته وادناه وجعله نصب
عينيه فمكث عنده مدة لا يسأله عن شئ الا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال قط فعظم عنده فامر يوما

فلما سمعوا به هربوا في رؤس الجبال * ثم كانت غزوة بحران بفتح الباء الموحدة ويقال بضمها ثم حاء مهملة ساكنة في السنة الثالثة من الهجرة * ثم كانت غزوة أحد في السنة الثالثة ايضا وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسببها انه لما اصاب قريشا في بدر ما اصابهم وخلص أبو سفيان بالعير ووصل الى مكة مشى اشراف قريش الى من كان له تجارة في تلك العير التي كانت وقعة بدر بسببها وكانت تلك العير محبوسة في دار الندوة لم تدفع الى أربابها فقالوا ان محمدا وتركم أي نقص عددكم بان قتل رجالكم ولم تأخذوا بثارهم فاعينونا بهذا المال حتى نحاربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن

وزيره ان يدفع اليه جائزة فماطله وحدث بعد ذلك سفر للمنصور فخرج الرجل لوداعه فلما اذن له بالرجوع راحته قال يا أمير المؤمنين هذه دار من واشار الى جهة فاستدعى المنصور الوزير وقال ادفع اليه ما امرت له به من الجائزة فقبضها ومضى فقال الوزير يا امير المؤمنين من اين علمت انى لم ادفع اليه فقال اشار الى قول الشاعر

يا دار عاتكة التى اتغزل * حذر العدا و به الفؤاد موكل

واراك تفعل ماتقول وبعضهم * ملق الحديث يقول مالا يفعل

وحكى الربيع بن المفضل قال كنت عند المنصور وعنده جماعة من اعمامه فقالوا له محمد بن مروان فى سجنك فان اردت ان ترسل اليه وتسأله عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة فبعث اليه وفض عنه الحديد وقال حدثنى بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة فقال يا امير المؤمنين كنا قوما ملوكا فلما انقضت بنا المدة امرت بالمتاع فصير فى مركب فاعتل بنا الموج شهرا ثم صرت الى جزيرة النوبة فامرت بالمضارب فضربت فاقبل اهل النوبة ينظرون الى متاعنا و يتعجبون من حسنه واقبل ملك النوبة فاذا هو رجل طويل أصلع حاف عليه كساء وهو متوشح به ثم سلم وجلس على الارض ولم يجلس على بساطى فقلت له لم تركت الجلوس على بساطى فقال لانى ملك وحق لمن رفعه الله ان يتواضع ثم صار ينظر فى وجهى وقال ما بالكم تطؤن الزرع بدوابكم وهو محرم عليكم فى كتابكم قلت عبيدنا فعلوا ذلك بالجهل قال فما بالكم تشربون الخمر وهو محرم عليكم فى دينكم قلت عبيدنا واتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم قال فما بالكم تلبسون الديباج و تحلون بالذهب والفضة وهو محرم عليكم على لسان نبيكم قلت انا كنا قوما ملوكا فلما انقضت مدتنا استعنا باعاجم دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم قال فجعل ينظر فى وجهى ويردد الكلام عبيدنا واتباعنا واعاجم دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هذا يا ابن مروان كما تقول ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما امرتم به فاذاقكم الله وبال امركم ولله فيكم نقمة لم تبلغ وانى لاخشى ان ينزل عليكم بلاء وانت ضيفى فيصيبنى معك فارتحل عنى فتزودت وارتحلت وانشد يقول

اذا وليت فاعمر ماتليه * بعدلك فى الامارة بالعماره

وأفضل مستشار كل وقت * زمانك فاقتبس منه الاشاره

حدث يحيى بن معاذ ان ابا جعفر المنصور كان جالسا فالح على وجهه ذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان فقال على به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وفى شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يقع على جسده ذباب أصلا ذكر القطبى فى اعلامه قال النجم عمر بن فهد وفى سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثورى رضى الله عنه فلما وصل الى بئر ميمونة بعث الى الخشابين وقال لهم ان رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه فجاؤا ونصبوا الخشب وكان سفيان الثورى جالسا بفناء الكعبة ورأسه فى حجر فضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة فاخذها وقال برئت من هذه البنية ان دخلها أبو جعفر سالما وعاد الى مكانه فركب المنصور من بئر ميمونة فلما كان بين الحجارين سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات فى سابع ذى الحجة فى وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه فى آخرها ليعمى قبره عن الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظروا الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم فى سلطان السلاطين وما أحقر سلطنة المخلوقين من ماء مهين وما أسرع زوالهم وصيرورتهم عبرة للناظرين ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار قال البحترى ان المتوكل ولى سالم بن حامد دمشق وكان بها جماعة من العرب لهم قوة ومنعة فقتلوا سالما فى يوم جمعة على

ب مناقطابت نفوسهم أن يجهزوا بربح العير جيشا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان رأس المال خمسين ألف دينار وقد ربح كل دينار دينارا فكان الربح خمسين الف دينار وخرجوا بها لمحاربته صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى على نبيه فى ذلك ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآيه وجمع أبو سفيان من قريش ومن والاهم من قبائل العرب كنانة وتهامة ثلاثة آلاف من القبائل والحلفاء وفيهم جابر بن مطعم بن عدى ووحشى قاتل حمزة وكان حبشيا وهند زوج ابى سفيان وأم حكيم بنت طارق وزوجها عكرمة رضى الله عنهم وهؤلاء اسلموا وتابع رسول الله

بابى دمشق فغضب المتوكل وقال من يكون فى صولة كصولة الحجاج فقال افريدون التركى أنالها يا أمير المؤمنين فامره وجهزه اليها فى سبعة آلاف فارس وأطلق له النهب والقتل ثلاثة أيام فجاء ونزل فى بيت لها فلما أصبح قال يادمشق أى شئ يحل بك اليوم وقدم له بغلة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب ضربته بالزوج فى صدره فسقط ميتا وقبره معروف شهير بها وذلك فى حدود الاربعين ومائتين وقال ابن زيدون فى رسالته وقد تكون منية المتمنى فى أمنيته وروى الشيخ أمين الدين أبو البقاء مسلم بن محمود الشيرازى فى كتابه القاصمة للعثة الغاشمة أن يحيى العابد بهر وان قال كنت عند سفيان الثورى فالتفت الى شيخ فقال حدث القوم بحديث الحية والعصا قال حدثنى عبد الجبار عن محمد بن حمير انه خرج الى متصيده فتمثلت بين يديه حية فقالت أجرنى أجارك الله فى ظله يوم لاظل الاظله فقال وممن أجيرك فقالت من عدو لى يريد أن يقطعنى اربا اربا فقال ومن أين أنت قالت من أهل لااله الا الله قال وفى أين أخبؤك قالت فى جوفك ان كنت تريد المعروف قال ففتح فاه وقال ها فدخلت جوفه واذا رجل معه صمصامة فقال يا ابن حمير أين الحية قال ما أرى شيأ فذهب الرجل فاخرجت الحية رأسها فقالت يا ابن حمير أتحس بالرجل فقال لاقد ذهب قالت فاختر اى الخصلتين اما أنكت قلبك نكته أو أفرى كبدك قال والله ما كافأتينى قالت تصنع المعروف عند من لا يعرفه قال أمهلينى حتى آتى سفح هذا الجبل فامهد لنفسى موضعا فبينما هو كذلك اذ هو بفتى حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فقال يا شيخ مالى أراك مسترسلا للموت آيسا من الحياة قال من عدو فى جوفى يريد هلاكى فاخرج شيأ من كمه فدفعه الى وقال كله ففعلت فاصابنى مغص شديد ثم ناولنى أخرى فاكلتها فرميت الحية من أسفل قطعا قطعا فقلت من أنت رحمك الله فقال له أنا ملك يقال له المعروف ومستقرى فى السماء الرابعة وان أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا كل يسال ربه ان يغيثك فقال عز وجل يا معروف أدرك عبدى وقال الشاعر

لا تصنع المعروف فى ساقط * فذاك صنع ساقط ضائع
فضعه فى حر كريم يكن * عرفك مسكا عرفه ضائع

وقال أيضا

متى تسد معروفا الى غير أهله * رزئت ولم تظفر باجر ولا حمد

وقال الحجاج لشخص ما أضيع الاشياء قال مطر جود فى أرض سبخة لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد فى الشمس وجارية حسناء تزف الى عنين أعمى وصنيعة تهدى الى من لا يشكرها وقال بعض الحكماء أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقالوا الاحسان الى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بساط الهواء قالوا تعريف اللئيم من اذا ارتفع أنكر أباه وجفا أخاه واستخف بالاشراف ونقل عن شيخنا المرحوم الشيخ نور الدين الزيادى الشافعى فى تعريف اللئيم فقال من ليس له فعلة تحمد ولا خصلة تشكر قال الشاعر

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر * أعد لها لما استجارت ببيته
مع الامن ألبان اللقاح الدرائر * وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها وأظافر

فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

وقال آخر

زرعنا جميلا مع اناس فانكروا * جميلا ومن حفظوا القرى
ومن يزرع المعروف فى غير أهله * يكن قلد الخنزير درا وجوهرا

وقال الشاعر

لعمرك ما المعروف فى غير أهله * وفى أهله الا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذى كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع * وما الناس فى شكر الصنيعة عندهم
وفى كفرها الا كبعض المزارع * فمزرعة طابت فاضعف نبتها * ومزرعة أكدت على كل زارع

صلى الله عليه وسلم مسيرهم وفيهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وستمائة درع ولبس صلى الله عليه وسلم درعين وهما ذات الفضول وفضة وتقلد سيفا مكتوبا عليه

فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة
والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ولما جاوز المدينة عرض عليه أصحابه فرد منهم شبانا خمسة عشر ولما التقى الجمعان قتل من المسلمين خلق كثير منهم جابر أبو عبد الله فاخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أوقفه بين يديه وقال له سلنى أعطك فقال أسئلك يا رب ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال له عز وجل انه سبق منى انهم لا يرجعون الى الدنيا فقال اى يا رب فابلغ من ورائى فانزل الله تعالى

وقال آخر

لئن بسط الزمان يدى لئيم * فصبر للذى فعل الزمان
فقد يعلو على الرأس الذباب * كما يعلو على النار الدخان

رجعنا الى ما نحن بصدده وأقام المنصور فى الخلافة اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة والله أعلم

(خلافة المهدى بن المنصور)

بويع له يوم مات أبوه وسنه اثنتان وأربعون سنة فجمع الناس فخطبهم ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان أمير المؤمنين عبد دعى فاجاب وأمر فاطاع ثم ذرفت عيناه وقال لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرقة الاحباب وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله احتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على تقليد أمور المسلمين ونزل فبايع الناس وقد جمع أبو دلامة الشاعر بين تهنئة وتعزية فقال

عينان واحدة ترى مسرورة * بامبرها جذلى وأخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوءها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا الخلف
ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أسرحه وآخر انتف
هذا حباه الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

كان المهدى يقول أدخلوا على العلماء والقضاة وأحضروهم عندى فلو لم يكن من حضورهم الارد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ومكث فى الخلافة عشرين سنه وتوفى فى المحرم سنة تسع وستين ومائة

(خلافة موسى الهادى بن المهدى)

بويع له يوم مات أبوه وكان سنه أربعة وعشرين بعهد من والده وأخذ له البيعة شقيقه هرون الرشيد ذكر صاحب السكردان ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له باس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادى بادخاله فدخل داء بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهم ان يعلوه بالسيف أومأ الى وراء الخارجى وأوهمه أن غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره وقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادى ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الاجواد من الخيل فانظروا الى هذا المقدار فى ثبات جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا حكى عن عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادرا وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى أموت وان أخى هرون يلى الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا وأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما حضر بباله فجعل هرون يترفق به فى ذلك فقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى

ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان قتادة يتقى السهام بوجهه عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابه سهم خرجت منه حدقته فلما رآها صلى الله عليه وسلم فى كفه دمعت عيناه وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك ثم ردها صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة فكانت احسن عينيه واحدهما بصرا ولما رجع من غزوة احد وبات ليلة شاع فى صبيحتها ان قريشا يريدون الرجوع فانتدب صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وهى غزوة حمراء الاسد فاجابه كل من كان باحد وأكثرهم جريح وتلاه طلحة بن عبيد الله فقال اين سلاحك يا طلحة فقال قريب يا رسول الله

فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة فاذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها مابالك فديتك قالت رأيت أخاك الهادى الساعة فى النوم فانشدنى هذه الابيات

أخلفت مهدى بعدما * جاورت سكان المقابر ونسيتنى وحنثت فى * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر لايهنك الالف الجديد * دولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكأن الابيات مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله ياامير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولا تسأل عن هرون الرشيد ومالقى بعدها فكانت مدة الهادى سنة وشهرا ونصفا وتوفى فى ربيع الاول سنة سبعين ومائة

(خلافة هرون الرشيد)

بويع له يوم مات الهادى وسنه خمس وأربعون سنة ومولده بالرى لما كان أبوه المهدى أميرا عليها وكان فصيحا بليغا أديبا كثير العبادة وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما وكان يصلى فى خلافته فى كل يوم مائة ركعة لايتركها الالعلة وكان يتصدق فى كل يوم بالف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض ويعظمه وكان قاضيه الامام أبو يوسف وكان يجله كثيرا ويمتثل أمره وكانت أيام الرشيد أيام خير وله أخبار فى اللهو واللذات مشهورة *(فائدة)* ولد الامام أبو يوسف سنة خمس وتسعين وتوفى سنة مائة واثنتين وثمانين فجملة عمره سبع وثمانون سنة * ومما يحكى عن هرون الرشيد أنه قال يوما لجلسائه من أرغد الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لهم كلا ان لاعواد المنبر لهيبة وان لقعقعة لجام البريد لفزعة وان أهنى الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة يأوى اليها فى كفاف من العيش لايعرفنا ولا نعرفه فان من عرفناه وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه وحكى المسعودى فى شرح المقامات قال اخبرنا الفقيه ابو العز أحمد بن عبدالله السكبرى فى كتابه بسنده عن ايوب الوزان قال قال المفضل دخلت على الرشيد وعنده طبق ورد وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة قد أهديت اليه فقال يامفضل قل فى هذا الورد شيأ يشبهه فقلت

كأنه خد موموق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية

كأنه لون خدى حين يدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال هرون الرشيد قم يامفضل أخرج عن هذه الماجنة هيجتنا فقلت والله ياأمير المؤمنين لاأقوم الا بجائزة فانى كنت سببا لقيامك فضحك حتى استلقى على قفاه وأمر لى بجائزة فاخذتها وخرجت وأرخيت الستور دونى * وحكى عن هرون الرشيد انه خرج هو وأبو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وأبونواس والاصمعى واذا بشيخ فى الصحراء متكئ على حمار له فقال هرون لجعفر سل هذا الشيخ هو من أين فقال له جعفر من أين جئت قال من البصرة قال وأين تريد قال بغداد قال وما تصنع فيها قال التمس دواء لعينى فقال له هرون مازحه فقال له جعفر أخاف ان أسمع منه ما أكره فقال بحقى عليك الامازحته فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ماالذى تكافئنى به فقال الله تعالى يكافئك بما هو خير من ذلك فقال اسمع هذا السر الذى لااصفه لاحد غيرك خذ لك ثلاث أواق من شعاع الشمس وثلاث اواق من زهرة القمر وثلاث أواق من هبوب الريح وثلاث أواق من نور السراج واجمع الجميع فى هون بلا قعر ودقهم ثلاثة أشهر فاذا دققتهم اجعهم فى شفقة مشقوقة واجعلهم ثلاثة أشهر فى الريح ثم اجعلهم فى قصبة ساق جمل قدحنى واستعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلثمائة مرة عند النوم ودم على ذلك ثلاثة أشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلامه انبطح عن حماره وضرط فى وجهه ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافأة لك فاذا استعملت

وذهب لسلاحه وكان به بضع وسبعون جراحة قال طلحة وأنا أهتم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم منى بجراحى قال ياطلحة أين ترى القوم قالت قريبا قال أما انهم لاينالون منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ونستلم الركن وسار حتى بلغ حمراء الاسد وهو مكان بينه وبين المدينة ثمانية أميال ولما بلغ المشركين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا الى مكة وفى السنة الرابعة كانت غزوة بنى النضير وهم قوم من اليهود بخيبر وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له لقربهم من المدينة وكان معه من أصحابه جماعة دون العشرة فجلسوا بجانب

هذا الدواء ووهب الله لي العافية اخذت الجارية تخدمك في حياتك خدمة يقلع الله بها عينيك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار ضمت وجهك بخرقة واخليها تلطم عليك وتقول لك يا صقيع الذقن يا رقيع لا اله الا الله ما اصقع ذقنك قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ورسم له بثلاثة آلاف درهم ٭ وقد قيل ان هرون الرشيد حصل له في بعض الايام حال من الاحوال وضيق صدر فاخذ معه بعض الخدام وخرج يتفرج على العادة وكان شخص يقال له ابو الحسن ابن تاجر من التجار وكان والده صاحب اموال كثيرة واماكن وعقارات واقطاع وضياع فتوفي والده وحاز جميع ما خلفه ثم انه كان في كل يوم يخرج الى الجسر فاول رجل يمر عليه يدعوه الى الضيافة فمر عليه في ذلك اليوم الرشيد فتعلق به وقال له يا سيدي هل لك في طعام وشراب فاجابه الرشيد وقال له امض بنا ولم يعلم ابو الحسن من هو ضيفه وسارا الى ان وصلا منزل ابي الحسن فلما دخل الرشيد وجد به قاعة ان نظرت الى حيطانها رأيت العجب وان نظرت الى مجاريها رأيت شاذروانا مصفحا بالذهب فلما استقر به الجلوس استدعى ابو الحسن بجارية كانها قضيب بان فاخذت عودها وانشأت تقول

يا مقيما مدا الزمان بقلبي ٭ وبعيدا بشخصه عن عياني
انت روحي اذ كنت لست اراها ٭ فهي ادنى الي من كل داني

قال فلما سمع الرشيد من الجارية هذه الابيات قال لها احسنت بارك الله فيك واعجبه منطقها وتعجب من ابي الحسن وعزومته وقال له يا ابا الحسن هل من حاجة تروم قضاءها وهل من شهوة تشتهيها فقال ابو الحسن ان بجوارنا مسجدا وله امام به واربع مشايخ وبجوار المسجد صاحب ربع وهم كلما سمعوا نغمة او شيأ من اللهو يغيرون على الوالي ويغرمونني الغرامات ويكدرون عيشي وانا معهم في عذاب فلو تمكنت منهم كنت اضرب كل واحد منهم الف سوط واصلب صاحب الربع واستريح من كثرة اذاهم فقال الرشيد بلغك الله مرادك ثم ان الرشيد غافله ووضع قرص بنج في قدح وناوله له فلم يستقر في جوفه حتى نام لوقته فقام الرشيد الى الباب فوجد غلمانه ينتظرونه فامر الرشيد بحمل ابي الحسن على بغلة وسار الى دار الخلافة وهو سكران لا يفيق ولا يشعر بنفسه فلما استقر الرشيد بدار الخلافة استدعى بوزيره جعفر وعبد الله بن طاهر والي بغداد وبعض خدمه الخواص وقال لهم جميعا اذا كان غداة غد ونظرتم هذا الغلام واشار الى ابي الحسن وهو جالس على سرير الملك اعطوه الطاعة وسلموا عليه بالخلافة وأي شيء امر به فافعلوه ثم دخل بعد ذلك الى جواريه واوصاهن بخدمته وان يخاطبوه بامير المؤمنين فلما فاق ابو الحسن وجد نفسه جالسا على سرير الملك والوزراء والولاة والخدم واقفون وهم يقبلون الارض بين يديه فاحتار ابو الحسن في امره ووضع رأسه في عبه وجعل يفتح عينيه قليلا قليلا ويغمض ويضحك ويقول ايش هذا الامر الذي انا فيه ثم انه رفع رأسه ونادى بعض الجواري فاجابته لبيك يا امير المؤمنين فقال لها ما اسمك قالت شجرة الدر فقال لها اتدري في اي مكان انا ومن هو انا فقالت انت امير المؤمنين جالسا في قصرك على سرير الخلافة فقال لها اني حائر في امري وقد خرج عقلي وما كاني الا نائم ولكن ايش اقول في ضيفي البارحة وما اظنه الا شيطانا او ساحرا لعب بعقلي فبقي حائرا باهتا الى ان اصبح الصباح فاتاه الخادم وقال له اسعد الله صباح امير المؤمنين ثم ناوله تاسومة من ذهب مكللة بالجواهر واليواقيت فاخذها وتأملها طويلا ثم وضعها في كمه فقال له الخادم هذه مشاية تدخل بها بيت الخلاء فقال له صدقت ما وضعتها في كمي حتى لا تتوسخ ثم اخرجها من كمه ووضعها في رجله فلما قضى حاجته وخرج قدموا له خلعة سنية ونظر الى نفسه وهو جالس على السرير وقال كل ما انا فيه خيال وشيء من الجان فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض المماليك وقال له يا امير المؤمنين ان الحاجب بالباب يستأذنك في الدخول فقال ابو الحسن يدخل فدخل وقبل الارض بين يديه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقام ابو الحسن ونزل عن السرير الى الارض فقال له الحاجب الله الله

جدار من بيوتهم فارادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار ويلقي عليه حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا للعهد فارسل اليهم ان اخرجوا من بلدي لان بلدتهم كانت من اعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم ثم كانت غزوة بدر الثالثة في السنة الرابعة وتسمى بدر الموعد لان ابا سفيان نادى يوم احد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه الف وخمسمائة من اصحابه فاقاموا على بدر ثمانية ايام مدة الموسم وكان ابو سفيان قد خرج من مكة في الفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد قام به رعب من محمد صلى الله

يا امير المؤمنين اما تعلم ان الناس كلهم غلمانك وتحت نظرك وأمير المؤمنين لا ينبغي له القيام الى أحد ثم
قيل له ان جعفر البرمكي وعبد الله بن طاهر وأكابر المماليك يستأذنون في الدخول فاذن لهم فدخلوا وقبلوا
الارض بين يديه وجعل كل منهم يخاطبه بامير المؤمنين ففرح بذلك ورد عليهم السلام ثم نادى الوالي فدنا
منه وقال لبيك يا امير المؤمنين فقال له اذهب في هذه الساعة الى الدرب الفلاني وأمسك صاحب الربع
وامام المسجد والاربع مشايخ واضرب كل واحد منهم الف سوط فاذا فرغت من ذلك اكتب عليهم قسامة
انهم لا يسكنون في الدرب بعد تجريسهم والمناداة عليهم هذا جزاء من يؤذي جاره ثم اصلب صاحب الربع
واياك أن تتهاون فيما أمرتك به ثم ان أبا الحسن التفت الى الحاجب وبقية الخدم وقال لهم انصرفوا ثم
استدعى بخادم كان قريبا منه وقال له اني جيعان وقصدي شيء آكله فقال سمعا وطاعة واخذ بيده الى
ان ادخله مجلس الطعام وقدموا بين يديه مائدة من الاطعمة الفاخرة وقام على رأسه عشر جوار نهد أبكار
فالتفت الى جارية منهن وقال لها ما اسمك فقالت قضيب البان فقال لها يا قضيب البان من أنا قالت أنت
امير المؤمنين فقال تكذبين والله يا قحبة أنت تضحكين علي فقالت خف الله يا امير المؤمنين هذا قصرك
والجواري جوارك فقال في نفسه ما هو كثير على الله عز وجل ثم ان الجواري اخذن بيده الى مجلس
الشراب فرأى شيأ يذهل العقل وصار يقول في نفسه لا شك ان هؤلاء من الجان ويكون هذا الذي اضافني
من ملوك الجان وما رأى لي مكافأة ومجازاة ما فعلته معه من الجميل الا ان امر اعوانه يقولون يا امير المؤمنين
وهؤلاء كلهم من الجان فالله يخلصني منهم على خير فبينما هو يحدث في نفسه واذا بجارية من تلك الجواري
ملأت له كاسا من الخمر فتناوله منها وشربه ثم ان الجواري تكاثرن عليه بالشراب وطرحت له احداهن
قرص بنج في القدح فلما استقر في جوفه وقع الى الارض وصار لا يعي ولا يفيق فعند ذلك أمر الرشيد بحمله
الى منزله فحملوه ووضعوه على فراشه وهو لا يشعر بنفسه فلما افاق من سكرته آخر الليل رأى نفسه في
الظلام فصاح يا قضيب البان يا شجرة الدر فلم يجبه أحد فسمعته أمه وهو ينادي بهذه الاسماء فقامت وأتت
اليه وقالت له ايش جرى عليك يا ولدي وما الذي أصابك أنت مجنون فلما سمع كلام أمه قال لها من أنت
يا عجوز النحس حتى تقابلي أمير المؤمنين بهذه الالفاظ فقالت له أنا أمك يا ولدي فقال لها تكذبي أنا أمير
المؤمنين صاحب البلاد والحاكم على العباد فقالت له اسكت والا تروح روحك وجعلت ترقيه وتقرأ عليه
وتقول يا ولدي كانك رأيت هذا في المنام وهذا كله من وساوس الشيطان ثم قالت له أبشرك ببشارة تسر
بها قال لها وما هي قالت ان الخليفة امر بضرب الامام والمشايخ وصلب صاحب الربع وكتب عليهم قسامة
لا يكثروا فضولهم على أحد فلما سمع أبو الحسن من أمه هذا الكلام زعق زعقة كاد ان يفارق الدنيا وقال انا
لله وانا اليه راجعون أنا الذي أمرت بضرب المشايخ وصلب صاحب الربع ونفيهم وانا أمير المؤمنين ثم نزل
الى الزقاق في الليل ونادى باعلى صوته معاشر الناس من كان له حكومة او ظلامة فعليه بهذه الدار نزيح له
ظلامته وننظر في حكومته قال فانتبه كل من في الزقاق ومسكوه الى ان طلع النهار وجروه وأدخلوه
البيمارستان ووضعوه في الحديد وصاروا كل يوم يعاقبونه ويسقونه الادوية الكريهة ويضربونه بالسياط
وجعلوه مجنونا ومكث عشرة ايام فجاءت والدته تسلم عليه فشكا اليها فقالت له يا ولدي خف الله في نفسك
لو كنت امير المؤمنين ما كنت في هذا الحال فلما سمع من والدته ذلك قال والله صدقت ما كاني الا كنت نائم
فرايت انهم جعلوني خليفة وجعلوا الى خدما وجواري فقالت له يا ولدي ان الشيطان يفعل اكثر من
هذا قال صدقت وأنا استغفر الله مما جرى مني فاخرجوه من البيمارستان وادخلوه الحمام فلما صابت العافية
صنع طعاما وجلس يأكل فلم يطب له وحده فقال يا أماه لم يطب لي عيش ولا اكل وحدي فقالت له ان
كنت تريد تفعل ما تشاء وتختار فرجوعك الى البيمارستان اقرب فلم يلتفت اليها وتمشى الى الجسر ينظر له

عليه وسلم فمنعهم قريشا
وقال لهم انه لا يصلح هذا
العام لقتال محمد فارجعوا
فرجعوا وباع المسلمون
ما كان معهم من التجارة
وربحوا ربحا كثيرا وفيهم
نزل فانقلبوا بنعمة من
الله وفضل الآية ثم
كانت غزوة دومة الجندل
اواخر السنة الرابعة
الجندل بفتح الدال
المهملة بلدة قريبة من
دمشق بلغه صلى الله عليه
وسلم ان بها جماعة
يتعرضون لمن مر بهم
بالاضرار والافساد وأخذ
الاموال وانهم يريدون
ان يدنوا من المدينة فندب
صلى الله عليه وسلم لهم
الناس وخرج في ألف
مقاتل فلما دنا منهم
وبلغهم الخبر تفرقوا
فهجم على ماشيتهم
وأمسك أصحابه رجلا منهم
فسأله عنهم فقال هربوا

نديماقبينما هو جالس اذا بالرشيد قد جاء اليه فى صفة تاجر وكان من حين فارقه يأتى كل يوم الى الجسر فلم يجده فلما رآه أبو الحسن قال له اهلا وسهلا ومرحبا يا ملك الجن فقال له الرشيد ايش عملت معك فقال له أى شئ تفعل بى أكثر مما فعلت يا أوسخ الجان أكلت الضرب ودخلت البيمارستان وجعلونى مجنونا كل ذلك منك جئت بك الى منزلى وأطعمتك خيار ما كلى وبعد ذلك سلطت على شياطينك وأعوانك يلعبون بعقلى من المساء الى الصباح اذهب الى حال سبيلك فقال له الرشيد قد بلغت مقصودك من الامام والمشايخ وصاحب الربع قال نعم فقال له الرشيد لعله يأتيك ما يسر خاطرك أكثر من هذا فقال له أبو الحسن ايش مقصودك منى قال مقصودى أكون ضيفك فى هذه الليلة فقال أبو الحسن على شرط أن تحلف لى بالذى هو منقوش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ما تخلى عفاريتك يلعبون بى فقال له الرشيد سمعا وطاعة فاخذه أبو الحسن الى منزله ثم ان أبا الحسن قدم الطعام الى الرشيد وأتباعه فأكلوا بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل قدموا الشراب والمفرحات فشربوا الى أن رأى الرشيد فرصة فوضع قرص بنج فى قدح فلما شربه صار لا يعى فأمر الرشيد بحمل أبى الحسن الى دار الخلافة وأمرهم أن يرفعوه على سريره فلما أفاق أبو الحسن آخر الليل جعل ينادى يا أماه فأجابه الجوارى لبيك يا أمير المؤمنين فلما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أدركونى فى هذه الليلة فانها أنحس من التى تقدمت ثم انه جعل يطيل النظر فى الذين حوله ويقول هؤلاء كلهم من الجان فى صفة الآدميين أمرى الى الله ثم التفت الى مملوك بجانبه وقال له عضنى فى أذنى لأدرى أنا نائم أم يقظان فقال له المملوك كيف أعضك فى اذنك وأنت أمير المؤمنين فقال له افعل ما أمرتك به والا ضربت عنقك فعضه فى اذنه حتى ألقى الناب على الناب فزعق زعقة عظيمة هذا والرشيد خلف الستارة من داخل مخدع فكل من كان حاضرا معه انقلب من الضحك وهم يقولون للمملوك أنت مجنون تعض أذن الخليفة فقال لهم أبو الحسن ما كفى يا قحاب الجن ما جرى على أنتم ما لكم ذنب الذنب لكبيركم لذى حلفته فيمان اليمين وأخرجكم فى صفة الآدميين وأنا استعين عليكم فى هذه الليلة بآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين ثم ان الرشيد خرج من وراء الستارة وقال أهلكتنا يا أبا الحسن فعند ذلك عرفه أبو الحسن فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والبقاء ثم ان الرشيد ألبسه خلعة سنية ودفع له ألف دينار وجعله من أعز ندمائه * وحكى ان الاصمعى دخل يوما على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين كانت لى حاجة فى ضيعه كذا فلقينى من كاد يقتلنى قال وما هو قال بينما أنا فى وسط البيداء واذا بشئ قبض على خنقى ولم أره فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا من شعراء الجن فقلت له وما تريد منى قال أريد منك أن تصف لى فى هذا الوقت ما أخبث الارض وما أطيبها وما أضيقها وما أوسعها فقلت له أو أحسن ذلك وأنت قابض على خناقى فاطلقنى وأردت ان أعجزه فقلت له لا يحصل لى باعث على النظم الا بالجائزة العظيمة فقال أتطلب كثيرا فقلت ألف دينار فقال اثبت مكانك فوقفت يسيرا واذا بصرة وقعت من الهواء فأخذتها ووضعتها فى كمى وقلت

من لم يكن بين أقوام يسر بهم * فكل أوقاته نقص وخسران

فأطيب الارض ما للنفس فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان

وأخبث الارض ما للنفس فيه أذى * خضر الجنان مع الاعداء نيران

فقال الاعتراف انصاف لقد أعجبنى حسن بديهتك ولكن صف لى هذه الارض من أى الاراضى فقلت له ان لم تحرمنى الجائزة ولم تقتلنى فهى أطيب الارض وأوسعها وان قتلتنى وأحرمتنى الجائزة فهى أخبث الارض وأضيقها فضحك كالرعد القاصف فارتعدت منه فقال لى ما بالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم فقلت له اذا كان بسطك يروعنى فكيف انقباضك فضحك أكثر من الاول وقال اذهب يا أصمعى

فعرض عليه الاسلام فأسلم ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس ويقال لها غزوة الاحزاب وكان كفار قريش ومن عاونهم من يهود بنى النضير وقبائل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم شاور أصحابه فى أن يبرز لهم أو يكون فيها فأشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بالخندق وقال يا رسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا عليهم فأعجبهم ذلك وضربوا الخندق على المدينة وظهر فيها معجزات كثيرة منها ما رواه جابر رضى الله عنه قال اشتد علينا فى بعض الخندق كدية فشكوناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء

يحق للملوك أن يدنوك من مجالسهم فقال الرشيد أرنى الصرة فاظهرتها له فقال الرشيد هذه من خزائتى وعليها ختمى هذا من لصوص الجن فسبحان من نجاك منه * وحكى عن الاصمعى انه قال ضل لى بعير فخرجت فى طلبه فدخلت حلة عرب ورأيت جماعة يصلون نارا و بقربهم شيخ ملتف بقطعة عباءة وهو يرتعد ويقول

أيارب ان اليوم أصبح كاشحا * وأنت بحالى يامهين تعلم

فان كنت يوما مدخلى لجهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

فعجبت من فصاحته فسلمت عليه وقلت لاى شئ يدخلك جهنم فقال لقلة صلاتى فقلت لم لا تصلى فانشد يقول

أيطلب ربى ان أصلى عاريا * ويكسو غيرى حلة البرد والحر

فوالله لا صليت ماعشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر

ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر

وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فتعجبت من فصاحته وأعطيته قميصا وجبة وقلت له قم صل فلبسهما واستدبر القبلة يصلى بلا وضوء قاعدا فقلت له أما تستحى ان تفعل هذا فقال

اليك اعتذارى من صلاتى قاعدا * على غير طهر موميا نحو قبلتى
فمالى لبرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * واقضيكها يارب فى وقت صيفتى

فان أنا لم أفعل فدونك فاحتكم * بما شئت من صفعى ومن نتف لحيتى

فتركته وانصرفت متعجبا * وحكى عن أبى العتاهية أنه قال بينما أنا جالس فى حبس الرشيد اذ دخل علينا رجل ذو شيبة وسامة فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت أصلحك الله ان للمسجونين استرواحا الى الاخبار وتطلعا الى الحديث وقد دخلت علينا فلم تخبرنا بشئ من أمرك فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للداخل دهشة فابسطوه بالانس ولم تبدؤنى بالبسط والتأنيس فقلت صدقت وقص كل واحد منا قصة ثم أخرجت سويقا كان عندى فاسقيته فبينما هو يشرب اذ دخل علينا الاعوان فقالوا له قم فقد أمر بقتلك فارتعدنا وهو ساكن الجنان طيب النفس حتى استتم شرب السويق ثم قال أنا حاضر موت يحيى بن عبد الله بن الحسن الذى يقول

اذا أنا لم أقبل من الدهر كلما * تكرهت منه طال عتبى على الدهر

الى الله أشكو الامر فى الخلق كلهم * وليس الى المخلوق شئ من الامر

فعودت نفسى الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

وصيرنى يأسى من الناس راجيا * لسرعة لطف الله من حيث لا أدرى

وأوسع صدرى للاذى كره الاذى * وقد كنت أحيانا يضيق به صدرى

وقد ييأس الانسان فى بعض حاله * ويأتيه لطف الله من حيث لا يدرى

ثم نهض غير مرعوب ولا مرهوب فلم يعرف له بعد ذلك خبر ثم انى لقيته بعد سنين بالموقف فتعرفت اليه وقلت له ما شأنك وخبرك بعد ما فارقتنا فقال لما دخلت على الرشيد أمر بمد النطع وجرد السيف وعصب عيناى وأمر بقتلى فرأى شفتى تتحركان فقال لم تحرك شفتيك لا أم لك فقلت بدعاء علمنيه مولاى فقال أخبرنى به فقلت اللهم يامن لا يرد قضاؤه عن كل سلطان منيع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذى مجد رفيع يا كاشف الهم عن المأسور الضعيف عند معضل الخطب ودافع الغم عن المضطر الملهوف عند تزايد الكرب أسألك باجل الوسائل لديك وأقرب الوسائل اليك محمد خاتم النبيين وآل بيته أجمعين أهل طه ويس صلى الله عليه وعليهم أجمعين أن تجعل لى من أمرى هذا فرجا ومن محنتى مخرجا

فتفل فيه ودعا بما شاء الله ثم صب ذلك الماء على تلك الكدية فانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فاسا ولما حضروا حول المدينة مكثوا مدة وارسل الله عليهم ريحا عاصفا فى ليال شديدة البرد فقطعت أطناب خيامهم وأكفأت قدورهم على أفواهها ونصر الله المسلمين وخذل الاحزاب * ثم كانت غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ست من الهجرة وهم بطن من خزاعة وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث ابن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه أسلم جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فارسل صلى الله عليه وسلم رجلا يرده فعاد وأخبره بذلك فندب

انك سميع الدعاء جزيل العطاء فعال لما تشاء قال فتغرغرت عينا الرشيد بالدموع ثم قال حلوا وثاقه وادفعوا اليه زادا وحلة والحقوه بأهله فرحمت من فوري * ومما افاده الجلال السيوطى فى كتابه الارج فى الفرج ان أمير المؤمنين هرون الرشيد لما اشتد غضبه على الامام الشافعى رحمة الله عليه نادى وزيره ليلا وقال اذهب بنفسك الى محمد القرشى فادخل عليه بغير اذن وائتنى به على غير رضا قال فذهبت اليه وقد تحققت من أمير المؤمنين هرون الرشيد قتله فدخلت عليه فقلت الرشيد يدعوك فقال فى مثل هذا الوقت وبغير اذن قال بذلك أمرت فقام معى الى أن قربت من الدخول فوجدته يحرك شفتيه لا أدرى ما يقرأ فلما دخل على الرشيد هابه وأجلسه وأكرمه وصرفه آمنا فخرجت عقبه وقلت بالله عليك الا ما أخبرتنى بما قلت عند دخولك فوالله ما جئتك الا وأنا أعرف موضع السيف من قفاك فقال الامام رضى الله عنه حدثنى فلان عن فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أهمه أمر الاحزاب نزل جبريل فعلمه هذه الكلمات فكتبها الوزير وحفظها وجاءها وكان يتعوذ بها وهى هذه اللهم أنت غياثى فبك أغوث وأنت عياذى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أجرنى من خزيك وعقوبتك واحفظنى فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى واسفارى لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك تنزيها لذاتك وتكريما لسبحات وجهك اكفنى شر عبادك وأدخلنى فى سرادقات حفظك وعنايتك وجد على بخير يا أرحم الراحمين * وحكى عن أحمد ابن الخطيب عن ابيه وكان من اجل الكتاب قال دخلت يوما على امى وكان يوم اضحى فرايت عندها عجوزا فى اطمار رثة ولها منظر وبيان فقالت لى امى سلم على خالتك فقلت ومن هذه قالت هذه عتابة ام جعفر بن يحيى فقلت لا اله الا الله أصار بك الدهر الى ما ارى فقالت يابنى انما كانت الدنيا عارية ارتجعها معيرها وحلة سلبها ملبسها فقلت ما اعجب ما لقيت قالت يابنى لقد مر على أضحى مثل هذا اليوم وعلى رأسى اربعمائة وصيفة وقد ظننت مع ذلك ان ابنى عاق لى ثم صرت لكم اليوم اطلب جلدى شاتين اجعل احدهما دثارا والا آخر شعارا فقلت ما اصعب ما رايت فانشأت تقول

كل المصائب قد تمر على الفتى : فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضى ايامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

قلت لها ثم ماذا قالت الموت فقلت او ذقت الموت فانشأت تقول

لا تحسبن الموت موت البلا * لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * اشد من ذاك لذل السؤال

ولبعضهم

لا تظهرن لعاذل او عاذر * حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

ولبعضهم ايضا

أعيالك اسعافى فصرت معنفى * ليت الذى عرف الجميل تجملا
مالى شكوت اليك ما ارجو انجلى * لتكون مطفيها فكنت المشعلا

المصائب جمع مصيبة وهو ما يصيب الانسان من حوادث الدهر ونوازله والشماتة التشفى والبيت الاول من جملة بيت ذكرها عبد الله بن محمد بن ابى عيينة يعاتب بها داود بن يزيد منها

من مبلغ عنى الامير رسالة : محصورة عندى من الانشاد :: كل المصائب قد تمر على الفتى
فتهون غير شماتة الحساد * وظنى لى منه لديك خبيئة * ستكون عندا ان زاد آخر زاد
مالى ارى امرى لديك كانه * من ثقله طود من الاطواد

قيل لايوب عليه السلام اى شئ كان فى بلائك اشد عليك قال شماتة الاعداء وقال ابن ابى اكثم لا يفرح بنكبة الانسان الا من لؤم اصله * ومما يناسب ذلك ان على بن عبد الجبار قال زوجت سيدة النساء بنت

الناس لقتالهم ولما وصل اليهم عرض عليهم الاسلام فابوا وحاربوا فاستاصلهم قتلا وأسرا ونهبا واستاق ابلهم وشياههم وكانت الابل الفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان حبشيا واسمه صالح وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك * ثم كانت غزوة الحديبية ومافيها من الصلح كانت فى آخر سنة ست من الهجرة * ثم كانت غزوة خيبر وما فيها وكانت سنة سبع من الهجرة * ثم كانت غزوة عمرة القضاء وسرية مؤتة وفتح مكة ودخولها فى شهر ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان * ثم غزوة حنين ويقال لها غزوة هوازن وغزوة

طولون لعبة من لعبها فانفقت في وليمتها مائة الف دينار فلم تلبث حتى رأيتها تتعرض للسؤال ببغداد فرآها بعض الاغنياء فعرفها فقال لها اين ما كنت فيه قالت خانتنا الدنيا قال فما تشتهين الا ن قالت ملء بطني طعاما قال لها هذا وكيلي خذي منه ما أردت فانصرفت الى منزله فما كلت شيأ فأمر لها بعشرة آلاف درهم فقالت ردعليك مالك كان عندنا أكثر منه فما بقي وولت قائلة

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من ذبائحها * أرى الدنيا وان مدحت
تنص على فضائحها * فلا يغررك رئحة * تصيبك من روائحها

* ومما يحكى ان جعفر لما صلب نادى هرون الرشيد كل من نعاه او رثاه فعل به كما فعل به فكف الناس عن ذلك ثم ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفي كل سنة يأتي بقصيدة لجعفر المذكور فيعطيه الف دينار جائزة فيأخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على قيام أوده الى آخر العام فلما جاء الاعرابي بالقصيدة وجد جعفرا مصلوبا فجاء الى المحل الذي هو مصلوب فيه فاناخ راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وأنشد القصيدة ثم أخذه النوم فنام فرأى جعفرا فقال له أتعبت نفسك وجئت فرأيتنا على ما رأيت لكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا من خواجات البصرة وقل له جعفر يقرئك السلام ويقول لك بامارة الفولة اعطني الف دينار فتوجه الاعرابي الى البصرة فوجد الخواجا فاجتمع به وبلغه مقاله جعفر فبكى بكاء شديدا حتى كاد أن يفارق الدنيا ثم انه أكرم الاعرابي وأجلسه عنده وأحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة أيام مكرما وأعطاه ألفا وخمسمائة دينار وقال له هذه الالف المأمور لك باعطائها والخمسمائة دينار كرامة مني اليك ولك في كل سنة الف دينار ما دمت حيا فلما أخذها الاعرابي وأراد الانصراف قال للخواجا بالله عليك الا ما أخبرتني عن أصل الفولة قال له كنت في ابتداء أمري فقير الحال أطوف بالفول الحار أبيعه في شوارع بغداد فخرجت في يوم بارد ماطر وليس على بدني ما يقي البرد فتارة أرعد من شدة البرد وتارة أقع في ماء المطر وأنا في حالة مكربة تقشعر منها الابدان وكان جعفر بمنزله في مكان عال مشرف وعنده خواصه ومحاضيه فوقع نظره على فرق لحالي وارسل أخذني عنده وقال لي بع ما معك من الفول على جماعتي فاخذت أكيل بمكيال كان معي فكل من أخذ كيلة فول ملأ ها ذهبا ففرغ جميع ما كان معي ولم يبق معي شيء وجمع الذهب صبرة وأخذه ثم قال لي هل بقي معك شيء من الفول ففتشت القفة فلم أجد فيها سوى فولة واحدة فاخذها جعفر وفلقها نصفين وأخذ نصفها وأعطى النصف الثاني لاحدى محاضيه وقال لها بكم تشترى نصف هذه الفولة فقالت بقدر هذه الصبرة قال جعفر وأنا أشتري النصف الثاني بقدر الصبرة مرتين فبهت وبقيت متحيرا في امري وقلت هذا شيء محال فقال جعفر خذ ثمن فولك فتوقفت فأمر احد غلمانه فجمع المال جميعا ووضعه في قفتي فاخذته وانصرفت ثم رحلت الى البصرة فاتجرت بما معي من المال فوسع الله على دنياي ولله الحمد والمنة فاذا أعطيتك في كل سنة ألف دينار فهي من بعض احسانه فانظر الى مكارم أخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمه الله تعالى وأقام هرون الرشيد في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة عشر يوما ولما جردت المنية سيف الحمام على رأس هرون ومزق ثياب رشد لرشيد ريب المنون وخلعت عنه الخلافة والسلطان وغسلته سماء الدموع بماء الاجفان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس غلب عليه التوعك فتيقن بالموت وبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لي قبرا في هذا المحل فحفروا له قبرا فقال قربوني الى شفيره فحملوه في قبة فسالت عبرته وزادت حسرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد في القبر المذكور لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة

(خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد)

أوطاس وما وقع فيهما من اعلاء كلمة الله واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيهما من المسلمين * ثم كانت غزوة الطائف سنة ثمان من الهجرة ايضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وأنشد له قصيدته المشهورة وهي

*بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

ولما رجع منها الى المدينة اتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس في دين الله افواجا وقد استوفينا الكلام على ما يتعلق بالغزوات وغيرها في كتابنا المواهب السنية في خير البرية * وفي السنة العاشرة كانت

بويع له يوم مات والده وكان مليح الصورة أبيض اللون جميلا لكن كان سيئ التدبير ضعيف الرأى لا يصغى الى قول مشير ولما ولى الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار فى العذارى واشترى عذيبة المغنية بمائة ألف دينار واخذ جارية عمه ابراهيم بن المهدى بعشرين الف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وكان والده هرون الرشيد عهد له ولاخويه فجعل ولده عبد الله المأمون ولى عهد بعد الامين وولاه ممالك خراسان باسرها وكتب بذلك صحيفة ووضعها بالكعبة المشرفة وقد عمل بعض الشعراء فى ذلك جملة قصائد من جملتها

الله قلد هرونا خلافته ٭ دهرا فاظهر فينا العدل والسننا

وقلد الامر هرون لرأفته ٭ بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

ثم ان الامين عزم على انتزاع العهد من أخيه عبد الله المأمون وكان اذ ذاك مقيما بخراسان فنصحه عن هذا الغدر حازم بن خزيمة فقال يا أمير المؤمنين الغدر شؤم والناكث مغلوب منكوب وجرت العادة بنصر المظلوم فأبى الامين ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم على ذلك أشد تصميم فكتب الى المأمون يستدعيه ويذكر له حاجة الى لقائه وانه يفاوضه فى أمر مهم عظيم تضيق عنه الكتب وأكد فى تعجيل القدوم عليه وكان للمأمون جواسيس ببغداد فكتبوا اليه ان أخاك يريد تحويل الخلافة عنك الى ولده موسى فأطلع المأمون خواصه على ذلك فأشاروا عليه بالثبات وانتظار الفرج والاعتذار الى أخيه عن التخلف فكتب اليه يعتذر بشغب أهل خراسان وبمن يتطاول اليها من ملوك الكفار فلم يقبل عذره وكتب اليه ثانيا يأمره بالقدوم عليه ويخوفه مضرة التهاون فشاور أصحابه فثبتوا على رأيهم من عدم مفارقة خراسان فكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المأمون قد فطن لما يراد به وانه ممتنع حاذر وان وزراءه قد أجمعوا على نهيه عن مفارقة خراسان فبعث الامين عند ذلك وأمر بالقبض على من فى بغداد من حشم المأمون ووكلائه وأمواله وأرسل أخذ صحيفة البيعة من مكة المشرفة ومزقها ودعا الناس الى خلع المأمون من عهد الخلافة والبيعة لابنه موسى وكان اذ ذاك طفلا فأجابه الناس الى ذلك وبايعوه وسمى موسى الناطق بالحق قال ولم يكن موسى يومئذ ينطق بالحق ولا بباطل واستكفل له على بن عيسى بن هانئ وكان هذا ولى خراسان قبل هذا فاصطنع فى أهلها الاثل الصنائع وقلد المنن فى أعناق الرجال وكان شانه بخراسان عظيما ثم استشاره الامين فى أمر خراسان فضمن له ما يريده منها واخبره انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه منها اثنان فجهزه اليها وأحسن جهازه وولاه كل بلد يقدم عليها وأعطاه اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده وصحبه بالسلاح والكراع ما شاء وأرسل معه جيشا عدته أربعون ألفا فبلغ المأمون ذلك فضطرب امره وعظم عليه عزمة على بن عيسى فركب يوما الى منتزهه ليجتمع بخواصه ويشاورهم فى أمره فتعرض له شيخ مجوسى من الفرس فنادى مستغيثا به من ظلمه فلما نظر اليه المأمون والى كبر سنه رق له وأمر بحمله على دابة الى الموضع الذى يقصده المأمون فلما استقر به الجلوس أمر بادخال الشيخ عليه فلما دخل عليه أمره بالجلوس فى ناحية من المجلس ثم أقبل على خواصه وعرفهم بما وصل اليه من أخبار الامين وأمرهم بادارة الرأى فأشار كل واحد منهم برأى فقال بعضهم نعتذر الى الامين ونقاد لما يريده وننتظر نصر الله تعالى فيما بين ذلك وقال بعضهم نقصد بعض ممالك الكفار فنفتح تلك المملكة ونتحصن بها وقال بعضهم نستجير بملك الترك على هذا الغادر القاطع ومازالت الملوك تفعل هكذا فركن المأمون الى ذلك ثم فكر وقال كيف أجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ثم قال قوموا عنى فقاموا فدعا الشيخ الفارسى وقال له ما حاجتك فقال له بالعربية جئت لحاجة فعرض لى ما هو آكد منها فقال المأمون وما هو فقال انى دخلت على أمير المؤمنين وأنا غير متصف له بالمحبة ثم القيت محبته فى قلبى وقد تضافرت على أيها الامير ثلاث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان رأيت ان

حجة الوداع وكان معه صلى الله عليه وسلم اربعون الفا ولم يحج بعد الهجرة سواها ومات ابنه ابراهيم فيها وبعث عليا الى اليمن بكتب يدعوهم الى الاسلام فأجابه منهم خلق كثير وأسلمت همدان جميعا فى يوم واحد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ ثم دخلت سنة احدى عشرة فمرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة اقام بها الى آخر صفر وابتدأه المرض لليلتين بقيتا منه وقبض ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الاول فى بيت عائشة ودفن ليلة الاربعاء وسط الليل وصلى عليه المسلمون ارسالا ولم يؤمهم احد وغسله على والعباس والفضل وقثم وأسامة

أقول ماعندي فذاك مفوض الى تعيينك فاطرق المأمون فقال له الشيخ أيها الامير لا يصدنك عن حقارة قدوى فانى برهمى من ولد البرهميين سيد ملوك الفرس والمتوسط بينها و بين أول الاوائل (فائدة) قال الجيلى فى كتابه الانسان الكامل وأما البراهمة فانهم يعبدون الله مطلقا لا من حيث نبى ولا من حيث رسول بل يقولون ما فى الوجود شئ الا وهو مخلوق لله فهم مقرون بوحدانية الله تعالى فى الوجود ولكنهم ينكرون الانبياء والرسل مطلقا وعبادتهم للحق من نوع عبادة الرسل قبل الانبياء وهم يزعمون انهم أولاد ابراهيم عليه السلام و يقولون ان عندهم كتابا كتبه ابراهيم عليه السلام من نفسه من غير ان يقولوا انه من عند ربه فيه ذكر الحقائق وهى خمسة أجزاء يبيحون قراءتها لكل أحد الا الجزء الخامس لا يبيحونه الا للآحاد منهم وقد اشتهر بينهم ان من قرأ الجزء الخامس من كتابهم لابد ان يؤل امره الى الاسلام فيدخل فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الطائفة اكثر ما يوجدون ببلاد الهند وثم ناس منهم يغرون بزيهم انهم براهمة وليسوا منهم وهم مقرون بعبادة الاوثان فمنهم من عبد الوثن ولا يعدون من هذه الطائفة عندهم فقال المأمون أيها الشيخ ان انتقلت من ملتك الى ملتنا ألحقنا لك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسى الى ذلك شديد ولا أفعله الآن ولعلى أفعله فيما بعد فقال له المأمون قد سمعت كلام الوزراء فان كان عندك رأى فتكلم فقال كل منهم مجتهد فى الاصابة ولست ارضى شيأ مما ذهبوا اليه وانى اجد فى الحكم التى اخذها آبائى من آبائهم انه ينبغى للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يسلم نفسه بالتسليم لاحكام واهب العقل وقاسم الحظوظ ولا يضيع من ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على القدر فقال له المأمون انه كان يقال لا رأى لكذوب وقد سمحت أنفسنا لك بالثقة والطمأنينة من غير امتحان وما ذاك الا لاننا نختار اصابة الحزم ولكننا أحببنا ان نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا وهو على بن عيسى لا يمكننا مقاومته لانه أملك منا للبلاد والاموال والرجال فقال الشيخ ينبغى ان تمحو هذا من نفسك بالكلية وان تصغى لما أنطق به فانه يقال ما كثر من كثره البغى ولا قوى من قواه الظلم ولا ملك من ملكه الغضب وها أنا أحدثك حديثا ان حذوت مثاله نلت مناله فقال المأمون هات فقال ان الخنشوار ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجهر ملك الفرس وأراد اطلاقه أخذ عليه عهدا انه لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ثم جعل فى أقصى تخوم الهياطلة صخرة وحلف فيروز انه لا يتجاوزها بجيش ولا بغيره كانه جعلها حدا ثم أطلقه فرجع فيروز الى دار ملكه فلما استقر عزم على الغدر وان يغزو الخنشوار واطلع وزراءه وخاصته على ذلك فحذروه الغدر وخوفوه عاقبة البغى فما ردعه ذلك ولا زجره فذكروه ايمانه وعهوده التى حلف بها للخنشوار وانه لا يتعدى تلك الصخرة فقال لهم انا عاهدته ان لا أتجاوزها وأنا آمر بحملها على فيل بين يدى الجيوش فلا يتجاوزها أحد منهم فلما علموا ان الغدر والبغى تمكن منه أمسكوا عنه وأجمعوا ان لا يراجعوه فى ذلك قال فجمع فيروز مرازبته وهم أربعة تحت يد كل واحد منهم خمسون ألفا مقاتلين وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة فساروا بين يدى فيروز وهو فى جنود لا يظن لها غالب وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة فيروز وعن مرزبان من مرازبته فلما توجه له حافظ دينهم قال له لا تفعل أيها الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا فى هدم أركان الدين فلا تتعرض لهم بشئ فلم يلتفت فيروز الى مقالته ثم قال الشيخ فسار فيروز بجنوده حتى انتهى الى تلك الصخرة وحملها على فيل عظيم وسيرها بين يدى الجيوش فما بعد يسيرا حتى اتاه الخبر ان بعض أساورته قتل رجلا ظلما وجاء أخو المقتول مستغيثا من قاتل أخيه فامر له فيروز بمال عظيم ليصالح عن القتيل فقال لا أرضى الا بقتل قاتل أخى فامر فيروز بطرده فطردوه فجاء الى ذلك الاسوار فحمل عليه ليقتله فحرك الاسوار فرسه هاربا وانتهى خبره الى فيروز فعجب كيف فر منه فدعاه أفضل وزرائه ونزل عن دابته وأخبره انه محتاج الى الخلوة معه فضربت له قبة فى ذلك المكان وخلا بوزيره

وصالح مولاه وهو شقران ودفن فى حجرة عائشة التى مات فيها صلى الله عليه وسلم «وولى بعده ابو بكر رضى الله عنه واسمه عبد الله بن ابى قحافة واسم ابى قحافة عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب التيمى القرشى يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن سعد ابن تيم بن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم ابى بكر رضى الله عنه عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بعتيق لانه صلى الله عليه وسلم قال من اراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين واربعة اشهر وأيام وكان

فقال الوزير أيها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعمرت عمر الملوك الماضية ولقد ظهرت عناية الرب الاعلى لما ضرب لك من المثل في أمر هذا الاسوار العظيم الذي تحته الوف من الجند في هربه من بين يدي هذا المسكين مع ضعفه وقلة ناصره وما ذاك الا لبغيه وتعديه فقال الملك انه لم يفر لعجزه عنه بل لخوفه منا وعتو بنا فقال الوزير برهان قولي يظهر في مبارزة الاسوار للمسكين فادعه الى ذلك فدعا الاسوار وأمن المسكين وقال له أرأيت لو أمرتك بمبارزة الاسوار فقتلته اترضى به في دم أخيك وان قتلك ذهب دمك هدرا قال نعم دعوني واياه فانه على فرس الغرور ولابس دروع التكبر مقاتل بسيف البغي وأنا على فرس البصيرة لابس دروع الثقة مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ان كلام هذا المسكين بلغ في الموعظة والظفر ثم تقدم كل منهما الى صاحبه وليس مع المسكين سوى خنجر فسبق سيف الاسوار الى المسكين فترغيه أثرا يسيرا فقبض على الاسوار وجذبه اليه ورماه الى الارض ومال عليه فذبحه بالخنجر فقال الوزير أيها الملك هذا مثل ضربه لك رب العالم فبات فيروز مكانه يدبر امره في رجوعه اوذهابه ثم انه انقاد لهواه وكانه يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها (فائدة) تعريف الهوى هو ميل النفس الى الشهوة حلالا او حراما وقال بعض العلماء الهوى أنواع وهو شئ يحدثه النظر أو السمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصير محبة قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز له ثبت في أمره ووكله الى الرب الاعلى ثم ان فيروز انتهك حرمة الخنشوار ووطئ بلاده وأغار على أرضه وساعده على رعيته ولما وصل الى مقعد الخنشوار نزل اليه واستعان عليه بالرب الاعلى فانكسر فيروز وانهزم فاستولى الخنشوار على جميع أمواله ورجاله فغنم الاموال وقتل الرجال وجد في طلب فيروز حتى ظفر به وأسر أهل بيته وحماة مملكته فلما سمع المأمون كلام الشيخ سر بذلك وقال ان كل سروري بما دعوتك اليه من الايمان والتوحيد صادفت مقالتك قبولا فقال أما انا الآن فنعم اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكرمه المأمون وخلع عليه وارسل المأمون طاهر بن الحسين الى علي بن عيسى فقال لخروجه اخذ في كمه دراهم يفرقها على الضعفاء فسها وأسبل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقال شاعره

هذا تبدد شمله لا غيره ✽ وذهابه فيها ذهاب الهم

شئ يكون الهم نصف حروفه ✽ لا خير في امساكه في الكم

فتفاءل بذلك وخرج لقتال علي بن عيسى ومعه اربعة آلاف فقاتلوهم فانهزم علي بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء ابن طاهر برأس علي بن عيسى الى المأمون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوي قلب المأمون وكثر اتباعه وجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال اخيه الامين ولا زال المأمون يحسن تدبيره ويضعف امر الامين الى ان حوصر الامين في بغداد وتفرقت جنوده وهربوا الى المأمون قال محمد بن راشد أخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال طلبني الامين في ليلة مقمرة فقال ما ترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معي نبيذا فقلت نعم ثم سقاني وطلب جارية تغنيه اسمها ضعف فتطير منها وتشاءم فغنت بشعر النابغة الجعدي فقالت

كليب لعمري كان اكثر ناصرا ✽ وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال لها غني غير هذا البيت فغنت

ابكي فراقهم عيني فأرقني ✽ ان التفرق للاحباب بكاء

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم ✽ حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا البيت فقالت

أما ورب السكون والحرك ✽ ان المنايا كثيرة الشرك ✽ ما اختلف الليل والنهار ولا

دارت نجوم السماء في الفلك ✽ الا لنقل من دولة وهنت ✽ قد زال سلطانها الى ملك

أبيض اللون خفيف العارضين ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وعمر بن الخطاب الى سقيفة بني ساعدة من الانصار يتشاورون في امر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الانصار منا أمير ومنكم امير يا معشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات فقال عمر لابي بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الانصار قال ابن اسحق ولما كان اليوم الثاني من السقيفة صعد أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه المنبر فقام عمر فتكلم قبل ابي بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى الله به رسوله فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له وان الله

سلطان ذى العرش دائما ابدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فعثرت فى كاس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما اظن امرى الا قد اقترب
واذا بصوت سمعناه من الشارع يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقتل الامين وحز راسه وطيف به فى
بغداد ونودى عليه هذا راس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وتم على الامين ما تم وكان ذلك على امه زبيدة
اشر ما تم وزبيدة بنت جعفر بن المنصور وكان جدها المنصور يرقصها وهى طفلة ويقول لها أنت زبيدة
فاشتهرت بها وكانت من الخيرات ولها ما آثر الى الآن منها اجراء عين حنين الى مكة وهو واد قليل الامطار
بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات فنقبت زبيدة الجبال الى ان سلك الماء من ارض الحل الى
أرض الحرم وانفقت على عملها الف الف وسبعمائة الف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون
والعمال لديها واخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه وكانت فى قصر عال
مشرف على الدجلة فاخذت الدفاتر منهم ورمتها فى الدجلة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن فضل
عنده شئ فهو له ومن بقى له شئ أعطيناه والبستهم الخلع رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس فى أعلى علين

* حديث عجيب قال الجوهرى قولهم أشأم من طويس وهو مخنث بالمدينة كان يقول يا أهل المدينة
توقعوا خروج الدجال ما دمت حيا بين ظهرانيكم فاذا مت فقد أمنتم لانى ولدت فى الليلة التى مات فيها النبى
صلى الله عليه وسلم وفطمت فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه وبلغت الحلم فى اليوم الذى قتل
فيه عمر رضى الله عنه وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان رضى الله عنه وولد لى ولد فى اليوم الذى قتل
فيه على رضى الله عنه وكان اسمه طاوسا فلما تخنث جعلوه طويسا وسمى بعبد النعيم وقال فى نفسه

انى عبد النعيم * ثم طاوس الجحيم وأنا اشأم من يمشى على ظهر الحطيم أنا حاء ثم لام * ثم قاف حشو ميم
اى ثم حشو ميم وحشو الميم الياء فكانه قال انا حلقى أشأم الناس * وحكى الامام مالك عن عبد الله بن عمر
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الخير فى شئ ففى ثلاث المراة والدار والفرس وفى مسند ابى داود
الطيالسى عن عائشة انه قيل لها ان أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم فى ثلاث المراة
والدار والفرس فقالت عائشة رضى الله عنها لم يحفظ أبو هريرة لانه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم فى ثلاث الدار والمراة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال
جماعة من العلماء شؤم الدار ضيقها وشؤم جيرانها واذاهم وشؤم المراة عدم ولادتها وسلاطة لسانها
وتعرضها للريب قال الامام على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المراة الصالحة وفى الآخرة الحور وأجمع
وعذاب النار امراة السوء وشؤم الفرس ان لا يغزو عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه
وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشؤم عدم الموافقة * (فائدة) * الايام النحسة فى كل شهر سبعة وهى
اليوم الثالث من الشهر فيه قتل قابيل هابيل اليوم الخامس فيه أخرج الله آدم من الجنة وفيه أرسل الله
العذاب على قوم يونس وفيه طرح يوسف فى الجب اليوم الثالث عشر فيه سلب الله ملك أيوب وأرسل
الله عليه البلاء وفيه سلب ملك سليمان وفيه قتلت اليهود الانبياء اليوم السادس عشر فيه خسف الله
بقوم لوط وفيه مسخ ستمائة نصرانى وجعلوا خنازير ومسخت اليهود قردة وفيه شقت اليهود زكرياء
بالمنشار اليوم الحادى والعشرون فيه ولد فرعون وفيه أغرق وفيه أرسل على قوم فرعون الآيات وهى
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اليوم الرابع والعشرون فيه شق النمر وذبطن سبعين امراة
وطرح الخليل عليه السلام فى النار وفيه عقرت ناقة صالح اليوم الخامس والعشرون فيه أرسلت الريح
العقيم على قوم هود ضابط الايام النحسة من كل شهر ما قاله الشاعر

محبك يرعى هواك فهل * تعود ليال بضد الامل فما كان نقطا بدا نحسه * وما كان همل فسعد حصل

قد جمع امركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين اذهما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس ابا بكر مبايعة عامة بعد بيعة السقيفة الخاصة ثم تكلم ابو بكر على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان اسأت فقومونى الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى عندى حتى آخذ له بحقه والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى اطيعونى ما اطعت الله فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى عامين وثلاثة اشهر وثمانية ايام * وولى

أقام الامين فى الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وكان قتله فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة النبوية

(خلافة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد)

امه جارية سوداء اسمها مراجل من جوارى المطبخ ماتت فى نفاسها وحكايتها مشهورة مع زبيدة وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيفما تحب وتريد بويع له بالخلافة بعد قتل اخيه وكان من احسن رجال بنى العباس حزما وعلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وبرع فى فنون التاريخ والادب واعتنى بالعلوم الفلسفية وعلوم الاوائل * حكى انه افتتح مدينة من مدائن النصارى فبلغه ان بكنيستها كتب اليونان فطلبها من النصارى فتوقفوا فى اعطائها وراجعوا رهبانهم وعلماءملتهم فاشاروا عليهم بارسالها وقالوا لهم مادخلت كتب اليونان فى ملة الا وافسدتها فاما وصلت اليه عربها واشتغل بها فضل واضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من اكمل الخلفاء وكان يضرب به المثل * ذكر العلامة ابراهيم الاندلسى ثم الدمشقى فى كتابه الكوكب الوهاج ان ابراهيم بن المهدى وهو أخو هرون الرشيد لما آل الامر الى ابن اخيه المأمون لم يبايعه وذهب الى الرى وأقام بها وادعى الخلافة لنفسه وأقام مالكها سنة واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن اخيه المأمون يتوقع منه العود الى الطاعة والانتظام فى سلكه فلما أيس من عوده الى الطاعة ركب بخيله ورجله ودخل الرى فى طلب عمه فلم يسعه الا انه اختفى خوفا على دمه فجعل المأمون لمن دل عليه مائة ألف دينار وقال ابراهيم فخفت على نفسى وتحيرت فى أمرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وأنا لا أدرى أين أتوجه فجئت الى بغداد فدخلت شارعا غير نافذ فرأيت فى صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع أقيم فيه ساعة فقال نعم وفتح لى الباب فدخلت الى بيت نظيف ثم انه بعد ان ادخلنى أغلق الباب ومضى فتوهمت انه سمع الجعالة فى وانه خرج يدل على فبقيت كالحب على النار وأنا متفكر فى أمرى فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداءك أنا رجل حجام وأنا أعلم انك تتقرف منى فشأنك بما لم تقع عليه يدى قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت مثلها فلما قضيت أمرى من الطعام قال لى ليس من قدرى ان أحادثك فان رأيت أن تشرف عبدك فذلك علو لرأى قال ابراهيم فقلت وأنا أظن انه لم يعرفنى ومن أين لك انى أحسن المسامرة فقال ياسبحان الله مولانا أشهر من ذلك ألست سيدى ابراهيم المهدى الذى جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف دينار قال ابراهيم فلما قال لى ذلك عظم فى عينى وتثبتت مروأته عندى فوافقته على بغيته منى ومر بخاطرى فراق أهلى وولدى فقلت

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله * وأعزه فى السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

قال فلما سمع ذلك منى قال ياسيدى أتأذن لى أن أقول ما سنح بخاطرى فقلت له هات فقال

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فوالله لقد حسنت بالبيت قدسار وذهب عنى كل ما كان من الجزع ثم قال بعد أن سألته

تعيرنا أنا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا اناس لانرى الموت سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

بعده عمر بن الخطاب باستخلاف ابى بكر رضى الله عنه وهو أول من دعى امير المؤمنين واول من كتب التاريخ واول من اشار على ابى بكر بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر وبويع له بالخلافة بعد موت ابى بكر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد المنبر فجلس دون مجلس ابى بكر ثم حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وخطب خطبة بليغة وله فضائل كثيرة منها جريان النيل بكتابه الذى أرسله الى عمرو بن العاص لما افتتح مصر وكانت عادته انه لا يجرى حتى يأتوا بجارية بكر يأخذونها من أبويها

يقرب حب الموت آجالنا لنا ✳ وتكرهه آجالهم فتطول

قال ابراهيم مامعناه قد داخلني من الفكرة في نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه ثم أخرجت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت الله استودعك فاني ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان أمنت من خوفي قال ابراهيم فاعاد الخريطة علي وقال ياسيدي ان الصعاليك منا لاقدر لهم عندكم وآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنا والله لئن راجعتني في ذلك قتلت نفسي قال ابراهيم فاعدت الخريطة الى كمي وقد أثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لي ياسيدي ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فاقمت عنده أياما على تلك الحالة فضجرت من الاقامة وتزييت بزي النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصر بي جندي ممن كان يخدمني فعرفني وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فدفعته وفرسه فرميتهما في ذلك الزلق وصار عبرة وتبادرت اليه الناس فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة في دهليزه فقلت ياسيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف فقالت لا بأس عليك وأطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت ليهدأ روعك فبينما هي كذلك واذا بالباب قد دق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي أوقعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت ياهذا مادهاك فقال ظفرت بالغني وانفلت مني وأخبرها بالحال فاخرجت خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا وطلعت الي وقالت أظنك صاحب القضية فقلت نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة فاقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فاتيت بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فما شعرت الا بابراهيم الموصلي في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه وحملت بالزي الذي أنا فيه للمأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني عليه فلما دخلت عليه سلمت عليه بالخلافة فقال لاسلمك الله ولا حياك فقلت على رسلك ياأمير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم قلت

ذنبي اليك عظيم ✳ وأنت أعظم منه ✳ فخذ بحقك أولى
واصفح بحلمك عنه ✳ ان لم أكن في فعالي ✳ من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون رأسه فبادرته وقلت

أتيت ذنبا عظيما ✳ وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن ✳ وان جزيت فعدل

وفي المعنى أيضا قول الشريف علي العقيلي

ياطالما بعتاب كاد يقذفني ✳ لولم أكن لا بسا درعا من الامل
أخلع علي جديدا من ندك فقد ✳ رقعت بالعذر ماخرقت بالزلل

وفي المعنى أيضا قال أيضا بعض المحدثين

فان عاقبتني فبسوء فعلي ✳ وما ظلمت عقوبة مستقيد
وان تغفر فاحسان جديد ✳ دعوت به الى شكر جديد

قال فرق المأمون واستروحت رائحة الرحمة منه ثم أقبل على ابن عمه وأخيه أبي اسحق وعلى جميع من

ويحلونها بالحلي والثياب ويلقونها فيه ففي تلك السنة أخبر عمرو بن العاص بذلك فلم يرض بعادتهم وقال لا يكون هذا في الاسلام والاسلام يهدم ماقبله فمكث النيل لا يخرج شهر بؤنة وابيب ومسرى حتى هم اهل مصر بالرحيل منها فلما راى عمرو بن العاص ذلك كتب الى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فكتب اليه بطاقة صغيرة وامره ان يلقيها في النيل فاخذها عمرو وقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم واحد فلما

حضر من خاصته وقال ماترون فى أمره فكل أشار بقتله الا انهم اختلفوا فى القتلة كيف هى فقال المأمون لاحمد بن خالد ما تقول يا احمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وأنشد متمثلا

قومى هموقتلوا أميم اخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

وفى المعنى

ان الكريم اذا تمكن من أذى * جاءته أخلاق الكرام فاقلعا

وترى اللئيم اذا تمكن من أذى * يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

قال ابراهيم فكشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله أمير المؤمنين قال لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبى يا أمير المؤمنين اعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم للامام السابع

ملئت قلوب الناس منك مهابة * والكل تكلؤهم بقلب خاشع * ما ان عصيتك والغواة تمدنى

أسبابها الا بنية طامع * وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع

ورحمت أطفالا كافراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى * فلو بذلت دمى ابغى رضاك به

والمال حتى اسل النعل من قدمى * ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعرها كنت لم تلم

فان جحدتك ما اوليت من نعم * انى الى اللؤم اولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام درا هذا احسنه وخلع عليه وقال يا عم ان ابا اسحق والعباس قد اشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن اتيت بما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون حقدوا منك بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم اجرعك مرارة الشامتين ثم ان المأمون سجد طويلا ثم رفع راسه وقال يا عم اتدرى لماذا سجدت فقلت شكرا لله الذى ظفرك بعدو دولتك فقال ما اردت ذلك ولكن شكرا لله الذى الهمنى العفو عنك قال ابراهيم فشرحت له صورة امرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى نمت على فامر المأمون باحضار المولاة وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة فى المال فقال لها هل لك ولد او زوج فقالت لا فامر بضربها مائتى سوط وخلدها سجنها ثم قال احضروا الجندى وامرأته والحجام فاحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون يجب أن تكون حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان حجام ليعلمه الحجامة وأكرم زوجة الجندى وأدخلها القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام قد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة فى اكرامك وسلم اليه دار الجندى بما فيها وخلع عليه وامر له برزق الجندى وزيادة الف دينار * حدث محمد الرصافى قال كنت احد من وقعت عليه التهمة أيام الواثق بمصر فطلبنى السلطان طلبا شديدا حتى ضاقت على الارض برحبها فخرجت من البلاد متردد وجعلت لا ادرى اين اذهب ... حتى انتهيت الى بنى شيبان بن ثعلبة فجئت الى بيت مشرف بنهر وانية وفى جانبه فرس مربوط ورمح مركوز يلمع سنانه فنزلت عن فرسى وتقدمت فسلمت على اهل الخباء فردعلى السلام نسوة من وراء السجف ورمقنى من خلال الستور بعيون كعيون خشاف ... كيف طمأنينة المطلوب أو يأمن المرهوب وقلما ينجو من السلطان طالبه و شرف غائبه دون أن يأوى الى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت ياحضرى لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد

اصبحوا يوم الصليب اجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك العادة السيئة عن اهل مصر وفى خلافته فتحت مصر ودمشق والبصرة وبعلبك وحمص وهرب هرقل من انطاكية الى قسطنطينية وولى بعده عثمان بن عفان وكنيته ابو عمرو وبعد ثلاثة ايام من وفاة عمر بحكم الشورى فبقى والياً اثنى عشر عاما كاملة غير عشرة ايام وقتل سنة خمس وثلاثين فى ذى الحجة وله فضائل كثيرة منها تجهيز جيش العسرة بثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها وكان يطعم الناس طعام الامرة ويدخل بيته يأكل الزيت والخل وكان على مصر فى مدة خلافته عبد الله بن ابى سرح وذلك انه خلع عمرو بن العاص وولى عبد الله على مصر ودام على

مادام لهذا الحي سيد أولبد هذا بيت الاسود بن قنان اخي كليب وأعمامه شيبان صعلوك الحي في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له حفظ الجوار وموقد النار وطلب الثار فقلت الآن ذهبت عني وحشتي وسكنت روعتي فان لي به قالت ياجارية اخرجي فنادي مولاك فخرجت الجارية فما لبثت الا هنيهة حتى جاءت وهو معها في جمع من بني عمه فرأيت غلاما حين اخضر شاربه واختط عارضه فقال أي المنعمين علينا فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا رجل نبت به أوطانه وزعزعه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في ذمتك وقد ضمنا له ما يضمن لمثله منك فقال بل الله فاك ثم أخذ بيدي وجلس وجلست ثم قال يا بني أبي وذوي رحمي اشهدكم ان هذا الرجل في ذمتي وجواري فمن أراده فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني في أمره من الحال لا و يلزمكم مثله فيسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه فما رايت جوابا قط أحسن من جوابهم اذقالوا باجمعهم ما هي باول منة مننت بها علينا ولا يد بيضاء طوقتنا بها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا وأموالنا بين يديك ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزا منيعا حتى سمح لي السلطان بما أملت وعفا عني فانصرفت الى أهلي * وحكي عن المأمون انه خرج يوما لمتنزهه فبينما هو يسير اذ رأى صبية على كتفها قربة وقد أثقلتها وهي تنادي يا أبت أدرك فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها فتعجب المأمون من فصاحتها على صغر سنها وقال لها هل تعرفين من العربية شيأ قالت أولست من العرب قال فمن أيها قالت من اليمن قال فمن أيها قالت من قضاعة قال فمن أيها قالت من كلب قال فانك من كلاب قالت لا ولكن فريقا يدعى كلبا قالت أما أنا فقد سألتني عن حسبي ونسبي فافصحت لك ولكن ممن تكون أنت قال ممن تبغضه اليمن كلها قالت فاذا أنت من مضر فمن أيها قال ممن تبغضه مضر كلها قالت فاذا أنت من قريش فمن أيها قال ممن تبغضه قريش كلها قالت فاذا أنت من بني هاشم فمن أيها قال ممن تحسده بنو هاشم كلها قالت فاذا أنت المأمون ورب الكعبة ثم وثبت قائمة وأنشدت تقول

مأمون يا ذا المنن الشريفه * وصاحب المرتبة المنيفه * وقائد العساكر الكثيفه
هل لك في أرجوزة لطيفه * أظرف من فقه أبي حنيفه * لا والذي أنت له خليفه
ما ظلمت في حينا ضعيفه * عاملنا بمؤن خفيفه
اللص والتاجر في قطيفه * والذئب والنعجة في سقيفه

قال فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها فقال أيما أحب اليك مائة الف درهم مؤجلة أم عشرة آلاف معجلة فقالت المائة الف المؤجلة لانك الملي لها الوفي بها فاعطاها المائة الف فاخذتها وانصرفت * ومما يحكى ان المأمون رأى رؤيا في منامه فنسيها فاصبح مستوحشا فاحضر الكرماني المعبر وقال رأيت رؤيا فانسيتها فقال نعم يا أمير المؤمنين رأيت كانك طلعت الى جبل عال ونزلت الى صحراء واسعة وسرت الى بئر مالحة ثم سرت الى جبل فيه كهفان ثم سرت الى بئر عذبة ونزلت الى أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله قال له المأمون صدقت من أين عرفتها قال لما وقعت عيني عليك وضعت يدك على راسك ثم امررتها على وجهك ولحيتك فقلت أشهد أن لا اله الا الله فقلت الرأس رأس جبل عال والجبينان صحراء واسعه والعينان بئر مالحة والانف جبل بين كهفين والفم بئر عذبة واللحية أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله * وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا لاول عابر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقصها الا على حبيب أو لبيب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره * وروي ان الرؤيا قد تمتد الى الاثنتين وعشرين

ولايته الى ان مات في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر اثنتي عشرة سنة ثم ولي بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على علي رضي الله عنه وقالوا لابد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لي في امركم فمن اخترتموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولابد فان بيعتي لا تكون خفية فخرج الى المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقر بها وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وقتل غيلة في الكوفة سنة أربعين من الهجرة في شهر رمضان وله من العمر ثلاث وستون سنة وكان

سنة ويعضد ذلك ان سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام رأى الرؤيا وهو ابن سبع عشرة سنة واشتراه العزيز في تلك السنة ولبث في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ومكث في السجن سبع سنين واجتمع بابيه وخالته بعد سنتين من تصرفه في خزائن مصر فتكون الجملة اثنتين وعشرين سنة قال الله تعالى حكاية عن يوسف يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا * ومما حكاه المقريزي في خططه قال قال أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر ان غلام أبي سعيد الخشاب اخبره انه رأى رؤيا عجيبة فبينما هو جالس في حانوت استاذه واذا بابن العسال المعبر ومعه رجل من أهل الريف يطلب عمود خشب لطاحون فاشترى من ابن عقيل عمودا بخمسة دنانير فجاء جماعة من أهل السوق يقصون عليه منامات رأوها وهو يعبرها لهم فذكرت له رؤيا رأيتها فقال لي في أي وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياي وقت كذا فقال هذه رؤيا لا اعبرها الا بعشرين دينارا فالححت عليه فقال استاذي لابن العسال هذا غلام ضعيف فقير لا يملك شيأ فقال لي لست آخذ الا عشرين دينارا فلم يزل حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العمود فقال لابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العمود فقال ان هذا الغلام يأخذ في مثل هذا اليوم ألف دينار فقال لابن عقيل وان لم يصح هذا قال يكون العمود عندك الى مثل هذا اليوم قال ابن عقيل قد انصفت فلما كان مثل ذلك اليوم فتحت دكان استاذي واستلقيت على ظهري أفكر فيما قال ابن العسال ومن أين تصير لي الالف دينار فقلت لعل سقف الدكان ينفرج ويسقط منه هذا المال وجعلت أجول بفكري الى الضحى فبينما أنا كذلك اذ وقف على جماعة من اعوان الاستاذ ابي علي بن ابي زنبور وطلبوني الى ديوانه فقلت وما يصنع بي قالوا الى اذا جئته سمعت كلامه ومايريد منك فقلت ما اقدر امشي فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معي ما اكتري به الحمار فنزعت تكة سراويلي ورهنتها على درهمين لمن اكترى لي الحمار ومضيت معهم فجاؤا بي الى ديوان ابي علي بن ابي زنبور فلما دخلت قال انت ابن عقيل فقلت لا ياسيدي انا غلام في حانوته فقال تحسن قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء وقوم لنا الخشب بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بي الى البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح للمراكب وقالوا الى انتر الى هذا الموضع فقومته بالفي دينار فعجلوني ولم اضبط قيمة الخشب ثم ردوني الى ابي علي فقال لي قومت الخشب كما امرتك فقلت نعم قال بكم قومته فقلت بالفي دينار فقال انظر لئلا تغلط فقلت هو قيمته فقال لي خذه بالفي دينار فقلت أنا فقير لا املك دينارا فقال لي ألست تحسن تدبيره فقلت بلى قال فخذه ونحن نصبر عليك الى ان تبيع شيأ فشيأ فكتبته علي ورجعت الى الخشب لاعرف عدته وأوصي به الحراس فوافيت جماعة من أهل الوقف وشيوخهم قد اتوا الى الخشب فقالوا اقومت الخشب بالفي دينار وهو يساوي اضعاف ذلك فقلت اسكتوا لئلا يسمعكم احد فقال بعضهم لبعض اعطوا هذا ربحه وتسلموا انتم منه فقال منهم اعطوا ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله ما آخذ اقل من الف دينار فاخذتها بنقد الصيرفي ووزنه وشددتها في طرف ردني ومضيت معهم الى ديوان ابي علي وحولت أسماءهم مكان اسمي ورجعت الى استاذي فقال ابضت الالف دينار قلت نعم وتركت الدراهم بين يديه وقلت له خذ ثمن العمود فقال والله ما آخذ منك شيأ وجاء ابن العسال فاخذ العمود وانصرف * حكى شهريار بن رستم الديلمي قال كنت صديقا لابي شجاع بويه بن الديلم وكان فقيرا وله ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة ابو الحسن علي وركن الدولة ابو علي الحسن ومعز الدولة الحسن احمد وكان بويه يصطاد السمك ويحتطب بنوه فماتت زوجته وخلفت اولاده الثلاثة الذين ذكرناهم فحزن عليها حزنا شديدا فدخلت عليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له انت رجل تحمل الحزن وهؤلاء المساكين اولادك يهلكهم الحزن وسيته عهدي واخذته هو واولاده الى منزلي ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما نحن كذلك

الوالي على مصر في مدة خلافته قيس بن سعد ابن عبادة الخزرجي الانصاري تولى عليها سنة ست وثلاثين من الهجرة واقام على ولايته حتى ارسل له معاوية يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده ان يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فاشيع عنه انه بايع معاوية فعزله علي وولى على مصر محمد بن أبي بكر رضي الله عنه فلم يزل بمصر قائما على الامر حتى كانت وقعة صفين بين علي ومعاوية فاستخف أهل مصر بمحمد بن أبي بكر رضي الله عنه فولى علي رضي الله عنه عليهم الاشتر النخعي ثم مات فارجع محمد بن أبي بكر الى ولاية مصر الى ان أرسل له معاوية عمرو بن العاص في جيوش كثيرة فقتل بعض الجيوش محمد بن أبي بكر واستولى

اذا اجتاز بنا رجل يزعم انه منجم ومعبر للمنامات فاحضره ابو شجاع وقال له رأيت في منامي كأني ابول فخرج من ذكري نار عظيمة فاستطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت تلك النار فصارت شعبا وتولد من تلك الشعب عدة شعب فاضاءت الدنيا بتلك النيران ورايت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم لا أفسره الا بخلعة وفرس فقال ابو شجاع والله ما أملك الا الثياب التي على جسدي فان اخذتها بقيت عريانا فقال المنجم فعشرة دنانير فقال والله ما أملك دينارا واحدا فكيف عشرة فاعطاه ما تيسر فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ويعلو ذكرهم كما علت تلك النار ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال ابو شجاع للرجل أما تستحي تسخر بنا أنا رجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكا فقال اخبرني بوقت ميلادهم فجعل يحسب ثم قبض على يد ابي الحسن فقبلها وقال هذا والله الذي يملك البلاد وهذا من بعده وقبض على يد اخيه الحسن فاغتاظ منه ابو شجاع وقال اصفعوا هذا فقد أفرط في السخرية بكم فقال اذكروا هذا اذا قصدتكم وانتم ملوك فضحكوا منه واعطاه ابو شجاع عشرة دراهم وخرج وتركهم فقدموا عند ملك يقال له ماكان بن كان في بلاد طبرستان وما زالت الاحوال تنتقل بهم الى ان جعل لهم من الاموال شئ كثير الى ان اشتهر أمرهم وحسنت سيرتهم واجتمع عليهم من الجند خلق كثير وقد آل بهم الحال حتى ملكوا غالب البلاد وتملكوا بغداد من الخلفاء العباسية وانتشرت شهرتهم بدولة بني بويه وصار المؤرخون يكتبون ذلك في تواريخ كما يذكرون دولة بلاد فارس من بعدهم من أرباب الدول وهذا امر عجيب واتفاق غريب والله القادر على كل شئ وذكر لي من أثق به انه سمع ان بعض ملوك الاسلام رأى في منامه ان احدى رجليه وصلت الى السماء فقص ذلك على معبر حاذق فقال له تحت بطانة احدى خفي رجليك رقعة مرقوم فيها ابو بكر وعمر ففتقه فوجد الرقعة فقبض على صانعه فاقر بالرفض ووجد كل خف عمل على هذا النمط فقتل الرافضي ثم قتله وأحسن الى المعبر بحسنة جزيلة وافرة ❊ ومما حكي ان شخصا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد من يده وصار لا يملك شيأ ولا ينال قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى في منامه قائلا يقول له رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسار الى مصر فلما توجه اليها ادركه المساء فنام في مسجد وكان بجوار ذلك المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا ذلك المسجد وتوصلوا منه الى البيت المذكور فاخذ اهله في الصياح فاغاثهم الوالي باتباعه فهربت اللصوص ودخل الوالي المسجد فوجد الرجل البغدادي فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما حتى اشرف على الهلاك وسجنه فمكث ثلاثة ايام في السجن ثم أحضره الوالي وقال له من اي البلاد أنت قال من بغداد قال له وما جاء بك الى مصر قال اني رايت في منامي قائلا يقول لي ان رزقك بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق تلك المقارع التي نلتها فضحك الوالي حتى بدت نواجذه وقال له يا قليل العقل ثلاث مرات آت يأتيني في منامي يقول لي بيت في بغداد بخط كذا ووصفه كذا بحوشه تينة تحتها فسقية بها مال له بال فتوجه اليه فخذه فلم اتوجه وأنت من قلة عقلك تحضر من بلدة الى بلدة برؤيا هي اضغاث أحلام واعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد مع ان البيت الذي وصفه الوالي ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل منزله حفر تحت الشجرة فرأى مالا كثيرا فاخذه ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب ❊ سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقا وقال السائل هو في الليلة الواحدة بل في الساعة الواحدة يراه جماعة في أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو

كالشمس في كبد السماء وضوءها ❊ يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وهو مأخوذ من قول ابن الرومي

كالشمس في كبد السماء محلها ❊ وشعاعها في سائر الآفاق

على مصر عمرو بن العاص الى ان مات بها كافرا وولى معاوية عليها ولده عبد الله فعمل له عليها سنتين ثم عزله وولى اخاه عيينة ابن ابي سفيان ثم عزله وولى عتبة بن عامر الجهني ثم عزله وولى معاوية بن خديج ثم عزله وولى مسلمة بن مخلد واستمر على ولاية مصر الى ان مات في خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد فلما ولى ابن الزبير ولى على مصر عبد الرحمن بن مخزوم القرشي ثم ولى الخلافة ابو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبايعه على الموت أكثر من أربعين الفا من أهل الكوفة وغيرهم وأطاعه الناس وأحبوه أكثر من حبهم لابيه فبقي ستة اشهر وخلع نفسه كراهية في سفك الدماء ثم دس عليه يزيد بن معاوية السم مع بعض ازواجه

ومما من الله سبحانه وتعالى على مؤلف هذه العجالة انه رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وسألهما الدعاء فدعياله بالاصلاح والتوفيق وسيدنا ابراهيم الخليل وولده سيدنا اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا على بن ابى طالب رضي الله عنهما وراى حرم النبي صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف ولما حججت في ثمان عشرة والف فالذى رايته مناما هو الحرم والقبر الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف رأيته يقظة ونسئل الله البر السلام الذى من علينا برؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المنام ان يمن علينا برؤيته في اليقظة فانه قال عليه الصلاة والسلام من رآنى في المنام فسيرانى في اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بى (لطيفة) حكى ان رجلا رأى في منامه كانه مار في بعض الازقة فرأى حفرة فنزل بها فراى فيها كنزا فنزع قميصه وملأه ذهبا فاراد حمله فاثقله فاحدث فانتبه من نومه ظانا بان المال بين يديه فوجد ثيابه وفرشه متضمخين بالنجاسة من بول وغائط وقيل من نكد الوجود ان الانسان يرى في منامه انه وجد مالا أو اصاب جوهرا اوظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما أحدث فاذا انتبه وجد الحدث يقينا

قال الشاعر

اری فی منامی کل شیئ یسرنی * ورؤیای بعد النوم ادهی وأقبح
فان کان خیرا کان اضغاث حالم * وان کان شرا جاء من قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله اشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي
فان كان شرا كان لابد واقعا * وان كان خيرا كان اضغاث احلام

وقال الاحنف العسكرى

وأحلم في المنام بكل خير * فاصبح لا اراه ولا يرانى
وان أبصرت شرا فى منامى * رأيت الشر من قبل الاذان

رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار المأمون * حكى انه كان كثير الخير والجهاد وقيل انه ختم في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء في ايامه ممتحنين يجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله وقيل ان سبب موته انه اشتهى اكل سمكة يقال لها الرعاد ذات المسها أحد أخذته النفاضة فاكلها فمات لوقته ومكث في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقين من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ودفن بطوس وكان سنه ثمانيا وأربعين سنة

(خلافة ابى اسحق المعتصم بن هرون الرشيد)

وهو يدعى بالمؤتمن ولد سنة ثمان وثمانين في ثامن شهورها الثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو ثامن اولاد الرشيد وثامن الخلفاء من بنى العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمان ملوك وقتل ثمانية اعداء وكان عمره ثمانيا واربعين سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية شهر وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف الف دينار وثمانين الف فرس وثمانين الف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمانية قصور ونقش على خاتمه الحمد لله ثمانية احرف وكان غلمانه الاتراك ثمانية عشر الفا ومما اتفق له انه كان جالسا في مجلس أنسه والكاس بيده فبلغه ان امراة شريفة في الاسر عند علج من علوج الروم في عمورية وانه لطمها يوما على وجهها فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما يجيء اليك الا على فرس ابلق يهز ابها فختم الكاس وناوله لساقيه وقال والله لاشربته الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج فلما اصبح الصباح نادى بالرحيل الى غزوة عمورية وامر عسكره ان لا يخرج احد منهم الا على ابلق فخرج في سبعين الف فرس ابلق فلما فتح عمورية دخلها وهو يقول للشريفة لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيدها وقال للساقى ائتنى بالكاس فاتاه به ففك ختمه وشربه * ذكر الراغب في تذكرته في باب المكتسبين بالضراط ان رجلا جاء الى باب المعتصم وقال قولوا على

فمكث مريضا اربعين يوما ومات بالمدينة خامس ربيع الاول سنة خمس واربعين من الهجرة ودفن بالبقيع ولما حضرته الوفاة قال لاخيه الحسين رضي الله عنهما يا أخى ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله تعالى عنه مرارا ولما تولى هذا الامر نوزع حتى جرد السيف فلم يتم له وما صفت له وأنا والله لا أرى ان يجمع الله تعالى لنا أهل البيت بين النبوة والخلافة فاياك ان يستخفك أهل الكوفة * ثم ولى الخلافة بعده أبو عبد الرحمن معاوية بن أبى سفيان وكانت مدة خلافته بعد ان خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان أميرا على الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان وفى خلافة على لما عزله صار

الباب بضراط فقيل له اذهب فعندنا حاتم الدبس وهو أحذق الضراطين فقال عندنا ما الدبس عنده فاستؤذن له فلما دخل قال له المعتصم ما عندك فقال أضرط ضرطة يفتق السراويل فقال ان فعلت ذلك فلك مائة دينار وان عجزت فمائة سوط ففعل وأخذ الدنانير * وحكى عن رجل انه كان يفتح الباب بضرطته وكان سعيد بن حميد يضرط على ايقاع العيدان ومما يحكى عن شخص من الموالى انه حضر فى مجلس وكان به عواد فقام رجل بوسط المجلس ووضع يديه على الارض ورفع رجليه فى الهواء فصار منكسا رأسه الى الارض ورجلاه الى فوق وصار يحرك رجليه على ايقاع العود وكلما حرك رجليه ضرط ضرطة واستمر على ذلك الى ان فرغ العواد وفى المثل اشهر من ضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومى يعتذر له

قد اكثر الناس فى وهب وضرطته * حتى لقد مل ما قالوا وقد بردا * لم تلق ضرطة هاجيه كضرطته
فى الذاكرين ولم يحسد كما حسدا * ياوهب لا تكترث بالعائبين لها * فانما أنت غيث رعده رعدا

وقيل ان بعضهم وقعت فى رجله شوكة فارادت زوجته قلعها فلما حركتها بالابرة ضرط فقال رأيتيها قالت لا ولكن سمعت صوتها وحكى ان جحا تغطت أمه ليلة بكسائه فضرطت ثم ارادت ان تختبره هل سمع حسها ام لا فقالت له ما ثمن هذا الكساء قال مائة وما دام ضراطك فيه لا يساوى درهما * وروى ان البديع الهمدانى دخل على الصاحب بن عباد فتزحزح له واجلسه على السرير معه فضرط فاراد البديع ان ينفى عن نفسه التهمة فقال يا مولاى ان هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صرير التحت فخرج من عنده خجلا وانقطع عنه فكتب اليه الصاحب

قل للبديعى لا يذهب على خجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تستطيع تحبسها * اذ ليس انت سليمان بن داود

وفى الالغاز فى الضرطة

ومولودة لم تعرف الطمث امها * وليس لها روح ولا تتحرك
يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وقال الآخر

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكاد منها يحمينى العرق
فاترقت فى دون فاعلها * وما ظننت الضراط يا ترق

قيل وقف بين يدى الحجاج رجل من البادية فلما اخذ فى الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما ان تتكلمى فاسكت واما ان تسكتى فاكلم الامير بما اشتهى * حدث واصل ابو بكر عن مجاهد قال وجد النبى صلى الله عليه وسلم ريحا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد ريحا فليتوضأ فاستحيا الرجل ان يقوم فقال ليقم صاحب الريح فليتوضأ فاستحيا الرجل ان يقوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب هذا الريح فليتوضأ ان الله لا يستحى من الحق فقال العباس يا رسول الله افلا نقوم كلنا قال قوموا كلكم فتوضؤا * وقيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم قال ذهب الاطيبان الناب والنصاب وبقى الارطبان السعال والضراط * قيل ان بعض الفقراء اصابه قولنج شديد فى بعض المساجد فلا فجعل يتأوه ويتقلق ويقول يا الله ضرطة ورفع صوته بحضرة رفقائه فلما أصبح وقد أشرف على الهلاك وعاين الموت قال اللهم انى اسألك الجنة فقال له بعض رفقائه ما رأيت احمق منك انت من الغروب الى الآن تسأل الله فى ضرطة فما فرحت بها فتسأله الجنة التى عرضها السموات والارض * رجعنا الى ما نحن بصدده قال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره ذكر ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد ومما اتفق ان ملك الروم وهو اذ ذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا الى المعتصم يهدده فاشتاط غيظا وأمر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه شئ مما كتب ومزق الكتاب الذى ورد اليه من ملك الروم وامر أن يكتب فى قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرأه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا له ان الطالع نحس

متغلبا فمكث أميرا وخليفة أربعين سنة وتوفى سنة ستين فى رجب * وولى بعده يزيد ولده فاقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفى مدة خلافته أرسل الى الحسين بن على رضى الله عنه وقتله لكونه امتنع من البيعة له وارسل له أهل الكوفة يبايعونه فيخلصوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقضى الله أمرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعده سنتين ومات ولا يجوز لعنه على الراجح * وولى بعده ولده معاوية ابن يزيد وكان صالحا فاقام أربعين يوما ورأى شدة هذا الامر فخلع نفسه ولزم بيته ومات بعد أربعين يوما من خلعه وولى بعده عبد الله بن الزبير بمكة ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن

فقال عليهم لا علينا وسافر من يومه وتلاحقت به العسكر ووقع حرب عظيم قتل فيه من النصارى ستون الفا وقتل بعد ذلك ملك النصارى وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوحات الاسلام وقد مدحه الشعراء بقصائد طنانة و أحسن ما قيل قصيدة أبى تمام الطائى التى مطلعها

السيف اصدق أنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
اين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه * لم يخف ما حل بالاوثان والصلب
فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

ومنها
تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتهب

ومنها
لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد * الا تقدمه جيش من الرعب

ومنها
حتى تركت عمود الشرك منقعرا * ولم تعرج على الاوتاد والطنب
ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب

ومنها
فبين أيامك اللاتى نصرت بها * وبين أيام بدر اقرب النسب

ومما يناسب ذلك ان بعض الملوك عزم على السفر لغزو عدوله فمنعه المنجمون وقالوا ان القمر فى العقرب والحركة مذمومة فدخل على الملك وهو جالس مع ندمائه بعض المماليك الحسان الوجوه وهو متوشح بقوس فوقف بين يدى الملك فنظر اليه بعض الندماء وقال للملك يا مولانا لقمر قد حل فى القوس حقيقة فسافر الملك لوقته فلم ير احسن من تلك السفرة وظفره الله بعدوه وعاد وهو محظوظ * ومما يناسب ذلك ايضا ان سلطانا كان له عدو بلغه عنه امور تقتضى محاربته فهيأ نفسه وجمع عساكره باسلحتهم وراياتهم ورتبهم فى داره وخرجوا قاصدين القتال وكان بدهليز دار السلطان ثريا قناديل معلقة فاصابها راية من الرايات فانكسرت فتطير السلطان من ذلك وقصد ابطال السفر فقال له شخص من أخصاء دولته يا مولانا راياتكم بلغت الثريا فاستحسن ذلك واندفع عنه الوهم وسافر فظفره الله بعدوه وعاد فرحا مسرورا * رجعنا الى ما نحن بصدده وكان المعتصم من أعظم الخلفاء الذين الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من اعظم خلاله الرديئة مع انه كان اميا لاحظ له من الكمالات العلمية بل حمله على ذلك مجرد الجهل ولما احتضر قال اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى وأرجوك من قبلك لا من قبلى فيا من لا يزول ملكه ارحم ملكا قد زال ملكه وانشد

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما صفت ودع الرنقا * ولا تأمنن الدهر انى امنته
فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا * فتكت صناديد الرجال ولم ادع * عدوا ولم امهل على جسد خنقا
وأخليت دار الملك عن كل نازل * وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا * فلما بلغت النجم عزا ورفعة
ودانت رقاب الخلق اجمع لى رقا * رمانى الردى سهما فاخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ملقى
وأفسدت دنياى ودينى سفاهة * فمن ذا الذى منى بمصرعه أشقى
فيا ليت شعرى بعد موتى ما أرى * الى رحمة الرحمن أم ناره ألقى

وتوفى ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقين من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين

(خلافة أبى جعفر هرون الواثق بن المعتصم)

الحكم فانه ظهر بالشام ثم توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فبايعوه ثم رجع الى الشام وجددت له البيعة وذلك فى سنة خمس وستين ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل فى البحر الى الفسطاط ودفن بقربها سنة ست وثمانين فامر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولى بعده ابنه عبد الله فاقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولى سرى بن شريك وكان ظلوما سوفا وأقام واليا بمصر الى أن مات سنة ست وتسعين فولى بعده عبد الملك بن رفاعة فاقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولى بعده أيوب الاصبحى فاقام الى سنة احدى ومائة ثم ولى بشر بن صفوان الكلبى فاقام الى سنة ثلاث ومائة ثم تولى أخوه حنظلة فاقام الى سنة خمس ومائة ثم تولى محمد بن عبد الملك

بويع له بالخلافة يوم مات والده وسنه ست وثلاثون سنة وكان عالما شاعرا حاذقا فن شعره فى واقعة حال

حبانى بالنرجس والورد * معتدل القامة والقد * فالهبت عيناى نارالجوى
وزاد فى اللوعة والصد * مكنت فى الملك واتلاله * فصار ملكى سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده * فانصفوا المولى من العبد

وأقام خليفة خمس سنين وتسعة اشهر ومات يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ولما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون فاستل عينيه فاكلهما فسبحان العزيز المتعال الذى لايزول ملكه ولا يعتريه زوال

(خلافة جعفر المتوكل بن الواثق)

بويع له يوم مات والده وسنه احدى وأربعون سنة وكان كريما سنيا أظهر السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وشنع على المعتزلة والهزلية وأمر نائبه بمصر أن يحلق لحية قاضى مصر محمد بن أبى الليث ويطوف به الاسواق لانه كان معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن ففعل به ذلك وكتب الى سائر الآفاق برفع المحنة واظهار السنة ولم يزالوا أعنى المعتزلة فى قوة ونماء الى أيام المتوكل فخمدوا ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام فى قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهزلية والنظامية والبشرية والعمرية والمردادية والثمامية والهشامية والجاحظية والجبائية ومن مشاهيرهم الاعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وكان ألثغ بحرف الراء يجعلها غينا فالتزم باسقاط حرف الراء من كلامه حتى ضرب به المثل فقال بعض الشعراء

أجعلت وصلى الراء لم تنطق به * وقطعتنى حتى كانك واصل
لاتجعلنى منك همزة واصل * يلحقنى حذف وما أنا واصل

وقال ايضا

كأنى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى البناء كواو عمرو * وملغى الخط فيه كراء واصل

قيل ان بعضهم كتب رقعة وقع فيها أمر أمير الامراء ان تحفر بئر فى قارعة الطريق يشرب منها الشارد والوارد ودفعها لواصل وهو بحضرة أمير المؤمنين ليعجزه عن قراءتها فلما فتحها ورأى مافيها أجاب فورا وقال حكم خليفة الله أن ينبش قليب فى الفلاة يستقى منه الغادى والبادى ولم يتلعثم وواصل بن عطاء هذا توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وأنشد بعض الشعراء يقول فى الالثغ

يبدل الراء حين ينطق غينا * فيسمى لون الشقائق أحمغ
قلت يوما له تصدق وزرنى * كى نرى الراح فى زرى معصفغ
قال تشغب من الحغام وغبق * مسكغ غائق عميق مكغغ
بالله واعظا عقيق الحواشى * وعظ الصب فى الكياسة ابلغ

ومن مشاهير المعتزلة أيضا احمد بن حائط وبشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمى وابوموسى بن عيسى المرداد المعروف براهب المعتزلة وثمامة بن الشرس وهشام بن عمر القرطى وابو الحسن بن عمرو الخياط وابو على الجبائى فهؤلاء رؤس مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق ومن فضلاء المعتزلة ابو الحسن البصرى والكعبى والقاضى عبد الجبار الرمانى النحوى وابو على الفارسى وأقضى القضاة الماوردى وهذا غريب *(فائدة)* لابأس بذكرها الماوردى هو أبو الحسن وقيل ابو القاسم

أخو هشام بن عبد الملك الخليفة ثم تولى حفص ابن الوليد فاقام الى سنة ثمان عشرة ومائة وولى بعده عبد الرحمن بن خالد فاقام سبعة أشهر وصرف وأعيد حنظلة بن صفوان فى سنة عشرين ثم صرف وولى بعده حسان ابن العتاهية التجيبى سنة تسع وعشرين ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولى حوثرة بن سهل الباهلى ثم ولى المغيرة بن عبد الله الفزارى سنة احدى وثلاثين ثم ولى الامير عبد الله بن مران سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر من تولى على مصر من بنى أمية وما ذكر من كون ولاية ابن الزبير بعد ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكره بعد ولاية عبد الملك بن مروان وذلك انه لما كانت نوبة

على بن محمد بن حبيب الماوردى مات ببغداد يوم الثلاثاء سلخ ربيع الاول سنة خمسين وأربعمائة ودفن فى يوم الثلاثاء وهو ابن ست وثمانين سنة قال بعضهم لما ألف كتبه لم يظهرها فى حياته فلما مرض مرض موته قال لبعض أصحابه ان تا ليفى فى ركن البيت يعنى بيته وأخاف أن لا تقبل منى ولكننى اذا كنت فى النزع فاجعل يدك فى يدى فان بسطت فعلامة القبول وان قبضت فعلامة عدمه فاحرقها قال فلما كان فى النزع فعلت فبسطت يده فعلم بذلك قبولها فنشرها فى الناس قال ابن خلكان الدمشقى أقول والظاهر ان المتقوه عليه بذلك اما بغضا أو حسدا والله أعلم بحقيقة الحال ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى صاحب الكشاف وذكر ابن خلكان عن بعض الفضلاء ان الزمخشرى اوصى أن يكتب على قبره هذه الابيات

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

وتوفى الزمخشرى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة والسيرافى من فضلاء المعتزلة وفى أيام المتوكل ماجت النجوم فى السماء وجعلت تطاير شرقا وغربا كالجراد المنتشر من غروب الشمس الى طلوع الفجر ولم يقع مثل ذلك الا فى ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وللمتوكل محاسن منها انه وضع على قبر الامام احمد بن حنبل رخامة بيضاء كاللوح ونقش عليها هذا قبر شيخ أهل السنة وزين هذه الامة العالى الهمة الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم أبى عبد الله احمد بن محمد الشيبانى قيل للامام احمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا * وقيل لبعض الكتبة ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا رقاقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا أريد رزقا * (فائدة) * نقل القرطبى عن الامام أبى بكر الطوسى رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرؤن شيأ من القرآن ثم ينشدهم منشد شيأ من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدفوف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا فقال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه اصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس مع اصحابه كانما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعى وابى حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين ذكر الصلاح الصفدى فى كتابه تمام المتون لشرح رسالة ابن زيدون انه اتفق انه نقم ابن جهور على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه برسالة من جملتها قوله هب انى عكفت على العجل يشير بذلك الى قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لما واعد الله تعالى موسى عليه السلام لميقاته وهو اربعون يوما كان قوم موسى آمنوا ودخلوا مصر وليس لهم كتاب ولا شريعة فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ربى آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة ثلاثين ذى القعدة وعشرا من ذى الحجة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا تمر على شئ الا حيى فلما رآه السامرى وكان من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا شأنا فاخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل والقى فى روع السامرى انه اذا ألقى فى شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون فى عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقيت تلك الحلى فى أيديهم قال السامرى لبنى اسرائيل ان الحلى

معاوية الصغير اجتمع على بيعة عبد الله بن الزبير أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانى حجج وكان عبد الملك بن مروان واليا على أهل الشام فارسل الى ابن الزبير نائبه الحجاج بن يوسف الثقفى فذهب اليه بمكة وحاربه حتى قتله فى الحرم وكانت مدة خلافة ابن الزبير تسع سنين وشهرين ولما قتل خلص الامر لعبد الملك بن مروان الى أن مات سنة ست وثمانين بدمشق وولى بعده ابنه أبو العباس الوليد عبد الملك سنة سبع وثمانين واستمر الى سنة ست وتسعين ومات بدمشق وولى بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك وتوفى سنة تسع وتسعين بعد أن عهد بالخلافة الى ابن عمه ابى حفص عمر بن عبد العزيز ابن مروان فاستمر سنتين وخمسة أشهر ثم مات يوم

الذى استعرتموها الافعل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى عجلا فى ثلاثة ايام ثم ألقى القبضة التى أخذها من أثر حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة وكان يمشى ويخور فقال السامرى هذا الهكم واله موسى الذى نسيه ههنا وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الموعد وعدوها باليوم مع الليلة حتى مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى فوقعوا فى الفتنة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذى عكف منهم على العجل ثمانية آلاف يعبدونه الا هرون مع اثنى عشر ألف رجل فاوحى الله الى موسى انا قد فتنا قومك فرجع اليهم غضبان أسفا فقال ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ومن مناقب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه انه بلغه أن رجلا من وراء النهر يحفظ ثلاثة أحاديث فرحل الامام أحمد اليه فوجده شيخا يطعم كلبا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب فوجد الامام أحمد فى نفسه شيأ اذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ من اطعام الكلب التفت الى الامام وقال كانك وجدت فى نفسك اذ اقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة ثم قال الشيخ ان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه فقال الامام أحمد هذا الحديث يكفينى ثم رجع * ومن محاسن المتوكل انه أرسل الى عامله بمصر الامير يزيد بن عبد الله أن يبطل ما كان بمصر من المقاييس المتقدمة ويبنى مقياسا لزيادة النيل فبناه فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين برأس جزيرة الفسطاط وسماه المقياس الجديد وهو الموجود الآن وكان بمصر مقاييس منها ما بنى فى أيام سليمان ابن عبد الملك الاموى وبنى الامير أحمد ابن طولون مقياسا بجزيرة الفسطاط وبنى عمر بن عبد العزيز مقياسا بحلوان صغير الذراع وبنى المأمون مقياسا بسروان فهذه المقاييس التى بنيت فى صدر الاسلام وأما المقاييس التى وضعت قبل الاسلام وهو ما وضعه يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام فانه وضع مقياسا بمنف وهو أول من اتخذ مقياسا للنيل بالاذرع واستمر مدة ثم ان دلوكة العجوز وضعت مقياسا بانصنا ووضعت مقياسا باخميم وان القبط وضعوا مقياسا بقصر الشمع عند دير البنات وآثاره باقية هنالك الى أن بنى الامير يزيد المقياس المذكور فبطلت حكمة تلك المقاييس التى كانت قبل وان الامير يزيد لما بنى المقياس الجديد المذكور كسر فيه نحو ألفى مركب حتى ثبت أساسه فى البحر ويشتمل هذا المقياس على فسقية مربعة يدخل لها الماء من مسارب وفى وسطها عمود من رخام أبيض وفوقه جائزة من خشب ووضعوا فى العمود خطوطا أصابع وهى عبارة عن قراريط مقسمة على اذرع يعلم منها ما يزيده النيل فى كل يوم من أوان الزيادة وجعل مساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا فيكون الذراع ثمانية وعشرين أصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى فوق يصير الذراع أربعة وعشرين اصبعا وكانت أرض مصر كلها تروى الرى الكامل من ستة عشر ذراعا الى سبعة عشر ذراعا وما زاد على ذلك يحصل به الضرر قال بعض الحكماء لولا جعل الله فى نيل مصر حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عند بدو الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية ولله در القائل

واها لهذا النيل اى عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع * يلقى الثرى فى العام وهو مسلم
حتى اذا ما قل عاد مودع * مستقبلا مثل الهلال فدهره * أبدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقال آخر فى المعنى

كأن النيل ذو عقل ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة وله من العمر تسع وعشرون سنة وكان يقال له اشج بنى مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص والمثل يضرب بعدله وولى بعده ابن عمه يزيد بن عبد الملك بن مروان اربعة اعوام وشهرا واحدا ومات سنة خمس ومائة وولى بعده اخوه هشام ابن عبد الملك بن مروان فبقى متوليا تسع عشرة سنة وسبعة اشهر غير ايام ومات سنة خمس وعشرين ومائة وولى بعده الوليد ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان سنة واحدة وشهرين وكانت سيرته قبيحة وولى بعده يزيد ابن الوليد وهو الذى قتل ابن عمه الوليد المذكور ومكث ستة اشهر وكانت سيرته حميدة وازال منكرات

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل بحر في المشرق والمغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فتمده الانهار بمائها ويفجر له الله الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما أراد الله تعالى أوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد بن حبيب أن معاوية بن أبي سفيان سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا قال اي والذي فلق الحب وفلق لموسى البحر اني لأجد في كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله تعالى يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك عد يا نيل حميدا قال ابن عبد الحكم كان في زمن الاقباط متولي قياس النيل جماعة من النصارى فلما بنى الامير يزيد هذا المقياس عزل النصارى من قياس النيل واستمر لشخص من المسلمين يقال له عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرداد وكان أصله من البصرة وكان يقيم بالجامع العمري فاختاره الامير يزيد لقياس النيل الى أن توفي في سنة ست وستين ومائتين وكان دينا خيرا من أهل الصلاح والدين وله حال مع الله تعالى واستمر القياس لاولاده الى يومنا هذا أقول وفي زماننا هذا قد عات الارض وأهمل أمرها من عدم جرف الترع والمساقي واصلاح الجسور فصارت الاراضي لا يحصل لها الري الكامل الا بما زاد على عشرين ذراعا ومن لطائف المتوكل انه كان في زمن الورد لا يلبس الا الثياب المورّدة ولا يفرش الا الفرش المورّدة وكان في زمنه لا يرى الورد الا في مجلسه وكان يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه وكان يقول مخاطبا للورد

عار على بأن يشمك ساقط * أو أن تراك نواظر البخلاء

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة ونوادره مستنيرة وقد ورد انهم لما القوا سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في النار لم تأكل النار سوى وثاقه ولما استقر فيها أخذت الملائكة بضبعيه وأجلسوه على الارض واذا هو بعين ماء عذب وروضة تهتز بورد أحمر ونرجس (فائدة) في اشارة الورد وهو منزع صوفي الورد يقول أنا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف والطيف الذي يزور كما يزور الطيف فاغتنموا وقتي فان الوقت ضيف أعطيت نفس العاشق وكسبت لون المعشوق فأروح العاشق وأهيج المعشوق فأنا الزائر وأنا المزور فمن طمع في بقائي فان ذلك زور ثم من علامات الدهر المكدور ونائبة عيش المرور اني حيثما نبت رأيت الاشواك تزاحمني وتجاورني فأنا بين الادغال مطروح وبنبال شوكي مجروح وهذا دمي يخبر عن رؤيا عدمي فهذا حالي وأنا ألطف الاوراد فمن صبر على نكد الدنيا نال المراد فبينما أنا أرفل في ظل النضارة اذ قطعتني أيدي النظارة فاستلبتني من بين الازاهير الى ضيق القوارير فيذاب جسدي ويحترق زبدي ويمزق جلدي ويقطر دمعي فجسدي في حرق ودمعي في غرق وقد جعلت ما رشح من عرقي تعاهدا بما لاقيت من قلقي فينادي بهذا الاحتراق أهل الاختراق ويتروح بنفسي ذوو الاشواق أهل المعرفة يتوقعون بقائي وأهل المحبة يتمنون لقائي

فان غبت عنكم كنت بالروح حاضرا * فسيان قربي أن تأملت والبعد
فلله من أضحى من الناس قائلا * فانك ماء الورد اذ ذهب الورد

حكى القاضي شهاب الدين بن فضل الله عن علي بن محمد الانصاري انه رأى في نهاوند وردا أصفر في الوردة ألف ورقة فعدها فاذا هي كذلك وذكر القاضي شهاب الدين أيضا انه رأى وردة نصفها أحمر قاني الحمرة ونصفها أبيض ناصع البياض والورقة كانها مقسومة بقلم وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يسأل الله تعالى في أيام الورد فيعتكف للعبادة ويقول في زمن الورد يغلب على ظني كثرة من يعصي الله تعالى فانا أستغفر الله لهم وأسأله المسامحة وقيل ان أعطر الزهر ورد جور وبنفسج الكوفة ونرجس جرجان ومنثور بغداد

كثيرة ويقال له الناقص لانه انتقص ارزاق الجند وكان عادلا يقارب في سيرته عمر بن عبد العزيز وهما المرادان بقول العرب الناقص والاشج أعدلا بني مروان فالناقص يزيد والاشج عمر ولما مات ولي بعده ابراهيم بن الوليد وأقام ثلاثة أشهر واضطرب الامر وانخلع وولي بعده مروان بن محمد سنة سبع وعشرين ومائة واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له أبو صير بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت بموته دولة بني أمية وهم أربعة عشر أولهم معاوية وآخرهم مروان ومدتهم اثنان وثمانون عاما وهي ألف شهر * وانتقل الامر الى بني العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق

قال الصولى كان فى قصر المتوكل أربعة آلاف سرية ما بين روميات ومولدات وحبش قال الجاحظ أهدى عبد الله بن طاهر الى المتوكل أربعمائة جارية ما بين بيض وحبش وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة فى الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها حققته و بطرت النعمة فغضب عليها وهجرها ومنع أهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك أياما وكان للمتوكل ميل اليها فاصبح ذات يوم وقال لجلسائه قد رأيت هذه الليلة فى منامى كانى صالحت محبوبة فقالوا نرجوا من الله أن يكون ذلك يقظة فبينما هو فى الحديث واذا بالخادم قد أقبلت وأسرت الى المتوكل حديثا فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى أسرته اليه أن قالت سمعنا من حجرة محبوبة غناء وهى تضرب بالعود وما ندرى ما سبب ذلك فسمعها تغنى على العود هذه الابيات

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى * حتى كانى ركبت معصية
ليس لها توبة تخلصنى * فهل لنا شافع الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل هذه الابيات تعجب من هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مناما كما رأى فلما دخل الى حجرتها وأحست به بادرت بالقيام اليه وانكبت على اقدامه تقبلها وقالت والله يا سيدى لقد رأيت هذه الواقعة البارحة فى المنام فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله لقد رأيت مثل ذلك ثم اصطلحا وأقام عندها سبعة أيام بلياليها وكتبت محبوبة على خدها بالمسك اسم المتوكل وهو جعفر فلما رآها المتوكل أنشأ يقول

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * لنفسى خط المسك من حيث أثرا * لئن كتبت فى الخد سطرا بكفها
لقد اودعت قلبى من الخط أسطرا * فيا من هواها فى البرية جعفر * سقى الله من سقيا ثنايا لك جعفرا

ولما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة فانها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانب قبره قال بعض الحكماء زينة النساء اربعة سود شعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين والحدقة واربعة بيض اللون والعين والاسنان والساق واربعة حمر اللسان والشفتان والوجنتان واللثة واربعة مدورة الرأس والعنق والساعد والعرقوب واربعة طوال الظهر والاصابع والذراعان والساقان واربعة واسعة الجبهة والعينان والصدر والوركان واربعة دقيقة الحاجب والانف والشفتان والاصابع واربعة غليظة العجز والفخذان والعضلتان والركبتان واربعة صغيرة الاذنان والثديان واليدان والرجلان واربعة طيبة الريح والفم والانف والفرج واربعة عفيفة الطرف والبطن واليد واللسان *(فائدة)* اذا كانت المرأة حاملا واردت ان تعلم هل حملها غلام أم جارية فتأخذ قملة من رأسها وتضعها فى كفها وتحلب عليها من ثديها فان اسرعت الخروج من اللبن فهى حامل بجارية وان أبطأت فهى حامل بغلام (فائدة) اذا اردت ان تعلم هل المرأة عاقر أم الرجل عقيم فامسك بول الرجل وبول المرأة كل واحد على حدته ثم اعمد الى أصلين من أصول الخس وهما فى المبقلة وصب كل واحد على أصل خس وعلم الذى صب عليه بول الرجل والذى صب عليه بول المرأة ويكون ذلك عند غروب الشمس فاذا كان من الغد فانظر الى الاصلين فايهما وجدته آخذا فى الفساد دل على ان الذى صب عليه ماؤه عاقر *(فائدة)* مجربة من أخذ من ذنب الحمار ثلاث شعرات حين ينزو على الاتان وشدهن على ساقه فانه ينتشر ذكره ويستوى على سوقه *(فائدة)* للحبل يسحق ورق الغبيراء ويعجن منه قدر درهم بعسل ويعمل صوفة وتحمل بها المرأة عقب الطهر ويجامعها الرجل تحبل باذن الله تعالى *(فائدة)* أخرى اذا تبخرت المرأة بحافر الحمار أسرع

و يقيمون منهم ثوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمسين وستمائة وكان يظن بقاؤها فيهم الى أن يسلمها للمهدى فى آخر الزمان وأول من ولى منهم عبد الله السفاح بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنين وثمانية اشهر وولى بعده المنصور ابو جعفر وكان أكبر سنا من السفاح واسمه عبد الله بن محمد ببغداد وهو الذى بنى بغداد سنة مائة واربعين وجعلها قاعدة ملكه وسماها مدينة السلام واقام اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين وهو متوجه

خروج ولدها حيا سالما بسهولة وكذلك اذا كان ميتا * حدث البحتري الشاعر قال كنت عند المتوكل مع ندمائه فتذاكروا السيوف فقال بعض من حضر يا امير المؤمنين وقع عند رجل من البصرة سيف من الهند ليس له نظير فامر المتوكل بالكتابة الى عامل البصرة ان يشتري له السيف الموصوف فاشتراه بعشرة آلاف درهم وارسله اليه فسر المتوكل بوجوده وقال لوزيره الفتح بن خاقان اطلب لي غلاما تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسي كل يوم مادمت جالسا فلم يستتم كلام المتوكل حتى دخل باغر التركي فدفع اليه المتوكل السيف قال البحتري فوالله ما اخرج السيف المذكور من غمده الا لقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان والى هذا المعنى اشار ابن زيدون في رسالته بقوله وتكون منية المتمني في امنيته ومن شعر الحافظ ابي بكر أحمد خطيب بغداد

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها * ولا للذة وقت عجلت فرحا * فالدهر أسرع شئ في تقلبه
وفعله بين للخلق قد وضحا * كم شارب عسلا فيه منيته * وكم تقلد سيفا من به ذبحا

وكان السبب في قتل المتوكل انه عهد الى ولده المنتصر محمد بالخلافة أولا ثم وقع بينه وبين ابنه شئ فرجع عن عهده له وبدا له ان يعهد الى أخيه الصغير محمد المعتز وكان يميل الى ابنه الصغير أكثر من الكبير فلما بلغ الجند ذلك تغيرت خواطرهم عليه قاطبة ثم ان جماعة من الجند اتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فلما وثقوا منه بذلك ندبوا الى قتله باغرا المذكور وكان موصوفا بالشجاعة فلما جاء نصف الليل هجم عليه عشرة من الاتراك ومعهم باغر فوجدوه قد سكر ونام وعنده وزيره الفتح بن خاقان فتقدم اليه باغر وضربه بالسيف على عاتقه فمات من وقته فصاح عليهم الفتح بن خاقان ويحكم يا كلاب كيف تقتلون خليفة الله فقتلوا الفتح بن خاقان ايضا ثم لفوهما في بساط ودفنوهما في الليل ولم يشعر بهما احد قال عمرو بن شيبان رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل قائلا يقول هذه الابيات

يا نائم العين في اقطار جثمان * افض دموعك يا عمرو بن شيبان * أما ترى الفتية الارجاس ما فعلوا
بالهاشمي وبالفتح بن خاقان * فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم * فقد بكاه جميع الانس والجان

وقال يزيد

كانت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا رصد
خليفة لم ينل ما ناله احد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

وكان البحتري كثيرا ما يذكر المتوكل والفتح بن خاقان في شعره ويرتاح لذكرهما ابدا وقال من قصيدة

تداركني الاحسان منك ونالني * على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى * لدفع الاذى عني ولا المتوكل

وكان المتوكل أول خليفة قتل بيد الاتراك فظهر بذلك صدق الحديث النبوي الذي رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فانه أول ما يسلب ملككم وما وسع الله بنو قنطورا واقام المتوكل في الخلافة اربع عشرة سنة وتسعة اشهر الى ان قتله باغر باشارة ولده محمد المنتصر في نصف شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ولا عجب في ذلك فان الولد قد يكون ضررا على ابيه كما قيل

ارى ولدا الفتى ضررا عليه * لقد سعد الذي اضحى عقيما * فاما ان يربيه عدوا
واما ان يخلفه يتيما * واما ان يوافيه حمام * فيبقى حزنه ابدا مقيما

وفي المعنى

لي ولد قد انتشا * وحبه حشا الحشا * كنا نظن رشده * فانشا كما نشا

وفي المعنى ايضا

اضرب وليدك تأديبا على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة * وقس على شق رأس السهم والقلم

وفي المعنى ايضا

الى الحج ودفن قريبا من مكة وولي بعده المهدي محمد بن عبد الله المنصور فاقام عشر سنين وشهرين واياما وتوفي سنة تسع وستين ومائة وولي بعده ابنه الهادي موسى بن محمد المهدي فاقام عاما واحدا وشهرا وتوفي سنة سبعين ومائة وولي بعده اخوه هرون الرشيد فاقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من اجل ملوك الارض له نظر في العلم والاداب وكان يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بالف درهم وكان يحب العلم ويوقر اهله وكانت ايامه من حسنها كانها أعراس وله أخبار كثيرة في اللهو واللذات وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي بعده ابنه محمد الامين فاقام اربع سنين وسبعة أشهر وثمانية

كان ابى يريدنى * عدلا او قاضى البلد * لم يكن غير ما يريد * ديعتبر من له ولد

وفى الفردوس عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لان يربى احدكم جرو كلب او خنزير خير له أن يربى ولدا من صلبه وفى الفردوس ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان تشاركهم الشياطين فى اولادهم قيل كائن ذلك يا رسول الله قال نعم قالوا كيف نعرف اولادنا من اولادهم قال بقلة الحياء وقلة الترحم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن احدكم اذا اتى اهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب لا تجامع اهلك فى النصف الثانى من الشهر فانه يحضره الشياطين ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه وبين الله حجاب الا شهادة أن لا اله الا الله ودعوة الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند كبر سنه من يكرمه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وقيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب اولادنا وهم لا يحبوننا فقال لانهم منا ولسنا منهم قال الشاعر

من كان يعلم أن ماله * من بعد عينك لا يحب بقاكا

ذكر البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى كما ربيانى صغيرا روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما * روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابى اخذ مالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فائتنى بابيك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاسأله عن شئ قاله فى نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال له سله يا رسول الله هل انفقته الا على احدى عماته او خالاته او على نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا اخبرنى عن شئ قلته فى نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيأ ما سمعته أذناى فقال قل فانا اسمع فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما أحنو عليك وتنهل * اذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت
لسقمك الا ساهرا اتململ * كانى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى فعيناى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وانى * لاعلم ان الموت وقت مؤجل * فلما بلغت السن والغاية التى
اليها بدا ما كنت فيه أؤمل * جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى * فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال انت ومالك لابيك فنسأل الله المنان من فضله ان يرزقنا ذرية صالحة موفقة بمنه وكرمه آمين * (فائدة) * لا باس بذكرها فى هذا المحل وايرادها فى هذا المعنى قول الشيخ المذكور فى قصيدته وعلك يافعا قال الدمامينى رحمه الله فى وصف الانسان ناظما

أصح صفات الآدمى وضبطها * للفظ دراية تنبه بديعا * جنين اذا ما كان فى بطن أمه
ومن بعد يدعى بالصبى رضيعا * فان فطموه فالغلام لسبعة * كذا يافعا للعشر ثم مطيعا
الى خمس عشر بالحزور فسمه * لتحسن فيما تجتنيه صنيعا * كذلك الى خمس وعشرين حجة

أيام وقتل ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ببغداد وولى بعده أخوه عبد الله المأمون بن هرون الرشيد فاقام عشرين سنة وخمسة أشهر وفى مدته خرج أهل مصر عن طاعة الخليفة وامتنعوا من ورود الخراج وطردوا العمال من البلاد وصارت فتنة عظيمة بمصر حتى كادت ان تخرب فحضر واطفأ تلك الفتنة وقتل من القبط خلقا كثيرا ورجع الى بغداد وتوفى غازيا فى اردن الروم فى رجب سنة ثمانية عشر ومائتين ودفن بطرطوس وولى بعده المعتصم بالله محمد بن هرون الرشيد ورحل الى بغداد واتخذ قاعدة ملكه سر من رأى وكان لا يقرأ ولا يكتب فاقام ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وتوفى سنة

فتى قد دعاه الفاضلون بديعا * جميل لحد الاربعين وبعده * بكهل الى خمسين فادع سميعا
وشيخا الى حد الثمانين فادعه * بهانم هما للمات رجيعا

(خلافة محمد المنتصر بن المتوكل)

بويع له يوم قتل أبيه على كره وسنه اربع وعشرون سنة ولم يتهن بالخلافة لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وكان على حذر منهم ويقول هؤلاء قتلوا الخلفاء وكانوا أيضا منه على حذر وأرادوا قتله فما أمكنهم الاقدام عليه لشدة محاذرته منهم * ذكر ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك فرأى فيه صورة راس عليها تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر له رجل من الفرس فقرأها وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال معنى هذه الكتابة أنا الملك شيرويه بن أبرويز بن هرمز قد قتلت ابي في طلب الملك فلم امكث بعده الا ستة اشهر فاصفر وجه المنتصر وتطير من ذلك وتذكر ما صنع بابيه وحم جسمه فطلب ابن طيفور المزين ليفصده فلما أحس بذلك طائفة الاتراك دفعوا الى ابن طيفور ألف دينار وقالوا له اذا طلبك المنتصر لمداواته فافصده بمبضع مسموم وان المنتصر لما بات في تلك الليلة انتبه فزعا مرعوبا وهو يبكي فسألته أمه ما يبكيك قال أفسدت ديني ودنياي رأيت أبي الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فلما أصبح طلب ابن طيفور ففصده بالمبضع المسموم فمات قال عمرو بن عثمان رأيت المتوكل بعد قتله بستة أشهر في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي بتعصبي للسنة بان القرآن غير مخلوق فقلت له وما تصنع ههنا قال جئت أنتظر ابني محمدا حتى أخاصمه بين يدي الله تعالى فلما أصبح اشيع بين الناس موت المنتصر وأقام المنتصر في الخلافة ستة أشهر وتوفي في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين حكي ان طيفور المذكور لما فصد المنتصر بالمبضع المسموم مكث عليلا بعد موت المنتصر ومرض فقال لتلميذه افصدني فلم يأت له الا بالمبضع المسموم ففصده فمات لوقته فكان كما قال

أفعاله ردت عليه بما جنى * فالدهر قد جازاه من جنس العمل

(خلافة أبي العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم عم المنتصر أخو المتوكل)

بويع له يوم مات المنتصر وسنه احدى وثلاثون سنة قدمته الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا ان يلي الخلافة أحد أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف وباغر حتى قيل

خليفة في قفص * بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له * كما تقول الببغا

وهي الدرة ومما أفاده الدماميني في كتابه عين الحياة ان الشيخ كمال الدين الادفوي ذكر في ترجمة محمد بن محمد الصيبي القوصي الفاضل المحدث الاديب انه حضر مرة عند تقي الدين البصراوي الحاجب بقوص وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والادباء فحضر الشيخ علي الحريري وحكى انه رأى درة تقرأ سورة يس فقال الصيبي وكان غراب يقرأ سورة السجدة فاذا جاء الى محل السجود سجد ويقول سجد لك سوادي واطمأن بك فؤادي وسمعت من شخص من كتبة بيت المال المعمور بمصر ان امرأة من أولاد أمراء الدولة العثمانية توفيت وليس لها وارث الا بيت المال فضبطت تركتها فكان من جملة مخلفاتها درة ذكر انها تقرأ القرآن من أوله الى آخره فاتصل خبرها بمحمد باشا الوزير حال تصرفه بمصر فطلبها من وكيل بيت المال فاعطاها له فامتحنت في القراءة فقرأ شخص بحضورها سورة من القرآن فانتقل من آية الى آية مغلطة لها فردته فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجب وكان المستعين فاضلا مطلعا على

سبع وعشرين ومائتين وولي بعده ابنه الواثق بالله هرون بن محمد فاقام خمس سنين وأشهرا وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وولي بعده اخوه المتوكل على الله جعفر بن محمد فاقام أربع عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وقتل غرة شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وولي بعده ابنه المستنصر بالله محمد بن جعفر فاقام ستة أشهر وولي بعده المستعين بالله احمد بن المستنصر فاقام ثلاث سنين وتسعة أشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل وولي بعده ابن اخيه المعتز بالله محمد ابن المتوكل على الله فاقام ثلاث سنين وسبعة اشهر وقتل سنة خمس وخمسين ومائتين وولي بعده ابن عمه المعتمد على الله احمد بن جعفر المتوكل على الله فاقام عشر سنين وتوفي سنة ست وستين

التوارىخ مستعملا فى ملبسه وهو أول من اتخذ الاكمام العراض بقدر الكم ثلاثة أشبار ولما أبى المستعين الانقياد الى الاتراك خرج من بيت الخلافة وهو مختف وتوجه الى مدينة واسط فاقام بها وكاتبه الامراء والجند بان يرجع الى بغداد فامتنع من ذلك فارسلوا له من قبض عليه بواسط وسجنه ثم ان الجند أحضروا المعتز وبايعوه بالخلافة وصار العسكر فرقتين فرقة مع المستعين وفرقة مع المعتز فقويت شوكة المعتز وتم أمره فى الخلافة فارسل سعد بن صالح الى واسط فقتل المستعين بعد أن أقام فى السجن سبعة أشهر وكان قتله فى ثالث شوال سنة احدى وخمسين ومائتين فكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر والله تعالى أعلم

(خلافة المعتز محمد أبى عبد الله)

بويع له يوم خلع أحمد المستعين وسنه ثلاث وعشرون سنة وكان بديع الحسن حسن الصورة وكان متضعفا وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز وهو خائف منه فاجتمع الجند على المعتز وطلبوا منه أرزاقهم ووعدوه انه اذا اتفق عليهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه وصفوا له الملك فلم يكن فى خزائنه ما يصرفه عليهم وطلب من أمه شيأ من المال وكانت تركية واسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فابت وشحت بالمال على ولدها وهو خليفة فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد ابن بغا وأتباعهما وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه برجله وأوقفوه فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه ومنعوه من شرب الماء الى أن مات عطشا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وسبعة أشهر وان صالح بن وصيف صادر قبيحة المذكورة وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرذ وسدس أردب ياقوت أحمر ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى أن ماتت وأقل الناس الترحم عليها حين ظهر عندها هذا المال وشحت على ولدها والله أعلم

(خلافة عبد الله المهدى)

بويع له يوم خلع المعتز وسنه تسع وثلاثون سنة وكان كثير العبادة ليس له من الامر شئ وقد كان أبطل الملاهى ومنع الظلمة من الظلم والمكوس فدخل عليه رجل وقال له لك عندى نصيحة يا أمير المؤمنين فقال له لمن هى ألعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعى باعظم عورة ولا أقبح حالا من قائد سياسة ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفى غيظك أو لك عدو فلا نعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضا الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح فان مالنا الا الابدان ولهم القلوب ومن استتر لم نكشفه ومن نادانا طالبنا توبته ومن أخطأ أقلنا عثرته انى أرى النصح أبلغ من العقوبة والسلامة مع العفو أسلم منها فى العاجلة والقلوب لا تبقى لوال لا يتعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظلم ولا يرحم اذا استرحم ولا يخفى ان حظوظ النفوس تنشأ فى الغالب من الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود وهو من الكبائر كما قال فى الروضة وهو داء لا دواء له وعداوة لا يرجى زوالها كما أشار اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه فى قوله من أبيات

كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وحكى عن أبى العباس أحمد القادر أنه بينما هو ذات ليلة فى أسواق بغداد اذ سمع شخصا يقول لآخر قد طالت علينا دولة هذا الميشوم وليس لاحد عنده رزق فأمر خادما معه أن يتوكل عليه ويحضره بين يديه فلما حضر بين يديه سأله عن صنعته فقال انى كنت من السعاة الذين يستعين بهم أرباب هذا الامر على معرفة أحوال الناس فولى أمير المؤمنين أقصانا وأظهر الاستغناء عنا فتعطلت معيشتنا وانكسر جاهنا عند الناس فقال أفتعرف من فى بغداد من السعاة قال نعم وأحضر كاتبا فكتب أسماءهم وأمر باحضارهم ثم أجرى لكل واحد منهم معلوما ونفاهم الى الثغور القاصية ورتبهم هنالك عيونا على أعداء الدين ثم التفت

ومائتين وولى بعده أخوه المعتضد بالله أحمد بن طلحة ابن المتوكل فاقام تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان قد رجع الى بغداد وسكنها وانقطع الخلفاء بانفسهم فى خلافته وولى بعده ابنه المكتفى بالله على ابن أحمد فاقام ستة أعوام ونصفا وعشرين يوما ومات سنة خمس وتسعين ومائتين وولى بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن أحمد وله من العمر ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من بنى العباس أصغر سنا منه فاقام خمسا وعشرين سنة غير أيام وتوفى فى شوال سنة عشرين وثلثمائة * وولى بعده أخوه القاهر بالله محمد بن أحمد فاقام عاما واحدا وستة أشهر وأياما وكانت عيناه سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وعاش

لمن حوله وقال اعلموا أن هؤلاء ركب الله فيهم شرا وملأ صدورهم حقدا على العالم ولا بد لهم من افراغ ذلك الشر فالاولى ان يكون ذلك فى أعداء الدين ولا ينغص بهم على المسلمين وفى المعنى

قوم هم وكدر لمياه وسقمها * عرص البلاء بهم على وطالا * يتأ كلون ضغينة وخيانة
ويرون لحم الغافلين حلالا * وهم وفراش الشر يوم ملمة * يتهافتون تغاشيا وخيالا
وهم وغرابيل الحديث اذا وعوا * شرا تقطر منهم وأوسالا

ومما يحكى أن السلطان محمد بن قلاوون رحمه الله أخبره وزيره الامير علاى الدين مغلطاى ان تاج الدين كاتب السفاح ذكر عنده أناسا بكل قبيح والتزم فيهم جملة من الذهب اذا صودروا وأخرجت وظائفهم فقال السلطان للوزير أحضر تاج الدين المذكور فلما حضر بين يديه وسمع كلامه قال هل لك علم بأحد فى القاهرة يعرف شيأ من هذه الاحوال قال نعم جماعة وعدهم فقال للوزير خذ هذا واحتفظ به وأحسن اليه واذا احضر لك هؤلاء الذين ذكرهم عرفنى بهم فخرجا من عنده وصار يذكر له جماعة جماعة وهو يحضرهم الى أن لم يبق منهم أحد ودخل الى السلطان وعرفه بهم فقال اخرج الآن فى هذه الساعة وجهز الجميع الى قبرس ولا تدع أحدا منهم فى القاهرة فان هؤلاء مناحيس يرافعون الناس فنفاهم اجمعين وفى المعنى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الينا وللنمام حولى المام
أيا رب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين نمام

وكتب بعض شهود الاهواز الى الوزير أبى الفرج محمود بن فسانجس قد مات فلان وخلف خمسين ألف دينار عينا ولم يخلف غير طفلة فان رأيت استقراض المال الى أن تبلغ الطفلة ففى عقارها وأملاكها كفاية فوقع على ظهر كتابه الطفلة جبرها الله والمال ثمره الله والساعى لعنه الله لا حاجة للسلطان بالمال وعن أبى بردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج أفواههم نارا قيل من هم يا رسول الله قال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا * وحكى انه لما ولى عبد العزيز بن عبد الملك دمشق ولم يكن فى بنى امية ألب منه فى حداثة سنه قال أهل دمشق هذا غلام شاب ولا علم له بالامور وسيسمع فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندى نصيحة فقال له ليت شعرى ما هذه النصيحة التى ابتدأتنى بها من غير يد سبقت منى اليك قال جار لى عاص فقال له ما اتقيت الله ولا أكرمت أميرك ولا حفظت جارك ان شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقا لم ينفعك ذلك عندنا وان كنت كاذبا عاقبناك قال أقلنى قال اذهب حيث جئت لا أصحبك الله بخير انى أراك شر رجل وروى ان معاوية رضى الله عنه قال يوما للاحنف بن قيس فى أمر بلغه عنه فانكر الاحنف فقال معاوية الثقة بلغنى فقال الثقة لا يبلغ وقد جاء فى السنة النبوية أحاديث كثيرة فى ذم النميمة منها مارواه حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقد جاء عنه عليه أفضل الصلاة والسلام انه قال لعن الله المثلث قيل له وما المثلث يا رسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أظهر لاخيه الود والصفاء وأضمر له الحقد والبغض أصمه الله وأعمى بصر قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الذين اذا ذكروا ذكر الله الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال شر الناس عند الله منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس عند الله منزلة ذا الوجهين الذى يأتى هذا بوجه والى هذا بوجه وقال ان من شر الناس منزلة عند الله عبدا أذهب آخرته بدنيا غيره وروى عمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة

خاملا ضائعا الى ان مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة * وولى بعده ابن اخيه الراضى بالله محمد ابن جعفر المقتدر فاقام ست سنين وعشرة اشهر واياما ومات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة خطب على المنبر فى يوم الجمعة وفى زمانه اختل امر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجى تغلب عليها او عامل لا يحمل اليه مالا ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد * وولى بعده اخوه المتقى لله ابراهيم بن جعفر المقتدر بالله فقام اربع سنين غير شهر وكان صالحا ولم يتمكن من تدبير الامور وخلع وسملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثلاث واربعين وثلثمائة * وولى بعده ابن عمه عبد الله المستكفى

لسانان من نار رواه ابوداود وصححه ابن حبان وأخرج الطبراني من حديث أنس بلفظ من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وقال ابن زيد دون في رسالته الهمازون المشاؤون بنميم يعني ان هؤلاء ذكرهم الله في القرآن العظيم في قوله تعالى هماز مشاء بنميم الهماز المغتاب الذي يأكل لحم الناس بالطعن والغيبة وقال الحسن هو الذي يلوى شدقه في أقفية الناس والنم والنميمة واحد وهو نقل الكلام السيئ والمعنى انه قتات يسعى بين الناس بالنميمة ليفسد فيما بينهم قال صلى الله عليه وسلم لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم *أوصت اعرابية ابنها وقد أراد السفر فقالت اى بني اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين الاحبة واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وفي المثل النميمة ارثة العداوة وما أحسن قول الشيخ شهاب الدين محمود

يا ملزمي بذنوب ما احطت بها * علما ولا خطرت يوما على فكرى
صدقت في اباطيل الذنوب وكم * كذبت فيك يقين السمع والبصر

وقال ابن الرعاد

أنهاك ان الحاسدين تحدثوا * فينا بشر حديثهم لا خيره
فاحذر فديتك أن تكون جليسهم * حتى يخوضوا في حديث غيره

ومن أمثال العرب واياك وكل مستحدث فانه يأكل مع كل من يأكل ويجرى مع كل ريح وقال وهب بن الوردى خالطت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أقال لي عثرة ولا ستر لي عورة ولا أمنته اذا غضب ومن كلام النابغة الناس أجناس أكثرهم أنجاس *رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر عبد الله المهدى فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا اليه فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى ان أمسكوه باليد وعصروا على بطنه الى ان مات وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما والله أعلم

(خلافة المعتمد على الله احمد بن المتوكل)

بويع له يوم مات ابن عمه المهدى في شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان له انهماك على اللهو واللذات فقدم أخاه طلحة ولقبه الموفق بالله وجعله ولي عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان للمعتمد ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد له لواءين أبيض واسود وعقد لهما البيعة وشرط على اخيه الموفق اذا حدث به ريب المنون وولده صغير كان الموفق ولي عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولي عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكان الموفق عاقلا مدبرا مشتغلا بامور المملكة وكان اخوه المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة وظهرت له نجابة كبيرة وظهرت في أيام المعتمد طائفة من الزنج وتغلبت على المسلمين وكان لهم رأس اسمه مهبول يدعى علم المغيبات وفتك في المسلمين ذكر انه قتل الف الف وخمسمائة الف وكان يأسر النساء ويبيعهن وكان ذلك من أعظم المصيبات في الاسلام وتملك هذا الكافر مدائن أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعل دار مملكته واسطا فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع فركض بخيله ورجله وجنوده الى ان التقت الفئتان فخفقت السودان من لمعان السيوف وانهزموا ما بين مقتول ومأسور الى ان قتل كبيرهم مهبول ووجوه عساكره واستردت المدن التي أخذها كواسط وغيرها واطمأنت المسلمون وكافة العباد ولقبوه الناصر لدين الله وصار له حينئذ لقبان ودخل بغداد في عظم وعلو شان ورأس مهبول الكافر على رأس رمح ورؤس كبار عسكره على رماح ودعا له المسلمون واستمر اخوه المعتمد على حاله منهمكا على لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقاها الموفق بصدره وكان له ولد نجيب يدعى احمد ابا العباس جعله الموفق ولي عهده واستعان به في حروبه وأحواله وظهرت نجابته وقوته فخشي الموفق منه على نفسه وعلى ولد أخيه فحبسه ووكل من يثق به في أمره واستمر محبوسا الى ان وقعت الوحشة بين المعتمد والموفق

بالله وسنه احدوار بعون سنة وهو سن ابي جعفر المنصور ولم يل الخلافة بعدهما من وصل الى هذا السن فاقام ستة عشر شهرا ثم خلع وكانت عيناه سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة *وولى بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر فاقام ستا وعشرين سنة واربعة اشهر واياما ومرض بالفالج وتخلى عن الامر لابنه الطائع لله ابي بكر يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة ايام في المحرم سنة اربع وستين وثلثمائة واقام الطائع ابنه واليا سبع عشرة سنة وتسعة اشهر واياما وخلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش مخلوعا

وتباغضت قلوبهما وتشاحنت صدورهما فان الرياسة لاتقبل الاشتراك والغيرة على الملك اسرع شئ ثم ان الموفق مرض واشتدعليه الحال وتحقق غلمانه ما له فبادروا الى الحبس فكسروه واخرجوا منه ولده وأتوا وجاؤا به الى والده فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له ياولدى لهذا اليوم خبأتك وأوصاه وفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت فيه اخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم انه عما قليل به يلحق فكانت خلافة المعتمد ثلاثا وعشرين سنة وتوفى فى سنة تسع وسبعين ومائتين والله سبحانه وتعالى أعلم

(خلافة احمد المعتضد بن طلحة الموفق)

بويع له يوم مات عمه وسنه ست واربعون سنة وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده وكان أسقط المكوس فى أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعدما وهى ووهن وكان يسمى السفاح الثانى وفيه يقول ابن الرومى

هنيأ بنى العباس ان امامكم * امام الهدى والجود والناس احمد
كما بابى العباس أنشئ ملككم * كذا بابى العباس أيضا يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه * تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفيه أيضا يقول عبدالله بن المعتز

أماترى ملك بنى هاشم * عاد عزيزا بعدما ذللا
ياطالب الملك فكن مثله * تستوجب الملك والا فلا

وكان مع سطوته يراعى جانب الحق وقد نقل الحافظ السيوطى عن عبدالله بن حمدون قال خرج المعتضد يوما وأنا معه فمر بقثاة فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن سبب صياحه فقال له ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة وأخربوها فامر عبيده باحضارهم فحضروا وضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثنى فقال اصدقنى ياعبدالله ما الذى ينكره الناس من أحوالى فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ماسفكت دما حراما قط فقلت له باى ذنب قتلت احمد بن ابى الطيب قال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن عماذا استحللت دماءهم ولأى شئ قتلتهم فقال والله ماقتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم الذين نزلوا المقثاة فامرت بضرب أعناقهم ثم أحضر صاحب الشرطة وأمر باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثاة فاحضرهم بانفسهم وشاهدتهم * ومما يناسب ذلك ماحكاه ابن أبى حجلة فى سكردانه ان سواديا أتى الى السلطان ملكشاه وهو يبكى فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخا بدراهمين لا أملك غيرهما فلقينى ثلاثة من الاتراك فاخذوه منى ومالى سواهما وكان ذلك فى أول قدوم البطيخ فقال له امسك فاستدعى فراشا وقال له قد اشتاقت نفسى الى البطيخ فطف فى العسكر وانظر من عنده شئ فاحضره فعاد الفراش ومعه بطيخ فقال له عند من لقيته قال عند الامير فلان فاحضره وقال له من أين هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة وقد عرف نية السلطان فعاد اليه وقال لم أجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال له هذا مملوكى وقد وهبته لك حيث لم يحضر الغلمان الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لاضربن عنقك فاخذه بيده وخرج من بين يدى السلطان واشترى الامير نفسه بثلثمائة درهم وعاد صاحب البطيخ الى السلطان وقال ياسيدى قد بعت المملوك بثلثمائة درهم قال أوقد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة وكانت مدة خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفى فى يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الذكور اربعة واحدى عشرة بنتا والله تعالى أعلم

(خلافة على المكتفى بالله بن المعتضد احمد بن طلحة)

بويع له يوم مات أبوه وسنه احدى وثلاثون سنة وأخذ له البيعة الوزير أبو الحسن عبدالله فان والده عهد له

الى ان مات غرة شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وفى ايامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبنى العباس وأقيمت للحسن العبيدى صاحب مصر والمغرب * وولى بعده احمد القادر بالله بن المقتدر فاقام ثلاثا واربعين سنة ولم يبلغ احد من الخلفاء قبله فى امرة الخلافة مدته ولا طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وتوفى سنة ثلاث وعشرين واربعمائة * وولى بعده ابنه القائم بامر الله عبدالله بن احمد واقام فى الخلافة اربعة واربعين عاما وتوفى سنة سبع وستين واربعمائة * وولى بعده ابنه المقتدى بامر الله محمد بن عبدالله القائم بامر الله واقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثمانين واربعمائة * وولى بعده

قبل موته بثلاثة ايام وكان المكتفي بالرقة فلما وصل اليه كتاب الوزير بادر وحضر من الرقة الى بغداد في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله مشهودا ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور وسبع خلع وكان المكتفي حسن الصورة يضرب بحسنه المثل ولهذا قال عبد الله بن المعتز يخاطب الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي
والله لا اختارها ولوانها * كالبدر او كالشمس او كالمكتفي

فقرنه بالبدر والشمس في الجمال وقد أشار ابن سنا الملك الى هذا في قوله

ومليحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا ارتضي بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا اكتفي بالمكتفي

وقال أيضا في موضع آخر بأبي وأمي من يكون المكتفي * بكماله وجماله كالمقتدي

قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته والله ما اسفي على شئ الا على سبعمائة الف دينار صرفتها من مال المسلمين في ابنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها وكانت مدة تصرفه ستة اعوام ونصفا وانتقل الى دار الخير والبقاء في ليلة الاحد لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين والله تعالى اعلم

(خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد)

بويع له بالخلافة يوم موت اخيه وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله اصغر منه و ولى الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها امر لصغره فغلب عليه الجند واتفقوا على عزله وخلعه فخلعوه والله تعالى أعلم

(خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل)

بويع له يوم خلع المقتدر ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وهو واشعر بني العباس بل اشعر بني هاشم على الاطلاق واكثرهم فضلا وأدبا ودخولا بعلم الموسيقي واشعر الشعراء في التشبيهات المبتكرة الغريبة المبتدعة قال المعافي بن زكريا لما بويع لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر فقال ما الخبر فقلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن توشح لوزارته قلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فاطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم قلت ولم لا يتم قال كل واحد ممن ذكرت ذو شأن عظيم متقدم في علمه وفضله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت برياسة في مثل هذا الزمان ولا ارى هذا الا الى الانحلال والاضمحلال فقدر الله انهم خلعوه في ذلك اليوم وتلاشى امره فان عبد الله بن المعتز لما تقلد الخلافة ارسل الى المقتدر يأمره باخلاء دار الخلافة فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له عندي جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل في غاية الخوف وهجموا على عبد الله بن المعتز فهاله ذلك والقى الله في قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضيه وكل من في ديوانه وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى الامراء والفقهاء وقتل منهم من أراد وحبس عبد الله بن المعتز الى ان خرج من الحبس ميتا الى رحمة الله تعالى فكانت خلافته ساعة من نهار وحيث انجر الكلام فلا باس بايراد شئ من أشعاره المستظرفة منها هذا الموشح الذي يصلح وشاحا لكوكب الجوزاء وا كليلا للثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بالسنة الزمان وهو هذا

أيها الساقي اليك المشتكى * قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته * وشرب الراح من راحته * كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكا * وسقاني أربعا في أربع
ما لعيني غشيت بالنظر * أنكرت بعدك ضوء القمر * واذا ما شئت فاسمع خبري

ابنه المستظهر بالله احمد فاقام خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وتوفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * وولى بعده ابنه المسترشد بالله منصور فاقام سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين * وولى بعده ولده الراشد بالله منصور واتهموه بالمنكرات وخلعوه وأرسلوه الى الموصل ثم قتلوه سنة خمسمائة وثلاثين * وولى بعده محمد المقتفي لامر الله ابن المستظهر بالله فاقام أربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند ورجموه ثم حبسوه شهرا من غير شرب فمات بالظمأ سنة خمسمائة وخمس وخمسين * وولى بعده ولده المستنجد بالله يوسف فاقام أحد عشر عاما وخمسة أيام وتوفي سنة خمسمائة وست وستين * وولى بعده ولده

غشيت عيناى من كثر البكا * وبكى بعضى على بعضى معى
غصن بان مال من حيث التوى * مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى * كلما فكر فى البين بكى
ويحه يبكى لما لم يقع
ليس لى صبر ولا لى جلد * يا لقومى عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكواى مما أجد * مثل حالى حقها أن تشتكى
كمد اليأس وذل الطمع
كبدى حرى ودمعى يكف * يذرف الدمع ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف * قد نما حبى بقلبى وذكا
لا تقل فى الحب انى مدعى

(ومن تشبيهاته أيضا)

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء * والشمس مالت للغروب كانها
دينار يلعب فى قرار الماء * والبدر فى أفق السماء كدرهم * ملقى على ديباجة زرقاء
ومهفهف عقد الشراب لسانه * وكلامه بالرمز والايماء * كلمته سحرا وقلت له انتبه
يا فرحة الجلساء والندماء * فأجابنى والخمر يخفض صوته * بتلجلج كتلجلج الفأفاء
انى لافهم ما تقول وانما * غلبت على سلافة الصهباء
دعنى أفيق من الخمور الى غد * واحكم بما تختار يا مولائى

وله فى المثلث

خليلى طاب الراح من بعد طبخها * وقد عدت بعد السكر والعود احمد
فهاتا عقارا فى قميص زجاجة * كياقوتة فى درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة * لها حلق بيض تحل وتعقد
وقتنى من نار الجحيم بنفسها * وذلك من احسانها ليس يجحد

وله فى التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان جيد فى الشعر ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ومن كلامه العلماء غرباء لكثرة الجهال النصح بين الملا تقريع علامة الكذب جراءة اليمين واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة (ثم عاد المقتدر ثانيا) واستقام له الحال فسار أحسن سيرة واستقر فى الخلافة الى سنة اثنتى عشرة وثلثمائة ذكر الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء فى خلافة المقتدر سنة ثلثمائة ان بغلة ولدت فلوا وبعد تمام هذا التاريخ المبارك الميمون اتصل بعلم مؤلفه عفا الله عنه من الثقات ان جماعة من الفرارجية من أهل منف عندهم بغلة زرقاء ولدت مهرا فى أواسط سنة احدى وأربعين وألف فسبحان القادر على كل شئ

(خلافة ابى المنصور محمد القاهر بن المعتضد)

بايعه يونس والامراء ولقبوه بالقاهر وفوضت الوزارة الى على بن مقلة الكاتب فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول على الخليفة فمالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا باخيه محمد القاهر وهو يبكى ويقول الله الله يا أخى فى روحى فاستدناه المقتدر وقبله بين عينيه وقال يا أخى لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك والله لا ينالك منى ما تكره فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند وأرضاهم من عنده (ثم عاد المقتدر ثالثا) والثالثة ثابتة فمن محاسن المقتدر انه أبطل من دواوينه استخدام اهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفاتهم فى الاموال وكان يفرق فى يوم عرفة كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألفا وكان يصرف فى كل سنة فى طريق مكة ولاهل الحرمين الشريفين ثلثمائة ألف دينار وخمسة

الحسن المستضئ بامر الله فاقام سبعة اعوام واربعة أشهر وتوفى سنة خمسمائة وثلاث وسبعين بالطاعون وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس عشرة سنة وانقرضت دولة بنى عبيد بمصر * وولى بعده أحمد الناصر لدين الله فاقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس * وولى بعده ولده محمد الظاهر فاقام تسعة أشهر وتوفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة * وولى بعده ولده المستنصر بالله منصور فاقام سبع عشرة سنة وتوفى سنة أربعين وستمائة وله من العمر اثنتان وخمسون سنة * وولى بعده ولده المستعصم بالله عبدالله فاقام سبع عشرة سنة

عشر ألفا وانه ستين خمسة من أولاده فصرف فى ختانهم ستمائة ألف دينار وكان فى داره احد عشر ألف غلام خصى غير الصقالبة والروم والسود وقدمت عليه رسل الروم فعمل مركبا لارهاب العدو وأقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح وأقام بعدهم الخدم وهم ستمائة ألف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التى نصبت على الحيطان بدار الخلافة ثمانين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التى فرشت اثنين وعشرين ألف بساط وكان من جملة ذلك مائة سبع فى سلاسل الذهب والفضة وهذا كله مع وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف زينتها فى أيام قوتها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه زوال وفى أيامه ظهرت الطائفة الملحدة التى تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدى الى الكفر اول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطى وبنى دارا فى هجر واراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه فكثر فتكه فى المسلمين وسفك الدماء وكثرت طائفته واشتدت شوكته حينئذ وجاء أبو طاهر القرمطى بعسكر جرار بآلات السلاح الى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف فى الطائفين والمصلين وفى مكة وشعابها وقتلوا ما يزيد على ثمانين ألف انسان وركض أبو طاهر بسيفه مشهورا فى يده وهو سكران راكب فرسه ودخل الى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وافنيهم أنا

وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام وقلع الحجر الاسود وحمله معه يريد ان يحول الناس الى مسجد ضرار واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا اربعة ايام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وابتلى أبو طاهر النجس با كله فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة بعد ان عذبه الله بانواع البلاء ولعذاب الآخرة أشد وابقى ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من احوال القرامطة المناحيس فان وقائعهم مشهورة ولاجل ذلك اقتصرنا على ما ذكر فكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائه والله سبحانه وتعالى اعلم

(خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد)

بويع له يوم قتل اخيه وسنه اثنتان وخمسون سنة فاقام سنة وستة اشهر ثم خلع واكحل فى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

(خلافة محمد الراضى بن المقتدر)

بويع له يوم خلع عمه محمد القاهر وسنه اثنتان وثلاثون سنة فاقام ست سنين وعشرة ايام وتوفى فى ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة

(خلافة المكتفى ابراهيم بن المقتدر)

بويع له يوم مات الراضى وسنه ستون سنة فاقام سنتين واحد عشر شهرا واكحل فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

(خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى)

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ست واربعون سنة فاقام سنة واحدة واربعة اشهر وخلع فى جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

(خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر)

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ثلاث وسبعون سنة وفى ايامه رد الحجر الاسود من هجر الى مكانه من البيت الشريف فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة واربعة اشهر وخلع نفسه فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة

(خلافة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله)

بويع له يوم خلع أبيه وكان مغلوبا عليه من قبل أمرائه وما كان له الا العظمة قال الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق * ما بيننا يوم الفخار تفاوت

وتوفى سنة ستمائة وتسع وخمسين بخيانة وزيره ابن العلقمى الذى كان رافضيا وخربت بغداد وزالت دولة بنى العباس منها وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم ومن أعظم أسباب زوالها ان ابن العلقمى استولى على المستعصم وكان رافضيا عدوا لاهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين واطفاء أهل السنة واظهار أهل البدعة فصار يكاتب كبير التتار وهو هلاكو ويطمعه فى ملك بغداد أو يخبره بضعف الخليفة ويعلمه صورة أخذها ويحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع فى مرة عشرين ألف مقاتل ووفر علوفاتهم فى الخزينة

أبدا كلانا في السيادة معرق * الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوق

قيل ان الطائع لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضي وقيل ان الرضي كان يوما عند الطائع وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة فقال بل رائحة النبوة وكان الطائع كبير الانف فقال الشاعر

خليفة في وجهه روشن * خرشفه قد طال العسكرا * يهدي به يمشي على رجله * وأنفه قد صعد المنبرا

وأقام الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخلع نفسه سنة احدى وثمانين وثلثمائة

(خلافة أبي العباس أحمد القادر بالله بن المقتدر)

بويع له بالخلافة في عاشر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكان في غاية العبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وعده ابن الصلاح من علماء الشافعية وذكره في طبقاته وطالت مدته حتى بلغت احدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

(خلافة القائم بامر الله عبد الله بن أحمد القادر)

بويع له يوم مات أبوه فاقام أربعا وأربعين سنة وثمان شهور وتوفي في شهر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة

(خلافة المقتدي بامر الله بن القائم بامر الله)

بويع له يوم مات جده وسنه سبع وستون سنة وكانت المبايعة بحضرة الامام الكبير أبي اسحق الشيرازي أحد أركان أئمة الشافعية رضي الله عنه وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء بني العباس ومن جملة صلاحه ان السلطان ملك شاه قصد أن يتحكم عليه فارسل اليه يقول له لابد أن تترك بغداد وتذهب الى أي بلد شئت فارسل الخليفة له يتلطف في ذلك فابي الا الشدة والغلظة فقال لرسوله اسأله المهلة لي ولو شهرا فابى وقال ولا ساعة فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم النهار ويقوم الليل ويتضرع الى الله ويضع خده على التراب ويناجي رب الارباب فنفذ دعاؤه في ملك شاه نفوذ السهم المسموم في كبد الظالم من المظلوم فهلك ملك شاه قبل مضي عشرة أيام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدي ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفي * يدق خفاه عن فهم الذكي * وكم يسر أتى من بعد عسر

وفرج كربة القلب الشجي * وكم هم تساء به صباحا * وتأتيك المسرة بالعشي

اذا ضاقت بك الاحوال يوما * فثق بالواحد الاحد العلي

تمسك بالنبي فكل هم * يزول اذا تمسك بالنبي

وأقام في الخلافة تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وتوفي ثامن محرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة

(خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد)

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وسنه أربع وأربعون سنة وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد في الكتابة حافظا للقرآن عالما فاضلا وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفي لست بقين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة والله أعلم

(خلافة أبي الفضل منصور المسترشد)

بويع له بالخلافة يوم مات أبوه وسنه ثلاث وأربعون سنة وكان شجاعا دينا مشغولا بالعبادة وحفظ القرآن والحديث وخرج الى قتال مسعود بن ملك شاه السلجوقي فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى أن قتل وكانت خلافته تسع عشرة سنة وقتل في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة

(خلافة أبي جعفر منصور الراشد بالله)

بويع له بالخلافة يوم قتل أبيه فاقام سنة واحدة وقبض عليه السلطان مسعود السلجوقي وخلعه من

وأظهر للخليفة انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة في بيت المال فاعجبه رأيه لكونه كان يحب المال وجمعه فدخل التتار الى بلاد العراق واستأصلوا من بها وتوجهوا الى بغداد فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز الى قتالهم فلم يقدروا عليهم وغرق من عسكره كثير في نهر الدجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأسروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى ان استخلص أمواله وخزائنه ودفائنه ثم قتل اولاده واتباعه وامران يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت وأوقع بوزيره الذل والهون وصار معهم من جملة الغلمان ومات كمدا وهذه الحادثة قد استطار

الخلافة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة والله أعلم

(خلافة المقتفي لامر الله وهو محمد بن المستظهر)

بويع له بالخلافة يوم خلع عمه وكان عالما شجاعا قال في الاكتفاء قال ابن الجوزي قرأت بخط الشيخ أبي الفرج بن الحسين الحداد قال حدثني من أثق به أن المقتفي رأى في منامه قبل أن يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل اليك هذا الامر فاقتف بي فلقب المتقي لامر الله فاقام خمسا وعشرين سنة وتوفي يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة

(خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفي)

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثمانون سنة يحكى انه قبل أن يصير خليفة رأى في منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب في كفه ثلاث خاآت فلما أصبح سأل المعبرين عن منامه فقالوا له انك تلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان كذلك فاقام احدى عشرة سنة وتوفي تاسع ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ومن شعره في بخيل

وباخل أشعل في بيته * تكرمة لا جلنا شمعه * فما جرت من عينها دمعة * حتى جرى من عينه دمعه

(خلافة المستضيء بنور الله هو محمد بن الحسن بن المستنجد بالله)

بويع له يوم وفاة والده كان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وكان سنه اثنتين وأربعين سنة وهو الذي خطب له صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر فاقام تسع سنين وأشهرا وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة والله تعالى اعلم

(خلافة الناصر أحمد بن المستضيء بنور الله)

بويع له يوم مات أبوه وسنه تسع وستون سنة فاقام سبعا وأربعين سنة وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس

(خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد)

بويع له يوم مات أبوه بعهد منه فاظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس حكي عنه انه فرق في ليلة النحر على الفقهاء مائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال دعني أفعل الخير فاني لا أدري كم اعيش فلم يلبث ان وافاه الله بالكيل الاوفى فعاش حميدا ومات سعيدا فكانت خلافته تسعة أشهر وتوفي في سنة ثلاث وعشرين وستمائة الى رحمة الله تعالى

(خلافة أبي جعفر المنتصر بالله)

بويع له يوم مات والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتوفي في سنة تسع وثلاثين وستمائة

(خلافة المستعصم بالله بن المنتصر)

بويع له يوم مات أبوه وهو آخر خلفاء بني العباس وبزواله زالت دولة بني العباس كما جرت عادة الله بانقراض الدول ولله البقاء عز وجل وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور المملكة اليهم وامتهانهم غاية الامتهان الى أن صاروا أسماء بلا مسميات وصورا هيولا يتصرف فيها بالمحو والاثبات ومن أعظم أسباب زوالها ان مؤيد الدين العلقمي كان وزير المستعصم وكان رافضيا مستوليا على المستعصم عدوا له ولاهل السنة يداريهم في الظاهر وينافقهم في الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بني العباس واعادتها الى العلويين وطمس أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدع فصار يكاتب هلاكو ويطمعه في ملك بغداد ويطالعه باخبارها ويعلمه كيفية أخذها ويخبره بضعف الخليفة وانحلال العسكر عنه وصار الوزير يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع أرزاقهم وشذت

شرها وهم ضرر هما وهم قوم لا يحصون عددا ولا يحتاجون الى مدد يأتيهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لاغير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما دياناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولما حصل في بغداد ما حصل انتقل اولاد الخلفاء العباسيين الى مصر في زمن السلطان بيبرس لانها كانت بايدي اسلافهم وينيبون فيها نوابا وجملة نوابهم سبع وخمسون لم تتعرض لهم خوف الاطالة المؤدية الى السآمة ومن جملة نوابهم احمد بن طولون فانه كان نائبا على مصر في زمن خلافة المستعز سنة اربع وخمسين ومائتين ثم سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج

شملهم بحيث انه أذن مرة لعشرين ألف مقاتل ان يذهبوا الى اين أرادوا ووفر علوفاتهم فى الخزينة وأظهر للمستعصم انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة فى بيت المال فأعجب المستعصم رأيه وكان يحب المال ويجمعه وما يعلم أنه يجمعه لعدوه

بيت مفرد يخبركم انه ناصح * وفى نصحه ذنب العقرب

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ومما يحكى ان اعرابيا قال اللهم انى أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتى الا بالتتبع لمواقع سهوتى وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى حيوان غير موجود

مفرد لسانك لى حلو وقلبك علقم * وشرك مبسوط وخيرك ملتوى

مفرد اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعاد فى جسوم أصادق

ولبعضهم لى صديق لديه ودو نصح * غير ان الدفاع منه مله

فاذا ما سعى ليدفع عنى * فى الملمات صار عون الملمه

ليته كف خيره وأذاه * ورعى لى بذاك حق او حرمه

وقال الطغرائى رحمه الله من قصيدة

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما جووا لك باطنا ممذوقا

وقال أيضا من قصيدة له ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد عن جبلته الصفاء

وقال الجنيد دخلت على السرى فقلت له أوصنى قال لا تكن مصاحبا الاشرار ولا تشتغل عن الله بصاحبة الاخيار وكان بعض الاعراب يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من الصاحب الردىء وفى المعنى

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح أم على غش يداجينى

تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل منك يأتينى

وفى المعنى واخوان وثقت بهم فاضحى * اذاهم يعتريني كل حين

واما ان أسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقينى

مفرد دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقيل فى المعنى وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب

ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

وما احسن قول أبى دلف هل رأينا أو سمعنا من نهى * رجلا عن سوء فعل فانتهى

بل اذا عوقب فى سيئة * لم يدعها وتعاطى أختها

قال الكندى الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنها أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليها حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقالوا الاصدقاء على ثلاث مراتب العليا وهو الصديق الكريم ذو المروأة والمرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم ذو التجارب والمرتبة السفلى وهو الصديق العاجز وهو ان يتوجع لشكواك فان خلا الصديق من احدى هذه المراتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده قال الشاعر

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فنرجوك للدين

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * جعلناك مثالا مثل شخصك من طين

وقال الصفدى اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فنرجوك للقرى

وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار وتوفى ليلة الاحد لعشرين خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين * وتولى بعده ولده خارويه وبايعه الجند يوم الاحد لعشرين خلون من القعدة سنة سبعين ومائتين

ولا

ولا أنت عن يرتجى لكريهة * عملنا منا الا مثل شخصك من خوا

قال بعض الحكماء يجب على الملك أن لا يخلو من خمس معاقل يتحصن بها أولها وزير صالح يتحصن برأيه في الشدة والرخاء وثانيها سيف قاطع يتحصن بحده وثالثها فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات ورابعها قلعة منيعة يتحصن بها اذا أحيط به وخامسها امرأة حسناء يتحصن بها بصره وكان يقال عدوك ضدك وحكم الضدين التنافر والتدابر والتنافي والتباين قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيوت والاماء هلاكها ومن كلام الحكماء كن على حذر من الكريم اذا أهنته ومن اللئيم اذا أكرمته ومن العاقل اذا أحرجته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الفاجر اذا عاشرته وكان يقال اذا لم تجد من الخدم الامن ساء أدبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل قلبك من الاذى أضعاف ما يحمل عن بدنك بخدمته من العناء وكان يقال غفل من زعم انه يجد راحة اذا شارك في سره غيره لغير ضرورة لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاورة فيه أقل من مشقة الحسد في انتشاره بسبب المشاركة وضعف مشقة الحذر وقال الطغرائي في لاميته

ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

قال سيدنا عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا علمت انى لست أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه وفي المعنى

اذا ما ضاق صدرى من حديثى * فافشته الرجال فمن ألوم

وقد قيل لبنى أمية بعد ذهاب ملكهم ما الذى كان سببا في زوال الملك عنكم فقالوا أقواها أننا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فاخذ العدو ما لنا وتقوى به علينا وأبعدنا الصديق وقربنا العدو فصار الصديق عدوا بالابعاد ثم ان المستعصم ومن معه لم يزل في غفلته لاخفاء ابن العلقمى سائر الاخبار عنه الى ان وصل هلاكو الى بلاد العراق واستأصل من بها وتوجه الى بغداد فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم على فعلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتال هلاكو فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال واستمر من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد الانكسار وولوا الادبار وما أغنى عنهم الفرار وغرق كثير منهم في الدجلة وقتل أكثرهم أشر قتلة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأسر المستعصم هو وأولاده وجماعته وأتى بهم الى هلاكو أسرى اذلاء فسبحان المعز المذل واستبقى هلاكو الخليفة الى ان احتوى على أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذريته وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ففعلوا به ذلك وكانت مدة خلافة المستعصم سبع عشرة سنة ومات في يوم الاربعاء ورابع عشر ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وستمائة وانما ازال الله ملكه وأهلكه حيث اتخذ بطانة سوء ومعلوم ان الله اذا أراد بملك سوأ قيض له قرناء السوء ولله در القائل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

ولم ينل ابن العلقمى ما أراده من نقل الخلافة لمن أراده وذاق من التتار الذل والهوان وكان حسن لهم أن يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه وصار معهم في صورة بعض الغلمان ومات كمدا لا رحمه الله وعملت الشعراء قصائد في بغداد فقال بعضهم

بادت وأهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا الامير خراب

وقال بعضهم

يا عصبة الاسلام نوحى واندبى * حزنا على ما تم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقم

ثم انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر في سنة خمس وخمسين وستمائة واجتمع بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى له

فتعقب ما كان يفعله والده من الصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل بدمشق على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه في ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل في صندوق الى مصر فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما وتولى بعده ولده أبو العساكر في عاشر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية أشهر واثنى عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وتولى بعده أخوه ابو موسى هرون بن خارويه فاقام ثمان سنين وثمانية أشهر وقتل سنة احدى وتسعين ومائتين وتولى بعده شيبان بن أحمد بن طولون في عاشر صفر سنة ثنتين وتسعين فاقام اثنى عشر يوما فانكر عليه

تفقه وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال يأتون الى السلطان الذى يريدون توليته ويقولون له وليناك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون لهم أحيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقبه المتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وفتحت مصر وزالت دولة الجراكسة وعاد مقر الدولة الشريفة القسطنطينية العظمى أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور وجعله ركابا فلما توفى السلطان سليم الى رحمة الله تعالى عاد الخليفة المذكور الى مصر واستمر بها الى ان توفى فى ثامن عشر شعبان سنة خمسين وتسعمائة زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر جيد منه قوله مضمنا بيتا من لامية الطغرائى

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن * ولا كريم اليه مشتكى حزنى
وانما ساد قوم غير ذى حسب * ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الآخرة فلقد زالوا وما زالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة على ألسنة الرواة لا تطوى وفى المعنى

كانوا ملوك الارض فى أيامهم * كبراء كل مدينة ومكان * فتمزقوا وتفرقوا فهناك هم
تحت الثرى يبلون فى الاكفان * والله وارث على كل حى بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

(الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والدولة العباسية وما داخلها من بنى طولون والاخشيدية)

أول من تقرر فى مصر واليا بعد فتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص فتح مصر يوم الجمعة سنة عشرين من الهجرة فاختط الفسطاط بنيانا وتولى نيابة مصر واقليمها وهى طولا من العريش الى اسوان وعرضا من ايلة الى برقة ذكر فى فتوح مصر ان عمرو بن العاص أرسل الى سيدنا عمر بن الخطاب كتابا يذكر فيه ان الفلاحين يقف عليهم جملة مال فارسل سيدنا عمر بن الخطاب جوابا يعرفه فيه أما بعد فانى أعلمك أيها الامير اذا كان زمن التخضير وكتبت عليهم سجلات بتقرير فلا تغير ما كتبت عليهم والحذر من ايصال المضرة اليهم فنحن القادرون عليهم فى الدنيا وهم خصماؤنا فى الآخرة وكل راع مسؤل عن رعيته واعلم ان الظلم باب لعن الله الداخل فيه والعدل شئ نعتمده ونمضيه فاقصد أمرنا ولا تخالف حكمنا وانا منك بعيد والله مطلع عليك وشهيد وقد اتصل بنا كتابك وانت تذكر فيه ان الزراعين يقف عليهم جملة كثيرة من المال فلا تبع من مواشيهم شيأ فترديهم الى العدم وتحل بهم النقم واجعل على زراعتهم كل ثقة أمين واذا علمت انها محفوظة مضمونة فواسهم بشئ من المؤنة وجوز الايام تهون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وصرف عمرو بن العاص عن ولايته فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم تولى عبد الله بن ابى سرح من قبل سيدنا عثمان بن عفان وفى ولايته فتحت الاسكندرية عنوة الفتح الثانى ومكث أميرا على مصر المحروسة ولاية سيدنا عثمان بن عفان وكان محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لها شان وغزا افريقية وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساورة حتى بلغ دنقلة وغزوة الصوارى ولما جبى خراج مصر بلغ أربعة عشر الف الف دينار فنظر سيدنا عثمان بن عفان الى عمرو بن العاص وقال قد علمت ان اللقحة درت بعدك قال نعم ولكن أجاعت اولادها والذى جباه عبد الله بن ابى سرح اغاه وعلى الجماجم خارجا عن الخراج وغيره من الاموال الديوانية ومات عبد الله بن ابى سرح بعسقلان فى رجب سنة خمس وثلاثين بعد ان استخلف عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته احدى عشرة سنة ونصف سنة تقريبا والله اعلم * ثم تولى قيس بن سعد بن عبادة

قواد هرون بن خارويه وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار فى القطائع ونهب أصحاب الفسطاط واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء واخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت الديار منهم وكانت مدة ولايتهم سبعا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى فأرسلوا نوابهم الى مصر ومن جملة نوابهم محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فاقام احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وولى بعده ابنه أبو القاسم فاقيم كافور

الانصارى من قبل سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه فاقام يسيرا ومات ثم تولى محمد بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه من قبل الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه فوصل الى مصر فى نصف رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب اموالهم وسجن ذراريهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم اهل مصر فدخل عمرو بن العاص الى مصر وتغيب محمد بن ابى بكر فظفر به معاوية بن حديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار وأحرق بالنار لاربع خلون من صفر سنة ثمانية وثلاثين فكانت ولايته خمسة أشهر ثم عاد عمرو بن العاص من قبل معاوية ابن ابى سفيان ثانيا وجعل له مصر طعمة ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص قال لقبط مصر من كتم كنزا عنده فقدرت عليه لاقتلنه وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله عنه فانكر وجحد فحبسه وصار يسئل عنه هل يسئل عن أحد فقالوا له لا ولكن سمعناه يسئل من راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث لى بما عندك وختم الكتاب بختم بطرس فجاء المرسل بالكتاب بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها مكتوبا مالكم تحت الفسقية الكبيرة فارسل عمرو الى دار بطرس وحبس الماء عن الفسقية فوجد فيها اثنين وخمسين أردب ذهب مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس وأخذ المال جميعا فعند ذلك أخرجت القبط كنوزهم شفقة على انفسهم وتوفى عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة اثنتين وأربعين وغسله عبد الله ابن عمرو وأخرجه الى المصلى فلم يبق أحد شهد العيد الا صلى عليه فكانت ولايته منذ افتتح مصر الى ان صرف منها اربع سنين وشهرا * ثم تولى عقبة بن ابى سفيان من قبل أخيه معاوية فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين فاقام سنة أشهر ثم تولى عامر بن عقبة الجهنى من قبل معاوية وصرف عنها فى شهر ربيع الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر * ثم تولى مسلمة بن مخلد الانصارى من قبل معاوية وتوفى فى ولايته سنة اثنتين وستين بعد وفاة معاوية بسنتين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر * ثم تولى سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من اهل فلسطين من قبل يزيد بن معاوية فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين الى ان عزل فى رجب سنة اربع وستين فكانت ولايته سنة وواحدة وأحد عشر شهرا * ثم تولى عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم من قبل سيدنا عبد الله بن الزبير فوصل فى شعبان فاقام تسعة أشهر * ثم تولى عبد العزيز بن مروان من قبل ابيه فى رجب سنة خمس وستين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما * ثم تولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه عبد الملك فى جمادى الآخرة سنة ثمانين وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته أربع سنين وعشرة أيام * ثم تولى قرة بن شريك العبسى من قبل الوليد بن عبد الملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين الا أياما * ثم تولى عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان ابن عبد الملك سنة ست وتسعين الى غاية صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم تولى أيوب بن شرحبيل بن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين ومات لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * ثم تولى بشر بن صفوان الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك فى رمضان سنة احدى ومائة وفى ولايته استولت الروم على تنيس فى شوال سنة اثنتين ومائة * ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو أخو شريك المذكور باستخلاف من أخيه فاقره يزيد بن عبد الملك ولما بويع لهشام بن عبد الملك صرف حنظلة المذكور فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل أخيه هشام فى شوال سنة خمس ومائة فوقع الوباء بمصر فخرج منها ولم يلها الا نحوا من شهر * ثم تولى الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم من قبل

الخادم الاسود نائبا عنه فكان يدبر المملكة فاقام أربع عشرة سنة وعشرة اشهر وتوفى سنة تسع واربعين وثلثمائة وتولى بعده ابو الحسن على ولد الاخشيد فاقام سنتين والكلام لكافور الاخشيدى ثم استقرت المملكة باسم كافور فكان يدعى له على المنابر فى الديار المصرية والشامية والحجازية وكان حسن السيرة فاقام سنتين واربعة اشهر ومات سنة سبع وخمسين وثلاثمائة * وولى بعده احمد بن على الاخشيد فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكانت مدة تصرفهم اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرين يوما

(الباب الثانى فى دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة)

عبد الملك فى ذى الحجة وفى ولايته رابط بدمياط ثلاثة اشهر وصرف عن ولايته فى ذى الحجة سنة ثمان ومائة
باستعفائه المفاوضة بينه و بين عبد الله بن الحبحاب فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم تولى حفص بن الوليد
الحضرمى من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب * ثم تولى عبد
الملك بن رفاعة ثانيا فقدم فى المحرم سنة تسع ومائة ومات فى نصف المحرم فكانت ولايته خمس عشرة ليلة
* ثم تولى الوليد بن رفاعة باستخلاف من اخيه فاقره هشام بن عبد الملك فتوفى وهو وال فى جمادى الآخرة
سنة سبع عشرة ومائة فكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر * ثم تولى عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من
الوليد فاقام سبعة أشهر * ثم تولى حنظلة بن صفوان ثانيا من قبل هشام بن عبد الملك فى المحرم سنة تسع
عشرة ومائة فحصل بينه و بين القبط محاورة فبلغ ذلك هشاما فصرفه عنها وولاه افريقية وخرج فى ربيع
الآخر سنة اربع وعشرين ومائة فكانت جملة ولايته خمس سنين وشهرين * ثم تولى حفص بن الوليد
الحضرمى ثانيا من قبل هشام فى شهر شعبان سنة اربع وعشرين ومائة ولما مات هشام استخلف من بعده
ولد أخيه الوليد بن يزيد فاقام حفصا ثم صرف عنها فى شوال سنة خمس وعشرين ومائة فكانت جملة تصرفه
سنة واحدة وشهرين * ثم تولى عيسى بن عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى ان عزله مروان الاخير ابن
مروان الاول سنة ست وعشرين ومائة فكانت مدة ولايته خمسة أشهر * ثم تولى حسان بن عتاهية من
قبل مروان المذكور فى المحرم وعزله فى سنته * ثم تولى حفص بن الوليد ثالثا على كره فاقام رجب وشعبان
ثم عزل فى المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة * ثم تولى حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلى من قبل مروان
المذكور فى المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة فاجتمع الجند على منعه فابى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه
الامان فامنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فاخذ فى طلب من كان سببا للفتنة فجمعوا له فضرب
اعناقهم ثم صرف من ولايته فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة و بعثه مروان الى العراق فقتل
فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر * ثم تولى المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان فى شهر
رجب سنة احدى وثلاثين ومائة وتوفى فى جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت جملة ولايته
عشرة أشهر * ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل مروان فكان آخر نواب دولة بنى أمية وهى سنة احدى
وثلاثين ومائة ولله البقاء *(ثم جاءت الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين ومائة)*
فكان اول نوابها بمصر صالح بن على بن عبد الله بن عباس من قبل أمير المؤمنين أبى العباس السفاح وقدم
فى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة فقتل كثيرا من شيعة بنى أمية و جهز طائفة منهم الى العراق فقتلوا ثم
ورد كتاب من السفاح الى صالح المذكور بامارة فلسطين واستخلافه على مصر من يشاء * ثم تولى ابو عون بن
عبد الملك الجرجانى فى مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة فوقع وباء بمصر فهرب أبو عون من مصر
واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الى دمياط سنة خمس وثلاثين ومائة ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح
ابن على ثانيا على مصر فى ربيع الاول سنة ست وثلاثين ومائة ومات السفاح من ذى الحجة واستخلف أمير
المؤمنين عبد الله المنصور فاقر صالحا على ولايته ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات * ثم تولى
أبو عون ثانيا من قبل المنصور فى ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته
هذه ثلاث سنين وستة أشهر * ثم تولى موسى بن كعب بن عيينة من قبل المنصور فى ربيع الآخر سنة
احدى وأربعين ومائة فكانت ولايته ستة أشهر * ثم تولى محمد بن الاشعث الخزاعى من قبل المنصور وفى
ذى الحجة سنة احدى واربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة اشهر * ثم تولى حميد بن قحطبة من
قبل المنصور فدخل فى عشرين الفا من الجند فى شهر رمضان سنة ثلاث واربعين ومائة ثم صرف فى ذى
القعدة سنة ست واربعين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبعة اشهر * ثم تولى يزيد بن حاتم المهلب

أما دولة الفواطم و يقال
لهم العبيديون فسبب
دخولهم مصر انه لما مات
الامير كافور واضطربت
احوال الديار المصرية
وطمعت أهل القرى فى
الجند فكتب اعيان
مصر الى الملك المعز
الفاطمى فارسل اليهم
جوهر الصقلى القائد فى
مائة الف مقاتل فدخلوا
مصر فى يوم الثلاثاء سابع
عشر شعبان سنة ثمان
وخمسين وثلثمائة فهرب
اصحاب كافور وأخذ
جوهر مصر بلا ضرب
ولا طعن فخطب للمعز يوم
الجمعة على منابر الديار
المصرية وسائر اعمالها
وأمر المؤذنين بجامع عمرو
وبجامع ابن طولون أن
يؤذنوا بحى على خير
العمل التى هو شعائر
الخوارج فشق ذلك على
الناس وما استطاعوا له
ردا وارسل بشيرا الى المعز
يبشره بفتح الديار المصرية

من قبل المنصور فى نصف القعدة سنة ست واربعين ومائة وصرف عنها فى ربيع الآخر سنة اثنتين
وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين واربعة اشهر * ثم تولى عبدالله بن عبدالرحمن من قبل المنصور
فى ربيع الآخر وهو أول من خضب بالسواد وصرف عنها فى رمضان سنة اربع وخمسين ومائة فكانت
ولايته سنتين وشهرين * ثم تولى محمد بن عبدالرحمن بن معاوية باستخلاف من اخيه عبدالله فاقره المنصور
ومات فى نصف شوال فكانت ولايته ثمانية اشهر ونصفا * ثم تولى موسى بن على بن رباح باستخلاف
من محمد بن عبدالرحمن ولما مات المنصور وبويع لولده محمد المهدى اقر موسى المذكور الى ذى الحجة سنة
احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين * ثم تولى عيسى بن لقمان بن محمد الجمحى من
قبل المهدى فى ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف عنها فى جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة
فكانت ولايته اربعة اشهر * ثم تولى واضح مولى ابى جعفر من قبل المهدى فى جمادى الاولى سنة اثنتين
وستين ومائة وصرف عنها فى رمضان من السنة المذكورة فكانت ولايته اربعة اشهر * ثم تولى منصور بن
زيد الرعينى وهو خال المهدى من قبل المهدى فى رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف فى نصف القعدة
فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام * ثم تولى يحيى ابوداود من خراسان من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة
اثنتين وستين ومائة وكان ابوه تركيا من اشد الناس واعظمهم هيبة واقدمهم على الحرب فمنع من غلق
الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شئ فعلى
أداؤه فكان الرجل يضع ثيابه فى الحمام ويقول يا اباداود احرسها فاذا ضاعت يأتيه فيمهله يوما ثم يأتى بها
ممن اخذها فكانت الامور على هذا المنوال واستمر الى المحرم سنة اربع وستين ومائة فكانت ولايته قريبا
من سنتين * ثم تولى ابراهيم بن صالح بن على بن عبدالله بن عباس من قبل المهدى فى المحرم سنة خمس
وستين ومائة وفى ولايته خرج دحية بن مصعب بن مروان بالصعيد ودعا لنفسه بالخلافة فتراخى ابراهيم ولم
يحفل بامره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدى وعزله عزلا قبيحا فى ذى الحجة سنة سبع وستين
ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم تولى موسى بن مصعب من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة سبع
وستين ومائة فتوجه بعسكره الى بلاد الحوف لقتالهم فلما التقوا انهزم اهل مصر باجمعهم وقتلوه من غير أن
يتكلم وكان قتله فى شهر شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر وكان ظالما غاشما
سمعه الليث يقرأ فى خطبته انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا * ثم تولى
عصامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار فحارب يوسف بن
نصر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف
فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين واستمر الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة * ثم تولى على بن
سنان بن على من قبل الهادى سنة تسع وستين ومائة ولما مات الهادى واستخلف هرون الرشيد
أقر على بن يوسف المذكور فاظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور
والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى فى عدم هدمها ما يزيد على خمسين الف دينار فلم يقبل
وكان كثير الصدقات فأثنت الناس عليه خيرا بل أشاعوا انه يصلح للخلافة فسخط عليه هرون
وعزله فى ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة * ثم تولى عيسى بن موسى العباسى من قبل الرشيد
فاذن للنصارى فى بناء الكنائس التى هدمها على بن سنان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبدالله
ابن أبى لهيعة ثم صرف عن مصر سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر ونصفا
ثم تولى مسلمة بن يحيى البجلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة
فكانت ولايته أحد عشر شهرا * ثم تولى محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد فى شعبان المذكور فثار عليه

واقامة الدعوة له بها
وطلبه اليها ففرح بذلك
فرحا شديدا ولما دخل
جوهر القائد مصر لم يعجبه
مدينة الفسطاط فاخذ فى
اسباب عمارة القاهرة
بنية المفاخرة لبنى العباس
ببنائهم بغداد فحفر
أساس المدينة وجمع
ارباب الفلك فامرهم ان
يختاروا له طالعا سعيدا
يضع اساس المدينة فيه
فجعل على كل جهة من
اساس المدينة قوائم من
خشب وبين كل قائمتين
حبلا فيه اجراس من
نحاس ثم وقف الفلكية
ينظرون دخول الساعة
الجيدة والطالع السعيد
ليضعوا فيه الاساس
فقدر الله ان طائرا حرك
تلك الاجراس فالقوا ما فى
ايديهم من الحجارة فى
اساس السور فصاحت
عليهم الفلكية القاهر
فى الطالع يعنون المريخ
فانه يسمى عندهم القاهر

الجند ولم يستقم حاله فصرف عنها فى غاية ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته خمسة أشهر
* ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدى فدخلا
مصر فى المحرم سنة أربع وسبعين ومائة فاخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة
ثم صرف داود المذكور عن ولايته فى المحرم سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة ونصفا * ثم تولى
موسى بن عيسى العباسى من قبل الرشيد فى شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة وصرف فى شهر صفر سنة
ست وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة * ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانيا من قبل الرشيد فى غرة ربيع
الاول سنة ست وسبعين ومائة وتوفى فى ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بعده
بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد * ثم تولى عبد الله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ست
وسبعين فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل
كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما وبعثه الى الحوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا
له وقاموا بالخراج كله ثم صرف عبد الله المذكور فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت ولايته سنتين
وسبعة أشهر * ثم تولى هرثمة بن أعين من قبل الرشيد فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة فأشار عليه
الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصفا * ثم تولى عبد الله بن صالح العباسى من قبل الرشيد
فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب وصرف فى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت مدته
شهرا واحدا ونصفا * ثم تولى عبد الله بن المهدى من قبل اخيه الرشيد فى المحرم سنة تسع وسبعين ومائة
فاستخلف ابن المسيب وصرف فى رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر * ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة
من قبل الرشيد فارسل ابنه يحيى خليفة عنه فى رمضان سنة تسع وسبعين ومائة وصرف فى جمادى
الآخرة سنة ثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر * ثم تولى عبد الله بن المهدى ثانيا من قبل أخيه
الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة وصرف فى رمضان سنة
احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة أشهر * ثم تولى اسمعيل بن صالح العباسى من قبل
الرشيد فى سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب الخزاعى فى جمادى الآخرة سنة اثنتين
وثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر * ثم تولى اسمعيل بن عيسى العباسى سنة اثنتين وثمانين ومائة
وصرف فى رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة شهور * ثم تولى الليث بن فضل من أهل بيروت
من قبل الرشيد فى سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر فى شوال فجاءه المال والهدايا والتحف
واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الى الرشيد ثم عاد وتوجه ثانيا بالمال واستخلف هاشم بن
عبد الله وكلما غاب سنة وخرج من حسابها توجه بالمال الى الرشيد ومعه الحساب ثم صرف عن مصر فى جمادى
الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة فكانت ولايته أربع سنين وسبعة اشهر * ثم تولى أحمد بن اسمعيل
العباسى من قبل الرشيد فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة ثم صرف فى رمضان سنة تسع وثمانين
ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرا ونصفا * ثم تولى عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسى من قبل الرشيد
فى شوال سنة تسع وثمانين ومائة وصرف فى شعبان سنة تسعين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر * ثم تولى
الحسين بن جميل من قبل الرشيد فى رمضان سنة تسعين ومائة وصرف فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين
ومائة فكانت مدة ولايته سبعة أشهر * ثم تولى دلهم الكلبى من قبل الرشيد فى ربيع الآخر سنة اثنتين
وتسعين ومائة وصرف فى صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر * ثم تولى الحسن
التحتاح من قبل الرشيد فى ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين ومائة فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين
فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لاخذه فبلغ الحسن فسار من

فقالوا اعلموا ان هذه المدينة
اكثر من يملكها الاتراك
وكان الامر كذلك وبنى
الجامع الازهر ثم لما
دخل المعز مصر لم يعجبه
ما بناه جوهر القائد وعابه
وقال لاى شئ لم تجعلها
على البحر وكان قد
سماها المنصورية أولا
ثم لما بلغه ما وقع للملكية
غير الاسم وسماها القاهرة
المعزية ولما استقر للمعز
ملك مصر انفرد بها ولم
يدخل تحت طاعة الخلفاء
العباسية وقال أنا أفضل
منهم لانى من ولد فاطمة
بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأكثر
المؤرخين يكذبونهم فى
ذلك ويقولون انهم أولاد
الحسين بن محمد بن احمد
القداح وكان مجوسيا
وقيل يهوديا وأمهم
فاطمة بنت عبيد اليهودى
وخلافتهم باطلة لانهم
قاموا والخلافة العباسية
قائمة ببغداد ولا تصح

طريق الحجاز لقصد طريق الشام وكان سيره في ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة * ثم تولى الحاتم بن هو من قبل الامين في ربيع الثاني سنة أربع وتسعين ومائة وصرف في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر * ثم تولى حاتم الاشعث الطائي من قبل الامين وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السري بن الحكم عصبيا للمأمون ودعى الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوه للمأمون لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ست وتسعين ومائة واخرجوا حاتما الاشعث فكانت ولايته سنة واحدة * ثم تولى عبادة بن محمد بن حسان بن أبي نصر من قبل المأمون في رجب سنة ست وتسعين ومائة فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس رئيس الحوف بولايته مصر وكتب الى جماعة يعاونه ببيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين صرف عبادة في شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر * ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائة ثم صرف في شوال فكانت ولايته تسعة أشهر * ثم تولى العباس بن موسى العباسي من قبل المأمون في القعدة سنة ثمان وتسعين ومائة وعزل سنة تسع وتسعين ومائة * ثم تولى المطلب ثانيا من قبل المأمون في المحرم سنة مائتين وعزل في شعبان من السنة المذكورة * ثم تولى السري بن الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون في مستهل رمضان سنة مائتين وتوفي السري المذكور سنة أربع ومائتين وهي السنة التي مات بها الشافعي رضي الله عنه * ثم تولى محمد بن السري المذكور من قبل المأمون وتوفي في شعبان سنة ست ومائتين فكانت ولايته أربعة عشر شهرا * ثم تولى عبيد الله بن السري باجماع من الجند وعزله عبد الله بن طاهر من قبل المأمون في ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين * ثم تولى عيسى بن يزيد الجلودي باستخلاف عبد الله بن طاهر الى سابع عشر القعدة سنة ثلاث عشرة ومائتين * ثم تولى الامير أبو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم فاقر موسى على الصلات فقط وجعل صالح بن شيراز على الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا أصحابه في صفر سنة أربع عشرة ومائتين * ثم تولى عمر بن الوليد التميمي باستخلاف أبي اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الحوف في ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فكانت ولايته شهرين * ثم تولى عيسى الجلودي ثانيا باستخلاف أبي اسحق بن هرون الرشيد فحارب أهل الحوف بالمطرية ثم انهزم فاقبل أبو اسحق في أربعة آلاف من أتراكه فقاتل أهل الحوف وقتل أكابرهم وخرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في أتراكه ومعه الاسارى * ثم تولى عبدويه بن جبلة من قبل أبي اسحق فاستمر الى غاية سنة خمس عشرة ومائتين وتوجه الى برقة * ثم تولى عيسى بن منصور الرافعي من قبل أبي اسحق المذكور في أول سنة ست عشرة ومائتين فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادى الاولى من السنه المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروب عظيمة الى أن قدم عبد الله المأمون الى مصر سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبي منهم من سبي وقتل منهم من قتل وان المأمون أراد الوقوف على حقيقة الاهرام ففتح ثلمة من الهرم الكبير الى أن انتهى الى عشرين ذراعا فوجد مطمرة فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقيتان من أواقينا وكانت ألف دينار فتعجب المأمون من جودة ذلك الذهب وحسن جرته وقال ارفعوا الى حساب ما انفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه بازاء ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كان هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا ثم رحل المأمون لثمان عشرة ليلة من صفر سنة سبع عشرة ومائتين قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف في أخبار مصر وعجائبها ان سوريد أحد ملوك مصر قبل الطوفان هو الذي بني الهرمين الكبيرين العظيمين

البيعة بالخلافة لامامين في وقت واحد ومبدأ ظهورهم بالمغرب المهدي بالله عبيد الله في المهدية تولى بالمغرب خمسة وعشرين سنة وثلاثة أشهر ثم القائم بامر الله محمد تولى المغرب ايضا ثنتي عشرة سنة وسبعة اشهر ثم المنصور اسمعيل صاحب افريقية تولى بالمغرب فاقام اثنتين وثلاثين سنة وأولهم بمصر المعز لدين الله تميم معد بن المنصور بن القائم بامر الله ابن المهدي صاحب المغرب بويع له بالمغرب بعد موت ابيه المنصور وكان رافضيا يبغض الصحابة ويسبهم يوم الجمعة على المنبر الا انه كان عاقلا فاضلا أديبا حاذقا وفيه عدل للرعية وكانت مدة ولايته بمصر اربع سنين وشهر او يومين * وتولى من بعده ولده العزيز بالله نزار بويع

المنسوبين الى شداد بن عاد وسبب بناتهما انه قبل الطوفان بثلثمائة عام رأى سوريد فى منامه كان الارض انقلبت باهلها وكان الناس قد هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط و يصدم بعضها بعضا باصوات هائلة فراعه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام ان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض فى صورة طيور بيض وكانها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الكواكب المنيرة صارت مظلمة مكسوفة فانتبه فزعا مرعوبا فامر عند ذلك بعمل الاهرام ولما شرع فى بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظام واستخدام الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها اساس الاهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملون وكانوا يعدون البلاطة وينقبونها ويجعلون بوسطها قضيبا من حديد قائما و يركبون عليها بلاطة أخرى منقوبة و يدخلون القضيب فيها ثم يذاب الرصاص و يصب فى القضيب حول البلاطة الى أن كملت وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام مائة ذراع بالذراع الملكى وهو خمسة أذرع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراع العمل ولما فرغت كساها ديباجا ملونا من أسفلها الى أعلاها وأنشد بعضهم

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على طول ما أبصرت من هرمى مصر
أناقا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر

وقال آخر

خليلى ما تحت السماء بنية * تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وذكر القبط فى كتبهم ان عليها كتابة منقوشة باليونانى تفسيرها بالعربية أنا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام فى وقت كذا وكذا واتممت بناءها فى ست سنين فمن أتى بعدى وزعم انه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد علم ان الهدم أهون من البناء وأنا كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر * رجعنا الى ما نحن بصدده ثم ان المأمون ولى مصر ابن عبد الله الصفدى المدعو كيدر ومات المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين واستخلف المعتصم فاقر كيدر المذكور ثم مات كيدر المذكور فى ربيع الآخر سنة ست عشرة ومائتين بعد ان استخلف ابنه المظفر * ثم تولى ابن أبى العباس من قبل المعتصم فى مستهل رمضان سنة تسع عشرة ومائتين فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر * ثم تولى كيدر بن عبد الله الصفدى من قبل المعتصم ولما مات المعتصم و بويع للواثق أقره الى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين * ثم تولى عيسى بن المنصور ثانيا من قبل الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين ولما بويع للمتوكل صرف عيسى المذكور فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين * ثم تولى منصور بن المتوكل من قبل أبيه المتوكل وضم اليه المشرق والمغرب واستمر الى سنة احدى وأربعين ومائتين فكانت مدته سبع سنوات * ثم تولى يزيد بن عبد الله من قبل المتوكل فدخل مصر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو الذى بنى المقياس الموجود الآن ولما مات المتوكل و بويع لمحمد المنتصر أقر يزيد المذكور ولما مات المنتصر و بويع للمعتز اقر يزيد المذكور وصرف عنها سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكانت ولايته عشر سنوات * ثم تولى احمد بن مزاحم من قبل المعتز واستمر الى سنة اربع وخمسين ومائتين

(الدولة الطولونية)

أولهم احمد بن طولون تولى من قبل المعتز فى شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين ولما تولى مصر كان على خراجها احمد بن المبرد وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب اهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار وكان ابن طولون قد رأى عند احمد بن المبرد مائة غلام قد انتخبهم وصيرهم عدة له وكان لهم حسن خلق و بأس شديد وعليهم أقبية ومناطق كبار عراض و بايديهم مقارع غلاظ على طرف

له بالخلافة بعد موت أبيه المعز سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان جوهر القائد يدبر له المملكة كما كان فى زمن والده فاقام احدى وعشرين سنة وتوفى فى حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة * وتولى الحاكم بامر الله ابو على المنصور ابن العزيز كان شر الخليقة لم يل مصر بعد فرعون اشر منه ورام ان يدعى الالوهية كما ادعاها فرعون فامر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر ان يقوموا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان ذلك فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا كثير التلون فى أقواله وأفعاله وله أحكام مشهورة يمجها صاحب العقل السليم والطبع المستقيم وقبائح ينكرها العرف والشرع القويم

كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه فاذا ركب ركبوا فى صدور الناس بين يديه فتصير له هيبة عظيمة فى قلوب الناس فتفطن ابن المبرد لقصد ابن طولون وقال من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف نخافه وكره المقام معه بمصر واتفق مع سفيان الخادم صاحب احمد بن المبرد على مكاتبة الخليفة بازالة احمد بن طولون فلم تمكن غير أيام حتى بعث احمد بن طولون الى احمد بن المبرد يقول له قد كنت اعزك الله اهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها فرددناها عليك توفيرا ونحب ان تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فانا اليهم احوج منك فقال ابن المبرد لما بلغته الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدم ولم يجد له بدا من بعثهم اليه فتحولت هيبة احمد بن المبرد الى احمد بن طولون ونقصت هيبة ابن المبرد بمفارقة الغلمان فكتب ابن المبرد الى الخليفة يحرضه على عزل ابن طولون فبلغه ذلك فكتم ذلك فى نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأقام المهدى بالله بن الواثق فاقر احمد بن طولون وزاده اعمالا على مصر من جملتها الاسكندرية وتوجه ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها ولم يزل يستأصل الامور شيأ فشيأ الى ان قويت شوكته ونمت عساكره وتغلب وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة الف وعشرين الف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم الف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار ومما اتفق انه لما تساقطت النجوم فى أيامه راعه ذلك فاحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم فما أجابوا بشئ فدخل الجمل المصرى الشاعر وهم فى الحديث فانشد

قالوا تساقطت النجو * م لحادث فظ عسير * فاجبت عند مقالهم

بجواب محتنك خبير * هذى النجوم الساقطا * ت رجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون واستبشر وأمر له بخلعة سنية وصلة وقال للجماعة أف لكم أما كان فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا وتوفى احمد بن طولون ليلة الاحد لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن خارج باب القرافة وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف من الذهب عشرة آلاف الف دينار ومن المماليك عشرة آلاف ومن الغلمان اربعة وعشرين الفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن البغال والحمير ستة آلاف ومن الجمال عشرة آلاف ومن المراكب الحربية مائة مركب قيل انه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله وما على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطالب الانصاف وقال بعضهم كنت أرى شيخا يقرأ على قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال كان له علينا بعض احسان فاحببت ان أصله بالقرآن فاتانى فى المنام وقال لا تقرأ على شيأ فانه لا تمر آية الا قيل لى اما سمعت هذه فاقول بلى والله تعالى أعلم * ثم تولى بعده ولده خارويه وبايعه الجند يوم الاحد لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فاقتفى ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك وأخذ الميدان وجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر * حكى انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فاشار عليه بالتكبيس فانف وقال لا اقدر على وضع يد أحد على بدنى فقال له اصطنع لك بركة طولها عشرون ذراعا فى عرض عشرين واملأها من الزئبق فانفق فى ذلك أموالا عظيمة وجعل فى أركان البركة سككا من فضة وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة وجعل فراشا من أدم يحشى بالريح حتى ينتفخ وينام على الفرش فصار يرمى ويتحرك بحركة الزئبق مادام عليه فكانت هذه البركة من أعظم ماسمع بها من همم الملوك وكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تألف القمر بنور الزئبق ولقد

حتى انه تعدى قبحه الى أخته وأراد ان يفعل بها الفاحشة فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم ينظر فى النجوم فاتاه عبدان فقتلاه وحملاه الى أخته ليلا فدفنته فى دارها وذلك سنة احدى واربعمائة فتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وبنى الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح ولما بناه قصد قطع الخطبة بالجامع الازهر فقدر الله انه ما خطب به الا ولده من بعده * وتولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله ابو الحسن بن الحاكم وهو الرابع من الخلفاء العبيدية الفاطمية وكان عمره ست عشرة سنة فاقام مثلها وسبعة أشهر وفعل أعمالا تقرب من أعمال والده ومات يوم الاحد سنة سبع وعشرين

أقام الناس بعد خراب البركة مدة يحفرون لأجل أخذ الزئبق من شقوق البركة ويبيعونه وبنى أيضا في داره دار للسباع وجعل في كل بيت سبعا ولبوة وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها وكل بيت مفروش بالرمل وفي جانب كل بيت حوض من رخام يصب فيه الماء وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق وقد أنس بخارويه وصار مطلقا بالدار لا يؤذى أحدا فاذا نصب خارويه مائدته أقبل زريق معها ووقف على يديه فيرمى اليه بيده جاجة أولحم أوغير ذلك مما على المائدة فيأكله وكان له لبوة لم تأنس كأنس فكانت في مقصورة وله وقت معلوم يجتمع معها فاذا نام خارويه قام زريق يحرسه فاذا نام على السرير يراعيه زريق مادام نائما وان كان على الارض أقعى قريبا منه وينظر لمن يدخل أو يقصد خارويه ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان قد ألف ذلك وكان في عنق زريق طوق من ذهب وكان لا يقدر أحد يدنو من خارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته حتى أراد الله انفاذ قضائه وقدره في خارويه لما كان بدمشق وزريق بمصر قتل اذ لا يغني حذر من قدر * ومما أفاده الكمال الدميري في حياة الحيوان ان للسبع أسماء كثيرة وكنى والمتكلمون على طبائع الحيوان يقولون ان الانثى لا تضع الاجروا واحدا فتضعه لحمة لاحس فيه ولا حركة فتحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ فيه مرة بعد مرة فيتحرك ويتنفس ويتشكل ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تشكله فاذا مضت عليه ستة أشهر اكتسب التعليم وله صبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ماليس لغيره من الحيوان ولا يأكل من فريسة غيره واذا شبع من فريسته تركها ولم يعد اليها ولم يشرب من ماء ولغ فيه الكلب ومع افراط شجاعته يفزع من صوت الديك ونقر الطشت ومن السنور ويتحير عند رؤية النار ومتى وضع جلده أو شئ من جلود السباع تساقط شعرها ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها أمن من الصرع قبل البلوغ فان أصابه الصرع بعده لم ينفعه ومن لطخ بشحمه جميع بدنه هربت منه السباع ولم يدن له مكروه واذا أحرق شعره في موضع هربت منه سائر السباع وشحمه ينفع الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق مع ثياب لم يصبها سوس ولا أرضة ومما يناسب ما تقدم من حراسة السبع ان شخصا مغربيا أخبرني شفاها في سنة ثلاثين والف ان شخصا من قرية من قرى جزائر الغرب ذكر له ان شخصا من أقاربه اجتاز ببعض الاودية فرأى جرو سبع مزرورا العينين قدر القط فالتقطه وجاء به الى منزله وكانت زوجته مرضعة ومعها ولد فالقمت الجرو ثديها فرضعه واستأنس بها فصار الولد والجرو كالتوأمين ولما كبر الولد وانتشى وبقى له حركة في المشي والدخول والخروج فكان الجرو يتبع الولد أينما ثار وأينما نام ينام بازائه واذا سرح بغنمه يتبعه ويراعيه ويحرسه اذا نام الى ان صار الولد رجلا والجرو سبعا فقدر الله ان الولد عشق بنتا من بنات قرية قريبة لقريته فكان يتوجه لها ليلا وهو راكب السبع واذا قرب من القرية التى فيها البنت يقول للسبع اجلس ههنا حتى أقضى مرادى وأعود اليك فيجلس السبع خارج القرية الى ان يعود اليه الولد فاتفق ان أهل البيت فطنوا بالولد المذكور فقبضوا عليه وقتلوه فاقام السبع ينتظره الى ان طلعت الشمس فلم يحضر فظن السبع ان الولد توجه الى أمه فكر راجعا الى منزل الولد فلم يجده فقالت أم الولد للسبع يا ميشوم أين صاحبك فذرفت عيناه بالدموع وكر راجعا على أثره للقرية التى كان بها الولد فقتل من أهلها في ساعة واحدة ما يزيد على عشرين نفرا وكلما دخل السبع منزل الولد يجد أمه تبكى فيعود الى القرية ويقتل من أهلها من يظفر به الى ان قتل جملة من أهلها ثم ان الذى بقى من القرية شكوا أمرهم لحاكم الولاية فاستشار الناس في قتله فاشاروا عليه بانه لا يمكن قتله الا ان تحضر به أم الولد ويستأنس بها فاذا استأنس بها يضرب برصاصة فيقتل ففعل به ذلك وقتل السبع بهذه الحيلة * رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر خارويه فانه لما تكامل

وأربعمائة * وتولى من بعده أبو أحمد المستنصر بالله معد بن الظاهر فاقام ستين سنة بتقديم السين المهملة على المثناة الفوقية وأربعة أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك في الاسلام قبله وحصل في مدته غلاء عظيم لم يعهد مثله الا ما كان في زمن يوسف عليه السلام فمكث سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعقد جواهر وطلبت عوضه مد بر فلم تجد فالقته وماتت جوعا فلم يوجد من يأخذه وتوفي المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعد موته صار التصرف في الامور لوزرائهم ولم يبق للفواطم من الخلافة سوى الاسم * وتولى من بعده المستعلى بالله أبو القاسم ولد المستنصر المذكور فاقام

* ١٨٢ وانتهى أمره توجه الى دمشق فقتل بها على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل في صندوق الى مصر وكان له يوم عظيم ومن كلام الحكمة ان بطانة الرجل واهله اذا خانوه فسد حاله فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى ابو العساكر بن خارويه في عاشر القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على أمور منكرة وقتل في جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين فكانت ولايته ثمانية أشهر واثني عشر يوما * ثم تولى أبو موسى هرون بن خارويه فابتدأ بتشاغله باللهو واللذات فاجتمع عماه شيبان وعدي ابنا أحمد ابن طولون على قتله فدخلا عليه ليلة الاحد عاشر صفر سنة احدى وتسعين ومائتين فقتلاه وكان سنه ثنتين وعشرين سنة وولايته ثمان سنين وثمانية أشهر * ثم تولى أبو المغازي شيبان بن أحمد بن طولون في عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين فانكر عليه قواد هرون بن خارويه وطالبوا شيبان وبعثوا الى محمد ابن سليمان كاتب لؤلؤ غلام احمد بن طولون فجاء الى مصر في عسكر جرار فخاف شيبان وطلب الامان فامنه محمد بن سليمان وقبض عليه في ثامن ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين فكانت ولايته اثني عشر يوما ودخل محمد بن سليمان في أوائل ربيع الاول المذكور فالقى النار في القطائع ونهب أصحاب الفسطاط وكسر السجن وأخرج من فيه واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وفعل كل قبيح وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم في اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت منهم الديار وآلوا الى البوار فكانت مدة الدولة الطولونية سبعا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما فسبحان المعز المذل ولما خربت القطائع أنشد ابن هشام يقول

يا منزلا لبني طولون قد دثرا * سقاك صوب الغوادي القطر والمطرا
بالله عندك علم من أحبتنا * ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

ثم عادت الدولة العباسية بمصر في خلافة المكتفي وفي ذلك يقول أحمد بن محمد

الحمد لله اقرارا به وهبا * قد كان بالامس شعب الحي فانشعبا * الله أصدق هذا الفتح لا كذب فسوء عاقبة حقا لمن كذبا * فتح به فتح الدنيا محمدها * وفرج الظلم والاظلام والكربا لما اطال بنو طولون خطبهم * بين الخضوب وعافت منهم الخطبا * هارت بهارون من ذكر الشبعته وشتت الشمل شيبان ومارعبا * فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم * كانها من زماني غابر ذهبا

* ثم تولى عيسى النوشري من قبل المكتفي وقدم الى مصر في سابع جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومائتين فتصرف خمس سنين وشهرين ونصفا الى ان توفي بمصر وحمل الى بيت المقدس ودفن به في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين * ثم تولى تكين الحروري من قبل المقتدي في حادي عشر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وفي ولايته جاء حباسة بن يوسف من قبل عبد الله الفاطمي صاحب افريقية واستولى على برقة ثم سار الى الاسكندرية في زيادة عن مائة ألف وذلك في المحرم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت العساكر من العراق مددا لتكين وبرزت العساكر فكانت واقعة حباسة مشهورة قتل فيها آلاف من الناس ورد حباسة ولم يظفر بمراده فكانت مدة تصرف تكين خمس سنين وشهرين وعزل آخر سنة اثنتين وثلثمائة * ثم تولى أبو الحسن زنكي الاعور الرومي من قبل المقتدي في ثاني عشر صفر سنة ثلاث وثلثمائة ثم ان المهدي صاحب افريقية سير عسكرا صحبة أبي القاسم فدخل الاسكندرية في ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس الى مصر برا وبحرا وخرج زنكي الاعور والجند الى الجيزة وحفر واخندقا على العسكر فمرض زنكي ومات فكانت مدة تصرفه أربع سنين وشهرا ودفن في تاسع ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة * ثم تولى تكين ثانيا فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب الغرب فظفر بها وقدم مؤنس الخادم

سبع سنين وتوفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتولى من بعده الآمر باحكام الله أبو علي المنصور ابن المستعلي تولى وعمره خمس سنين فاقام تسعا وعشرين سنة وسبعة أشهر الى ان قتل في الروضة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان رافضيا خبيثا فاسقا ظالما جبارا متظاهرا بالمنكرات فكانت مدة ولايته تسعا وعشرين سنة وشهرين * وتولى من بعده الحافظ لدين الله عبد المجيد فاقام تسع عشرة سنة وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وتولى من بعده ولده الظافر باعداء الله اسمعيل فاقام أربع سنين وسبعة أشهر الى ان قتل بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو الذي عمر جامع الفكهانيين بالشوايين * وتولى من

من بغداد فى نحو ثلثمائة ألف فوقع بينه و بين أصحاب المهدى حروب بالفيوم واسكندرية وبحر أبو القاسم تابع المهدى الى برقة وأقام تكين سنة وأحد عشر شهرا * ثم تولى هلال بن بدر من قبل المقتدى فبعث الجند على هلال وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصرف منها فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة * ثم تولى أحمد بن كيغلغ من قبل المقتدى فى رجب سنة احدى عشرة وثلثمائة وعزل فى القعدة * ثم تولى تكين ثانيا من قبل المقتدى فى المحرم سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فقتل المقتدى فى شوال سنة عشرين وثلثمائة وبويع لابى المنصور القاهر فاقر تكين الى ان توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وحمل الى بيت المقدس ودفن به فكانت ولايته تسع سنين وشهرا * ثم تولى الاخشيد واسمه محمد بن طغج الفرغانى المدعو بابى بكر من قبل القاهر فمكث اثنين وثلاثين يوما * ثم تولى أحمد بن كيغلغ ثانيا من قبل القاهر فى شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة فاقام سنة وأحدة وبويع للراضى بالله والله تعالى أعلم

(ذكر الدولة الاخشيدية)

ثم ان الاخشيد تغلب وأخذها قهرا من الراضى فى سنة أربع وعشرين وثلثمائة وقدم أبو الفتح بن جعفر بالخلع للاخشيد ووقع حروب انهزم بها اتباع ابى الفتح الى برقة وساروا الى القائم بامر الله محمد بن المهدى بالمغرب وحرضوه على أخذ مصر ثم ورد كتاب من بغداد الى الاخشيد بالزيادة فى اسمه ودعى له بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة ولما بويع للمتقى أقر الاخشيد ولما خلع المتقى وبويع للمستكفى ودعى الطائع فاقر الاخشيد وتوفى الاخشيد فى ثالث عشر الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فدته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر والله أعلم * ثم تولى ابو القاسم أحمد ولد الاخشيد من قبل المطيع والكلام لكافور الاخشيدى وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وقع حريق بمصر فى سوق البزازين وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها لم تتغير وبات الناس على خطر عظيم فركب كافور وامر بالنداء من جاء بقربة أو كوز فله درهم فكان مبلغ ماصرف عشرة آلاف درهم وكان جملة ما احترق غير البضائع والاقمشة ألف وسبعمائة دار فاقام أبو القاسم أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة * ثم تولى ابو الحسن على ولد الاخشيد فاقام خمس سنين وشهرين والكلام لكافور الاخشيدى * ثم تولى كافور المكنى بابى المسك الاخشيدى وكان خصيا أسود بيع بثمانية عشر دينارا وقد سبقت له من الله السعادة كما قيل فى المعنى

واذا السعادة صادفت عبد الشرا * نفذت على ساداته أحكامه

تولى فى صفر الخير سنة خمس وخمسين وثلثمائة وكان يعطى العطاء الجزيل حتى اتفق انه وقع فى ايامه زلزلة فدخل محمد بن عاصم الشاعر فانشد قصيدته التى منها

مازلزلت مصر من سوء يرادبها * لكنها رقصت من عدله فرحا

فاجازه بالف دينار ومما اتفق أيضا ان رجلا دخل على كافور ودعا له فقال فى دعائه أدام الله ايام مولانا وكسر الميم فى أيام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه فقام رجل من وسط القوم وأنشد مرتجلا

لاغرو ان لحن الداعى لسيدنا * اوغص من دهش بالريق اوبهر * فتلك من هيبة حالت جلالتها بين الاديب وبين الفتح بالحضر * وان يكن خفض الايام من غلط * فى موضع النصب لا عن قلة النظر

فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال مأثره عن سيد البشر

بان أيامه خفض بلا نصب * وان أوقاته صفو بلا كدر

فاجازه كافور بجائزة عظيمة وهذه الجوائز التى حثت أحمد بن الحسين المتنبى الى المجىء الى كافور وقد مدحه أبو الطيب فقال واخلاق كافور اذا شئت مدحه * وان لم تشأ تملى على فاكتب

بعده الفائز عيسى بن الظاهر وعمره خمس سنين فاقام ست سنين ونصفا ومات سنة خمس وخمسين وخمسمائة * وتولى من بعده العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ فاقام احدى عشرة سنة وستة أشهر وخلع ومات سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة قرنان سنين وخمسة أشهر وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد ثم جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسية هم اكراد وكان فى خدمة زنكى ثم فى خدمة نور الدين الشهيد وهو الذى أرسلهم الى مصر * فاولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حضر مصر مع نور

ذكر صاحب القاموس ان المتنبي خرج الى بني كلب وادعى انه حسني ثم ادعى النبوة فشهد عليه بالشام وحبس ثم استتيب وأطلق وكان المتنبي مع كثرة ماله وأخذه الجوائز العظيمة على جانب عظيم من البخل وكان يقف بين يدي كافور بخفين ومنطقة ويحضر سماطه ويجيء بصحبته غلام أسود ومعه قدور خزف يأخذ فيها فضلات الطعام حكي عنه انه طلب نداف ليعمل له جبابا فاقام عنده سبعة أيام فاعطاه سبعة قراريط من دينار فصعب عليه ذلك فقال له كم ظننت انى أعطيك فقال سبعة دنانير فقال المتنبي والله لو وضعت رجلا على طور زيتا ورجلا على طور سينا وتناولت قوس قزح وقائمة العرش وندفت قطن الغمام على جباه الملائكة ما أعطيتك دينارا فضلا عن ان اعطيك سبعة دنانير وان المتنبي طالما امتدح كافور بقصائد طنانة فمن غرر قصائده

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت عيونا خلفها واماقيا
قواصد كافور ستترك غيره * ومن ورد البحر استقل السواقيا

فاجازه كافور بجوائز عظيمة ومما اتفق ان المتنبي دخل على كافور في وقت من الاوقات وطلب منه شيأ وكان الوقت غير لائق للطلب فحصل من كافور تراخ وتغافل فخرج من عنده مغضبا وهجاه فقال

من علم الاسود المخصي مكرمة * آباؤه السود ام أجداده الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس بحر صالح وأخ * لو انه في ثياب الخز مولود
لا تشتر العبد الا والعصى معه * ان العبيد مناحيس منا كيد

روى عن وهب بن منبه انه قال اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمنه ان يذمك بما ليس فيك ومن عجيب ما اتفق للمتنبي مع عبد أسود لسعيد بن مهناوهو ان العبد جاء الى عطار يطلب منه بضائع وكان المتنبي جالسا بحانوت العطار المذكور فقال العبد هات بذي البيضة فلفلا وبذي البيضة حناء فقال له المتنبي عبد من أنت فقال انى عبد سعيد وسعيد بن مهنا ثم ان العبد سأل العطار عن المتكلم وقال من هذا فقال له هذا المتنبي الشاعر فتقرب منه وقال

يا نسمة الصك هبى * على قفا المتنبى
ويا قفاه تدانى * حتى تصير بقربى
وراحتى اصفعاه * طرطق وطرطق طبى
ان كنت أنت نبى * فالقرد لا شك ربى

فلم يجبه المتنبى وقال للعطار ان هذا العبد يموت بعد ثلاثة أيام لشدة حذقه فكان الامر كذلك * رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار كافور حكي عنه انه كان جالسا في بعض الايام على تخت ملكه وأرباب دولته وخدمه واقفون بين يديه فسمع سماعا بآلات مطربة وايقاع منسجم فحرك كتفه على ايقاع السماع ففطن به أرباب الدولة فخشي من انتقادهم عليه فاتخذها عادة الى ان مات ولا عجب في ذلك فقد قيل لو نزل زنجي من السماء لنزل على الايقاع وقيل أكلت السودان لحوم القردة فاورثهم الرقص والغالب على السودان من رجال ونساء التخلع والتصنع في حركاتهم وجمعياتهم وعلى الخصوص اجتماعهم في الافراح والزفاف ورقصهم على طبلهم وطنبورهم وذلك مستمر الى الآن بمصر * من الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم اشتروا الرقيق وشاركوهم في أرزاقهم واياكم والزنج فانهم قصيرة أعمارهم قليلة أرزاقهم قال الشارح الاسود انما هو لبطنه ان جاع سرق وان شبع فسق وقال جالينوس اختصت السود بعشر خصال تفلفل الشعر وخفة اللحى وفتح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتن الجلود وادا ملون وتشقق الكعاب وطول الذكر وكثرة الطرب ومدة تصرف كافور سنتان وأربعة اشهر وتوفي في عشرى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن بالقرافة وله قبر مشهور والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب * ثم تولى ابو الفوارس أحمد بن على الاخشيدي وعمره اثنتا عشرة سنة فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكان مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

الدين الشهيد لما أرسل له العاضد الفاطمي يستعين به على الافرنج الذين حضروا الى مصر وأخذوا مدينة بلبيس وقتلوا وأسروا ثم راموا أخذ القاهرة فامر شاور الوزير بحرق مصر والنقلة الى القاهرة فالتهبت النار فيها أربعة وخمسين يوما ثم لما توجه نور الدين الشهيد من الشام هرب الافرنج لما سمعوا صولته وقتل الوزير شاور لانه كان الذى أطمع الافرنج في المسلمين وأقام العاضد مقامه وزيرا ومات فاقام مقامه في الوزارة يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام وأجلى الافرنج من أرض مصر واستمر وزيرا للعاضد الى ان مات فتولى صلاح الدين السلطنة واستولى على قصر الفواطم بخزائنه فوجد فيه من الاموال

(الباب الخامس في دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون)

واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وطعنوا فيهم بانهم من أولاد الحسين بن محمد بن أحمد القداح وكان القداح مجوسيا وكان ابتداءظهورهم عبيد الله بن المهدي وثانيهم المنصور وثالثهم المعز لدين الله وهو الذي انتقل من بلاد الغرب الى مصر وملكها من الاخشيد بين وكان السبب في ملكها انه لمامات كافور جهز جوهرا القائد بعسكر عظيم ومعه ألف حمل من السلاح ومن الخيل مالا يوصف فلك مصر ذكر المقريزي في خططه ان مصر قبل ان ينقل كرسي الامارة منها كان بها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة بالقرافة كان لا يتوصل اليه الا بعد عناء شديد من الزحام وكان قبالته في كل يوم خمسمائة درهم وكان بها من الجهة الشرقية حمام من بناء الروم فدخله شخص وطلب صانعا يخدمه فلم يجد صانعا متفرغا وكان مع كل صانع اثنان أو ثلاثة فسأل كم فيها من صانع فاخبر ان بها سبعين صانعا أقل صانع معه ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج ثم طاف غيره فلم يجد من يخدمه الا بعد اربع حمامات وقيل ان الاسطال الذهب التي كانت تدلى من الطاقات المطلة على النيل ويملأ بها كان عددها ستة عشر الف سطل ولا يخفى ما مضى عليها الا آن من الخراب ودثور الاماكن وان ماء النيل لا يتوصل الى الاماكن المطلة على النيل الا أوان الزيادة فسبحان الحي الذي لا يزول ملكه لا اله الا هو وان جوهرا القائد لما انتظم حاله ضاقت مصر بالجند والرعية فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية فلما قدم المعز الى مصر من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة والسبب في ذلك ان جوهرا القائد لما أراد رمي أساس السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمي الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بعد ماحفروا الاساس بين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس وأمروا البنائين حال تحريك الاجراس أن يرموا ما بايديهم من الطين والحجارة فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع فاتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فظن الموكلون بالاجراس ان المنجمين حركوها فالقوا ما بايديهم من الحجارة والطين في الاساس فصاح المنجمون لا لا القاهر في الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما طلبوه وكان الغرض ان يختاروا طالعا لا تخرج البلد عن نسلهم فوقع ان المريخ كان في الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فعلم ان الاتراك لا بد أن يملكوا هذه البلدة واقليمها فسماها القاهرة وغير اسمها الاول ويأبى الله الا ما أرادوان جوهرا القائد دبر أرض مصر أربع سنين وبنى الجامع الازهر وكان نهاية بنائه في سابع رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفي المعز سابع ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة ودفن في قصره بالقاهرة وكان أحضر صحبته توابيت آبائه وأجداده ودفنهم في قصره فمدة تصرفه في القاهرة ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى المعز أبو المنصور نزار بن المعز فاقام احدى وعشرين سنة ونصفا وتوفي في حمام ببلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة والله أعلم * ثم تولى الحاكم بامر الله أبو على المنصور وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان يروم أن يدعي الالوهية كما ادعاها فرعون قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه كان الحاكم أمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر أن تقوم على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره نحوس وكان يفعل ذلك في سائر الممالك حتى في الحرمين الشريفين وكانت أموره متضادة لانه كان عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة للعلماء وانتقام من العلماء وميل الى أهل الصلاح وقتلهم وكان عنده السخاء ويبخل بالقليل وقتل من العلماء مالا يحصى وأمر بسب الصحابة ومنع صلاة التراويح مدة ثم أباحها وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور في الاسواق على حماره فمن وجده من الباعة يزن بخسا أوغش في صنعته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن

مالا يحصى وشرع في نصر أهل السنة وتوهين اهل البدعة والانتقام من الروافض وكانوا أكثر من في ارض مصر يومئذ وعزل قضاة مصر كلهم منهم لانهم كانوا شيعة وقطع الاذان بحي على خير العمل أول جمعة في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة ثم تحركت همته لغزو الافرنج فمكنه الله تعالى منهم ويسر فتح بلاد الشام كلها وفتح بيت المقدس سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بعد استيلاء الافرنج عليه وعلى الخليل احدى وسبعين سنة وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية وكان يقدمهم لكونه كان شافعيا وأبطل المكوس والمظالم وأخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم افتتح الحجاز واليمن وتسلم

يقتل بقالقاهشة العظمى فى وسط السوق وأمر أن يعلق فى أعناق النصارى الصلبان وأن يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر أن يجعل فى أعناق اليهود الاجراس اذا دخلوا الحمام ليعرفوا من المسلمين وان يلبسوا العمائم السود وصنف له بعض الباطنية كتابا وكتب فيه ان روح آدم انتقلت الى على وان روح على انتقلت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب فى الجامع الازهر بالقاهرة فقصد الناس قتل مؤلفه فسيره الحاكم الى جبال الشام واستمال الناس اليه وأعطاهم المال وأباح لهم الخمور والزنا حتى ان جماعة الى الآن يعتقدون رجوع الحاكم ولابد أن يعود ويمهد الارض وتلك خيالات كاذبة وظنون فاسدة والكتاب بجبال الدروز الى الآن ذكر الامام الحافظ شمس الدين الذهبي فى تاريخه ان الحاكم لما زاد ظلمه عن له أن يدعى الربوبية فادعى علم المغيبات فكان اذا صعد المنبر يقول فلان فعل فى بيته كذا وكذا أو كل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتى يدخلن بيوت الامراء وغيرهم فرفعت اليه فى اثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا صاحب البطاقه

فلما رآها سكت عن الكلام فى المغيبات وكان هو وأسلافه بمصر يدعون الشرف ويريدون بذلك الافتخار على بنى العباس خلفاء بغداد ويقولون أبونا على وأمنا فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم وكان الحاكم يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على السامع فى الجامع * ان كنت فيما قلته صادقا
فصف لنا نفسك كالطائع * أو كان حقا كل ما تدعى * فاعدد لنا بعد الاب السامع
اودع لانساب مستورة * وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد أقول وما عليه بعض الناس الآن وقبل الآن من الدخول فى الانساب الشريفة والانتفاء من الانساب الخبيثة هذا مما لا يحتاج فى دعواه الى بينة وقد شاهدنا كثيرا من الناس ممن هو ليس بشريف ولا أخذ الشرف لا عن أبيه ولا عن جده قد ادعوا الشرف وعلقوا على رؤسهم العصائب الخضر لا العمائم الخضر فقويت شوكتهم وزادت شرتهم وصار كل منهم يقول أنا من أبناء الرسول يقصدون بذلك الرفعة وهم فى الحقيقة موضوعون فانا لله وانا اليه راجعون وفى المعنى

فتى لما رأى الانساب فخرا * تناول غير نسبة والديه
ويرضى أن يقال له شريف * ومن يرضى اذا كذبوا عليه

روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق وادعى نسبا لا يعرف رواه أحمد والطبرانى فى الصغير وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعون رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه او انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله ومن تبرأ من نسب وان دق كفر بالله رواه الطبرانى فى الاوسط ولولا خوف الاطالة فى هذه العجالة لبسطت القول الى الغاية وفيما أوردناه كفاية والله أعلم وفى سنة ثمان وأربعمائة ظهرت سمكة بدمياط طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت

دمشق بعد موت نور الدين وفتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة وتونس وخطب لبنى العباس وصار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن والغرب ولم يل مصر بعد الصحابة مثله كانت مجالسه منزهة عن اللغو والهزل كثير الذكر محافظا على الصلوات فى الجماعة وما وجبت عليه زكاة لان الجهاد وصدقة التطوع استغرقا أمواله كلها ورحل بولديه العزيز والافضل لسماع الحديث من السلفى بالاسكندرية وهذا لم يعهد لسلطان من زمن هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطا من مالك بالمدينة وفى زمنه جاءت الافرنج الى ثغر دمياط بمائتى مركب مملوأة بالعساكر فسار اليهم صلاح الدين بعساكر

حجر الملح تدخل فى فمها جملة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال ومعهم المغاريف يجرفون الشحم من جوفها ويناولونه الناس وأقام أهل تلك النواحى مدة يأكلون من لحمها ذكر ذلك المقريزى فى خططه عند ذكر دمياط أقول اذا ضربت عرض هذه السمكة فى طولها بطريق المساحة فتبلغ ما قدره ستة وعشرون ألف ذراع فيكون ذلك ستة أميال ونصفا فان الثلاثة أميال فرسخ والميل ألف ذراع والبريد أربعة فراسخ فيكون طولها ثلاثة أرباع بريد فسبحان الخالق المصور لا اله الا هو * وحكى انه كان فى زمن الحاكم بمصر رجل يسمى وردان وكان جزارا متميزا بلحم الضأن وكان كل يوم تأتيه امرأة بدينار مصرى يقارب زنته دينارين ونصفا وتقول له اعطنى خروفا وتحضر معها حمالا بقفص فتأخذه وتروح الى ثانى يوم تأتى وتأخذ خروفا فكان كل يوم يكتسب منها دينارا فاقامت مدة طويلة على ذلك ففكر وردان ذات يوم فى أمرها وقال هذه امرأة كل يوم تشترى منى بدينار ما غلطت يوما بدرهم هذا أمر عجيب فسأل وردان الحمال فى غيبة المرأة فقال له أنت كل يوم تروح مع هذه المرأة الى أين فقال له أنا فى غاية العجب منها كل يوم تحملنى الخروف من عندك وتشترى الحوائج والفاكهة والنقل والشمع بدينار آخر وتأخذ من شخص نصرانى مروقتين نبيذا وتعطيه دينارا وتحملنى الجميع الى بساتين الوزير ثم تعصب عينى بحيث انى لا انظر موضع قدمى وتأخذ بيدى فما أعرف أين تذهب بى ثم تقول لى حط هنا وعندها قفص آخر فتعطينى الفارغ وتعود تمسك يدى الى الموضع الذى شدت عينى بالعصابة فيه فتحلها وتعطينى عشرة دراهم فقلت له الله يكون فى عونها وقد تزايد عندى الفكرة والوسواس وبت فى قلق عظيم فلما أصبحت أتتنى على العادة وأعطتنى الدينار وأخذت الخروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبيى على الدكان وتبعتها بحيث لا ترانى وأنا أعاينها الى ان خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها الى أن وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى شدت عينى الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى أن وصلت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت عن الحمال وصبرت الى أن عادت بالحمال ورجعت فنزعت جميع ما كان بالقفص وغابت ساعة فأتيت ذلك الحجر فوجدته محاذيا لطابق نحاس مفتوح ودرج داخله فنزلت الى تلك الدرج قليلا قليلا فوصلت الى دهليز طويل فمشيت فيه وهو كثير النور حتى رأيت صفة باب قاعة فاركنت فى زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت بها فوجدت صفة صغيرة بها طاقات تشرف على القاعة فتسلقت على القاعة فوجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه أطايبه وعملته فى قدر ورمت الباقى الى دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهى تطبخ فلما فرغت أكلت كفايتها ومدت الفاكهة والنقل ووضعت النبيذ وصارت تشرب بقدح بلور وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى انتشت فنزعت لباسها ونامت فقام اليها الدب فواقعها وهى تعاطيه من أحسن ما يكون لبنى آدم من الغنج والشهيق حتى فرغ وجلس ثم وثب عليها ولم يزل كذلك حتى واقعها عشر مرات ووقع ووقعت وهما مغشيان عليهما لا يتحركان فقلت هذا وقتى وايش انتظر فنزلت ومعى سكين تبرى العظم فوجدتهما لا يضرب لهما عرق لما نالهما من الشدة فلم اتردد ان جعلت السكين فى نحر الدب واتكيت عليه ففصلت رأسه عن بدنه فبقى له شخير قلب المكان فانتبهت المرأة مرعوبة فرأت الدب مذبوحا وأنا واقف والسكين بيدى فزعقت ظننت ان روحها قد خرجت وقالت يا وردان هذا جزاء الاحسان فقلت لها يا عدوة نفسها أعدمت الرجال حتى تفعلى هذا الفعل الذميم فاطرقت الى الارض لا ترد جوابا وتأملت الدب وقد نزعت رأسه فقالت يا وردان أيما خير لك أن تسمع الذى أقول لك ويكون سبب سلامتك وغناك الى آخر الدهر أو اهلاكك فقلت قولى قالت تذبحنى كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك ورح فقلت لها أنا خير من هذا الدب فارجعى الى الله وتوبى وأنا أتزوج بك ونعيش باقى عمرنا بهذا الكنز

كثيرة من مصر وقاتلهم فانهزموا ورجعوا الى بلادهم وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهرين وتوفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمحروسة دمشق وعمره سبع وخمسون سنة وقبره بها ظاهر يزار * ثم تولى من بعده ولده عثمان وأعطيت دمشق لاخيه الملك الافضل على وحلب لاخيه غياث الدين غازى فاقام عثمان خمس سنين وعشرة أشهر ومات سنة خمس وتسعين وستمائة ودفن بداره فى القاهرة ثم نقل لتربة الامام الشافعى قبل بناء القبة * ثم تولى من بعده الملك المنصور محمد بن عثمان وهو الثالث من ملوك بنى أيوب فاقام سنة واحدة وشهرين وعزل لصغره فانه ولى وعمره تسع سنين ثم وضع فى السجن بقاعة الجبل

فقالت ياوردان ان هذا بعيد ما بقيت أعيش بعده والله لئن لم تذبحني لاتلفن روحك فلا تراجعني تتلف والسلام فقلت الى سقر وجذبتها بشعرها فذبحتها ووجدت من الذهب والفصوص واللؤلؤ والجواهر مالا يقدر عليه أحد فاخذت قفص الحمال ووضعت فيه من الجواهر واليواقيت والذهب ما أطيق حمله وسترته بقماشي الذي كان على وطلعت ولم أزل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من رسل الحاكم والحاكم معهم فقال ياوردان قلت لبيك قال قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطيب قلبك فكل هذا لا ينازعك فيه أحد فوضعت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثني حتى كأني حاضر فحدثته بجميع ماجرى وهو يقول صدقت ثم قال ياوردان قم معلم الى الكنز فاتيت به اليه فوجدت الطابق مغلقا فقال الحاكم شله ياوردان فعلت والله لا أطيقه فقال ياوردان ان هذا الكنز لا يقدر أن يفتحه أحد غيرك فهو باسمك يفتح قال فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدى الى الطابق فانشال أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع مافيه فانه لا ينزل له الا من هو باسمك وهذا على اسمك من حين وضع وقتل هؤلاء على يديك وهو مؤرخ عندي وكنت أنتظره حتى وقع قال وردان فنزلت فنقلت له جميع مافي الكنز ودعا بالدواب وحمله وأعطاني قفصي بما فيه فاخذته وعمرت به السوق المعروف بسوق وردان وعاش وردان في أرغد عيش وهذا اتفاق عجيب روى عن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى ان أبا عبيدة وردان مولى عمرو بن العاص كان روميا يقال انه من سبي أصبهان ويقال انه من روم أرمينية ويقال من روم الشام ويقال من روم طرابلس الغرب حضر فتح مصر واختط دار عمر بن مروان واختط له دارا في القضاء وعمر بجانبها سوقا وعرف به فصار السوق يعرف بسوق وردان ❊ ومما يحكى عن الاصمعي أنه قال كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية ومعه وردان مولاه فقال معاوية لعمرو ما بقي من لذتك يا أبا عبد الله قال محادثة أخ صديق مأمون على الاسرار ثم أقبل على وردان فقال وأنت يا أبا عثمان ما بقي من لذتك قال النظر في وجه كريم أصابته نكبة فاصطنعت له فيها يدا احسنه فقال معاوية أنا أولى منك بذلك وقتل وردان بالبرلس سنة ثلاث وخمسين قتلته الروم في خلافة معاوية بن أبي سفيان وعقبه بمصر ولعل وردان الجزار صاحب الكنز المتقدم ذكره من عقب وردان مولى عمرو بن العاص والله أعلم ذكر في حياة الحيوان ان الدب يحب العزلة اذا جاء الشتاء ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا جاع مص يديه ورجليه فيندفع عنه الجوع ويخرج في الربيع أسمن مما كان وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه الا بعنف وضرب شديد ومن خواصه انه اذا ألقي نابه في لبن المرأة المرضع وسقي للصبي نبتت أسنانه بسهولة وشحمه يزيل البرص طلاء واذا اكتحل بمرارته مع ماء الرازيانج وهو الشمار أذهب ظلمة البصر واذا حشي بشحمه الباسور نفعه قيل كان لبعض السلاطين ابنة أحبت عبدا اسود فافتض بكارتها وولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت أمرها لبعض القهرمانات فاخبرتها بان لاشئ ينكح أكثر من القرد فاتفق ان جاء قراد تحت طاقتها بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعينها فقطع وثاقه وطلع لها فاخبأته في مكان عندها وصار معها ليلا ونهارا على أكل وشرب ونكاح ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها فتزيت بزى المماليك وركبت فرسا واخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن مالا يوصف وحملت القرد معها الى أن وصلت الى مصر فنزلت في بعض بيوت بالصحراء وصارت كل يوم تشتري من شاب جزار لحما لكن لا تأتيه الا بعد الظهر وهي مصفرة الوجه فقال الجزار لا بد لهذا الشاب من أمر فتبعه من حيث لا يراه وهو يتوارى من محل الى محل الى أن وصل الى مكانه الذي بالصحراء فتسلق عليه من بعض جهاته فلما استقر الشاب بمكانه أوقد النار وطبخ اللحم وأكل منه كفايته وقدم الباقي لقرد كان معه فاكل القرد كفايته ثم ان الشاب نزع ثيابه ولبس ثيابا أفخر ما يكون من ملابس

حتى مات وتولى من بعده عم أبو بكر بن ايوب سنة ست وتسعين وخمسمائة وهي السنة التي ولد فيها سيدى احمد البدوى رضى الله تعالى عنه ولقب بالملك العادل ودعى له ولولده الكامل في الخطبة وفي زمنه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل في سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه ثم توفي العادل سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما وتولى من بعده ولده الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد فعمر قبة الامام الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية وأقام عشرين سنة وشهرين وتوفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق وتولى من

النساء قال الجزار فعلمت انها انثى ثم انها أحضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد الى أن انتشيا و بعد ذلك
اضطجعت للقرد فواقعها نحو عشر مرات حتى غشي عليها ثم ان القرد أسبل عليها ملاءة حرير وذهب الى محله
ثم ان الجزار نزل الى وسط المكان فلما أحس به القرد أراد افتراسه فبادره بسكين كانت معه فقد كرشه
فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة كادت أن تزهق روحها ثم
أفاقت وقالت للجزار ما حملك على ذلك لكن بالله عليك الا ما ألحقتني به قال الجزار فلا زلت الاطفها
وأضمن لها أن أقوم بما قام به القرد من كثرة النكاح الى أن سكن روعها وتزوجت بها وأقمت معها مدة
فما صبرت على ذلك فشكوت أمري لبعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لي بتدبير هذا
الامر وقالت ائتني بقدر وملأها من الخل البكر ورطل من دود القرح فأحضرت لها ما طلبته ثم علقت
القدر على النار وألقت العود القرح على الخل الذي بالقدر وغلت تلك القدر غليا قويا ثم أمرتني بنكاح
الصبية فنكحتها الى أن غشي عليها فحملتها العجوز وهي لا تشعر وجعلت فرجها على فم القدر فصعد دخانه
الى داخل فرجها فنزل من فرجها شيء في القدر سمع له حس ثم بعد ذلك نزل شيء آخر من فرجها فاذا هما
دودتان احداهما سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الدودة الاولى تربت من العبد والاخرى من القرد
فلما أفاقت من غشيتها مكثت مدة لم تطلب النكاح فأعلمتها بالقضية وصرف الله عنها تلك الحالة ومكث
الجزار معها في أرغد عيش وأحسن معيشة واتخذت الصبية العجوز مقام والدتها * ذكر في حياة الحيوان
ان القرد حيوان ذكي سريع الفهم وان ملك النوبة أهدى الى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا وهذا
الحيوان شبيه بالانسان في غالب حالاته فانه يضحك ويطرب ويتناول الشيء بيده ويقبل التلقين والتعليم
ويألف الناس وله غيرة على الاناث وفي عجائب المخلوقات من تصبح بقرد عشرة أيام أتاه السرور ولا يكاد
يحزن واتسع رزقه وأحبه الناس حبا شديدا ذكر القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين روى أن الناهين لما أيسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا
مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان
لهم لشأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا أنسابهم لكن القردة عرفتهم فجعلت تأتي الى أقاربهم وتشم
ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاثة أيام * ويحكى ان بعض الناس دخل على شخص ولي الوزارة
فأظهر سرورا مفرطا حتى رقص وصفق بيديه اما لغلبة الفرح عليه فأمر ذلك الوزير باخراجه واهانته
فقال له بعض جلسائه ما جنى نقال انما أراد قولهم * وارقص للقرد في دولته * قال بعضهم

وارقص لقرد السوء في زمانه * وداره ما دمت في مكانه

ذكر في كتاب رجوع الشيخ الى صباه اذا كان القمر في الميزان يؤخذ فص كهرباء وزنه تسع عشرة شعيرة
وينقش عليه صورة قرد جالس على قرافيصه ماسك احليله بيده الشمال وينقش حوله هذه الاحرف
النارية وهي ا ه ط م ف ش ذ ثم يجعل الفص تحت لسانه عند الجماع فانه يرى عجبا في قوة الجماع
وحكي فيه عن بعض الملوك أنه كان عنده ثلثمائة وستون جارية وكان لكل واحدة منهن يوم في السنة
قال فحضرن عنده ذات يوم بأجمعهن وكان يوم عيد فصف الجميع بين يديه واستدعى بالشراب فشرب وسكر
فغنى من جواريه من غنى ورقص من رقص وطاب المجلس فقال الملك لجواريه ويحكن تمنين علي فمنكن
كل واحدة ما في نفسها الا بلغتها مرادها فتمنت كل واحدة ما في نفسها ما خلا واحدة منهن فانها قالت أيها
الملك لا تقدر على ما تمنى فاغتاظ الملك وقال تمني قالت تمنيت عليك أن أشبع نكاحا قال فغضب الملك
غضبا شديدا وأمر كل من في القصر من الغلمان والمماليك أن يجامعها وكان عدة من جامعها ألف رجل
ولم تشبع فسئل عن بعض الحكماء وقص عليه قصة الجارية فقال أيها الملك اقتل هذه الجارية والا أفسدت

بعده ولده العادل أبو بكر
وعمره ثمان عشرة سنة
فأقام سنة وشهرين وأياما
وقيل أكثر ثم خلع
وسجن سنة تسع وثلاثين
وستمائة وقتل بعد ذلك
ودفن عند الامام الشافعي
وتولى من بعده أخوه
الصالح نجم الدين أيوب
ابن الملك الكامل فأقام
عشر سنين الا أربعة
أشهر وبنى المدارس
الاربعة بين القصرين
وعمر قلعة بالروضة
واشترى ألف مملوك
وأسكنهم بها وسماهم
المماليك البحرية وهو
الذي أكثر من شراء الترك
وعتقهم وتأميرهم وفي
أيامه في سنة سبع
وأربعين هجمت الافرنج
على دمياط فهرب من
كان فيها وملكوها والملك
الصالح مقيم بالمنصورة
فقاتلهم فأدركه أجله
ومات فأخفت جاريته
شجرة الدر موته وصارت

أهل بيتك فان هذه قد انعكست أحشاؤها فلو نكحت مدة حياتها ماشبعت ولا رويت وأكثر ما يعرض ذلك للجوارى الروميات والنساء اللاتى أعينهن زرق فانهن يحببن النكاح ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة طه عند قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا العيون وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى العدو أسود الكبد أزرق العين قيل لمعافاة الاعرابية كم تعشقين فقالت

ثلاثون ألفا كل يوم أحبهم * ومافى فؤادى منهم واحد يبقى

قيل ان سقراط خرج مسافرا فرأى امرأة قد أخرجت معه فقال أما أنا فقد عرفت القرين فما بال هذه قالوا زنت وهى محصنة قال الآن قد جرتم فى القضية قالوا وكيف ذلك قال ليس العجب للمرأة كيف تزنى وانما العجب أن تعف لانها مخلوقة بطباع الشهوة قال بعض الحكماء ان الرجل كلما طعن فى السن ضعفت حركته وبطلت شهوته وعز نكاحه وقال جالينوس المرأة مخلوقة بخلاف طبع الرجل وقال غيره المرأة كلما طعنت فى السن تزايدت شهواتها وطلبت النكاح للذاتها * وقيل ان جماعة من اللصوص دخلوا بيتا يعتقدون ان فيه كسبا فلما دخلوا لم يجدوا شيأ سوى شيخ وعجوز وشاة مربوطة بالدار فندموا على عبورهم وقعدوا يتشاورون فيما يفعلون وقد خاب أملهم فقال بعضهم لبعض نذهب لغير هذا المكان ام كيف يكون العمل قال بعضهم نذبح هذا الشيخ والشاة ونشوى لحمها ونأكله وننكح هذه العجوز باجمعنا الى وقت السحر هذا والشيخ والعجوز يسمعان كلامهم فقال الشيخ للعجوز سمعت ماقالوا قالت نعم قال وكيف يكون العمل قالت نصبر يارجل لقضاء الله تعالى قال أما أنت فتصبرين لمصلحتك وأنا والشاة ياعجوز النحس مانصبر قال فضحك اللصوص وخرجوا وتركوهما فانظر الى هذه العجوز من شدة شهوتها النكاح لم تكترث بذبح زوجها ولا شغلها ذلك عن بلوغ وطرها * قيل تفاخرت قينة وعشيقها فقالت القينة حرى أنعم من كفى وأحر من خفى أبيض نقى شفاف عريض السواعد والاكتاف أفطس أملس حامى نامى أصلع أقرع مؤلف من جنسين فردته الواحدة قدر ركبتين يمص الاير أنعم من لفة حرير كافورى صرار ضيق دافئ مصار أكبر من عمامة قاضى قد ملا مابين أفخاذى من عظمه فجج سيقانى ومن قوة حركتى تحتك تطابنى ماتلقانى مقبقب سمين غليظ الحافات قد جمع صفات السبع كافات يمص مص الكاس احر وأحمى من كانون الهراس أدفأ من كساء فى زمن الشتاء فقال العشيق قد كشفت عن مكنون سرك وأحسنت لكن حسبت شيأ وغابت عنك أشياء أما تعلمين ان لى أيرا مايسعه حلق الزير أقوى من زنار وأطول من أشبار وأعظم من فيشلة حمار مجرد الراس يسد الانفاس كانه متراس قوى العروق يسد الخروق كان مجراه بوق يسع عشرين فولة مبلوله ان قام وصل الى السحاب وخرق الثياب ومرق من الباب كانه الاسد الوثاب ان حمل هد وان دخل سد يخرج كما عبر ولاعند انتزاعه ينكسر شديد الرهزه يقوم من غمزه أطول من دكشاب ينفض شهوته مثل النشاب سالم من جميع العلل والآفات قد جمع صفات العشر كافات كما قال الشاعر

أتذكر ياسلمى حين بتنا * وراسك عن ذراعى مايزول
وايرى كالعمود له عروق * تعرض فى قفاه وتستطيل

والعشر كافات كف وكوع وكرسوع وكتف وكاهل وكفل وكبد وكلى وكعب وكمرة * وفى المعنى مواليا

ايش قلت فى كس أنعم من فرا السمور * أحمر موتر يحاكى الجمر فى البلور
ضيق وعنده حراره تشبه التنور * سالم من الشعر والعرعور والزنبور

الجواب ايش قلت فى زب سميته عمود النور * يصلح لهذا الذى أنعم من السمور

تعلم بعلامته سرا وحمل من المنصورة الى القاهرة ودفن بقبة بنيت له بجوار مدرسته وساست شجرة الدر الناس أحسن سياسة وأعلمت أعيان الامراء فارسلوا الى ابنه توران شاه وأحضروه كان بديار بكر فملكوه فركب فى عصائب الملك وقاتل الافرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين ألفا وأسر الفرانسيس ملك الافرنج وحبس مقيدا ووكل بحفظه طواشيا يقال له صبيح وبقى أسيرا الى ولاية شجرة الدر فاتفقت مع الامراء على اطلاقه بشرط ان يردوا دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانية آلاف دينار عوضا عما نهب من دمياط ويطلقوا أسرى المسلمين التى بايديهم ففعلوا واقام توران شاه فى المملكة شهرين ثم قتل وتولت من بعده شجرة الدر

ان قلت جاروق كان جاروف للتنور * وان كان رصاع يكن رصاع للزنبور

ومما يدل على قوة شهوة النساء ان الجارية يربيها أبوها صغيرة ويصونها كبيرة ولا تراعى هذه الحقوق مع وجود عقلها بل انها تختار من تريد لشهوتها وتصطفيه على أبيها اللذتها وهى تعلم فرض حقوق الوالدين وكثير ممن تربت فى النعم الجليلة والعطايا الجزيلة تركت ذلك ونسيت الاوطان وسافرت البلدان ونكست العمائم وتجرأت على العظائم والقت نفسها للقتل كل ذلك متابعة لشهوتها وانها تتجمل بالحلى والطيب فتضع نفسها للنتن الوسخ الذفر القذر فترمى نفسها عليه وهذا مشاهد فى زماننا هذا فنسأل الله العزيز الغفار الحليم الستار ان يسترنا فى ذريتنا انه على ما يشاء قدير ولقد أنصف من قال

أحب بنتى بكل جهدى * تكون بنتى فى قعر لحدى

وقال آخر أودبان بنتى باصحابى * تكون غدا مدرجة بلحدى * وما هو بغضة فيها ولكن
مخافة ان تقاسى الذل بعدى * اذا عاشت وفاز بها اللئيم * فيلعن والدى ويسب جدى
وان يظفر بها رجل غنى * يرانى عنده فى زى عبدى * وان يك زوجها رجلا فقيرا
فيدفعها ويبقى الهم عندى * وان وافاه فى الآجال قصر * تجى بعسكر من غير جندى
سألت الله يأخذها قريبا * وان كانت أعز الناس عندى

عدنا الى ما نحن بصدده من أمر الحاكم فلما أراد الله سبحانه وتعالى هلاك الحاكم وكان السبب فى ذلك انه أراد قتل أخته سيدة الملوك وهم ان يرسل لها القوابل فانه بلغه ازالة بكارتها وقال لبعض قهرماناتها سمعت انكن تجمعن الجموع ويدخل اليكن الرجال ولابد من قتلكن جميعا وكرر هذا القول فعلمت أخته أنه يقتلها لامحالة فاخذت فى تدبير الحيلة والعمل فى قتل اخيها وخرجت ليلا وأتت الى دار الامير يوسف سيف الدولة بن دواس وكان الحاكم قد عزم على قتله فدخلت عليه خفية واختلت به فعظمها وأكرمها فقالت له أنت تعلم ما جرى من أخى فى سفك الدماء وقتل وجوه الدولة وقد صمم على قتلى وقتلك فقال لها كيف الحيلة فى قتله فقالت الرأى عندى ان تجهز له رجالا يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه ينفرد بنفسه وأنت تكون المدبر لدولة ولده فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار وخرج الحاكم على عادته وانفرد بنفسه فى الجبل المقطم وكان سيف الدولة قد أحضر له عشرة عبيد واعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوا الى الجبل وكمنوا فيه فلما أقبل خرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب فلم يأت ففعلوا ذلك سبعة أيام ثم خرجوا ثامن يوم فى طلبه فبينما هم كذلك اذ أبصروا حماره الاشهب المدعو بالقمر قد قطعت يداه وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا أثره الى ان انتهى الى القصبة التى شرقى حلوان فنزل رجل فوجد ثيابه وهى مزرورة وفيها آثار السكاكين وكان ذلك فى سابع شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة وتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا وبنى فى مصر الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح وهو الموجود الآن ولما بناه قصد قطع الخطبة من الجامع الازهر فقدر الله انه لم يخطب فيه الا ولده وانشد بعض الادباء مواليا فى الجامع المذكور فقال

لجامع الحاكم اسمع قول ياسامع * أنا الذى قد ظهر نورى يضى لامع
لمؤئل الذكر انى للعدا قامع * والنصر والفتح عمرى بينهم جامع

* ثم تولى الظاهر أبو الحسن على بن الحاكم فاقام خمس عشرة سنة وثمانية شهور وتوفى بالقنطرة بسكة القس سنة سبع وعشرين وأربعمائة * ثم تولى المستنصر بالله أبو تميم بن الظاهر فاقام سنة وأربعة أشهر وفى زمنه سنة سبع وخمسين وأربعمائة حصل بمصر غلاء شديد وعم مع الغلاء وباء شديد فاقام سبع سنين

خليل سرية الملك الصالح لحسن سيرتها وجودة تدبيرها ودعى لها على المنبر بعد الدعاء للخليفة العباسى ونقش اسمها على الدراهم والدنانير ولم يل مصر فى الاسلام امرأة قبلها فاقامت فى المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها وتولى الملك الاشرف موسى ابن الملك الكامل وكان يخطب له وللمعز ايبك التركمانى معا على المنابر لانه كان تولى قبله بخمسة أيام فقال الناس لابد من سلطان غير هذا يكون من بنى أيوب فارسلوا الى الاشرف واحضروه وسلطنوه ولم يعزلوا ايبك بل كانا شريكين وكان آخر الدولة الكردية الايوبية ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة ثم جاءت الدولة التركية مماليك الاكراد فى حدود خمسين وستمائة فاولهم

والنيل يتدو يترل فلم يوجد من يزرع وانقطعت الطرقات براوبحرا وآل الامر الى ان بيع الرغيف من الخبز الذى وزنه رطل باربعة عشر درهما و بيع الاردب القمح بثمانين دينارا وأكلت الناس الكلاب والقطط ثم تزايد الحال الى ان أكلت الناس بعضهم بعضا ذكر ذلك المقريزى فى خططه ثم توفى المستنصر فى شهر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وفى أيامه فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى باب زويلة الموجود الآن * ثم تولى المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر وكان الكلام فى مملكته للافضل أمير الجيوش ابن البدر الجمالى المذكور وهو الذى بنى الجيوش بسفح المقطم و بنى جامع الجيزة وكان المستعلى سنيا وفى أيامه أخذت الافرنج بيت المقدس فى ضحوة يوم الجمعة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وكان مدة المستعلى سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة * ثم تولى الآمر باحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى وفى أيامه بنى الجامع الاقمر وكانت مدته تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر الى أن قتل بالجيزة سنة أربع وعشرين وخمسمائة * ثم تولى الحافظ لدين الله عبد المجيد فاقام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى الظافر باعداء الله اسمعيل بن الحافظ وفى ايامه عمر الجامع المعروف بالفاكهانى داخل باب زويلة الموجود الآن وهو عامر مقام الشعائر الاسلامية قيل ان السبب فى عمارته ان محله كان مجزرة يذبح فيها الاغنام وبوسط المجزرة حفرة يجتمع فيها ماء من غسالة الذبائح وكان لامير من أمراء الظافر بيت مجاور للمجزرة المذكورة وبه محل مشرف على تلك المجزرة فجاء جزار بخروفين فذبح الاول وشرع يذبح الثانى فطرق طارق باب المجزرة فوضع الجزار سكينه عند الخروف الذى لم يذبح وتوجه للباب ينظر طارقه فاخذ الخروف السكين بفمه وألقاها فى بركة الماء فاتفق ان الامير رب البيت المذكور كان جالسا بالمكان المشرف على المجزرة وهو ينظر أخذ الخروف السكينة والقاءها فى الماء فلما جاء الجزار لم يجد سكينه فاراد أن يذبح الخروف بسكين كانت معه فقال له الامير امسك يدك ولا تذبح الخروف فتوجه الامير الى الظافر واخبره بذلك فتعجب ثم استأذنه فى عمارة المجزرة جامعا فاذن له فعمره فكانت مدة تصرف الظافر أربع سنين وسبعة اشهر الى أن قتل بدار الوزارة المعروفة بالسيوفية الموجودة الآن بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب * ثم تولى الفائز عيسى بن الظافر باعداء الله وعمره خمس سنوات وفى ايامه تولى الوزارة الملك الصالح صلاح بن ازبك الذى بنى الجامع خارج باب زويلة فاقام الفائز ست سنوات ونصفا ومات سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب * ثم تولى العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ فاقام احدى عشرة سنة وستة اشهر وخلع ومات فى حادى عشر المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين كما انقطعت دولة من قبلهم ومدة تصرفهم بمصر مائتا سنة وثمان سنين وخمسة اشهر ولله در القائل

وبادوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا وصح الخبر فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا فى من مضى معتبر

(الباب السادس فى الدولة الايوبية السنية اصحاب الفتوحات أولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب)

وكان سلطانا مهيبا من الله عليه بالفتوحات ومكنه من الكفار الفجار ومن أعظم فتوحاته بيت المقدس فتحه يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بعد ان استولت الافرنج عليه احدى وتسعين سنة ومنها فتح الشام كلها واستنقاذها من أيدى الافرنج ذكر صاحب الانس الجليل فى فضل القدس والخليل ان السلطان صلاح الدين لما فتح حلب مدحه محيى الدين زكريا قاضى دمشق بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى فاقام ست سنين وتزوج شجرة الدر ثم تزوج بنت صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم حدثت أمور أدت الى قتلها فقتلت بايدى مماليك المعز وهو الذى بنى المدرسة المعزية برحبة الحناء وفى أيامه ظهرت النار بالمدينة المنورة وصارت هكذا وهكذا كأنها الجبال واستمرت أكثر من شهر واحترق منها المسجد النبوى وكان صلى الله عليه وسلم أخبر عن ظهورها واصفا الوقت لا يبك وكثرت عساكره قبض على شريكه فى السلطنة وسجنه بالقلعة وانفرد وحده وكان مدة ملكه سبع سنين ومدة شريكه سنة وشهرا * ثم

فكان كما قيل وهذا اتفاق عجيب ثم ان السلطان صلاح الدين بنى خانقاه سعيد السعداء وقلعة الجبل وبئر الحلزون وسور باب الوزير والمدرسة التى بجوار تربة الامام الشافعى وسور باب البحر وسواقى القلعة وله الخيرات الكثيرة الى يومنا هذا وفى أيامه ظهر باليمن خارجى استولى على بلاد اليمن وكان يدعى مذهب القرامطة وينتمى الى صاحب مصر الفاطمى ويستتر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح الاطفال فمات وملك ولده بعده ففعل أشد مافعل أبوه وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والجوهر وعلق بها قناديل الذهب والستور الحرير التى لم يعمل فى الدنيا مثلها ومنع أهل اليمن من الحج الى الكعبة وأمرهم بالحج الى القبة وكانوا يحملون اليها من الاموال فى كل سنة مالا يحصى ويطوفون بها ومن لم يحمل شيأ قتله واقام على الفسق والفجور وذبح الاطفال وسبى النساء وسفك الدماء فكاتب أهل اليمن السلطان صلاح الدين يوسف فسير اليه أخاه شمس الدولة ففتح اليمن وقتل الخارجى وكان اسمه عبد الله بن المهدى وهدم القبة وأخذ مافيها من الاموال والجواهر فكان جملة ما أخذه ستمائة حمل ونبش القبر وأخرج عظام الخارجى وأحرقها * حكى الشيخ عماد الدين فى تاريخه البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين بن أيوب لما استعرض حواصل القصر بعد وفاة العاضد وانقراض دولة الفواطم وجد بالحواصل أمتعة وآلات وملابس وثيابا فاخرة وشيأ باهرا وأراها لا من جملة ذلك طبل اذا ضرب عليه صاحب القولنج خرج منه ريح الى أن ينصرف مايجده من القولنج ويزول عنه فى الحال فاتفق ان بعض الاكراد أخذه فى يده ولم يدر ماشأنه فلما ضرب عليه ضرط فالقاه من يده فانكسر وبطل أمره وتوفى السلطان صلاح الدين فى سابع صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكانت مدة تصرفه اثنتين وعشرين سنة وشهرين * ثم تولى الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان فتصرف فى الملك خمس سنين وعشرة أيام وتوفى فى المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بداره بالقاهرة ثم نقل الى تربة الامام الشافعى قبل بناء القبة * ومما يحكى ان الملك العزيز كان يميل الى القاضى الفاضل فى حياة أبيه فاتفق ان العزيز هوى قينة شغلته عن مصالحه فبلغ ذلك والده فامره بتركها ومنعها منه فشق ذلك عليه فلما طال ذلك بينهما أرسلت له مع بعض الخدام قطعة عنبر مبرومة فكسرها فوجد فيها زرا من ذهب فلم يفهم المقصود فاطلع القاضى الفاضل على ذلك فانشد يقول

أهدت لك العنبر فى جوفه * زرمن التبر رقيق اللحام
فالزر والعنبر تفسيره * زرهكذا مختفيا فى الظلام

وفى زمن العزيز قدم ابن عنبر الشاعر من عند الملك العزيز سيف الدين بن شادى ملك اليمن وقد أجزل صلته عنده اوفدعليه فلما قدم الى مصر بما قدم من المتجر طالبوه بالزكاة فقال

ما كل مايتسمى بالعزيز لها * أهلا ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقه

* ثم تولى الملك الافضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف وكان متأدبا حسن الصورة قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ماصفاله الدهر ولاهناه بالملك ثم تعصب عليه عمه العادل ابو بكر وأخوه عثمان فاخرجاه من دمشق وفى ذلك كتب الى الناصر ببغداد يقول

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على
وهو الذى كان قد ولاه والده * عليهما واستقام الامر حين ولى
فخالفاه وحلا عقد بيعته * والامر بينهما والنقض غير خلى
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر مالاقى من الاول

فكتب اليه الناصر الجواب يقول فيه

تولى من بعده ولده الملك المنصور نور الدين على الثانى من ملوك الترك وكان عمره نحو خمس عشرة سنة فاقام سنتين وثمانية أشهر ثم حبس بامر قطز المعزى لصغره وعدم صلاحيته لقتال التتار وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر قطز المعزى فلم يلبث ان جاء رجل وبيده كتاب فيه من ملك الملوك شرقا وغربا الخاقان العظيم هلاكو خان ووصف نفسه باوصاف عظيمة وسطوة شديدة وفيه يا أهل مصر لاتقابلونى فانه ليس لكم قدرة على ملاقاتى فصونوا دماءكم ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم وقد كان قد قتل من تلك البلاد خلائق لاتحصى وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد كما مر فلما سمع الملك المظفر

وانى كاتبك يا ابن يوسف معلنا * بالصدق يخبران أصلك طاهر * غصبوا عليا حقه اذلم يكن
بعد النبى له بيثرب ناصر * فاصبر فان غدا على جزاؤهم * وابشر فناصرك الامام الناصر
فلم ينصره بل توفى الافضل فجأة رحمه الله تعالى فاقام سنة وشهرين وتوفى حادى عشر شوال سنة ست
وتسعين وخمسمائة ومن كلام الملك الافضل على فى المعنى

اما آن للسعد الذى أنا طالب * لادراكه يوما يرى وهو طالبى
ألا هل يرى بنى الدهر أيدى شيعتى * تمكن يوما من نواصى النواصب

وفى المعنى

أقول لدهر قد توالت صروفه * أليس لهذا يا زمان زوال
فقال اصطبر كم دولة قد تغيرت * لكل زمان دولة و رجال

من كلام القاضى الفاضل وانا على دفع الايام وهى تدافعنى ولسان الليالى وهى تخالفنى

مفرد بعده

قالوا انزلت فقلت الدهر أقسم بى * لا وجه للرفع فى المجرور بالقسم

* ثم تولى الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن أيوب ودعى له ولولده الكامل فى الخطبة وفى أيامه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه احدى عشرة سنة ثم توفى العادل فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما والله أعلم * ثم تولى الملك الكامل ابو الفتح ناصر الدين محمد فعمر قبة الشافعى والمدرسة التى بين القصرين المعروفة بالكاملية قال نور الدين بن المشرف ان صاحب حصن حيفا لما جاء الشتاء ببروده وهجم عليه بخيله وجنوده وقوس الشتاء يرشق بسهام القطر من جودها والريح يزمر كلما دقت طبول الرعد من جوها والثلج قد نتف رياشه وجعل الارض فراشه والجليد قد أذاب الاجسام وماذاب وكلما مالت الشمس توارت بالحجاب و بيته فارغ من المشارب والماكل وقال يشكو حاله للملك الكامل

أحن الى الارز المفلفل بالتبل * ويشتاق قلبى للبسائس بالعسل
وارتاح ان هبت رياح شرائح * وان حضر اللحم السمين فلا تسل
وان قدموا الحوى خروفا من الشوى * ترى وقعتى فيه ولا وقعة الجمل
أشمر عن كف بخمس أصابع * وابعثه فيه الى أينما وصل
أميل على الاطراف ميلة هاشم * وأنزل فى الاضلاع مع كل من نزل
وأعمل فى الكشكا اذا زاد دهنها * و يا فوز من حيا على خبز ذا العمل
وأى فتى يشرى الدجاج أزوره * هو المشترى لكن يصادفه زحل
و رقاصة فى الصحن تطربنى اذا * تجلت لنا من غارق السمن والعسل
ولوزينج مثل البروق قروصه * وكم من هلال فى المشبك يا أمل
وان بخبيص الريح جزتم فبلغوا * تحية صب فى هواه قد انسطل
فلو سلبت عقلى مشوشة الشتا * وأما طعام الكشك مالى به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد حائر * فبالدت شمس الافق عادت الى الحمل
وكم نظرة منها أروم تقول لن * ترانى لهذا الفضل وانظر الى الجبل
ومالى سوى ملك يسابق فعله * مقالى وما من قال شيأ كمن فعل
فان رمت ما ترجوه تبليغ مقصد * أتاك الذى ترجوه قصدك قد حصل
وأما ارتداد الشمس لست بيوشع * تردّ اليه الشمس يوما كما فعل

قطز هذه الالقاظ عسر عليه ذلك ثم جاء الخبر بان التتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة وأراد قطز ان يأخذ من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا أموالكم من المواشى والآلات و يقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق انه أخذ من كل رأس دينارا وأخذ من الاملاك أجرة شهرين ومن الغيطان كذلك فكان جملة ما جمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والعساكر والعربان وخلقا لا تعد ولا تحصى وصرف عليهم الجوامك وخرج فى آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة

وفى زمنه فى شهر شوال سنة أربع وعشرين وستمائة أحضرت من الاسكندرية امرأة خلقت من غير
يدين وفى موضع ثدييها مثل الحلمتين فجىء بها بين يدى الوزير رضوان فعرفته انها تعمل برجليها ما تعمله
النساء بايديهن من خط ورقم وغير ذلك فاحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلما فلم ترض شيأ من
الاقلام المبرية التى احضروها فاخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته وقطته وأخذت ورقة فامسكتها
برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ما يكتبه الكتاب بينهم وناولت الرقعة للوزير فاذا فيها السؤال
بالزيادة فى راتبها فزادها وأعادها الى بلدها وقد أخبرنى شخص ان لها قبرا مشهورا بالاسكندرية يزار وهو
موجود الآن بباب رشيد على يمين الداخل ويعرف بمقام بنت خداوردى ولها أوقاف وأطيان ويصرف
لها من ديوان الاسكندرية فى كل سنة ثلاثة آلاف نصف فضة ذكر ابن كثير وغيره انه كان بطرابلس
بنت تسمى نفيسة تزوجت بثلاثة أزواج وهم لا يقدرون على افتضاض بكارتها وظنوا ان بها رتقا فلما
بلغت خمس عشرة سنة غار ثدياها ثم جعل يخرج من محل الفرج شىء قليلا قليلا الى ان برز منه ذكر قدر
الاصبع وأنثيان وكتب بذلك محضر وقد ذكر الشيخ محمد الدمامينى فى كتابه عين الحياة قال كان لنا جار
له بنت اسمها صفية بلغت من العمر خمس عشرة سنة ثم طلع لها ذكر ونبتت لها لحية فكان لها فرج ذكر
وفرج امرأة ومما شاهدناه ان بمنف شخصا يدعى الشيخ عمر المعروف بابى ديه يقرأ القرآن ويحفظه حفظا جيدا
ويؤدب الاطفال وله يدان طول كل يد شبر ونهاية ما يبلغ بهما من جسده وجهه وصدره وأما استنجاؤه
فباحدى رجليه ورزقه الله ولدين أحدهما يداه مثل يدى أبيه والثانى بلا يدين وهم موجودون الى الآن
وكل من شاهدهم يحنن عليهم بالصدقات ويتعجب من صنع الله تعالى فاقام الكامل عشرين سنة
وشهرين وتوفى فى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بمدينة دمشق ثم تولى الملك العادل أبو بكر
ولد الكامل قيل ان عبد الله بن طاهر كان هو وبعض الزهاد بايوان العادل فقال عبد الله للزاهد كم تبقى
هذه الدولة فينا وتدوم بيننا فقال ما دام بساط العدل فى هذا الايوان ثم تلى قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم ذكر الشيخ أحمد بن عبد السلام المنوفى فى كتابه النصيحة بما أبدته القريحة قال
رأيت فى كتاب آداب القضاء لابن أبى الدنيا اتفق لقاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة لما تولى
القضاء بالديار المصرية فيما حكاه السبكى فى طبقاته ان الملك العادل شهد عنده وهو فى دست ملكه فى
واقعة مرارا والقاضى يسوف فى قبولها فتفطن العادل لذلك فقال له هل تقبلنى أم لا فقال لا أقبلك وكيف
أقبلك وفلانة تطلع اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على أيدى الجوارى وتنزل فلانة من
عندك أنحس مما نزلت الاولى فتناوله الملك العادل بكلمة شتم فردها عليه فى وجهه ثم عزله ونزل الى بيته
معزولا فخشى العادل من رد شهادته بسبب فسقه وخشى أن يذكر ذلك عند الملوك ووجوه الناس فنزل
بنفسه الى منزل القاضى وترضاه وأعاده الى القضاء وذكر أيضا فى كتاب النصيحة المذكورة ان عبد الصمد
الدمشقى ناب فى القضاء عن ابن عصرون بدمشق ثم تولى قضاء دمشق استقلالا وانه تداعى لديه خصمان
فجاء أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحه وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى له ثم فتح
الكتاب وقرأه ورمى به الى حامله وقال كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب فبلغ العادل ذلك فقال صدق
كتاب الله أولى من كتابى وذكر القطبى فى اعلامه ان الامام العالم أبا خازم بالخاء المعجمة والراء وهو من
أكابر العلماء أهل الدين والتقوى كان قاضيا فمن بعض ورعه فى الدين ان شخصا انكسر عليه مال كثير
وثبت ذلك عند القاضى المذكور فامر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وكان قد انكسر على المديون مال
للخليفة المعتضد فارسل المعتضد الى القاضى المذكور يقول أشركنى مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لى
أيضا مالا بد منه فاجعلنى كاحد غرمائه فقال أبو خازم لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فارسل وكيلا وبينة

وجد فى السير الى أن وصل
عين جالوت من أرض
كنعان فالتقى مع التتار
هناك ووقع بينهم القتال
فقتل منهم خلق كثير
وانكسر هلاكو ومن معه
من التتار وهربوا ثم
رجعوا واقتتلوا حتى قتل
منهم النصف ورجعوا
هاربين وغنم المسلمون
منهم غنائم عظيمة وكان
بيبرس من أعيان دولة
الملك قطز وقد ساق وراء
التتار الى حلب وطردهم
من البلاد ووعده السلطان
بحلب ثم رجع فى ذلك
فتأثر بيبرس ووقعت
الوحشة بينهم فاضمر كل
لصاحبه الشر فاتفق بيبرس
مع جماعة من الامراء
وقتلوا المظفر فى الطريق
بين الغزالى والصالحية
فعظم على الناس قتله
لحصول النصرة على يده
وذلك سنة ثمان وخمسين
وستمائة ثم تولى من بعده
الملك الظاهر ركن الدنيا

أرضنا هذا أتسكون باسوة غرماء هذا المديون فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة سرا وجهرا فأقام المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضي وكانوا من أكابر امرائه فما حضر أحد منهم خوفا من رد شهادتهم فاعجب المعتضد ديانة القاضي المذكور وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وقد روى ان قوما قدموا خصما لهم الى الحاكم فقالوا ان لنا عليه مال فقال صدقوا أيها القاضي سلهم المهلة الى أن أبيع ما كان لى من عقار ورقيق وابل وشياه فقالوا كذب أعزك الله ليس له شئ وانما يدافعنا بذلك فقال أيها الحاكم قد شهدوا بالاعسار فخل سبيله أقول وفى زماننا هذا اذا كان شخص عليه ديون ثابتة للناس وله موجود وعليه شئ من المال الميرى يقدم المال الميرى بالوفاء ولا يشترطون ثبوته عند قاض بل يكتفون بقول كتبة الديوان فالحكم لله العلى الكبير * حكى صاحب النكت اللطيفة ان العباس بن المعلى الكاتب كتب الى القاضي محمد بن عبد الرحمن البغدادي المعروف بابن قريعة ووفاته سنة سبع وستين وثلثمائة ما يقول القاضي فى يهودي زنا بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فما ذا يقول القاضي فيهما فكتب له الجواب هذا من أكبر الشهود على الملاعين اليهود فانهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من ايورهم وأرى أن يناط هذا اليهودي برأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض * قيل ان امرأة شكت زوجها الى القاضي من كثرة النكاح فسأله عن ذلك فقال تكف ضرسها وأكف ايرى عن كسها أترانى أعلف ولا أركب وحكى ان رجلا شكا امرأته الى القاضي من كثرة شعرها وطول عانتها فنتفتها وكتبت اليه تقول

فديتك سهلت السبيل الذى اشتكى * جوادك فيه للجفا وخشونته

فان كنت تهوى أن تزور جنابنا * فلا تبط عنا فالهلال ابن ليلته

وحيث انجر الكلام فى ذكر من ولى القضا ولم يخش فى الله لومة لائم وبالحق قضا فلا بأس بايراد نبذة مفيدة فربما يتعظ بها من على هذه الوظيفة سالك لعل أن يسلك أعدل المسالك مراقبا لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون أقول وبالله التوفيق من ولى القضاء ألقى نفسه فى بحر عميق وصار فيه كالغريق وفى المعنى

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال صلى الله عليه وسلم لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق وقال صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين قال العلامة ابن الرفعة كناية عن شدة الالم فان الذبح بالسكين فيه سرعة وبغيرها تعذيب روى الامام الحافظ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالقاضي يوم القيامة فيلقى من الهول قبل الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين فى تمرة ذكر الكمال الدميرى فى حياة الحيوان عند ذكر البقرة كانت القضاة فى بنى اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولوا غيره مكانه فبعث الله ملكا يمتحنه فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعا الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقال بيننا القاضي فتوجها الى القاضي الاول فدفع الملك اليه درة كانت معه وقال له احكم بان العجلة لى فقال القاضي كيف أحكم بذلك قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى له فتبعتها فحكم له بها فلم يرض صاحب البقرة فاتيا القاضي الثانى فحكم له بذلك وأخذ الدرة وأتيا القاضي الثالث فدفع اليه الدرة وقال احكم بيننا فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله أيحيض الذكر فقال القاضي سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها وهؤلاء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قال الشاعر

قضى بهدم الكنيس قاض * وقد قضى بالعمار ثان
وفى رواة الحديث قالوا * فى الحشر قاض وقاضيان

ولبعضهم فى المعنى

ولما أن وليت وصرت قاض * وفاض الظلم من كفيك فيضا

والدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك أصله تركى اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ما وصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج وهو الذى بنى المدرسة بالقاهرة تجاه البيمارستان عام اثنتين وستين وستمائة والجامع الكبير بالحسينية سنة خمس وستين وستمائة وتم فى سنة سبع وهو الآن أعنى سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف قلعة للافرنج اختاروه لصلابته واتقان بنائه وقطعوا ما حوله من الاشجار وهدموا البنيان الذى حول الاشجار فلا حول ولا قوة الا بالله وبنى

ذبحت بغير سكين وانا * أرجو الذبح بالسكين أيضا

ولبعضهم
قضاة الدهر قد ضلوا * فقد بانت خسارتهم فباعوا الدين بالدنيا * فما ربحت تجارتهم

ولبعضهم
قضاة زماننا صاروا لصوصا * عموما فى البرية لا خصوصا * يرون القسم أموال اليتامى
كأنهمو تلوا فيها نصوصا * فنخشى منهمو واذ ما صافونا * يسلوا من أناملنا الفصوصا

(ولبعضهم يهجو قاضيا جاهلا متكبرا)

ألا قل لمن قد طاب شته رياسة * رويدا ومهلا فيك قد غلط الدهر * ركبت بلا أصل ولا طيب عنصر
حكمت بلا علم فهذا هو الكفر * فان يراجع دهر نافيك ما مضى * فاسدت الاوالزمان به سكر

كتب بعض الافاضل الى بعض القضاة قد فشت المعاصى ووصل الاذى للدانى والقاصى وتعاظم الباطل واصبح وجه الحق عاطل وأكلت الرشوات وحكم بالشهوات وعرى الاكثر من لباس تقواه وباع دينه بدنياه ولبعضهم

عندى حديث ظريف * لمن به يتغنى فى قاضيين يعزى * هذا وهذا بهنا
وذا يقول غصبنا * وذا يقول استرحنا ويكذبان جميعا * ومن يصدق منا

(ولبعضهم فى قاض فى ولايته فعزلوه)

عزلوه لما خانهم * فغدا كئيبا مدنفا ويقول لم أحزن لذا * لكن ولم أكن متأسفا
قالوا كذبت لقد ندمـ * ـت وقد حزنت مصحفا

اى خزيت فينبغى لمن ابتلى بالقضاء والحكم بين العباد أن يكون عاقلا عفيفا مرضيا يغلب خيره على شره فان الحكم مبنى على ميزان الاعتدال ففى دج أومال تلفت به نفس أومال وأن القاضى اذا كان أمره نافذا للاحكام الشرعية بين الرعية تصير أحواله مرضية واذا كان أمره غير نافذ فى رعيته وهن أمره وتلاشى حكمه ومنشأ هذا انطواؤه على الطمع وقد كان السلف الصالح يمتنعون من الدخول فى القضاء مع تأهلهم وورعهم ومراقبتهم لله خوفا مما عساه أن يحصل من هفوة ونحوها

قضاة زماننا احتجوا بعلم * وما لهمو على ذلك اجتماع
وأضحى العلم منفردا ينادى * أضاعوا وفى وأى فتى أضاعوا

ومن المصائب العجيبة استنابة الجهلة بالارياف فى القضاء فيقضون بين الناس عما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ومن ذلك ما يأخذون من الرشوة جهرا من غير نكير ولا يكتفون منها باليسير ثم يقدمون على ابطال الحقوق البينة ولا يلتفتون للذى معه الحق وان تمسك بقيام البينة واعلم ان اثم ما يفعلونه يكتب فى صحائف من فوض الامر اليهم وان كثيرا من أرباب الدنيا الذين يسعون للناس فى الولايات لاغراض دنيوية يكتب فى صحائفهم كل السيآت التى يفعلها من يسعون له وما يترتب عليه الى يوم القيامة وقد كتب الشيخ ولى الدين العراقى فى وصية الى نوابه كتابا فيها اعلموا معاشر النواب أن من ولى أمرا فعليه بالتقوى فى السر والنجوى وليحضر كل منكم قرب أجله ووقوفه بين يدى الله عز وجل مسؤل عن عمله فيا خجلة المقصر ولو غفر له و باندامته اذا وجد أعماله محصاة محصلة واجتنبوا أخذ المال من غير حله فما تساوى لذة الانتفاع غضب الله من أجله فقد بلغنا ان الدانق وهو سدس الدرهم اذا أخذ من غير وجه أخذت فيه يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة واحذروا ظلم اليتيم واسلكوا الطريق المستقيم فقد دققت عما وجب من النصيحة فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد وقد حصل الاكتفاء بما ذكرناه وفقنا الله لجميع الطاعات ووقانا جميع الآفات بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ثم رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر العادل فانه تصرف سنتين وثلاثة أشهر وخلع فى القعدة

أيضا قناطر ابى المنجى بالقليوبية وقناطر السباع بطريق مصر وغير ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات بالشام وغيرها واوكل عمارة المسجد النبوى من الحريق وحج سنة سبع وستين وستمائة فغسل الكعبة بيده بماء الورد وله فتوحات كثيرة ففتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الازهر بعد ان خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فاعادها كما كانت وله صدقات واوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية فافتوه الاالنووى فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا

سنة سبع وثلاثين وستمائة والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وفي ولايته أرسل له براش الذي يقال له ريدافرنس كتابا ذكر فيه (أما بعد) فانه لا يخفى عليك ان عندنا خزائن الاندلس وما يحملون الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأثر بالبنات والصبيان ونخلي منهم الديار وأنا قد أبديت لك الكفاية وبذلت لك النصيحة الى الغاية والنهاية فلو حلفت لي بكل الايمان ودخلت على بالقسس والرهبان وحملت الشمع قدامي طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك في أعز البقاع عليك فاما ان تكون البلاد لي فيا هدية حصلت في يدي واما أن تكون البلاد لك والغلبة على ويدك اليمنى ممتدة الي وقد عرفتك وعرفت ما قلته لك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضا فلما قرأ الصالح كتاب افرنس بكى واسترجع وأمر القاضي شهاب الدين محمد بن زهير ان يكتب الجواب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه (أما بعد) فقد ورد كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ونحن أرباب السيوف وما قتل منا قرن الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه فلو رأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا منكم الاواخر والاوائل لكان لك ان تعض على أناملك بالندم ولا بد ان يزل بك القدم من يوم أوله لنا وآخره عليك فهنالك تسيء الظنون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون منه على أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون أيضا على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين وتعود الى قوله تعالى وهو اصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء الباغي له مصرع وبغيك يصرعك والى البلاء يسلمك وكان الامر كذلك فلما وصل الكتاب الى ريدافرنس بادر فورا بالحضور الى دمياط بعساكره وضربوا اخيامهم فاستقبلهم المسلمون وتحاربوا معهم فاستشهد يومئذ الامير نجم الدين والامير حسام الدين ازبك فلما مضى الليل رحل الامير فخر الدين بعساكر الاسلام الى جهة طناح فخاف من كان في دمياط وخرجوا منها على وجوههم وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعساكر وهم حفاة حيارى بمن معهم من النساء والاولاد فشنعوا على الامير فخر الدين وعدوا جميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد والاسلحة وغيرها ولما أصبح الصباح قصد الافرنج دمياط فاذا أبواب المدينة مفتحة ولا أحد بها فظنوا ان ذلك مكيدة فلما تحققوا اخلوها وان خلوها من غير مانع استولوا على ما بها من الاسلحة والاقوات فانزعج الناس في مصر انزعاجا عظيما وكل ذلك مع شدة مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين وعدم حركته وقد اشتد حنقه على الامير فخر الدين فامر بشنق من كان في دمياط من الامراء والمقاتلين فشنق منهم في ساعة واحدة ما يزيد على خمسين أميرا ويقال ان شنقهم كان بفتوى من العلماء فانتقل الملك الصالح الى المنصورة بعد أن سورها وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدمت المراكب بجاه المنصورة وفيها الاسلحة والعدد فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع واربعين وستمائة مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل في تابوت الى القلعة فان شجرة الدر زوجة الملك الصالح لما مات أحضرت الامير فخر الدين والطواشي جمال الدين محسن فاعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا من الافرنج فارسل الامير فخر الدين الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا لاحضاره وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى سائر الممالك الاسلامية المصرية فلما علم الافرنج بموت الملك الصالح خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم ومراكبهم تحاربهم في البحر حتى نزلوا فارسكور فارسل المسلمون كتابا الى القاهرة فقرئ على منبر الجامع الازهر يوم الجمعة انفروا خفافا وثقالا

فغضب منه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلده نوى ثم رسم برجوعه فامتنع وقال لا ادخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وفي أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر في سنة تسع وخمسين وستمائة فاجتمع بالملك الظاهر بيبرس واثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلطان الذي يريدون توليته ويقولون وليناك السلطنة فهكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون اليهم احيانا

وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ وحث على الجهاد فارتجت مصر والقاهرة وظواهرهما بالبكاء والعويل وأيقن الناس باستيلاء الافرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر فخرج الناس من مصر والقاهرة وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم ونزل الافرنج شارمساح والبرمون ووصلوا اتجاه المنصورة ونصبوا المجانيق على المسلمين وصارت مراكبهم بازائهم فى البحر والتحم القتال وكان فى البحر بعض مخائض فدل من لا دين له الافرنج عليها فركبوا سحرا فلم يشعر المسلمون الا وقد هجم عليهم الافرنج وكان الامير فخر الدين قد دخل الحمام فأتاه الخبر ان الافرنج قد هجموا على المسلمين فركب دهشانا وأخذ يحرض المسلمين على القتال فاستشهد الامير فخر الدين ووصل ريدافرنس الى باب القصر السلطانى ولم يبق الا ان يملكه فاذن الله تعالى ان طائفة من المماليك البحرية الذين استخدمهم الملك الصالح ومن جملتهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى حملوا على الافرنج حملة صدقوا بها اللقاء حتى ازالوهم عن مواقفهم فانهزموا وبلغت عدة من قتل من الفرنج الخيالة فى هذه النوبة ألف وخمسمائة فارس وهذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما انفلت من الفرنج أحد وفى أثناء هذه المدة حضر السلطان المعظم توران شاه واستقر بقصر المنصورة فاحاط بالفرنج وظفر منهم باثنتين وخمسين مركبا وقتل واسر ألف رجل وانقطعت الميرة عن الفرنج وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتل وأسر منهم كثير والذين نجوا من القتل تركوا اخبامهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ومازال السيف يعمل فى ادبارهم وقد حل بهم الخزى والويل حتى قتل منهم ما ينوف على ثلاثين الفا غير الذى القى نفسه فى البحر وأما الاسارى فحدث عن البحر ولا حرج ونهب المسلمون من اموالهم ودوابهم وذخائرهم ما لا يحصى والتجأ الفرنسيس الى المنية المجاورة لدمياط بمن بقى معه واستسلموا للقتل وسألوا الامان فامنهم السلطان المعظم ونزلوا مشاة حفاة وسيقوا الى المنصورة وقيد ريدافرنس واعتقل بالدار التى كان بها القاضى فخر الدين بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشى صبيح واعتقل معه اخوه وزوجته ومن بقى معه من اصحابه ولما انهزم الفرنسيس سقطت قلنسوته عن رأسه وهم يسمونها اغفارية وكانت من قطيفة حمراء بفر وسنجاب فاخذها الامير جمال الدين بن يغمر فلبسها فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

وغفارية الفرنسيس لما * قد أتتنا لسيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطانى على سورها وأعلن فيها كلمة التوحيد والاسلام وشهادة الحق بعد أن اقامت فى يد الفرنج احد عشر شهرا وسبعة ايام وأفرج عن الفرنسيس واخيه وزوجته ومن بقى معهم وتوجهوا الى بلادهم وفى ذلك يقول جمال الدين بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق من وزير نصيح
اتيت مصرا تبتغى ملكها * تحسب ان الزمر والطبل ريح
فساقك الدهر الى ادهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا يرى منهمو * الا قتيل او أسير جريح
وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكمو يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة * لاخذ ثار او لعقد صحيح
دار ابن لقمان على عهدها * والقيد باق والطواشى صبيح

فقدر الله تعالى ان الفرنسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس واخذ يحاصرها فقال له شاب من اهل تونس يقال له احمد بن اسماعيل الزيات

يافرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير

يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور متبركا به فلما توفى السلطان سليم عاد الى مصر واستمر بها الى ان توفى بها سنة خمسين وتسعمائة فى زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة وبعد ان توفى السلطان بيبرس المذكور سنة ستمائة وستة وسبعين تولى من بعده ولده محمد بركة خان وكان سنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له الولاية فى حياته ولقبه بالملك السعيد

لك فيهادارابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا فالاحسنا فهلاك الفرنسيس على محاصرة تونس وكفى الله المؤمنين القتال فكانت مدة الصالح بمصر عشرين سنة وعشرة أشهر وتوفى بالمنصورة وحمل الى القاهرة كما تقدم ودفن بقبة بنيت له بجوار المدرستين والملك الصالح هو الذى بنى قلعة الروضة واقام بها جندا وسماهم المماليك البحرية ومقدمهم الفارس قطاى وبنى قنطرة بالسد والمدرسة التى بين القصرين التى هى محكمة الآن والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح ووصل الى المنصورة فى سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وقتل بعد شهرين فى محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وكان السبب فى قتله انه أخذ يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطالبها بمال أبيه فخافت وكاتبت مماليك الملك الصالح وأخذت تحرضهم عليه وكان الملك المعظم فيه هوج وخفة وميل على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وأخذ فى ابعاد مماليك ابيه وكان اذا سكر أوقد الشموع وضرب رؤسها بالسيف وقال هكذا افعل بالمماليك البحرية فاتفقوا على قتله فدخلوا عليه وفى أيديهم السيوف مجردة فهرب الى برج خشب كان فى خيمته التى نصبها على شاطئ بحر النيل فادركوه وضربوه بالسيوف فدخل البرج وأغلق بابه فالقوا النار فى البرج وهو يقول ما اريد ملككم دعونى أرجع الى الحصن يا مسلمين فلم يجبه أحد فخرج ورمى نفسه فى البحر فاخرجوه وقطعوه بالسيوف فمات قتيلا غريقا حريقا وترك على ساحل البحر ثلاثة أيام ثم دفن بعد ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولت شجرة الدر سرية الملك الصالح باتفاق مع الامراء وحلفوا لها واستحلفوا جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين ايبك التركمانى على العساكر فاقامت ثلاثة شهور الى ان خلعت فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت آخر الدولة الايوبية ومدة ولايتهم اثنان وثمانون سنة وأربعة أشهر خارجا عما تخالف فى المدة وهو سنة وثمان شهور ولله در القائل

كانوا اليوثا لا يرام حماهمو * فى كل ملحمة وكل هياج * فانظر الى آثارهم تلقى لهم
علما بكل ثنية وفجاج * فعليهم ما عشت لا أدع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساج

وما أظرف قول القاضى الفاضل فى ذكر الدولة الايوبية ان الذهب الابريز لم تدخل عليه آفة وأنتم يا بنى أيوب أيديكم آفة الاموال كما ان سيوفكم آفة الرجال فلو ملكتم الدهر لا متطيتم لياليه أداهم وقلدتم ايامه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات دنانير ودراهم فايامكم أعراس وما تم فيها على الاموال مأتم والجود فى أيديكم خواتم ونفس حاتم تحت نقش ذلك الخاتم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين

(الباب السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية)

كان ابتداؤها فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة أولهم الملك المعز أيبك التركمانى الصالحى اقام سنتين وأحد عشر شهرا الى ان قتل فى ربيع الاول سنة خمسين وستمائة وكان السبب فى قتله انه لما تزوج بشجرة الدر وكان مملوك زوجها الملك الصالح وخلعت نفسها من المملكة وسلمتها اليه خطب عليها بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فبلغ شجرة الدر ذلك فاخذها ما يأخذ النساء من الغيرة وتغيرت عليه وتغير عليها وكرهها لانها كانت تمن عليه بانها ملكته مصر وسلمت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف فى مملكته وتأمر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التى هى أم ولده نور الدين حتى الزمته بطلاقها ولما تمكن الغيظ منه نزل الى قناطر اللوق وأقام بها أياما فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد أعدت له من يقتله اذا صعد اليها فلما صعد اليها ودخل الحمام ليلا فدخلت عليه ومعها خمس من الخدم فاخذ بعضهم بانثييه وبعضهم بخناقه فاستغاث بشجرة الدر فقالت لهم اتركوه فاغلظوا فى القول عليها فقالت اتركوه فقالوا متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك ثم قتلوه فتولى بعده ولده

واستنابه على مصر أيام سفره واستقل بالسلطنة بعد أبيه الى سنة ثمان وسبعين فاختلف عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة واشهد بذلك ثم ذهب الى الكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وستمائة فكانت مدة اقامته سنتين وثمانية أشهر * وتولى من بعده أخوه بدر الدين الملك العادل سلامش وكان يسمى ابن البدوية فاقام خمسة أشهر * ثم جاءت الدولة القلاوونية الصالحية وهى من الدولة التركية المتقدمة فاولهم الملك المنصور أبو المعالى قلاوون الصالحى النجمى وقيل له الالفى لانه اشترى بالف دينار فاقام احدى عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى بالقرب من المطرية سنة تسع وثمانين وستمائة وهو الذى بنى البيمارستان وجعله مباحا

نور الدين المنصور فقبض على شجرة الدر ودخل بها على أمه فقتلتها الجواري بالقباقيب ورماها في الخندق
وهي عريانة على باب القلعة وبعد أيام دفنت في التربة التي كانت قد أعدتها لنفسها فالدهر قد جازاها من
جنس العمل لانها سعت في قتل الملك المعظم فقتل غريقا حريقا كما تقدم وترك ثلاثة أيام على شاطئ
البحر فكذلك قتلت ورميت في الخندق وهي عريانة قال الله تعالى من يعمل سوأ يجز به وقال الشاعر

من يحتفر حفرة يوما يصير لها * فان حفرت فوسع حين تحتفر

والله تعالى أعلم * ثم تولى الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز فاقام سنة واحدة وثمان شهور الى
أن أمسك وقتل بعين جالوت في رابع عشر ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة والله أعلم * ثم تولى
الملك المظفر قطز المعزي وفي أيامه قطعت التتار الفرات ووصلوا الى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا
الى دمشق قال سبط ابن الجوزي أول ظهور التتار سنة خمس وعشرين وستمائة فاخذوا البخاري وسمرقند
وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر فلم يجدوا أحدا في وجوههم فابادوا البلاد قتلا
وسبيا وساقوا الى أن وصلوا الى همدان وقزوين في تلك السنة وقد ملكوا أكثر المعمور من الارض
وأحسنه وأعزه في سنة ولم يبق احد في البلاد التي لم يطؤها الا وهو خائف يترقب وصولهم ثم انهم لم
يحتاجوا الى ميرة لانهم معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غيرا ما خيلهم فانها تحفر الارض
بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعلف الشعير وأما دياناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا
يحرمون شيأ ويأكلون جميع الدواب وبني آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ولما دخلت
سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد في مائتي ألف يقدمهم هلاكو فدخلوا بغداد وقتلوا
الخليفة المستعصم كما ذكرنا ذلك سابقا في محله ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة والوقت بلا
خليفة وقطعوا الفرات ووصلوا الى دمشق كما تقدم أرسل هلاكو كتابا الى الملك المظفر يذكر فيه نحن
جنود الله ننتقم ممن عصى وتجبر وطغى وتكبر بأمر الله ما ائتمر ونحن قد أهلكنا البلاد وآذينا العباد
وقتلنا النساء والاولاد فيا أيها الباقون أنتم بمن مضى لاحقون ويا أيها الغافلون أنتم اليهم تساقون
ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا
في ملكنا قد اشتهر ومن سيوفنا أين المفر وفي المعنى

أين المفر ولا مفر لهارب * ولنا البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الاسود وأصبحت * في قبضتي الامراء والخلفاء

ولما وصل الكتاب الى دمشق أقبل المظفر بالجيوش وشاليشه بيد بيبرس البندقداري فالتقوا هم والتتار
عند عين جالوت ووقع بينهم حرب شديد فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد والمنة وقتل من
التتار مقتلة عظيمة وولوا الادبار وتبعهم العسكر يقتلون وينهبون وطمع الناس فيهم يتخطفون وساق
بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم من البلاد ثم ان الملك المظفر وعد بيبرس بحلب ثم رجع عن
ذلك فتأثر بيبرس من ذلك وكان ذلك سببا للوحشة بينه وبين المظفر فاتفق بيبرس وجماعة من الامراء على
قتل المظفر فقتلوه في الطريق في سادس عشري ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بالقصر
بأرض الشام فكانت مدته أحد عشر شهرا وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى الملك
القاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي صاحب الفتوحات والهمم العلية والشيم الزكية
والاخلاق المرضية ومن أثر خيراته انه أنشأ المدرسة التي بين القصرين تجاه البيمارستان والجامع الذي
بالحسينية وقناطر أبي المنجى بالقرب من قليوب وغير ذلك ومما يحكى عنه انه بلغه ان الشريف محمد بن
نمي بن سعد حاكم مكة والمدينة المنورة حصل منه ظلم للتجار والحجاج والمجاورين والواردين الى الحرمين

للفقير والامير والمدرسة
المنصورية التي دفن بها
والده وله الفتوحات
بساحل البحر الرومي منها
طرابلس وكانت بأيدي
الافرنج من سنة ثلاث
وخمسمائة وعكا وبيروت
وصيدا وغير ذلك
وبلغت مماليكه اثني عشر
الفا وفي أيامه وصل
عسكر التتار الى الشام
وحصل الرجف والخوف
فالتقاهم بعساكره
وهزمهم شر هزيمة
وحصلت له عظمة ثم
وقع الصلح مع التتار بعد
امور طويلة * وتولى
من بعده ابنه الاشرف
خليل فاقام ثلاث سنين
وشهرين ومات سنة
ثلاث وتسعين وستمائة
ودفن بمدرسته التي
أنشأها بجوار مشهد
السيدة نفيسة وقد خرب بها
الافرنج سنة اربع عشرة
ومثتين بعد الالف وفي
أيامه توجه فحاصر عكا

الشريفين

الشئ يقين وتجاوز الامور وخرج عن الحد فكتب اليه امابعد فان الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوة احسن والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوة اقبح وقد بلغنا عنك ايها السيد انك بدلت حرم الله بعد الامن بالخيفة وفعلت مايحمر الوجه ويسود الصحيفة فكيف تفعلون القبيح وجدك الحسن وتضيع الفرض ومن بيتكم عرفت الفروض والسنن وتقاتل حيث لاتكون فتنة وانت من اهل الكرم وساكن الحرم فكيف آويت المجرم وسفكت دم المحرم ومن يهن الله فماله من مكرم فان لم تقف عند حدك اغمدنا فيك سيف جدك والسلام فكتب اليه الجواب امابعد فان المملوك معترف بذنبه تائب الى ربه فان آخذت فانت الاقوى وان تعف أقرب للتقوى حكى ان الملك الظاهر بيبرس لما عرض عليه الامير بدر الدين بيلبك الخزندار ليشتريه قال التاجر ياخوندهو يكتب ويقرأ فاحضر له دواة وقلما وورقة ليكتب شيأ تراه فكتب

لولا الضرورة مافارقتكم أبدا * ولاينقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغب فى شرائه وحكى ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى كان يحمل نعله وكان عنده فى حالة غير مرضية فقال له هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى فمن ذا الذى أوقفك عليها قال يامولاى كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب على طريقتها سطرين أو ثلاثة فامره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب يقول

وماتنفع الآداب والعلم والحجا * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط فرفع منزلته *(تنبيه)* لايخفى مافى هذا البيت الذى تمثل به المملوك من التورية التى من انواع البديع والتمثيل أيضا لمافيه من المعنى ومطابقة اللفظ كانه يقول ان الله من على بحسن الخط بان ضاهيت سيدى فى كتابته التى صار بها رئيسا فى زمانه وانا عنده غير محظوظ كانى ميت عند الكمال ويقال الناس فى ذلك على ثلاثة اقسام قسم اعطى حظا لاخطا وقسم اعطى خطا لاحظا وقسم أعطى خطا وحظا

لاتحسبن بان الخط يسعدنى * ولافصاحة شعر الحاتم الطائى
بل انما أنا محتاج لواحدة * لنقل نقطة حرف الخاء للطاء

(فائدة) قال الفخر الرازى حد البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه مايقول فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل وقيل البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ويحفظ الالفاظ على تردد المعانى ويقال الكتابة صناعة شريفة تجلس الحقير مجالس الملوك وهى آلة قانونية تحملها آلة جسمانية تضعف بالترك وتقوى بالادمان قال على كرم الله وجهه عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق وقيل ماحسن خط انسان الا وطلب الرياسة وماحسن صوت انسان الا وطلب الشحاذة (فائدة) لابأس بذكرها عند الاحتياج اليها وهى قال المنصورى فى اعتبار علامات المماليك والجوارى عند المشترى تدل على أسقام ظاهرة وباطنة وعلى احوال فى الجماع من النساء وهونوع تام من أنواع الفراسة محتاج اليه جدا احذر اللون الاصفر فانه يدل على علة فى الكبد والطحال اوالمعدة أو يكون له بواسير تنزف الدم احذر الكرز الرقيق البياض اوالرقيق السواد والمخالف للون البدن كله فانه قد يكون مبادى بهق او برص لم يستحكم احذر الخشونة الخفيفة التى تراها فى موضع من البدن فانه ربما يكون مبادى قوبا ولم تستحكم احذر أيضا الشامة وشبهها وماتراه فى البدن كالكى اوالوسم فانه ربما يكون على موضع برص واذا اشكل

وفتحها وفتح غالب سواحل الشام وافتتح قلعة الروم بهسنا ومرعش وفتح حصن صور المسمى الآن بحصن منصور وكان من أحسن الاماكن بحيث عجز عنه السلطان صلاح الدين ومن يومئذ قطع دابر الافرنج من سواحل الشام وصار أمرهم فى ادبار فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة * وولى بعده أخوه الملك القاهر بيدر الذى كان نائبا عنه فاقام يوما واحدا وقتل * وولى بعده أخوه الملك الناصر محمد ابن قلاوون سنة ثلاث وتسعين وستمائة فاقام سنة واحدة ثم خلع لصغره فانه كان ابن تسع سنين * وولى بعده نائبه المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ثم قتل سنة ثمان وتسعين وستمائة فاقام سنتين * وعاد السلطان محمد بن قلاوون

عليك شئ منه فادخل بالمملوك الحمام وادلك ذلك الوسم أو الشامة بالاشنان والبورق والخل فانه يتبين لك أمره احذر كدرة بياض العين وظلمتها فانهما ينذران بالجذام احذر الصفرة فى العين فانها دالة على رداءة الكبد وان كان فى العين عروق ظاهرة دلت على السبل احذر غلظ الاجفان وبطء حركتها فانه ربما كان مبادى جرب فيها احذره ظام الانف واعوجاجه فانه ربما دل على نواسير فى داخله فانظر فيها فى الشمس وربما سال منها رطوبة عند الغمز له تدل على نواسير احذر قلة أشفار العيون وقلة شعر الحاجبين فانه دال على الجذام واعتبر حال الانفاس والنكهة من الفم والانف فانه ربما دل على البخر واعتبر حال الاسنان فان القوى منها طويل البقاء دال على العمر وعلى صحة البدن وقوة الدماغ وبالعكس واعتبر وضعها فى مغارسها فان كانت تدمى أو فيها اخلال فى اصطفافها وكذلك رائحة النكهة فاحذره واحذر ماركب بعضها من القلح كاللون الاخضر والاصفر والاسود وشبيه المحرق بالنار فانه يدل على فساد المعدة والنكهة احذر أيضا من قلة صبغ الشفتين أو بياض لون اللسان وغلظه او تغير لون عقبه او خضرة او سواد يسير فانه منذر بمرض قريب او بان الكبد ضعيف والطحال معتل احذر النتوء فى البطن والمكان الموجع منه والمؤلم عند الغمز له فانه يدل على مرض فى المعدة او فيها احذر النتوء فى العنق وان كان صغيرا أو اثر قرحة فيه فانه يدل على ان يكون هناك خنازير وغدد أو نتوء يتولد منه بسرعة ولا بأس أن تأمر المملوك أن يجرى شوطا ثم تتفقد المشى منه هل فيه ربو أو سعال ثم تتفقد حال مفاصله فى سلامتها الحركات وتتفقد الساق منه هل فيه عروق ثخان كبار واسعة فانه ربما يدل على داء الفيل أو عرق النسا واعتبر ضعف العصب وقلة الجلد والرعشة عند الاعمال القوية والضعف عند الجماع والاسترخاء بعد شرب الماء البارد واعتبر لطافة المفاصل ورقة الاوتار ورقة الجلد والبشرة فانك تنتفع بهذه العلامات فى اقتناء المماليك نفعا جيدا (القول فى اعتبار أحوال الجوار) بعلامات تدل على أحوال مستورة منها اذا كان فم المرأة واسعا كان فرجها واسعا واذا كان ضيقا كان مثله واذا كان مدورا كان كذلك واذا كانت كبيرة الارنبة من الانف غليظة الشفتين كانت غليظة حافتى الفرج وان كان لسانها شديد الحمرة كان فرجها شديد الرطوبة وان كانت جدباء الانف فهى قليلة الرغبة فى النكاح وان كانت طويلة العنق فهى رابية الفرج قليلة نبات الشعر وان كانت كبيرة الوجه غليظة العنق دل ذلك على صغر العجز وصغر الفرج وضيقه وان كانت صغيرة الحنك كانت غليظة الفرج وان كان لحم ظاهر قدميها صلبا كانت عظيمة الفرج وان كانت نبيلة مكتنزة لحم اليدين والقدمين تكون كثيرة الشبق لا صبر لها على النكاح وان كانت حارة المجاس فى كل وقت حمراء الشفتين واللثة صلبة العجز فتكون شديدة الطلب للنكاح وان كانت حمراء اللون زرقاء العينين فتكون شديدة الشهوة وان كانت كثيرة الضحك خفيفة الروح سريعة الحركة فتكون قوية الشهوة للنكاح وان كانت كحلاء العينين مع كبرهما فتكون شديدة الغلمة ضيقة الفرج وان كانت كبيرة الاذنين صغيرة العجز فتكون عظيمة الفم وان كانت ناتئة العقبين الى ناحية الظهر دل على سعة الفرج وان كان لحم المرأة عبلا مترهلا ولونها أبيض بصفرة يسيرة والعين منها كالجاحدة ليس عليها سرور ظاهر دل على رطوبة الفرج وبرودته واعلم ان النساء على ضروب ورتب سبعة ولكل ضرب ورتبة منزلة فى الشهوة لا يحصل لها كمال اللذة الا بها ولا تنقاد للرجل بالطاعة والمحبة وحفظه فى الغيبة الا بها وهى شحماء وزلفة وجوفاء وقعراء وبلجاء وفهواء وسكفاء فاما الشحماء فالعبلة الفرج مع صلابته وامتلائه شحما وهذه لا يكمل لها لذة الجماع الا بالذكر الطويل الذى يصل الى باب الرحم ومحل الولد لا على الفرج * سئل عمر بن عثمان القاضى عن جارية اشتراها فقيل له كيف وجدتها فقال فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة وذكر الهندى ان مقدار الذكر الطويل اثنا عشر أصبعا فما فوقها والوسط

الى السلطنة ثانيا سنة سبعمائة فاقام سبع سنين ثم حصل بينه وبين العسكر وحشة فخلع نفسه وذهب الى الكرك وفى مبدأ ولايته سنة تسع وتسعين وستمائة قدم غازان ملك التتار فى مائة الف الى دمشق فخرج الناصر الى قتاله فى نحو عشرين الفا فانهزم عسكر الناصر وقتل جماعة من الامراء وملك غازان دمشق ما خلا قلعتها وخطب له بها وحصل لاهلها من التتار المشقة العظيمة ثم أخذ الناصر فى التجهيز لقتالهم لان ابن تيمية جاء على البريد وحثه على ذلك فخرج اليهم وهزمهم ومن يومئذ انكسر شرهم وصار أمرهم فى ادبار ولما ذهب الى الكرك ولى مكانه السلطان بيبرس الجاشنكير فاقام سنتين ثم عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثالثا

تسع أصابع فما فوقها والصغيرستة أصابع فما فوقها وأما الزلقة فهى مضمومة الفرج الى ماحوت
بجوانبه وهزل بعد سمنه ولا يحصل لها كمال اللذة الا بالذكر القصير الغليظ جدا وأما الجوفاء فهى منضمة
اول عنق الفرج ومجوفة الداخل منه وهذه لا يكون لها لذة الجماع الا بالذكر الوسط الرأس بجوانب الفرج
وأما القعراء فهى طويلة عنق الفرج بعيدة باب الرحم وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل المفرد دون
غيره وأما البلجاء فهى التى فرجها معتدل يوافقها كل ماذكرنا وأما الفهواء فهى واسعة الفرج يوافقها
الذكر الطويل الغليظ والوسط كذلك وأما السكفاء فهى الناتئ فى فرجها عظمان يكادان يلتقيان فى
عنقه ويمنعان من الايلاج وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل الرقيق وقل ان تحمل الا وتموت عند الولادة
قبل خروج الولد لضيق الفرج ومن أراد الاستلذاذ بالجماع فعليه بالقصيرة من النساء * رجعنا الى ما نحن
بصدده من أمر السلطان بيبرس فانه أقام فى السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين ونصفا ومات بالقصر بدمشق
ودفن فى سابع عشرى محرم الحرام سنة ست وسبعين وستمائة * ثم تولى الملك السعيد بركة ناصر الدين
محمد ابن الملك الظاهر بيبرس فتصرف سنتين وثلاثة شهور وكان الافرم نائبه فى الامور ثم خلع وتوجه
الى الكرك فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة * ثم تولى اخوه الملك العادل بدر الدين
شلامش وعمره سبع سنين وكان يدعى له ولقلاوون وضربت السكة باسمهما فاقام مائة يوم وعزل
فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة * ثم تولى الملك المنصور أبو المعالى قلاوون الصالحى الالفى وهو
الذى بنى البيمارستان بين القصرين بمصر والقبة التى دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها
طرابلس وبيروت وصيدا وغير ذلك ومما اتفق له انه بعث سيف الدين عبد الله وكان من خيار جنده
وعقلائهم وأفاضلهم بهدية الى ملك الغرب فلما رجع من عند ملك الغرب اخبر الملك المنصور قلاوون
أنه لما كان مقيما عند سلطان الغرب جاءته رسالة من بعض ملوك الافرنج الكبار المعادين للمسلمين أن
يشفع له فى تزويج بنت بعض ملوك الفرنج لولده وكان والدها مهادنا لملك الغرب ومدعيا صحبته وكان الملك
المستشفع قبل ذلك معاديا للمسلمين ومؤذيا لهم ولكن حمله هوى ابنه على أن يبعث الى ملك الغرب فى
ذلك فاحتاج الى ارسال رسول الى ملك الفرنج بسبب ذلك فقال لى تذهب فى هذه القضية فتمنعت فقال لى
هذه مصلحة فيها للمسلمين راحة وأرى أنك تذهب فيها فلم يزل يلح حتى ذهبت فاديت الرسالة الى ملك
الفرنج وقضيت اربه وأقمت عند ملك الفرنج مدة فاعجبه حالى وأحبنى حبا شديدا وعرض على المقام عنده
مبقى على دينى دين الاسلام فقلت لا سبيل الى ذلك فاجازنى واكرمنى فلما اردت الانصراف من عنده قال
اريد أن أتحفك بامر عظيم لم يحصل لاحد من المسلمين مثله فتعجبت من ذلك وقلت من أين ذلك فاخرج
لى صندوقا مصفحا بالذهب ففتحه وأخرج منه مقلمة من ذهب ففتحها فاخرج منها كتابا قد زال اكثر
حروفه وقد الصق عليه خرقة حرير وقال أتدرى ما هذا قلت لا قال هذا كتاب نبيكم الى جدى قيصر وما
زلنا نتوارثه ملكا بعد ملك وكل ملك كان عنده حفظه وقد أوصانا أجدادنا انه مادام هذا الكتاب عندنا
لا يزال الملك فينا وهذه الوصية متلقاة عن جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية
التعظيم ونتبرك به ولا يعرف ذلك أحد من النصارى الا نحن ولولا اعزتك وكرامتك وثقتى بعقلك
ما أطلعتك عليه قال فاخذته وعظمته وتبركت به ولم يقدر على قراءته أحد لتقطع أجزاء حروفه من طول
الزمان وبسبب هذه الرسالة كف الله شر هذا الملك المعادى للمسلمين فكانت مدة ولاية الملك المنصور
قلاوون احدى عشرة سنة وشهرين ونصفا وتوفى بمنزله مسجد التبن بالقرب من المطرية عند خروجه على
نية الجهاد فى سادس شهر ذى القعدة الحرام سنة سبع وثمانين وستمائة * ثم تولى الملك الاشرف صلاح
الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون قال محمد بن غانم فى الملك الاشرف خليل وفى السلطان صلاح الدين

الى مصر من الكرك وهى
التولية الثالثة وكان
بيبرس قد هرب الى
الصعيد ثم هرب منه
الى جهة الشام فاحضره
الناصر وخنقه ودفن
بمدرسته البيبرسية بالدرب
الاصفر داخل باب النصر
واستمر الملك الناصر فى
السلطنة وتمكن منها وعمر
مساجد ومدارس وفى أيامه
انقطعت الخطبة باسم
العباسيين والدعاء لهم
على المنابر واكتفى باسم
السلطان وكانت وفاته
يوم الاربعاء تاسع عشر
ذى الحجة سنة احدى
وأربعين وسبعمائة ودفن
عند والده بالقبة وكانت
مدته الاخيرة اثنين
وثلاثين عاما وسبعة
أشهر ونصفا فصارت جملة
ولايته أربعا وأربعين
سنة وخمسة عشر يوما لم
يبلغ هذه المدة أحد من
سلاطين مصر وولى بعده
ولده الملك المنصور أبو

يوسف بن أيوب   مليكان قد لقبا بالصلاح * فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لاشك في فضله * ولكن خليل هو الاشرف

ومما يحكى عن الملك الاشرف خليل انه كان جالسا في بعض الايام والقراء يقرؤن القرآن وكان والده المنصور قلاوون محاصر الطرابلس فقال نصره الله في هذه الساعة أخذت طرابلس فشاع هذا الخبر وذاع وملأ الافواه والاسماع فلم يمض الا مسافة الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس في الساعة المذكورة وذلك الامر قد كشفه الله عن ذهنه وحكى القاضي محب الدين بن عبد الظاهر ان الشيخ شرف الدين البوصيري رأى في منامه قبل مسير الاشرف خليل الى حصار عكا قائلا يقول

قد أخذ المسلمون عكا * وأشبعوا الكافرين صكا * وساق سلطاننا عليهم
خيلا تدك الجبال دكا * وأقسم الترك منذ سارت * لا يتركوا للافرنج ملكا

فاخبر بذلك جماعة شهدوا بصحة ذلك فسافر الاشرف في أثناء ذلك ففتحها وفيه يقول القاضي محب الدين المذكور

يا بني الاصفر قد حل بكم * نقمة الله التي لا تنفصل
نزل الاشرف في ساحتكم * فابشروا منه بصفع متصل

فاقام الاشرف خليل ثلاث سنين وشهرين وقتله مملوكه الامير سيف الدين بيندار بالبحيرة في ثالث عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل الى تربته التي أنشاها بجوار مشهد السيدة نفيسة * ثم تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره تسع سنين وخلع في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة * ثم تولى الملك العادل كتبغا المنصوري واستقر لاجين نائبا فاقام سنتين وهرب الى الشام في المحرم سنة ست وتسعين وستمائة والله تعالى أعلم * ثم تولى الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري الذي كان نائبا فاقام سنتين وسبعة وأربعين يوما وقتل في القلعة حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بالقرافة ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيا بعد ان تعطلت السلطنة أحدا وأربعين يوما الى أن حضر الى القلعة في سادس جمادي الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاقام عشرين سنة ثم عزم على الحج في شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة وعرج على الكرك وأرسل يخبر الامراء أنه أقام بها ورجع عن السلطنة لما قصرت يده في مملكته بوجود سلار وبيبرس وكان ذلك تدبيرا منه وذلك في شوال سنة ثمان وسبعمائة والله تعالى أعلم * ثم تولى المظفر بيبرس جاشنكير المنصوري استدار الناصر محمد بن قلاوون ويعرف بالعثماني فاقام أحد عشر شهرا وخلع نفسه وهرب الى الصعيد وهو الذي بنى البيبرسية بالدرب الاصفر ودفن بها وجدد جامع الحاكم بعد الزلزلة ومات في سادس رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة ووجد بعد موته ختمة شريفة مكتوبة بالذهب في سبعة أجزاء في قطع البغدادي كتبها له شرف الدين بن الوحيد بقلم الشعر وأخذ لها ليقة ذهب بالف وسبعمائة دينار وأنفق عليها جملة أموال والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثالثا وجاء من الكرك قال الشاعر

الملك الناصر قد أقبلت * دولته تشرق كالشمس
عاد الى كرسيه مثل ما * عاد سليمان الى الكرسي

وان الملك الناصر عمر في زمنه الجامع المعروف بالجديد بمصر القديمة بجوار المهراة وعمر جامعا بالقلعة وعمر المدرسة التي بين القصرين وسافر بالحج سنة تسع عشرة وسبعمائة وسافر أيضا بالحج سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وحفر الخليج الناصري المتصل الى سرياقوس وعمر عليه القناطر وعمر قناطر الجيزة وله عمارات كثيرة من ميادين وقصور وغير ذلك * قيل انه رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم فامره ببناء خانقاه تجاه سرياقوس وقال له هنالك علامة بالرمل تهتدي بها فبادر فورا الى المحل المذكور فوجد العلامة فبنى

بكر وكان سيء السيرة فخلع وقتل سنة اثنتين وأربعين وكانت مدة ولايته شهرين وأياما فولي بعده أخوه السلطان كجك وعمره ست سنين فاقام ثمانية أشهر والامر في دولته الى قوصون ويشبك فخلعوه وتوفي بقوص بعد أربع سنين وولي بعده أخوه احمد فاقام أربعين يوما ثم خلع وقتل سنة خمس وأربعين وسبعمائة وولي الملك الصالح عماد الدين اسمعيل أخوه فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما وتوفي سنة ست وأربعين وسبعمائة وعمره نحو العشرين سنة وهو الذي وقف قريتين لكسوة الكعبة بيسوس وسندبيس وولي بعده أخوه الاشرف شعبان فاقام سنة وشهرا وسبعة عشر يوما وقتل وولي

هنالك خانقاه وجعل بها محلاة للمتزوجين ومحلاة للعزاب وحمامين وبينهما بيمارستان ومدرسة عظيمة ووضع بها اربع عشرة ربعة ومن جملتها ربعة مكتوبة بالذهب المموه كتابة بالقلم المحقق بالتحرير والاتقان وكل حرف مشعر بالسواد الرقيق الذى لا قطع به ولا وصل وفاتحة كل سورة من ايقة مجدولة بالذهب وبآخر كل جزء كتبه وجدوله وذهبه وجلده محمد بن محمد الهمدانى وهى من مفردات الدهر واجزاؤها ثلاثون جزءاً ذكران مصرف كل جزء مائتا دينار والناس يأتون من الاقطار ويتفرجون عليها وقد شاهدتها مراراً وان الناس عمروا بجوار الخانقاه المذكور جوامع ومساجد واسواقاً وبيوتاً وغير ذلك حتى صارت مدينة من مدائن مصر المشهورة وهى عامرة الى الآن ومما اتفق فى ايام الملك الناصر المشار اليه ان مغربياً كان جالساً بباب القلعة عند سلار فحضر بعض كتاب النصارى بعمامة بيضاء فقام له المغربى وتوهم انه مسلم ثم ظهر انه نصرانى فدخل على الملك الناصر وفاوضه فى تغيير زى اهل الذمة ليمتاز المسلمون منهم فامر أن تلبس النصارى الازرق واليهود الاصفر والسامرة الاحمر ليقل اذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم ومات الملك الناصر يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة سنة احدى واربعين وسبعمائة ودفن مع والده بالقبة المنصورية فكانت مدة ولايته فى الثلاث مرات اربعاً واربعين سنة وخمسة عشر يوماً خارجاً عما بين ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى الملك المنصور أبو بكر وهو أول اولاد الناصر محمد بن قلاوون فاقام شهرين واياماً وخلع سنة اثنتين واربعين وسبعمائة وقتل بقوص والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب * ثم تولى الاشرف على كوجك بن الناصر محمد وعمره ست سنوات فاقام ثلاثة شهور والامر فى دولته ودولة اخيه لقوصون ويشبك والله اعلم وتوفى بقوص * ثم تولى الملك الناصر احمد بن الناصر محمد وكان مقيماً بالكرك فحضر الى مصر فى عاشر شوال سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فاقام ثلاثة شهور وخلع نفسه فى تاسع عشر المحرم سنة ثلاث واربعين وسبعمائة والله اعلم * ثم تولى الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوماً الى أن توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست واربعين وسبعمائة والله اعلم * ثم تولى الملك الناصر شعبان بن الناصر محمد فى ربيع الآخر سنة ست واربعين وسبعمائة وفيه يقول جمال ابن نباتة

طلعة سلطاننا تبدت * بطالع السعد فى طلوع
فاعجب لها كيف ابدت * هلال شعبان فى ربيع

فاتفق انه كان للسلطان شعبان أخ يدعى أمير حاج وكان محبوساً فعمل لاخيه طعاماً يأكله فى الحبس وعمل للسلطان طعاماً يأكله على تخت الملك فقدر الله سبحانه وتعالى أن خلع السلطان شعبان وحبس مكان اخيه امير حاج وجلس امير حاج على تخت الملك فالمتولى اكل طعام المعزول والمعزول اكل طعام المتولى فمدة تصرف السلطان شعبان سنة وسبعة عشر يوماً والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى السلطان امير حاج ولقب بالمظفر فاقام سنة واحدة وثلاثة اشهر وعشرة ايام وامسك ومات فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان واربعين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى الملك الناصر أخو أمير حاج فاقام ثلاث سنين وتسعة شهور وعشرة ايام وخلع فى ثالث عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى الملك الصالح صلاح الدين اخو الناصر حسن فاقام ثلاث سنين وثلاثة اشهر وأمسك فى شهر شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة والله اعلم * ثم عاد السلطان حسن ثانياً وجلس على تخت السلطنة الشريفة وتمكن وتصرف وبنى مدرسته التى بالرميلة بمصر وهى من احسن المدارس محكمة البناء ليس لها نظير وقد سمعت من بعض الافاضل ان السلطان حسناً لما تم بناء مدرسته المذكورة رتب لها وظائف لاقامة الشعائر الاسلامية ووقع الاتفاق ان السلطان حسناً يجلس بالمدرسة يفرق وظائفها لمستحقيها بحضرته وحصل التنبيه على يوم معلوم فجاء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد أن فرشت المدرسة

بعده السلطان حاجى أخوه فاقام سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم خلع وقتل وكان سيئ السيرة وولى بعده أخوه السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فاقام ثلاث سنين وتسعة وخمسين يوما ثم خلع وحبس بالقلعة وولى فى محله أخوه صالح وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الملك الناصر محمد قلاوون وأقام ثلاث سنين وثلاثة اشهر ثم عاد السلطان حسن سنة خمس وخمسين وسبعمائة فاقام ست سنين وسبعة أشهر وأياما وجملة مدته عشر سنين وأربعة أشهر وأيام وفى ايامه بنى جامع الامير شيخون وخانقاه الامير صرغتمش ومدرسة السلطان حسن بالرميلة بناها فى ثلاث سنين وأرصد لمصروفها كل يوم نحو ألف مثقال ذهبا

بالفرش الفاخرة و جلس السلطان بالمدرسة وجلس من له عادة بالجلوس وكان بازاء السلطان حسن فرجة وبجوارها وسادة متكئ عليها السلطان حسن فاتفق ان الشيخ الامام العلامة الهمام قوام الدين الاتقاني العجمي صاحب الاتقان في فقه الحنفية والنهاية شرح الهداية وغير ذلك من التصانيف وكان في زمانه أوحد الدهر باتفاق وشيخ الحنفية على العموم والاطلاق وكان حالة قدومه الى مصر صوفيا قلندري وعلى رأسه طرطور فبلغه هذه الجمعية فبادر الى المدرسة ودخلها امراء السلطان في هذا المحفل العظيم فمازال يتخطى الرقاب الى أن جلس في تلك الفرجة فنظر اليه السلطان حسن شزرا وقال له ما الفرق بينك و بين الحمار قال هذه الوسادة فهابه السلطان وامر من حضر من العلماء والافاضل ان يبحثوا معه في علوم شتى فأجاد وأفاد وأحسن الالسن وفتحت الآذان لما ابداه من العلوم فاعجب به السلطان حسن وأنعم عليه بالمشيخة بدرسته وتوجه السلطان حسن الى تخت ملكه وامر أن يركبوا الشيخ قوام الدين المذكور على مركوب السلطان حسن بسرجه وعدته فركب ومشى امامه اكابر الدولة من جملتهم الامير صرغتمش الى ان طلع الديوان فتعجب بعض من حضر من ذلك الموكب فقال الشيخ قوام الدين لا تعجبوا في ذلك تقدمني تحت ركابي سبع سلاطين من سلاطين العجم فسبحان المنعم على عبيده ولقد أحسن من قال في المعنى

العلم يرفع بيتاً لا عماد له * والجهل يخفض بيت العز والكرم

وفي ايام السلطان حسن بني شيخون جامعه وخانقاه وبني صرغتمش مدرسته وقرر الشيخ قوام الدين في تدريسها وكان مدة تصرف السلطان حسن في الولايتين عشر سنين واربعة اشهر ثم امسك وقتل عند مملوكه يلبغا في شهر جمادي الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى الملك المنصور بن حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون فاقام سنتين وخمسة اشهر وخلع واقام بالقلعة الى ان مات في خامس شهر شعبان سنة اربع وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى الملك الاشرف شعبان بن السلطان حسن وهو الذي بنى الاشرفية برأس السور تجاه القلعة وهدم غالبها بعده فاقام أربع عشرة سنة وشهرين ونصفا ثم خلع وقتل في خامس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وفي زمنه في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة كان ابتداء خروج تيمورلنك وكان أصله من ابناء الفلاحين ونشأ يسرق ويقطع الطريق الى ان انضم الى خدمة خيل السلطان ومازال يترقى الى ان وصل ما وصل * ثم تولى الملك المنصور على بن الملك الاشرف فاقام خمس سنين وأربعة أشهر وكان محجوبا بالصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفي الملك المنصور يوم الاحد ثالث عشري صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وفي زمنه في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما قام يصلي فعبث به شخص في صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ فلما سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب الى الغابة فتعجب الناس من ذلك وكتب بذلك محضر بواقعة الحال والله تعالى أعلم بالصواب * ثم تولى الملك المنصور حاجي بن الاشرف فاقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين والامر في ذلك لبرقوق ثم خلع في ثاني عشر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة وقد انقضت دولة الاتراك كما انقضت دولة من قبلهم ولله البقاء فكان مدة ملكهم مائة وثلاثين سنة وسبعة شهور ولله در القائل

وصاروا أحاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم في ملكهم يضرب المثل

(الباب الثامن في دولة الجراكسة)

وهم طوائف سواذج ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم فكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانت خدامهم تبيع جميع ما يحصل من طعامهم للناس من لحم ودجاج ونفائس وغير ذلك وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم التي أخذتها خدامهم من أسمطتهم

ثم تولى من بعده ابن اخيه الملك المنصور محمد حاجي فاقام سنتين وثلاثة أشهر وخلع سنة أربع وستين وحبس بالقلعة الى أن مات في سنة احدى وثمانمائة * و ولي بعده الاشرف شعبان ابن السلطان حسن فاقام أربع عشرة سنة ثم قتل وهو الذي أحدث العمامة الخضراء للاشراف ومكث الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وكان احداث العمامة الخضراء سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفي تلك السنة كان ابتداء خروج الطاغية تيمورلنك الذي خرب البلاد وأباد العباد * ثم تولى من بعده ولده علي فاقام أربع سنين وشهورا وكان محجوبا لصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة * وولي بعده اخوه السلطان صقرخان

فكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات وقد نظم بعضهم فيهم فقال

قوم اذا أقبلوا كانوا ملائكة * لطفا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

الى ان فشا الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين وأخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالمين خراب ولو بعد حين وان الملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين * اولهم السلطان الظاهر برقوق وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه استاذه يلبغا الكبير برقوق تسلطن يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام ست سنين وعشرة أيام واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدأ بعمارة مدرسته التى بين القصرين والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم عاد الملك المنصور حاجى بن الاشرف فقام سبعة شهور الى ان خلع نفسه من السلطنة عند مجىء برقوق من الكرك فدخل مصر والملك المنصور عن يمينه والخليفة عن يساره والله سبحانه وتعالى أعلم ثم جلس برقوق على تخت السلطنة الشريفة فاتم بناء مدرسته وهى من محاسن مدارس مصر قال الشاعر

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة * فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفى الخليل بان جاءت لخدمته * صم الجبال بها تمشى على عجل

وبنى أيضا تربة بالصحراء وهى مسكونة معمورة الى الآن وكان مدة تصرفه ست عشرة سنة وأربعة أشهر وتوفى فى شوال سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة وضبط ما خلفه برقوق فكان من الذهب الفى الف الف دينار وأربعمائة الف دينار ومن القماش والخز والاثاث ما قيمته الف الف دينار ومن الخيول المسومة والبغال ستة آلاف ومن الجمال البخت خمسة آلاف وكان عليق دوابه فى كل شهر عشرة آلاف أردب والله اعلم * ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق فاقام ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام ثم اختفى بعد ذلك والله أعلم * ثم تولى الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق فاقام سبعين وأربعين يوما وظهر الملك أبو السعادات وأمسك أخاه وحبس بالاسكندرية وقتل بها ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم عاد الملك الناصر أبو السعادات فرج الى السلطنة فاقام ست سنين وتسعة أشهر وجملة ولايته اولا وثانيا ثلاث عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وكان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق وألقى على مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس وينظرون الى جسده وذلك من أعظم العبر وأكبر المحن الى ان من الله عليه ببعض الناس بعد عدة أيام فحمله وغسله وادرجه فى كفن وواراه فى التراب والرجاء من الكريم الوهاب ان يكون قد غفر له انه على كل شئ قدير * ثم تولى الملك العادل ابو الفضل العباسى بن المتوكل فاقام ستة شهور وأياما وخلع فى مستهل شعبان وكان استناب المؤيد وشاركه فى الخطبة والامر للمؤيد والله اعلم * ثم تولى الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودى وحبس الخليفة بالقلعة الى ان أرسله الى الاسكندرية فى المحرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ومعه اولاد الناصر فرج وهم محمد وفرج وخليل وكان المؤيد شيخ بنى مدرسته الموجودة الآن فبدأ فى عمارتها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وليس بمصر من مدارس السلاطين أحسن منها ولا أكلف ولا ابهى منظرا قيل ان حاله بنائها امر المهندسين ان يعملوا بابها مثل باب مدرسة السلطان حسن فبنى كما أمر ولما تم بناؤها اشار واعليه انه لا يصلح لباب مدرسته الا الباب المركب على مدرسة السلطان حسن فقلعه وركبه على بابها وجعل لوقف السلطان حسن فى نظير الباب قرية بالقليوبية تسمى قها فكان ذلك سببا لسمو وقف السلطان حسن وادر ريعا واجزل منفعة وهى مستمرة الى الآن ذكر القرمانى فى اعلامه انه فى سنة خمس عشرة وثمانمائة زمن السلطان المؤيد ان شخصا بمكة المشرفة يدعى بالقارونى كان له جمل حمله فوق

حسين ابن السلطان حسن فاقام سنة وستة اشهر وكان عمره ست سنين وكان امره لبرقوق كاخيه ثم خلع سنة اربع وثمانين وسبعمائة وانقرضت بموته دولة الاتراك ومن الغرائب انه قد ولى من ذرية الملك الناصر اثنا عشر سلطانا ولم تبلغ مدتهم مدة الناصر فانه أقام اربعا واربعين سنة ونصف شهر كامل ومدة هؤلاء ثلاثة واربعون سنة ومدة ولاية الاتراك مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة اشهر ثم جاءت دولة الجراكسة قال بعضهم ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم وكانت اهل مصر تتلاعب فيما بايديهم من الارزاق وخدمهم تبيع ما يتحصل من طعامهم للناس من لحم ونفائس وغير ذلك

الطاقة فهرب الجمل من صاحبه ودخل البيت ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولم يقدر أحد أن يمسكه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك تجاه الميزاب الشريف فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك * ومما يحكى ان السلطان سليما فاتح مصر لما كان بمصر دخل مدرسة السلطان حسن فقال هذا حصار عظيم ودخل مدرسة المؤيد فقال هذه عمارة الملوك ودخل مدرسة الغورى فقال هذه قاعة تاجر وكان مدة السلطان المؤيد ثمان سنين وخمسة شهور وتوفى يوم الثلاثاء ثامن محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة والله تعالى أعلم * ثم تولى الملك المظفر أبو السعادات بن المؤيد وعمره ست سنين وتسلطن يوم الخميس تاسع محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فكانت مدته سبعة اشهر وعشرين يوما والامر لططر فاقام سبعة شهور وأياما قلائل ثم خلع بعد ذلك والله تعالى أعلم * ثم تولى الملك الظاهر أبو الفتح ططر فى تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة فاقام ثلاثة وتسعين يوما وتوفى فى خامس عشر ذى الحجة سنة تاريخه والله تعالى أعلم * ثم تولى الملك الظاهر محمد بن الظاهر ططر فاقام أربعة شهور ويومين وخلع تاسع ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقام بقلعة مصر مكرما فى أحسن عيش الى أن مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى * ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر برسباى التركمانى يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان سلطانا مهيبا ذا شهامة وتدبير وفتح قبرس سنة تسع وعشرين وثمانمائة وأحضر ملكها أسيرا ذليلا حقيرا حتى وقف بين يديه بخضوع وانكسار فمن عليه وأعاده الى مملكته بمن اختاره من أتباعه وجعل عليه خزينة فى كل سنة يرسلها حكى عنه انه لما سافر سفرته المشهورة الى آمد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة نزل بالخانقاه السرياقوسية بمكان خال من البناء فنذر لله تعالى نذرا تبرر وقربى ان أحياه الله تعالى وظفره بعدوه ورجع سالما ان عمر فى هذا المكان سبيلا ومدرسة فلما توجه الى آمد ظفره الله بعدوه فقتل ملكها واستأصل أمواله وأحضر خوذته وعلقها بسلسلة فى دهليز مدرسته التى أنشأها بمصر برأس الوراقين والخوذة باقية مرئية الى الآن مشاهدة وان الاشرف أوفى نذره وعمر بخانقاه سرياقوس بالموضع الذى كان نزل به عند ذهابه الى آمد جامعا عظيما مفروشة أرضه بالرخام الملون وبجواره سبيل وقيل ان بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم وفى معنى ذلك قال الشاعر

الاشرف السلطان عمر جامعا * بالخانقاه ليرتجى بثوابه * وأتى بآثار النبى محمد
شعراته قد قيل فى محرابه * وامامه بين البرية محسن * وكذا القضاة مع الشهود ببابه

وان الاشرف عمر أيضا تربة خارج باب النصر بجوار تربة الظاهر برقوق ومما يحكى عنه ان شخصا مؤذنا كان قاطنا بمدرسته التى برأس الوراقين وكان مولعا بشرب الخمر ويؤذن ويسبح وهو سكران فبينما هو ذات ليلة قبيل الفجر وهو نائم مخمورا درأى رجلا جليل القدر ذا هيبة ووقار وخلفه ثلاثة أنفار غلاظ شداد ومع أحدهم فلكة وكرابيج فقال للمؤذن ما السبب الداعى فى جراءتك على شرب الخمر فى هذه المدرسة فقال له المؤذن من تكون انت فقال أنا السلطان برسباى منشى هذه المدرسة ثم قال لاتباعه اطرحوه فطرحوه ووضعوا الفلكة فى رجليه وأمر بضربه فضربه ضربا شديدا الى أن غاب عن وجوده فلما أفاق لم ير أحدا ووجد ألم الضرب برجليه وأراد الانتصاب فوجد نفسه مقعدا ثم انه تاب الى الله تعالى عن شرب الخمر واستمر وهو مقعد الى أن مات وتوفى السلطان برسباى فى يوم السبت ثالث عشر الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة فكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وثمانية شهور وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى الملك العزيز يوسف بن برسباى فاقام ثلاثة شهور وستة أيام وخلع فى سادس عشر ربيع

وكان لهم سوق تبيع فيه خدمهم ما يفضل من أطعمتهم التى يأخذونها من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات ومبرات ولهم بشاشة ولطف وشجاعة الى أن فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى الغوانية والمفسدين وأخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ولم يزل ذلك فى مماليكهم الى الآن وأولهم السلطان برقوق وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه أستاذه يلبغا الكبير برقوق وكان أبوه ملكا ولقب بالظاهر باشارة السراج البلقينى تولى سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام

سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام خشقدم والله تعالى أعلم * ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى اينال وعمر فى أيامه عمارات كثيرة من مساجد وجوامع وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مغرما بحب الايتام والاحسان اليهم ولغيرهم ومما يحكى عنه أنه كان مقيدا بخدمة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين محمد الحنفى عمت بركاته وكانت خدمته عنده ملء مطهرة زاوية الشيخ فخرج الشيخ من خلوته ذات يوم فوجد جقمق بلا عمامة على رأسه وكان الشيخ فى ساعة جمال فقال له أين عمامتك ياجقمق قال سقطت فى البئر ياسيدى فتبسم الشيخ محمد الحنفى وقال له أما يكفيك ياجقمق فى عمامتك سلطنة مصر فقبل اقدام الشيخ على هذه البشارة ولم يزل جقمق يترقى فى المناصب الى أن ولى سلطنة مصر فاقام فى السلطنة أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى ليلة الثلاثاء ثالث صفر الخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد أن فوض أمر السلطنة لولده فى ابتداء توعكه ودفن بتربة الامير قايتباى أمير حور والله أعلم * ثم تولى الملك المنصور ابو السعادات عثمان بن جقمق فاقام اربعين يوما وخلع يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وجهز الى الاسكندرية والله تعالى أعلم * ثم تولى الملك الاشرف ابو النصر اينال العلائى الناصرى فى يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان قليل السماع فى الناس فاقام ثمان سنين وشهرين وستة أيام وتوفى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائه بعد أن فوض الامر لولده بيوم ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء * ثم تولى ابو الفتح احمد بن المؤيد فاقام أربعة اشهر وأربعة أيام الى أن خلع يوم الاحد تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة * ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم الناصرى ثم المؤيدى وهو السلطان الاول من الاروام بمصر ان لم يكن المعز ايبك التركمانى ولاجين من الاروام فاقام ست سنين وخمسة شهور واثنين وعشرين يوما وتوفى يوم السبت عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ودفن بالتربة التى أنشأها بالصحراء * ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى ثم المؤيدى يوم وفاة السلطان خشقدم فاقام سبعة وخمسين يوما وخلع يوم السبت عاشر جمادى الاولى وجهز الى الاسكندرية فاقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى * ثم تولى الملك الظاهر تمر بغا الظاهرى يوم خلع بلباى فاقام ثمانية وخمسين يوما وخلع يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجهز الى دمياط وخرج لامر لم يبلغه فاعيد الى الاسكندرية ليسكن بها فى اى مكان شاء فسكن بها الى ان مات رحمه الله تعالى * ثم تولى الملك الاشرف قايتباى المحمودى فى سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة قيل انه حصلت له البشارة بالسلطنة من عدة من أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان محبا للخير معتقدا للصالحين حكى عنه أنه لما جلبه الخواجا محمود الى مصر وكان معه رفيقه احد المماليك الذى جلب معه فتحدثا مع الجمال الذى هو قائد الجمل الذى هو حاملهما فى ليلة مقمرة من شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة النيرة ليلة القدر ولعل الدعاء فيها مستجاب فليدع كل منا بما يحبه فاما قايتباى فقال أنا أطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى وأنا اطلب أن أكون أميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له اى شئ تطلب أنت فقال أطلب من الله حسن الخاتمة فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا وللسلطان قايتباى محاسن لاتحصى من خيرات وعمارات ومساجد ورباطات ومدارس وأسبلة وغير ذلك منها انه أمر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء محكما وبوسطه قبة عظيمة وبالمسجد خوخة صغيرة يتوصل منها الى الجبل الذى فى سفح غار المرسلات وهو الموضع الذى نزل فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم وفى سنة اثنتين وعشرين وألف حج مؤلف هذا الكتاب ودخل الغار المذكور وشاهد به تجويفا باعلى رأس الجالس فيه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم

ست سنين وثمانية أشهر وستة وعشرين يوما واختفى فى جمادى الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدأ فى عمارة مدرسته التى بين القصرين ثم عاد من الكرك وأتم بناءها وهى من أحسن مدارس مصر وبنى أيضا تربته بالصحراء وهى مسكونة مشهورة الى الآن فكانت مدة تصرفه فى المرة الثانية تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة وولى من بعده ولده السلطان الناصر فرج بن برقوق فاقام ست سنوات واختفى وولى بعده أخوه عبد العزيز سنة ثمان وثمانمائة وأقام عاما واحدا ثم عاد الناصر فرج ثانيا وأقام الى أن قتل وامتهن فى قتله سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان

لما دخل الغار وجلس فيه وكان الجالس لا يستطيع ان يرفع رأسه فلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف لان الحجر وارتفع فالناس يضعون رؤسهم في تلك التجويفة تبركا ومما شاهده المؤلف المرقوم في الحجة المذكورة من الامر المهول ان الامير قاسما أمير الحاج الشريف دخل بالحجاج المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم الاثنين والغالب ان الحجاج يصلون الجمعة عند النبي صلى الله عليه وسلم والعادة أنهم لا يزيدون في المقام بالمدينة زيادة عن ثلاثة أيام فأراد أمير الحاج الرحيل بالحجاج يوم الخميس فابرم عليه جماعة من أكابر الدولة بصلاة الجمعة في الحرم النبوي فوافق على ذلك وكان حصل من عرب العنزة عند قدوم الحاج بجبل مفرح مفاسد وضرر للحجاج فخاف امير الحاج على الحجاج في التقدم قبله من غير حرس يقدمهم من العسكر المنصوري فنادى أن لا احد من الحجاج يتقدم بالمسير قبل صلاة الجمعة ولا يتأخر بعدها فلما قضيت الصلاة وأراد الانصراف من صلى الجمعة بالحرم الشريف من الحجاج لاجل التأهب للسير حصل ازدحام في بابي السلام والرحمة فقتل في تلك الساعة بالبابين خلق كثير والذي ضبطه شهود المحمل من القتلى ما يزيد على سبعين نفرا خارجا عن المكسورين ومن هو الى الموت أقرب وتركوا بجملهم الى ان يحنن الله عليهم من يواريهم في التراب وهذه مصيبة عظيمة ومن اثر عمارة السلطان قايتباي مسجد نمرة الذي بجبل عرفات ومن آثاره أيضا أنه أمر تاجره الخواجا شمس الدين بن الزمن أن يبني مدرسة ملاصقة للحرم المكي فبنى له مدرسة وأحكم بناءها بالرخام الملون والسقف المذهب وبها شبابيك مطلة على الحرم الشريف وهي على يسار الداخل من باب السلام وقرر بها خدمة وطلبة علم للمذاهب الاربعة وهي باقية عامرة لم يحصل بها خلل في أوضاعها ولا بنائها وينزل بها أمير الحاج المصري ومما وقع في زمن السلطان قايتباي من الامر المهول والحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وذلك في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة فارسل أمير المدينة قاصدا الى مصر لاجل عرض ذلك على السلطان قايتباي فتهول لتلك الحادثة العظيمة وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتأهيله لهذا الشرف العظيم فارسل نحوا من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من البغال والحمير وسائر مؤنهم ومبلغا نحو مائة ألف دينار وأوسق كثيرا من المؤن الكثيرة حتى امتلأت البنادر من الخيرات وأمر بعمارة المسجد الحرام وان تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم الشريف ولما تمت العمارة أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف ووقف عدة قرى بمصر تحمل غلالها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدرسة باقية الى الآن في غاية الانتظام وهي على يسار الداخل الى الحرم الشريف النبوي وينزل بها أمير الحاج الشريف المصري قال بعض الشعراء

لم يحترق حرم النبي لريبة * تخشى عليه ولا هنالك عار

لكنما أيدي الروافض لامست * ذاك الضريح فطهرته النار

وحج السلطان قايتباي حجة عظيمة * ومن الملوك فلا تسل * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وافر بهم ميلا الى قلوب الرعية وأكملهم عقلا وعاشت الرعية في أيامه عيشا رغيدا الى ان غدر به الزمن الجائر واستيقظت له عيون الليالي الغوابر فقدم على ما قدم من عمله وترك ما جمعه من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج في أكفان عمله بعدما غسل بدموع فقره وأنزل من سريره الى قبره وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى في آخر يوم الاحد لثلاث بقين من شهر ذي القعدة سنة احدى وتسعمائة وصلي عليه يوم الاثنين ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء في حال حياته وهي في غاية الحسن وبها مساكن للفقراء وأرباب الوظائف ولها اوقاف جارية وهي مسكونة معمورة الى الآن ليس بالصحراء أعمر منها وكانت مدة

أقرس ملوك الترك بعد الاشرف خليل تجهز سبع مرات للخروج الى الشام وتمهيدها وقهر متغلبيها كالمؤيد شيخ وغيره وفي ايامه وصل تيمورلنك لبلاد الشام فسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم وأسر أمير الشام وقتله فخرج الناصر لقتاله فوجده قد ترك البلاد وتوجه للروم فرجع الناصر الى مصر وكثرت الفتن * وولي بعده السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودي مملوك الظاهر برقوق فأقام ثمان سنين وخمسة اشهر وتوفي سنة اربع وعشرين وثمانمائة وخرج الى الشام مرتين ومهدها ثم خرج الى بلاد العثماني وافتتح قلاعا كثيرة وكان شجاعا مقداما عارفا بانواع الفروسية ومكر الحروب معظما للشريعة محبا للفقهاء والعلماء وبنى

سلطنته تسعا وعشرين سنة واربعة اشهر ولم يملك أحد من الجراكسة قدر مدته وقيل انه تقطب قبل موته والله اعلم * ثم تولى الملك الناصر ابو السعادات ابن السلطان قايتباى وكان شابا يغلب عليه السفه والجنون وما كان له التفات الى ملك ولا الى سلطنة بل كان يغلب عليه اللهو وكان والده فى حال حياته يود أن لا يتولى السلطنة * ويأبى الله الا ما أراد * حكى عنه أمور قبيحة قيل ان والدته كانت من اعقل النساء واجلهن فهيأت له جارية وجعتها به فى بيت خالى من اعدته لها فدخل بها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها من رجليها ويديها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهى حية فلما سمعوا صراخها ارادوا الهجوم عليه فلم يمكنهم لانه قفل الباب واحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى ان سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر استاذيته فى السلخ وان الجلادين يعجزون عن صنعته واستمر فى أفعاله الشنيعة الى ان قتل فى بر الجيزة وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه فى تربة أبيه فى سنة اربع وتسعمائة فكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى الظاهر ابو النصر قانصوه وهو خال الناصر ابن قايتباى وكان ساذجا أميا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وصار يرقيه بواسطة زوجته خوندام الناصر لانه اخوها وهى التى أقامته مقام ولدها وبذلت له الاموال وأرادت ان تقويه * وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر * فخلعوه بعد ان ساسهم سنة وسبعة اشهر وأخرجوه من الملك فى أواخر سنة خمس وتسعمائة والله تعالى اعلم * ثم تولى جانبلاط أمير كبير ولقبوه بالملك الاشرف جانبلاط فى أوائل سنة ست وتسعمائة ولم يتهنا بالملك وما وافقه عليه أحد وخلع نفسه بعد ستة اشهر والله تعالى اعلم * ثم تولى الملك العادل طومان باى فلم يستكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه ظلما فلم يقدر احد على السلطنة واتفقوا على أن يولوا قانصوه الغورى لانهم رأوه اين العريكة سهل الازالة اى وقت ارادوا عزله عزلوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا وأوهنهم قوة فقال لا اقبل الا بشرط أن لا تقتلونى فاذا أردتم خلعى من السلطنة فاخبرونى وأنا أوافقكم وانزل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك فقبل منهم والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى قانصوه الغورى ولقبوه بالملك الاشرف وذلك فى سنة سبع وتسعمائة وفرح العسكر بولايته وكان قانصوه كثير الدهاء ذا فطنة ورأى الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم محبا للعمارة ولما سكنت الفتنة بهذا التدبير الذى ذكره للجند قبل ولايته فاشتغلوا عنه وأهملوا أمره فصار يلقى الفتنة بينهم ويأخذهم ذا بهذا ويدس لهم السم فى الطعام ونحوه حتى أفنى كبراءهم ودهاتهم الا قليلا منهم ثم اتخذ مماليك لنفسه جلبا وأعدهم جندا فصاروا يظلمون الناس وأظهروا الفساد واهلكوا العباد وهو يتغافل عنهم وصار هو يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والباس وكثرت العوانية فى زمنه لكثرة ما يصغى اليهم وصاروا اذا رأوا انسانا كثير المال وشوا به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويأخذ أمواله ويسلمه الى من يعاقبه حتى يأخذ ما أخفاه من دنياه الى أن يصير فقيرا بعد غناه وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة ذهبت فى آخر الامر سدى وتفرقت بيد العدا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع على هذا الطريق المنكوب وأما الميراث فبطل فى زمانه ولما اشتد ظلمه وطمعه استغاث الناس فيه الى الواحد القهار وتضرعوا فيه آناء الليل واطراف النهار فاستجاب الله دعاء المظلومين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * حكى عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله الصالحين انه رأى جنديا من الجند أخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه وهو ممتنع فقال الدلال بينى وبينك شرع الله فضربه بدبوس فتح رأسه وسقط على الارض مغشيا عليه فرفع يده الى السماء ودعا على الجندى المذكور وعلى سلطانه فصادفت ساعة اجابة فنام الرجل فرأى فيما يرى النائم ان ملائكة نزلت من السماء وبايديهم مكانس وهم

مدرسته المعروفة بباب زويلة بدأ فيها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وثمانمائة وولى بعده ولده ابو السعادات احمد وعمره دون سنتين وكان امره مفوضا الى ططر ثم خلعه ططر واستقل بالامر تلك السنة واقام ثلاثة اشهر وتوفى ودفن بجوار الليث بن سعد فى القرافة * وولى بعده ولده محمد وعمره نحو عشر سنين فاقام نحو اربعة اشهر وخلع سنة خمس وعشرين وثمانمائة * وولى بعده الملك الاشرف ابو النصر برسباى الدقاقى وهو ثامن ملوك الجراكسة فاقام ست عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة ايام وتوفى سنة احدى واربعين وثمانمائة وتوفى ايامه بنى المدرسة الاشرفية التى بالعنبرانيين بالقاهرة والشركسية خارج باب النصر والمدرسة بالخانقاه

يكنسون الجراكسة فاسئتقظا واذا بقارئ يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلم ان الله يأخذهم أخذا وبيلا فلم يمض الاقليل حتى برز الغوري بجنوده وأمواله وخزائنه لقتال السلطان سليم خان الى حلب فجاء الخبر ان الغوري كسرت عساكره وفقد هو تحت سنابك الخيل في مرج دابق وهرب بقية الجراكسة الى مصر وسيروا طومان باى الدويدار أخا الغوري سلطانا ومازال السلطان سليم في أثر الجراكسة يفتح البلاد ويضبطها الى ان وصل الريدانية فخرج طومان باى ومن معه لقتال السلطان سليم فلم يثبت هو ومن معه الاساعة واحدة وانكسروا وهربوا وهرب طومان باى وأمسك وجيء به الى السلطان سليم فامر بصلبه في باب زويلة فصلب لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة وكان الناس يزعمون انه اختفى حتى يجد فرصة ويعود فلما صلب سكنت الفتنة * وللسلطان الغوري مآثر من عمارات وخيرات وغير ذلك منها عمارة مدرسته التي برأس ٢ الشوابين وكان الفراغ من بنائها في ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة والمدفن الذي هو مقابلها وسبيل بجوار المدفن يعلوه مكتب للايتام وكان يود ان يدفن فيه وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس باى أرض تموت ومنها عمارة منارة بالجامع الازهر ومنها عمارة جامع المقياس بالروضة وماجاوره من قاعات ومساكن وغير ذلك ومنها عمارة سبيل المؤمنين بالقرافة ومنها عمارة بندر عقبة أيلة وتمهيد جبالها للسالك فيها ومنها سحابة للفقراء بطريق الحاج الشريف في كل سنة وهي مستمرة الى الآن ومنها السواقي بمصر العتيقة والمجرات المتصلة من السواقي الى القلعة وهي باقية الى الآن ومنها القبة بالملقة بالقرب من المطرية ومايليها من الكشك والمجالس المطلة على الملقة ومنها انه عمر بمكة المشرفة باب ابراهيم وبيوتا حوله ومنها بناء فسقية خارج باب ابراهيم على يمين الخارج ومنها ترخيم في حجر البيت الشريف ومنها بناء سور جدة فانها كانت بلا سور فكانت مدة تصرف الغوري في السلطنة ست عشرة سنة وثلاثة اشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة سنة واحدى وعشرون سنة وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا اولهم برقوق وآخرهم طومان باى وقد انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دول من قبلهم ولله البقاء كما قيل

عمروا الارض مدة * ثم صاروا الى الحفر ... يابني جركس كنتم * خبرا فانقضى الخبر

وقد سمعت من بعض الافاضل ان المرحوم السلطان سليما لما ملك مصر أنشأ يقول

يابني جركس هينوا * ملك الامر سليم ... ملككم كان معارا * والعواري لاتدوم
ظلمكم اوجب هذا * انه فعل ذميم ... قد ملكتم فقهرتم * فلهذا لم تقيموا
ولهذا قد ذهبتم * مالكم خل حميم ... قد حمى الله حمانا * انه البر الرحيم
بمليك فاق كسرى * اذله الملك العظيم ... اسمه في الذكر يتلى * فافهمنه ياحكيم

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب التاسع في ظهور ملوك آل عثمان خلد الله ملكهم الى آخر الزمان)

اول جلوس السلطان عثمان الغازي على تخت السلطنة الشريفة في سنة تسع وتسعين وستمائة فبدأ بالجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار اهل الفساد وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام شجاعا عامة دائما فعاش حميدا ومات شهيدا فكانت مدة سلطنته ستا وعشرين سنة وتوفي في سنة خمس وعشرين وسبعمائة * ثم تولى السلطان أورخان الغازي بن السلطان عثمان وجلس على تخت السلطنة الشريفة في سنة ست وعشرين وسبعمائة وسنه خمس وثلاثون سنة وهو الذي افتتح بروسا وجعلها مقر سلطنته وكان فاق والده في الجهاد وفتح عدة حصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته وله حروب مشهورة مع النصارى

فكانت

السريانقوسية وارسل الى قبرس وفتحها واحضر ملكها أسيرا ومن عليه واعاده الى بلده بمن شاء من جماعته وصار يرسل الجزية في كل سنة * ثم تولى من بعده ولده عبد العزيز ابو المحاسن يوسف فاقام ثلاثة اشهر وستة ايام وخلع سنة اثنتين واربعين وثمانمائة واقام اياما وجهز الى الاسكندرية ومات في ايامه خشقدم * ثم تولى بعده الملك الظاهر ابو سعيد جقمق العلائي فاقام اربع عشرة سنة وتوفي في سنة سبع وخمسين وثمانمائة وعمر في ايامه عمارات كثيرة من مساجد وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مولعا بحب الفقراء والايتام والاحسان اليهم * ثم تولى بعده ولده عثمان فاقام اربعين يوما وخلع وجهز الى الاسكندرية * وولى

٢ وفي نسخة الجرابيين

فكانت مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنة والله أعلم * ثم تولى السلطان مراد الغازي ابن السلطان اورخان وجلس على تخت السلطنة الشريفة في بروسيا سنة احدى وستين وسبعمائة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح عدة قلاع وحصون من جلتها أدرنه وهو الذي اتخذ المماليك وسماهم ٢ يكنجري يعني العسكر الجديد ودوا البسهم البركاه وكانت له صولة عظيمة على الكفار فاظهر أحد ملوك النصارى الطاعة وكان اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب منه أخرج خنجرا كان أعده في كمه فضرب السلطان مرادا فاستشهد الى رحمة الله تعالى فصار القانون العثماني من يومئذ ان لا يدخل على السلطان أحد بسلاح وان يفتش وان يدخل بين رجلين يكتنفانه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله اعلم * ثم تولى السلطان يلدرم بايزيد ابن السلطان مراد وعمره ثنتان وأربعون سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة في سنة احدى وتسعين وسبعمائة وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمي الى بعض ملوك الطوائف في بلاد الروم فقبض على جماعة منهم ابن قرمان فأخذه وحبسه فهرب من الحبس ومضى الى تيمورلنك وحسن له الوصول الى بلاد الروم وشكا له من السلطان بايزيد فاستمر تيمورلنك يفسد في الارض الى ان وصل الى اذربيجان فخرج السلطان بايزيد الى لقائه ولما التقى الفريقان هرب من عسكره طائفة التتار وعسكر منتشار وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد وهربوا الى تيمورلنك ووقع الحرب فشرع عسكر بايزيد في الانهزام وثبت هو وقليل معه واستمر السلطان بايزيد يقاتل الى ان وصل الى تيمورلنك بسيفه وهو مشهور وقد عجز واعنه فرموا عليه بساطا وامسكوه وحبسوه فلحقته الحمية الغضبية فتوفي الى رحمة الله تعالى فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة * ثم تخالف من بعده اولاده وهم عيسى ومحمد وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال اثنتي عشرة سنة وقتل بينهم خلق كثير الى ان استقر بالسلطنة السلطان محمد ابن السلطان يلدرم بايزيد في سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره تسع وثلاثون سنة وكان شجاعا مقداما مجاهدا في سبيل الله افتتح عدة بلاد وبذل نفسه في الغزو والجهاد ومهد البلاد أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة اصطونيه وقلعة اسكب وقلعة اقشهر وغيرها وهو اول من عمل الصرة لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان وفي أيامه ظهر بدر الدين ابن قاضي سموات وادعى السلطنة وجمع جماعة من مريديه فارسل له السلطان محمد العسكر فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر وامسك بدر الدين وقتل وفي أيامه أيضا خرج محمد بن قرمان وولده مصطفى عن الطاعة وأحرقا بروسا فجاء السلطان محمد من بلاد روملي ووصل الى قونيه ووقع بينه وبين محمد بن قرمان حروب عظيمة مشهورة وأمسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد فعاتبهما وأنعم عليهما بمملكتهما فكانت مدة سلطنته تسع سنين وتوفي بمرض الاسهال فكانت له مرتبة الشهادة وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة * ثم تولى السلطان مراد الثاني ابن السلطان محمد وجلس على تخت السلطنة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وعمره ثماني عشرة سنة وكان ملكا عظيما مقداما فاتكا فتح الفتوحات ومهد المسالك وأمن السالك وأذل الكفار والملحدين واعز الاسلام والمسلمين الى ان انتشا ولده محمد فرأى نجابته وعرف اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ بحسن رضاه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى السلطان محمد خان ابن السلطان مراد في سنة ست وخمسين وثمانمائة وسنه عشرون سنة وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وأقواهم اقداما واجتهادا واكثرهم توكلا على الله واعتمادا له غزوات كثيرة من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن رخاء تجري برا وبحرا وحاصرها خمسين يوما وفتحها في اليوم الحادي والخمسين وهو الرابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى في آ كبر كنائسها صلاة الجمعة وهي آياصوفية وقد

٢ وفي بعض النسخ ينشري

بعده الملك الاشرف ابو النصر اينال العلائي فاقام ثمان سنين وشهرين وستة ايام وتوفي سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن بتربته التي انشأها في الصحراء * وولي بعده ولده أبو الفتح أحمد فاقام خمسة اشهر واربعة ايام وخلع طلامع كثرة محاسنه * وولي بعده الملك الظاهر خشقدم الناصري فاقام ست سنين وخمسة اشهر واثنين وعشرين يوما وتوفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكان له شح وطمع ودفن بتربته التي انشأها بالصحراء * وولي بعده الملك الظاهر أبو سعيد بلباي العلائي فاقام سبعة وخمسين يوما وخلع وجهز للاسكندرية فاقام بها الى ان مات * وولي بعده الملك الظاهر تمربغا الظاهري فاقام ثمانية وخمسين يوما وخلع وذهب الى دمياط ثم

عمل بعض الفضلاء فتح القسطنطينية تاريخا وهو (بلدة طيبة) سنة ٨٥٧ ذكر علماء التاريخ ان مدينة القسطنطينية كمل بناؤها فى اربعين سنة وكان اسمها قبل ذلك ٣ البرنسية ومات بانيها قسطنطين فى منتصف سنة ست وعشرين وستمائة من تاريخ الاسكندر وهى مدينة مثلثة الشكل جانبان فى البر وجانب فى البحر ولها سور سمكه احد وعشرون ذراعا والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية واجتمع فيها اهل الكمالات من كل فن فعلماؤها الآن أعظم علماء الاسلام واهل حرفها أدق الفطناء فى الانام وقد ضبطت اما كنها زمن المرحوم زكريا افندى شيخ الاسلام سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون محلا ومن الجوامع اربعمائة وثمانية وثمانون جامعا ومن المساجد اربعة آلاف وخمسمائة وستة وتسعون مسجدا ومن مكاتب الاطفال الف وستمائة واربعة وخمسون مكتبا ومن المدارس خمسمائة وخمس وثمانون مدرسة ومن التكايا مائة تكية ومن الخانات مائة وخمسة وخمسون خانا ومن الزوايا ثمانمائة وست وثمانون زاوية ومن الشئمات تسعمائة وخمسة وسبعون شئمة وهى الصهاريج للشرب بلغة الترك ومن الحنفيات اربعة آلاف واربعمائة وثمانون حنفية ومن الافران الفان ومائتان وخمسة وثمانون فرنا ومن أسواق الاسباب تسعمائة وخمسة وثمانون سوقا ومن القبانية اثناعشر ألف قبانى ومن الحمامات الف حمام ومن البوظات ثمانمائة وخمسة وثمانون بوظة ومن القهاوى الفان وثلثمائة واثنان وخمسون قهوة ومن محلات النصارى أربعة آلاف وتسعمائة ومن محلات اليهود اربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وثمانون محلا ومن الكنائس مائة وخمسة وأربعون كنيسة ومن الميخانات اربعة آلاف وخمسمائة وثمانية وخمسون ميخانة وذلك خارج عما تجدد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات البيوت وغير ذلك ٭ وقد ضبط فى مملكة آل عثمان من قضاة القضيات ما جملتهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضيا وما هو بقضاء أناضولى خمسة آلاف وستمائة وما هو بقضاء الروملى ثلثمائة وستون قاضيا وذلك خارج عن الموالى والدشمانية والملازمين وقد سمعت من شخص من العسكر المنصور ان بالقسطنطينية الآن من العسكر المنصور ما هو من الينشرية اربعون الفا ومن الاسباهية ستون ألفا ومن عجم أوغلان اربعة وعشرون ألفا ومن السراجين ثلاثة عشر ألفا ومن الجبجيات ثلاثة عشر ألفا ومن العربان اثناعشر ألفا ومن الطوبوجية سبعة آلاف وذلك خارج عن الموالى والوزراء والجاويشية والمفتيين والمتفرقة والزعماء والمتقاعدين والصناجق والقابوجية والاغوات والطباخين والبازرجدان والخواتين والنساء والمساحين وأرباب الآلات وما هؤلاء من الاتباع والخدم وما الكل بمملكة من ممالك آل عثمان مثل مصر والشام واليمن والحجاز والثغور والبنادر والحصارات والشرق والغرب من العساكر والاجناد مما يعجز عنه الوصف وأخبرت أيضا انه فى يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان بن المرحوم السلطان احمد صرف الترقى للعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع مرات فسبحان مالك الملك جل جلاله وقد اطلعنا على بعض تواريخ الدول السابقة والملوك السالفة فما سمعنا فما رأينا مثل دولة بنى عثمان ولا احسن نظاما منها ولا أحفظ قانونا منها لاسيما طاعتهم الشرع الشريف وتوقيرها أهل العلم وحملة القرآن واسداء الخيرات للفقراء والمساكين وسكان الحرمين الشريفين ومجاوريهما على ما سيأتى بيانه فيه قريبا فنسأل الله الحنان المنان ان يديم دولة بنى عثمان الى آخر الزمان فكانت مدة مولانا السلطان محمد احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة ست وثمانين وثمانمائة والله أعلم ٭ ثم تولى السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى تاسع عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذذاك ثلاثون سنة وهو من أعيان سلاطين آل عثمان تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه صدور

٣ وفى بعض النسخ البرنيطة

أسد الى الاسكندرية ومات بها ٭ وولى بعده الملك الاشرف أبو النصر قايتباى الظاهرى المحمودى نسبة للخواجا محمود وللظاهر جقمق معتقه وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة والحادى والاربعون من ملوك الترك بويع له يوم خلع الظاهر تمربغا سادس رجب عام اثنين وسبعين وثمانمائة فاقام تسعا وعشرين سنة واربعة أشهر وعشرين يوما وتوفى فى سنة احدى وتسعمائة ودفن بقبته بالصحراء وقبره ظاهر يزار وكان ملكا جليلا له اليد الطولى فى الخيرات وكانت أيامه كالطراز الذهب وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة وسار فى المملكة بشهامة ما سارها احد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون وله العمارات الكثيرة

المنابر وأفتتح الفتوحات وغزا فى سبيل الله أعظم الغزوات وظهر فى أيامه من بلاد العجم اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصفوى فى سنة تسعمائة وخمسة وكان له طور عجيب واستيلاء على ملوك العجم بحمن الاعاجيب فقتك فى البلاد وسفك دماء العباد واظهر مذهب اهل الرفض والالحاد وغير اعتقاد اهل العجم الى الفساد واخرب ممالك العجم وازال من اهلها حسن الاعتقاد والله يفعل ما اراد وصارت فتنة فى غالب البلاد

* (حكاية عجيبة) * وهى ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق من اهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة اولاد فكان التحذير قبل ان يولد له السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد قابلة كان يعتمد صدقها وكانت من الصالحات الخيرات وقال لها اذا وضعت جارية من الجوارى ذكرا فاقتليه ولا تدعيه حيا وان ولدت أنثى فاتركيها واكد عليها فى ذلك غاية التأكيد واستمرت على ذلك الى ان ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتقتله فرأت صورته جميلة فرق قلبها وقالت فى نفسها باى وجه ألقى الله تعالى فى قتل هذا الطفل المعصوم والله لا اقدم على قتله وقالت لابى يزيد جاءتك بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سماها سليمة واستمر الحال مكتوما لا يعلمه غير القابلة وأمه والله تعالى وكان كلما كبر وانتشى ظهرت عليه سمة الغلبة والقهر فاذا اجتمعت اخواته البنات وجلس بينهن لطم من بجانبه وضرب ونهب ما بايديهن من المآكل وغيرها وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد الى السرايا فى يوم عيد وامر بالمكان ان يطيب ويزين واستدعى بناته واجلسهن بين يديه وأمر أن يوضع بين يدى كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وبينهن السلطان سليم فشرع السلطان سليم فى سطوته وعادته وخطف ما بايديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يديه فصار الكل خائفات منه فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل فى ذلك وصار السلطان سليم يضرب البنات ويؤذيهم فقال السلطان بايزيد للنساء الواقفات هذا لا يكون أنثى اكشفوا لى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هو ذكر وليس بأنثى فقال لها وكيف خالفت أمرى وما قتلتيه فقالت خفت الله وخلصت ذمتك من قتل هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفر منه وأمر بالكف عنه وتربيته الى أن كان من أمر الله ما كان ولما استولى على بايزيد مرض النقرس ضعف من الحركة وترك السفر سنين فبطر العسكر لكثرة راحتهم وطلبوا سلطانا قوى الحركة كثير الاسفار ليجاهد فى سبيل الله ورأوا السلطان سليما ذا قوة وشهامة أجلد من سائر اخوته وعاين السلطان بايزيد من أركان الدولة والعسكر ميلهم الى السلطان سليم فاشار عليه وزراؤه ان يفرغ عن السلطنة بقلب سليم لسليم ويختار المقام فى أدرنه فى عز وتعظيم فابرموا عليه فى ذلك فاجابهم الى سؤالهم وفرغ له عن السلطنة وتوجه الى أدرنه فلما وصل اليها انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فى سنة ثمان عشرة وتسعمائه فكانت مدة سلطنته اثنتين وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد كاسر العجم وفاتح ممالك العرب وذلك فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة وكان سلطانا مهيبا قهارا كثير السفك للدماء قوى البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أخبار الممالك والملوك وكان يغير زيه ولباسه فى الليل والنهار ويتجسس ويطلع على الاخبار وكان له عدة مصاحبة تحت القلعة وفى الاسواق والجمعيات والمحافل ومهما سمعوه ذكروه له فى محل المصاحبة ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك بدأ بقتال العجم وتوجه بخيله ورجله وعساكره المشهورة الى أن وصل تبريز وتصادمت عساكره مع عسكر قزلباش ونزل النصر من عند الله والفتح القريب وانهزمت عساكر اسمعيل شاه وساقت العساكر المنصورة خلفه وكادوا يقبضون عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه وترك ما حوله من مخيمه وأثاث تجملاته فاغتنمها عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله أرض تبريز ونهى وأمر وأسر وأعطى الرعية تمام الامان وأراد التمكن من بلاد العجم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط والغلاء

من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها وهى باقية الى الآن * ثم تولى بعده ولده محمد ابو السعادات وهو فى سن البلوغ سنة احدى وتسعمائة فاقام ستة أشهر ويومين ثم خلع فى ثامن عشرى جمادى الاولى بعد ثبوت عجزه عن السلطنة بحضرة القضاة والخليفة المتوكل على الله ولوا بدله الملك الاشرف قانصوه مملوك والده قايتباى فاقام احد عشر يوما ثم وقعت فتنة وهرب ولم يعلم حاله فاعيد السلطان محمد بن قايتباى ثانيا السلطنة بعد ثبوت رشده فاقام سنة وستة أشهر ونصف شهر ثم شرع فى اللهو واللعب ومخالطة الاوباش وارتكاب الفواحش وارتكاب أمور لا تليق منها ان والدته جهزت له جارية وأدخلتها عليه فقفل

بحيث بيعت العليقة بمائة درهم وبيع الرغيف بمائة درهم وسبب ذلك انقطاع القوافل التي كان أعدها السلطان سليم لتتبعه بالمؤن والعليق فتخلفت عنه في محل الاحتياج اليها وما وجد في تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق أجران الحبوب من شعير وغير ذلك فاضطرب السلطان سليم لذلك فتفحص عن انقطاع القوافل فاخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغوري فانه كان بينه وبين اسمعيل شاه محبة ومودة ومراسلات وغير ذلك فلما استقر ركاب السلطنة الشريفة في تخت ملكه الشريف تأهب لاخذ مصر وازالة الجراكسة عنها فتوجه بعسكره الجرار الى حلب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما بلغ السلطان الغوري قدوم السلطان سليم جمع عساكر من الجراكسة وغيرهم وبرز الى قتال السلطان سليم فتلاقى العسكران قرب حلب بمرج دابق وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من خير بك والغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك فامرهما أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما أمامه ووقف الغوري بخواص عسكره الذين يعتمد عليهم من الجلبان وقصد بذلك قتل خير بك والغزالي وعسكرهما بالبنادق في أول مرة ويسلم هو ومن معه فخاب ظنه ورد الله مكره عليه قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقيل في المعنى للامام علي كرم الله وجهه

الحذر ينفع مالم يأتك القدر * فان أتى قدر لم ينفع الحذر

من يحتفر حفرة يوما يصير لها * فان حفرت فوسع حين تحتفر

ان الشباب لهم عذر اذا جهلوا * وليس يقبل من ذي شيبة عذر

فتفطن خير بك والغزالي لذلك وكانا أرسلا للسلطان سليم وطلبا منه الامان ووثقا منه أن لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما الامان وعهد لهما بان يطيب خاطرهما وأن يعطي خير بك مصر والغزالي الشام فقبلا منه ذلك ووافقاه على ذلك فلما ترا آى الجمعان واضطربت نيران المدافع والبنادق في مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي السلطان الغوري بمن معه من خواص أتباعه في القلب وأطلقت البنادق والزربطانات فهلك من هلك وهرب من هرب وانقلب النهار ليلا بالدخان وامتلأ وجه الارض بشعل النفط والنيران وغار الغوري تحت سنابك الخيل ومحى نور العدل ظلم الجراكسة كما يمحو النهار الليل وانقلبت رايات السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء فطلب أهلها الامان فاجابهم بالقبول لطفا وكرما وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولاسلافه وبالغ في المدح والتعريف وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذي يسر لي ان صرت خادم الحرمين الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا وأقام بحلب أياما وهو يمهد الممالك ويجري أحكام العدالة والسياسة والاحسان الى الرعايا ثم ارتحل بالجيوش المنصورة الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الامان والامن فاجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه وخلع على من يستحق خلع الرضا والاكرام ودخل الشام بموكب عظيم وأقام لتمهيد أمور المملكة برأيه الشريف وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأمر بعمارة مقام الاكسير الاعظم مولانا الشيخ محيي الدين بن العربي ورتب له اوقافا كثيرة وهو باق الى الآن واستقر السلطان سليم بارض الشام حتى مهد أمورها وضبط حصونها ثم توجه الى مصر فوصل الى غزة ثم عدل بمفرده الى زيارة القدس والخليل في نفر يسير بقصد الزيارة فاحسن الى أهل القدس والخليل وعاد الى عسكره فصار كلما مر ببلدة او قصبة او قرية في طريقه احسن الى أهلها وفر بقية الجراكسة الى مصر وجعلوا الدودار طومان باي سلطانا ولقبوه بالاشرف واجتمعوا عليه والقوا

الباب وربطها من يديها ورجليها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه قفل الباب واحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى ان سلخها وحشا جلدها بالثياب ثم خرج يفتخر بحسن صنعته ومعرفته بالسلخ واستمر في حركاته الشنيعة الى ان قتل في بحر الجيزة وجاؤا به وهو مقتول الى القاهرة ودفن في تربة أبيه في سنة أربع وتسعمائة * وولي بعده الملك الظاهر قانصوه الاشرفي القايتبائي خال محمد بن قايتباي بذلت له أخته مالا كثيرا وولته وبويع له بالسلطنة بحضرة الخليفة والقضاة سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وكانت سيرته جيدة ورتب لاهل الازهر

مقاليد سلطنتهم اليه وسار وابعو كبهم بين يديه وجند الجنود وعقد الالوية والبنود وبرزوا الى الريدانية خارج باب النصر ونصبوا المدافع الكبار والاحجار وهيؤها ليطلقوها اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبر الجواسيس السلطان سليما بذلك عدل هو وعسكره وجاؤا من خلف الجبل المقطم من وراء عسكر الجراكسة واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من امام الريدانية وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من الجراكسة قتالا شديدا وأظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم سنان باشا فاسف عليه وقال اى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة ان يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ساعة انكسر الجراكسة وانهزموا وهرب طومان باى وامسك وصلب فى باب زويلة كما ذكرنا ذلك سابقا واستمر السلطان سليم يدبر امور مصر ويضبط خراجها ومحصلاتها الى ثالث عشرى رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ولما دخل السلطان سليم منه قفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم ذكر القطبى فى اعلامه قال رايت جماعة من مصاحبى السلطان سليم وسمعت منهم حسن سيرته ولطف معاشرته وشدة تيقظه ودقة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة الفارسية والرومية بحيث انه فاق الطائفتين ورأيت بخطه الشريف بيتين كتبهما باعلى المقياس فى الكشك الذى امر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وكان الكشك هذا محترما مقفلا لا يصل اليه احد لعظم بانيه فدخلت مصر سنة ثلاث واربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكشك لباشة مصر خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلمه عبد الكريم العجمى فطلع واطلعنى صحبته فرايت مكتوبا على الرخام الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بالتامل هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردفقرا وينزل بعده الدركا
لو كان لى اولغيرى قدر انملة * فوق التراب لصار الامر مشتركا

ومرقوم تحتهما كتبه الفقير سليم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما فى غاية البيان والبراعة ونهاية فى الشعر العربى الفصيح المنسجم وان كان قد تمثل بهما فهما أيضا مرتبة علية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار رحمه الله تعالى وكان اشيع بمصر فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين والف ان السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان احمد يحل ركابه السعيد الى مصر المحروسة بقصد الحج اوغير ذلك على ماقيل فجدد ما انهدم من الكشك المذكور وزخرف وزين بناء على ان السلطان عثمان اذا قدم الى مصر يقيم بالكشك المذكور ويأبى الله الا ما اراد ومما افاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ محمد حجازى الواعظ الشعراوى خادم السنة النبوية بالديار المصرية فى فتوى افتى بها على سؤال رفع اليه فى سنة احدى وثلاثين والف فيمن يتعرض للرزق واوقاف المسلمين فن جملة جوابه انه قال سمعت من استاذنا المؤرخ من الحق الاصاغر بالاكابر شهاب الدين احمد الجركسى يخاطبنى وكثيرا من مشايخى مشافهة ان مولانا السلطان سليما لما اخذ مصر من الجراكسة ووضع رجله فى الركاب ليتوجه الى الروم فتقدم اليه خير بك بمفاتيح البلد فردها اليه وولاه عليها الى ان يموت بها فشاوره على ان ابناء الجراكسة يريدون الدخول فى جملة الاجناد فاجابه الى ذلك وشاوره على ابقاء اوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من اراضى مصر فاجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فى مال العساكر وتسلمهم بلادهم وتدخلهم فى العساكر وتبقى لهم اوقافهم يستعينون علينا بذلك فقال السلطان سليم ابن الجلاد فضرب عنق الوزير المذكور ووضع رجله الثانية فى الركاب ولما نزل الخانقاه السرياقوسية لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد

فى أيام رمضان الخبز والحمرة وضاعفها الغورى وزادها فاقام فى السلطنة سنة وثمانية أشهر ثم خلع * وولى بعده الملك الاشرف جانبلاط فاقام نصف سنة وخلع سنة خمس وتسعمائة وبنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وهدمها الفرنسيس فى سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وكان فيها قبتان ليس لهما نظير فى مصر * وولى بعده الملك العادل طومان باى وكان من أعيان مماليك قايتباى وكان بالشام فبويع له هنالك ثم جاء الى مصر وبويع له أيضا بقلعة الجبل وكانت مدته أربعة أشهر ونصفا وبنى مدرسته العادلية خارج باب النصر ثم هجم عليه العسكر وقتلوه ودفن بمدرسته وقد خربها الفرنسيس أيضا * وولى بعده الملك

ونغدروا اذا أدخلنا أبناءهم فى جندنا فهم مسلمون أولاد مسلمين و يغارون على ديارهم وأما أراضيهم فاصلها
ملك الغانمين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز أن تنازع الملاك فى أملاكها
وانما أزلت الوزير كراهة أن يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهكذا شأن
الملوك ولما رحل السلطان سليم بعساكره المنصورة ظهرت فى ظهره جراحة منعته الراحة وعجزت عن
علاجه حذاق الاطباء وتحيرت فى دائه عقول الالباء وكانت توضع الدجاجة فى جرحه فتذوب وشوهدت
معالبق أكباده من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فما نفعته التمائم والرقى وفدى بالاموال فما
قبل الفدا كما قيل فى المعنى

ولو قبل الفداء لكان يفدى * وان جل المصاب عن التفادى
ولكن المنون لها عيون * تكد لحاظها فى الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس * بزعم بنيك أثواب الحداد

وكان السلطان سليم قصده العود ثانيا الى العجم فما ساعدته القدرة الربانية ولما وصل الى تخت ملكه
الشريف وهو متوعك استمر الى أن لحق بربه فكانت وفاته سنة ست وعشرين وتسعمائة ومدة سلطنته
تسع سنين ولم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل سلطنته لانه كان سفاكا للدماء كثير القتل وهذه عادة الله فى
السلاطين والامراء اذا أكثروا سفك الدماء * ثم تولى السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان
بعد وفاة والده فى سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة الشريفة ولا أدمى أنف
أحد ولا اريق محجمة دم وسنه ست وعشرون سنة وكان سلطانا مهيبا سعيدا أيده الله لنصرة الاسلام برغم
أنوف أعدائه وكان مؤيدا فى حروبه ومغازيه مسعودا فى حركاته ومعانيه أينما توجه فتك وأنى سافر
سفك *(ذكر غزواته)* أول غزواته انكروس سنة ٩٢٧ ثانى غزواته رودس سنة ٩٢٨
وعمل الناس لذلك تواريخ الطفها (يفرح المؤمنون بنصر الله) ثالث غزواته انكروس ثانيا سنة ٩٢٩
رابع غزواته غزوة مسيح سنة ٩٣٥ خامس غزواته غزوة العجم سنة ٩٣٩ سادس غزواته غزوة
المان سنة ٩٤١ سابع غزواته غزوة الونية سنة ٩٤٤ ثامن غزواته غزوة بغداد سنة ٩٤٥
تاسع غزواته غزوة اسطبور سنة ٩٤٨ عاشر غزواته غزوة مسيح واسترعون سنة ٩٥٠ حادى عشر
غزواته غزوة القاس سنة ٩٥٤ ثانى عشر غزواته سفره الى المشرق سنة ٩٦٠ ثالث عشر غزواته
غزوة سكتوار وهى آخر غزواته وتوفى فيها سنة ٩٧٤ *(ذكر وزرائه العظام)* أول وزرائه بيرى
باشا الصديق صادفه وزير الوالده فابقاه ثم استعفى من الوزارة لكبر سنه فاجيب ثانى وزرائه ابراهيم
أودا باشا حرمه الخاص ثالث وزرائه اياس باشا الخادم وكان من الارنؤت رابع وزرائه لطفى باشا
وكان من الارنؤت خامس وزرائه سليمان باشا الخادم وكان من الارنؤت سادس وزرائه رستم باشا
وكان من الارنؤت سابع وزرائه أحمد باشا ثم أعيد رستم باشا ثامن وزرائه على باشا وكان من
٤ اليوسنه تاسع وزرائه محمد باشا وهو آخر وزرائه وكان متصرفا متمكنا فى الوزارة العظمى مع التدبير
الحسن والتصرف العام على الخاص والعام وكانت وزارته فى سنة ٩٧٢ واستمر بقية مدة السلطان
سليمان وكان مدة السلطان سليم الثانى الى ان استشهد فى زمن المرحوم السلطان مراد وكان السلطان
سليمان يحب الخيرات واجراء الصدقات * من جملة آثاره الحميدة الصدقة الكبرى بطريق الحاج
الشريف ولها أوقاف بكثرة يشترى من ريع اوقافها فى كل سنة جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز
والماء والزاد وغير ذلك ومقرر بها من المغاربة اربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون نفرا ذهابا وايابا
وذلك مستمر الى الآن وانضم الى أوقاف الدشيشة الكبرى أوقاف أخر فصارت الآن خمسة أوقاف

الاشرف قانصوه الغورى يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وتسعمائة بعد اختلاف بين العسكر ثم اتفقوا على توليته لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة متى أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا واضعفهم حالا فقال أقبل التولية بشرط ان لا تقتلونى فان أردتم خلعى من السلطنة فاخبرونى وأنا انزل لكم عنها فعاهدوه على ذلك و بويع له بقلعة الجبل بحضرة الخليفة المستنصر بايعه هو وأصحاب الحل والعقد فاقام سلطانا خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذا رأى وفطنة كثير الدهاء والفسق قمع الامراء وآذى المعاندين حتى اشتد ملكه وهيبته فهابته ملوك الروم والمشرق والافرنج وفك الاسرى منهم وكان له

٤ وفى بعض النسخ من السرايا

وقف السلطان قايتباي و وقف السلطان جقمق و وقف السلطان نتم ووقف السلطان سليمان ووقف غنوند والقرى الموقوفة عليها وهي بالقليوبية ناحية سرياقوس وطحانوب وناحية سندوه وناحية نوى والقشيش وناحية امياى وبالمنوفية ناحية البيجور وناحية المقاطع وناحية اسدود وناحية الصفراء وناحية سمدون و بالغربية ناحية شبرابسيون وناحية القضابة وناحية كفرشبرابسيون وناحية محلة المرحوم وكفرها وناحية منية الليث هشام وناحية بقلولة وناحية قويسنه وناحية دمقنوا و بالدقهلية ناحية بدويه وناحية قبيده وناحية منية شرف وناحية منية القرشي وناحية ابوداود العزب وناحية طوانيس وناحية منشاة عنبر وناحية منية العزمساعد وناحية الجديدة وناحية شبرامنت وناحية بسقبودا و بالبحيرة ناحية مطوبس الرمان وناحية منية المرشد وناحية شميرة وناحية عزبة عمرو وناحية القنى وبالجيزة ناحية صقيل وناحية منية قادوس وناحية صيده وناحية الكنيسة وناحية وسيم وبالبهنسا ناحية منية ابن خصيب والاسيوطية والوجه القبلى وناحية الفيوم وناحية زاوية عباس وناحية طرشوب وناحية حلف وناحية شمسطا وناحية براوه وناحية سنجرج وناحية ابو الهدر وناحية طحاذات الاعمدة وناحية طوة بنى ابراهيم وناحية منشاة التركمانى وناحية ابو المر وناحية ضبوا وكفورها وسهواج وكفورها وناحية طمية وناحية اللاهون وان المتحصل من النواحى فى كل سنة ماهو من المال سبعون كيسا وماهو من الغلال ثلاثة وثلاثون الف اردب وثمانمائة وثمانون أردبا وذلك خارج عن أجرة الاماكن الكائنة بمصر وغيرها وهو فى كل شهر هلالى أربعة وأربعون كيسا فكانت مدة تصرف السلطان سليمان فى السلطنة تسعا وأربعين سنة والله أعلم * ثم تولى السلطان سليم الثانى ابن السلطان سليمان خان وجلس على تخت السلطنة الشريفة تاسع ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة وسنه ست وأربعون سنة وعمل بعض الفضلاء تاريخا لتوليته فقال (سليم تولى الملك بعد سليمان) سنة ٩٧٤ وبعد ثلاثة أيام من جلوسه توجه الى سكتوار لحفظ عساكر الاسلام المجاهدين فى سبيل الله فسار سيرا حثيثا الى أن وصل ركابه السعيد الى سرم فتلقاه الوزير محمد باشا المتقدم ذكره وأعلمه بهجوم الشتاء وتيسير قلعة سكتوار والتمس الاذن الشريف بعود العسكر المنصور الى الاوطان واستمرار الركاب بذلك المكان الى أن يصل هو وبقية الوزراء ووجوه الدولة الى لثم الركاب الشريف وبعد ذلك يعودون فى خدمته الى مقر التخت الشريف بالقسطنطينية الكبرى فاجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار واستمر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل الى أن ورد عليه الوزير الاعظم وباقى الوزراء وقبلوا الركاب وهنوه بالملك وعادوا فى خدمته الى القسطنطينية الكبرى بغاية البشر واليمن والقبول وجهزت البشائر الى الممالك الشريفة وأتت اليه الهدايا والتحف من الملوك والاشراف فعم بحسن نظره الشريف البلاد واطمأن فى زمنه العباد ودمر أهل الكفر والالحاد وله غزوات مشهورة دمر بها ديار الكافرين وقطع دابر الظالمين وهو جالس بمكانه الشريف منها فتح قبرس ومنها فتح تونس وحلق الوادى ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة * ومما يحكى عنه انه كان لوالده المرحوم السلطان سليمان مصاحب يسمى شمسى باشا العجمى ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الاساس الراسخة الاوتاد فاقر السلطان سليم شمسى باشا مصاحبا على ما كان عليه زمن والده وكان شمسى باشا له مداخل عجيبة وأمور غريبة يلقيها فى قالب مرضى يسحر بها ذوى العقول فقصد أن يدخل شيأ منكرا فى سلطنة بيت آل عثمان يكون سببا لحلها وهو قبول الرشاء من أرباب الولايات والعمال فلما تمكن من مصاحبة السلطان سليم قال له على سبيل العرض عبدكم فلان المعزول من منصب كذا وليس بيده منصب الآن وقصده من فيض فضلكم

المواكب الهائلة ومهد طريق الحج بحيث كان يسافر اليه من مصر النفر القليل وكان فيه خصال حميدة وميل الى الخير وكان يصرف فى شهر رمضان الى مطبخ الجامع الازهر كل سنة ستمائة وسبعين دينارا ومائة قنطار من العسل وخمسمائة أردب قمح وبنى معامر للخير كثيرة الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف يصادر الناس فى أموالهم واذا مات أحد أخذ جميع ماله واتخذ مماليك فصاروا يظلمون الناس ظلما كثيرا فتوجه الناس فيهم وفى سيدهم الى الله تعالى فازال الله ملكه بسبب فتنة بينه وبين السلطان سليم خان ملك القسطنطينية فقصد كل منهما الآخر واجتمعا بعسكرين عظيمين فى موضع يقال له مرج دابق شمالى حلب بمرحلة فى

انعامكم عليه بالمنصب القلاني و يعطى كذا وكذا فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسي باشا وعلم انها
مكيدة منه في ادخال السوء لبيت آل عثمان تغير مزاجه الشريف وقال له يا رافضي تريد أن تدخل
الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لازالتها وأمر بقتله فتلطف به وقال له لا تعجل أيها الملك هذه
وصية والدك لي فانه قال لي السلطان سليم صغير السن و ربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه هذا
الامر فان جنح اليه فامنعه بلطف فان امتنع فقل له هذه وصية والدك فدم عليها ودعا له بالثبات في ترك
الرشوة التي هي من الامور المستصعبات فخلص من القتل بهذه الحيلة وكانت مدة سلطنة السلطان سليم
تسع سنين وكانت وفاته في سابع رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة والله أعلم * ثم تولى السلطان
مراد ابن السلطان سليم وجلس على تخت السلطنة الشريفة في عاشر شهر رمضان سنة اثنين وثمانين
وتسعمائة وسنه ثلاثون سنة وكان يحب الخيرات ووجوه المبرات فمن جملة خيراته أنه أنشأ تكيه بالمدينة
المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام و رباطا بقباء ظاهر المدينة المنورة وقرر بها أرباب وظائف
ومجاورين و رتب بالتكية طعاما يطبخ صباحا ومساء ورتب حبا لاهل الحرمين الشريفين ووقف
على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهي باقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الضاهرية وبالمنوفية
ناحية سبك الاحد وناحية شبرا زنجى وبالقليوبية ناحية طنان وناحية كفر زريق وناحية طوخ الملق
وناحية سد طنان وناحية سمرا وبالدقهلية ناحية سندوب وناحية منية سمنود وناحية أبو الحسن
وبالجيزة ناحية كوم برا وناحية نهيا والبهنساوية والوجه القبلي ناحية بلغيا وناحية دنديل وناحية
العتامنة وناحية دبشنا وناحية الضوابط وناحية اهناس الخضرا وفي كل سنة يجهز الى بندر السويس
من متحصل النواحي المذكورة في كل عام من الحب قدر ألفي أردب ومائتي أردب تحمل في مراكب في
وقف الدشائش المداية الى الينبع برسم التكية المذكورة ومجاوري الحرمين الشريفين وأما ما يجهز
من النقد من متحصل النواحي المذكورة في كل عام صحبة أمير الحاج الشريف المصري فقدره سبعة عشر
كيسا توزع على أربابها من مجاوري الحرمين الشريفين وتوفي السلطان مراد في سابع عشر جمادى
الآخرة سنة ثلاث وألف فجملة تصرفه في السلطنة عشرون سنة وتسعة أشهر وستة أيام والله أعلم
* ثم تولى السلطان محمد ابن السلطان مراد وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الجمعة سابع عشر
جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف وقد نظم بعضهم تاريخ جلوسه فقال

مراد لقى الفردوس والملك زانه * محمد الآتي بخير معاد
باثر أبيه قد تولى فارخوا * محمد تولى عين ملك مراد

وقد نظم أيضا بعضهم تاريخ جلوس السلطان محمد المومى اليه فقال

بولاية المولى المليك محمد * عم الهنا والكون بالبشر انشرح
ومحا الشقا سقم الوجود فارخوا * بمحمد قد شرف الملك وصح

ونظم بعضهم أيضا تاريخ جلوسه فقال

محمد خان سلطان علي * أدم يا رب دولته وأبق
أيا أهل الممالك أرخوه * محمد خان سلطان بحق

وتوجه بذاته الشريفة وصحبه عساكره المنصورة الى غزوة المجر وحصل هناك قتال ونزال يطول شرحه الف
المؤرخون لهذه الغزوة تواريخ بالتركي والعربي وحصلت النصرة لمولانا حضرة السلطان محمد وعاد سالما
مؤيدا منصورا ومن أثر خيراته انه رتب حبوبا تحمل في مراكب من بندر السويس الى الينبع لفقراء
الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهي باقليم المنوفية ناحية البتنون

شهر رجب سنة اثنتين
وعشرين وتسعمائة
فانهزم عسكر الغوري
ولم يعلم حال الغوري
فاقام السلطان سليم بالشام
شهرا ثم رحل الى مصر
فوجد عسكر مصر ولوا
عليهم الملك الاشرف
طومان باى ابن اخي
الغوري ووقع بينهم حروب
كثيرة فرأى طومان باى
في نومه النبي صلى الله عليه
وسلم وقال له يا طومان
انت ضيفنا بعد ثلاثة
أيام فخلع آلة القتال
وذهب الى السلطان سليم
طائعا مختارا فقتله وشنقه
وأبقاه في باب زويلة مشنوقا
ثلاثة أيام ثم دفن بعد دفن
الغوري المشهور وبموت
طومان باى انقطعت
دولة الجراكسة وارتفعت
السلطنة من مصر وعادت
الى النيابة كما كانت
وكانت مدة الغوري
ست عشرة سنة وثلاثة
أشهر تقريبا ومدة تصرف

وناحية مليج وناحية شنوان وبالغربية ناحية المهاتم وناحية منية عجيل وناحية بهوت وبالقليوبية ناحية صنافين وناحية مجول البيضة وبالشرقية ناحية شلشلمون وبالدقهلية ناحية نقيطا وناحية صهرجت المش وبالفيوم ناحية تقلفة وناحية بغتمين وبالبهنسا والوجه القبلى ناحية نويرة وناحية سلاوة وناحية بها وناحية قاى وناحية الرينة وناحية بهداد وناحية قلوصنة وناحية صفت الحمارة وناحية اهناس المدينة وناحية كفر حمدره وناحية القيس وناحية انسوخ وناحية زيدة والذى يجهز من محصولات القرى المذكورة الى المدينة المنورة وفقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما ما قدره من الحب اثنا عشر الف اردب ومن المال النقد ما جملته اثنا عشر كيسا فكانت مدة تصرف السلطان محمد فى السلطنة تسع سنين وخمسة عشر يوما وتوفى فى رجب سنة اثنتى عشرة وألف * ثم تولى السلطان أحمد ابن السلطان محمد وسنه ثمان عشرة سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث رجب سنة اثنتى عشرة والف وكان ملكا مهيبا وله التفات الى السلطنة الشريفة وقتل جماعة من وزرائه من جملتهم نصوح باشا فانه لما آلت اليه الوزارة العظمى وتصرف فيها مع نفوذ الكلمة كثرت اتباعه ومماليكه حتى خرج عن طوره ووقع فى ألسنة العامة والخاصة واشيع عنه ما يوجب التيقظ لاموره كما قيل * وعند صفو الليالى يحدث الكدر * فقتل ولله عز وجل البقاء ومن جملة محاسن السلطان احمد انه عمر جامعا بالقسطنطينية لم يعمل مثله فى اتساعه واحكام بنائه ودقة صنائعه وغير ذلك مما يعجز عنه الوصف ومنها انه ارسل حجرا من الماس قيمته اثنا عشر الف دينار الى المدينة المنورة وامر ان يوضع بالحجرة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام وهو موجود الى الآن ومنها انه حصل فى بناء الكعبة الشريفة ميلان فى بعض احجارها فارسل عمدا من فولاذ مطلية بالفضة مموهة بالذهب فطوقت بها الكعبة الشريفة من جوانبها الاربع وحفظت الاحجار من السقوط * ومن آثار خيراته أيضا انه ارسل ميزابا من فضة مموها بالذهب ووضع موضع الميزاب العتيق وتسلم امير الحاج الشامى الميزاب العتيق ووضعه فى تختروان واسبل عليه كسوة المحمل الشريف الشامى وخرج امير الحاج الشامى امامه وخلق كثير من العسكر المنصور ركبانا ومشاة بالطبل التركى وكان يوم خروجه من مكة يوما مشهودا وذلك فى سنة اثنتين وعشرين وألف وكان مؤلف هذا الكتاب حاجا فى السنة المذكورة وشاهد خروج الميزاب المذكور وأرسل الميزاب العتيق الى القسطنطينية ووضع بالخزائن العامرة تبركا ومن خيراته أيضا انه عمل سحابة بركب الحاج الشريف المصرى يحمل بها الماء للفقراء والمساكين ووقف عليها اوقافا وهى مستمرة الى الآن وبها النفع العام ومن آثاره ايضا انه رتب من ريع اوقافه أيضا لفقراء الحرمين الشريفين وأرباب وظائفهما زيادة فى معلومهم فى كل سنة ما قدره اثنا عشر كيسا يحمل اليهم صحبة امير الحاج المصرى ولا يخفى على اولى البصائر وذوى العقل الباهر ما لآل عثمان من الخيرات والطول الكامل فى اسداء المبرات وكثرة احسانهم وتواتر انعامهم واسعافهم واكرامهم لاهل الحرمين الشريفين جيران الله وجيران نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين والتصدق عليهم والرأفة اليهم بكثرة الانعام فى كل عام فلا غرو وان نطقت بمدحهم افواه الدفاتر وخطبت بذكرهم الاقلام على انها خطباء والانامل لها منابر وشدت بذكرهم الاطيار فى اوكارها واجابهم عاصى الصوادح طائعا او كارها فلا زالت الوية تصرفهم منشورة الذوائب مشرقة كالشمس فى المشارق والمغارب ظاهرة السفور محلية عاطل طروس السطور والذى ضبطه جامع هذه الاوراق المرتجى عفو ربه الخلاق فقير رحمة ربه محمد بن اسحق ورقمه بطريق التقريب فى هذا الكتاب ورسمه حسبما وصل اليه علمه من أفواه المباشرين والكتاب ان الذى يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما فى كل عام من صدقة آل عثمان وخدمتهم وممن يأتى ذكره فيه من الديار المصرية حماها الله تعالى من كل ضرو بلية ماهو من المال

الجراكسة مائة واحدى وعشرون سنة وجملة ملوكهم اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باى ثم جاءت الدولة العثمانية ذات الصولة الباهرة البهية التى هى غرر جباه الايام البسها الله تعالى حلة الدوام فاولهم فى ولاية مصر السلطان سليم خان فاتح مصر وقد ملكها مستهل سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكان سلطانا مهيبا قهارا كثير السفك للدماء قوى البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن احوال الملوك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار وتوجه لقتال العجم ونصره الله عليهم لكنه لم يتمكن من بلادهم شدة التمكن للغلاء والقحط

النقد المسمى بالصرة مائة كيس واربعة وستون كيسا بيان ذلك ما هو من اوقاف الدشيشة الكبرى اربعة وستون كيسا وما هو من اوقاف السلطان مراد سبعة عشر كيسا وما هو من وقف السلطان محمد اثنا عشر كيسا وما هو من وقف السلطان أحمد اثنا عشر كيسا وما هو من وقف الخاصكية عشرة أكياس وما هو من وقف الحرمين عشرة أكياس وما هو من وقف الاشرف خمسة عشر الف نصف فضة وما هو من وقف الخدم ثمانون ألف نصف فضة وما هو من وقف رستم باشا اثنا عشر الف نصف فضة وما هو من وقف اسكندر باشا عشرة آلاف نصف فضة وما هو من وقف سنان باشا عشرون الف نصف فضة وما هو من وقف على باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وما هو من الحب فى كل عام ثمانية واربعون الف أردب وثمانمائة وثمانون اردبا كما هو مذكور فى محله فى هذا الكتاب وذلك خارج عن صدقات البلاد الرومية والحلبية والشامية وغالب البلاد الاسلامية وذلك ببركة دعوة سيدنا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فأجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فان أودية مكة حجرية لانبات بها قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس ومن للتبعيض ولذا قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى وتوفى السلطان أحمد فى عاشر شهر القعدة سنة سبع وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه أربع عشرة سنة وأربعة شهور وعشرة أيام والله أعلم ثم تولى السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وهو أخو السلطان أحمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث عشر ذى القعدة سنة سبع وعشرين والف وكان فى مدة ولاية أخيه السلطان أحمد فى محل داخل السراية وهو ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لا يمكن من الخروج من السراية وعنده بعض أطفال يخدمونه وهو موصوف بالصلاح لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف فى أمر من الامور وكان كلما اجتمع باخيه السلطان أحمد يقول له لا حاجة لى بسلطنة مطلقا وكان يشاع ان السلطان أحمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى يقول له ارجع عما تقصده فكان ذلك سببا للكف عنه ثم خلع مولانا السلطان مصطفى ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وأودع فى جب داخل السراية وسد بابه ما عدا روزنة لطيفة ينزل منها طعامه وشرابه وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وعشرة أيام والله أعلم * ثم تولى السلطان المظلوم الشهيد عثمان ابن السلطان محمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين والف وسنه احدى عشرة سنة وهو مع صغر سنه ملك همام وأسد ضرغام ولما تمكن وتصرف واستقام له الحال توجه بذاته الشريفة وعساكره المنيفة الى غزوة طائفة من النصارى المعروفين بالليه من جنس الروس فانه بلغه عنهم أمور قبيحة وخروج عن الطاعة وايذاء المسلمين فوطئ بلادهم بخيله ورجله وقتل منهم من قتل وأسر من أسر فاذعنوا له ووافقوا على أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وعاد الى تخت ملكه مؤيدا منصورا فمكث مدة يسيرة وبعد ذلك شاع الخبر من الداخل ان السلطان عثمان قصد الحج الى بيت الله الحرام والفوز بزيارة قبر خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد تمام الحج يحل ركابه السعيد بمصر المحروسة لاجل احتياطه بأمورها فبلغ ذلك الخبر مولانا محمود افندى المولى العارف وبعض الوزراء وأكابر الدولة فاشاروا على مولانا السلطان عثمان بترك هذا الورود بأنه ما تقدم لاحد من أكابر سلاطين آل عثمان مثل هذه الحركة وان فيها ضررا عاما للرعايا والبرايا والعساكر المنصورة فلم يقبل لاحد منهم اشارة ولم يلتفت لما قالوه وصمم على هذا الامر أشد تصميم لامر اراده العزيز العليم ثم فى يوم الاربعاء سابع رجب سنة احدى وثلاثين وألف أثيرت فتنة بالقسطنطينية بسبب هذه الحركة المتقدم ذكرها فقتل بها خلق كثير من الاكابر والاماثل وغيرهم من

الذى وقع هناك بسبب انقطاع القوافل التى كان امدها التبعة بالمؤن فتفحص عن انقطاع ذلك فاخبر ان سببه سلطان مصر قانصوه الغورى لانه كان بينه وبين اسمعيل شاه كبير العجم مودة ومراسلات فلما استقر فى تخت السلطنة استعد لاخذ مصر فكان منه ما كان وكان مستقره فى مدة اقامته بمصر الروضة وبنى له كشك عند قاعة المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة ولما اراد التوجه الى الروم تقدم اليه خير بك بمفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها الى ان يموت فشاوره على ان ابناء الجراكسة يريدون الدخول فى جملة الاجناد فاجازه بذلك وشاوره على ابقاء اوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من ارض مصر فاجازه بابقائها على

بخطهم ثم بجيبان أغاودلاور أغا الوزير الاعظم واختفى السلطان عثمان ونزل من السراية الى اسطودار
لاجل الاجتماع بمحمود افندى المشار اليه فطرق عليه الباب فلم يمكنه من الاجتماع به بسبب عدم قبول
نصيحته أول مرة وكان ذلك قبيل الغروب ثم عاد الى السراية الكبرى فوجدها مقفولة فلم تفتح له فرجع
على أثره لمنزل حسين باشا وبات به ثم توجه بكرة النهار هو وحسين باشا الى منزل أغات الينشرية وأبرم
السلطان عثمان على حسين باشا واغات الينشرية بالتوجه الى العسكر المنصور وأخذ خواطرهم وان يعطيهم
مايريدون ويدفع مايتضررون منه ويكرهونه فقالا لا يتيسر ذلك الا ان يقتضى انهم اخرجوا السلطان
مصطفى من الجب وأجلسوه على تخت السلطنة الشريفة فابرم السلطان عثمان على أغات الينشرية فى ايصال
هذا الكلام الى العسكر المنصور رفقا وسعة الفته وسلم الامر الى الله تعالى لانفاذ القدر المقدور فلما وصل
اليهم وذكر لهم ماذكره له السلطان عثمان فما كان جوابهم الا ان قطعوه بالسيوف اربا اربا وتوجهوا فورا
الى بيت اغات الينشرية وأخرجوا السلطان عثمان وجاؤا به للسلطان مصطفى فلما تلاقيا تباكيا وعما حصل
لا تسل وأخذوا السلطان عثمان ونزلوا به فى قائق وتوجهوا به الى المكان المعروف بيدى قلة فبات به فلما
أصبح الصباح عاد به داود باشا بالقائق وهو ميت لا روح به ولا حركة وادخل الى السراية الكبرى وأذن
للناس ادناعاما فى الصلاة عليه ثم دفن بتربة والده المرحوم السلطان أحمد التى أنشأها عند جامعه وكان له
مشهد مشهود تباكت عليه الرعايا والعساكر المنصورة ونم بعضهم على بعض فى الذى كان سببا لذلك ونشأ
بعد ذلك فتن كقطع الليل المظلم من قال وقيل وغير ذلك مما يجب كتمه ولا يستحب اذاعته وبعد ذلك قتل
داود باشا اشر قتلة وقتل معه جماعة من الاكابر ولا يعلم مايحدث بعد ذلك الا الله تعالى وكانت وفاة
السلطان عثمان يوم الخميس تاسع رجب سنة احدى وثلاثين والف ومدة تصرفه أربع سنوات وأربعة
أشهر وأربعة أيام وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال

قتلتموعثمانكم * وخنتموامامكم اماتخافون فتنة * تاريخها ظلامكم
١٠٣١

وقد نظم بعضهم أيضا تاريخا فقال

مات سلطان البرايا * وهو فى الاخرى سعيد قال لى الهاتف ارخ * ان عثمانا شهيد
١٠٣١

* ثم أعيد مولانا السلطان مصطفى الى الملك ثانى مرة وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الخميس ثامن
رجب سنة احدى وثلاثين والف خلد الله تعالى ملكه على الاسلام والمسلمين وجعل ظل سلطانه قويا متين
وأنام الانام فى ظل امانه وعدله المكين لازالت ان شاء الله تعالى دولته ماشية وآية ملكه تتلو هل
أتاك حديث الغاشية وأبقاه على سرير السلطنة الباهرة دهرا طويلا وثبته على منهج الكتاب والسنة ولن
تجد لسنة الله تحويلا وجعل السلطنة باقية فى عقبه الى يوم التناد وأنار بنور عدله ظلم الظلم والفساد بجاه
سيدنا محمد أفضل العباد انه كريم جواد لطيف بالعباد

*(الباب العاشر فيمن تصرف فى مصر من جانب آل عثمان المعظمين من الوزراء والدشوات
المفخمين وايراد اخبارهم ومدة اقامتهم بالديار المصرية وأحكامهم بها)*

* اول من تقرر باشا بمصر خير بك أمير الامراء بموعد سابق له فى ذلك من المرحوم السلطان سليم وذلك فى
اوائل رجب سنة أربع وعشرين وتسعمائة وجعلها مطعمة له الى ان يموت فتوفى فى عاشر شهر صفر سنة
ست وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنتان وتسعة أشهر وثلاثة أيام * ثم تولى مصطفى باشا وكان دخوله
فى اوائل شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسعمائة وعزل فى سادس عشر شهر الحجة سنة ثمان وعشرين
وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان اثنان والله اعلم * ثم تولى قاسم جزل باشا فكان

ما كانت عليه فتشوش
وزيره وقال فى مالنا
وعساكرنا وتبقى لهم
اوقافهم يستعينون علينا
بها فقال السلطان سليم
اين الجلاد وكانت
احدى رجليه فى الركاب
فضرب عنق الوزير
ووضع رجله الثانية فى
الركاب ولما نزل الخانقاه
لاطفوه فقال عاهدناهم
على انهم ان مكنونا من
بلادهم ابقيناهم عليها
وجعلناهم امراءها فهل
يجوز لنا ان نخون العهد
ونغدر واذا أدخلنا
أبناءهم فى جندنا فهم
اولاد مسلمين ويغارون
على دارهم وأما أراضيهم
فاصلها ملك الغانمين
ومنهم من وقف ومنهم
من قامت ذريته من
بعده فهل يجوز ان تنازع
الملاك فى املاكهم واما
ازالت الوزير كراهة ان
يغير على اعتقادى بتكرار
كلامه فرحم الله هذا

دخوله سنة تسع وعشرين وتسعمائة وخروجه من مصر فى أوائل سنة ثلاثين وتسعمائة فكانت مدة
ولايته سنة واحدة والله تعالى أعلم * ثم تولى أحمد باشا الخائن فى شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة
والسبب فى توليته ان المرحوم السلطان سليمان لما جلس على تخت الملك صادف وزير والده المرحوم
السلطان سليم وهو محمد باشا الصديقى فابقاه على الوزارة العظمى وكان محمد باشا كبير السن بطىء الحركة
فى قيامه وقعوده وتصرفه والملوك لا يليق بخدمتها الا من يكون له حركة ومبادرة للامور فاستعفى من
الوزارة وولى مكانه أوداباشا وكان أقدم منه فى الخدمة المذكورة أحمد باشا وكان مؤملا ان الوزارة
العظمى لا تتعداه فزاحم ابراهيم باشا وجلس بقوة قربه من السلطان فشكاه ابراهيم باشا السلطان فدبر
فى ازالته وأعطاه باشوية مصر يستجلب بذلك خاطره وصار ابراهيم باشا يتعقبه للعداوة السابقة ويرميه
بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة الامراء المحافظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محله بالامر الشريف
ويولوا أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة باشا وارسلت الاحكام الى الامراء بمصر فوقع الامر
فى يد أحمد باشا قبل أن يصل الى الامراء فسولت له نفسه العصيان وانه يقاتل بجيش يلاقيه من مصر فابدى
الطغيان وادعى السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وعصى بقلعة الجبل وكان قد حبس
عنده بالقلعة أميرين كبيرين وهب جانم الحمزاوى ومحمود بك وأراد قتلهما وقد أخر الله تعالى أجلهما
فسمعا انه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادنا من أطاع الله ورسوله والسلطان
فليقف تحت الصنجق فوقف تحت الصنجق السلطانى خلق كثير وجم غفير وسار سردارهم جانم
الحمزاوى ومحمود بك وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه
واعجله عن حلق النصف الثانى هجوم العسكر فهرب الى سطوح الحمام وتسلق من مكان الى مكان الى
أن وصل الى البرقنبوا وجميع ما عنده من السلاح وغيره ثم انهم اقتفوا أثره فادركوه بمنية جناح بالغربية
فقتلوه فى أواخر سنة ثلاثين وتسعمائة وجزوا رأسه وجيء بها الى مصر وعلقت فى باب زويلة ثم جهزت
الى الاعتاب الشريفة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة والله تعالى أعلم * ثم تولى ابراهيم باشا الذى
صار وزيرا أعظم وكان دخوله فى أوائل سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وخروجه من مصر فى شهر
شعبان من السنة المذكورة فمدة تصرفه سبعة أشهر * ثم تولى سليمان باشا الخادم فى تاسع شعبان سنة
احدى وثلاثين وتسعمائة وفى زمنه حرقت الدفاتر الموضوعة بديوان مصر المحروسة وفى سنة ثلاث
وثلاثين وتسعمائة عين الامير كيوان لمساحة قرى مصر وضبط أراضيها كل اقليم على حدته من الاطيان
السلطانية والرزق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر
المحروسة وهى معول عليها الآن ومشار اليها وتسمى دفاتر تربيع سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وعمر
أيضا جامعا بقلعة الجبل وعمر سليمان باشا جامعا ببولاق القاهرة وبجواره وكائل وأسواق وربوع وغير
ذلك ولما تولى المرحوم الامير محرم بك أمير اللواء بالديار المصرية ناظرا على أوقاف سليمان باشا زاد فى
الجامع المذكور زيادة حسنة ورفع سقفه فصار الآن فى غاية الحسن والكمال مقام الشعائر الاسلامية
وعمر أيضا جامع سارية بقلعة الجبل وعمر أيضا وكائل برشيد وغير ذلك ثم ورد عليه أمر شريف بالتوجه الى
اليمن فكانت مدة تصرفه بمصر تسع سنين واحد عشر شهرا وستة أيام * ثم تولى خسرو باشا فى عشرى شهر
رمضان سنة احدى واربعين وتسعمائة وعمر فى ولايته صهريجا بين القصرين بمصر وبه انفع للشاردين
والواردين فتصرف الى سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة
وثمانية شهور وستة أيام والله أعلم * ثم عاد سليمان باشا الخادم الى باشوية مصر عند عوده من اليمن فى
حادى عشر شهر رجب سنة ثلاث واربعين وتسعمائة فتصرف الى حادى عشرى محرم سنة خمس

واربعين

الملك العظيم وهذا شان
الملوك وكانت مدة ملكه
تسع سنين وثمانية أشهر
وتوفى * وولى بعده ولده
السلطان سليمان خان
ابن السلطان سليم خان
سنة ست وعشرين
وتسعمائة فاقام تسعا
واربعين سنة وتوفى سنة
خمس وسبعين وتسعمائة
وكان سلطانا سعيدا لم يل
مصر من بنى عثمان مثله
وصلت سراياه الى اقصى
المشرق والمغرب وغزا
بنفسه ثلاث عشرة غزوة
وبنى مدرسة عظيمة
مشهورة بالسليمانية
وله بيمارستان للمرضى
ومازال منذ ولى قائما
بنصر الدين وتأييد
الشريعة الى أن توفاه الله
تعالى وكانت أيامه من
غرر الزمان وجملة وزرائه
بمصر خمسة عشر وزيرا
* وولى بعده ولده السلطان
سليم خان الثانى فاقام فى
السلطنة ثمان سنين

وأربعين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وخمسة أشهر واحدى وعشرين يوما * ثم تولى داود باشا في سابع محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة وبنى في ولايته مدرسة عظيمة محكمة البناء بسويقة صفية اللالة بمصر المحروسة ووقف لها أوقافا وهي باقية الى الآن مقامة الشعائر الاسلامية فتصرف الى ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهرا واحدا وعشرين يوما وتوفي بمصر المحروسة ودفن بالقرافة * ثم تولى مصطفى باشا صغان في خامس ربيع الاول سنة ست وخمسين وتسعمائة ومكث الى رجب من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة شهور ونصف شهر والله أعلم * ثم تولى على باشا في خامس شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية محرم سنة احدى وستين وتسعمائة فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر وستة وعشرين يوما ولما انصرف من باشوية مصر توجه الى الاعتاب الشريفة فتنقلت به الاحوال الى أن ولى الوزارة العظمى فاحسن فيها السلوك وساوى بين الغنى والصعلوك وصار محمودا في جميع تصرفاته مع الثناء عليه * ثم تولى محمد باشا الشهير بدوفتر كين زاده في أول صفر سنة احدى وستين وتسعمائة وتصرف الى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وشهرين وتسعة عشر يوما * ثم تولى اسكندر باشا في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتصرف الى غاية رجب سنة ست وستين وتسعمائة فكانت مدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام وفي ولايته عمر المدرسة التي بباب الخرق المطلة على الخليج وهي مشيدة محكمة البناء وعمر تكية تجاهها وسبيلا بجوار المدرسة وقد عمل له بعض الفضلاء تاريخا وهو رحم الله من دنا وشرب ٩٦٦ ووقف على ذلك أوقافا وهي في غاية الحسن والانتظام ولله الحمد والمنة * ثم تولى على باشا الخادم في سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف الى سادس صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وستة أشهر * ثم تولى شاهين باشا في ثاني ربيع الاول سنة ثمان وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى على باشا الصوفي في أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة وتصرف الى غاية رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة شهور * ثم تولى محمود باشا المقتول وكان دخوله يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فتصرف الى ان قتل يوم الاحد تاسع عشرى شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة شهور وعشرين يوما وقد نظم بعض الفضلاء تاريخا لقتله فقال

موت محمود حياة * فيه للعالم رحمه قتله بالنار نور * وهو في التاريخ ظلمه
٩٧٥

وقال بعضهم

أتى محمود باشا يوم نحس * فساقته منيته فصيبه
تجاه الناصرية خلف حيط * بقبط جاءه منه مصيبه
ببندقة رماه كف رام * فخر رهابا بجبانة مصيبه

* ثم تولى سنان باشا في ثالث عشرى شهر شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وتصرف الى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فمدة تصرفه تسعة أشهر وأربعة وعشرون يوما ثم ورد عليه أمر شريف من الملك بان يتوجه الى فتح بلاد اليمن واسترجاعها من الزيديين العصاة فتوجه ومعه جماعة من أكابر صناجق مصر وكان يقال ان استصحابه للصناجق لامر نسبوه اليه وهو قبل محمود باشا ولم يرجع من الصناجق أحد ولله البقاء وفتح سنان باشا اليمن واستنقذها من أيدي العصاة وشتت شملهم وقطع دابرهم وقد ألف القطبي تاريخا لهذا الفتح وسماه البرق اليماني في الفتح العثماني لم ينسج على منواله في

وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما ومات في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان حليما عظيما وسلطانا حكيما شهما مطاعا أحيا سنة الجهاد وجد في فتح البلاد منها جزيرة قبرس وكان أول من افتتحها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ثم بعده الملك الاشرف برسباى ثم صاروا يكرون ويقطعون الطريق في البحر على المسلمين فاستفتى السلطان سليم فيهم المفتي أبا السعود فافتاه بانهم ناقضون للعهد فجهز اليهم وظفره الله بهم وجملة وزرائه بمصر أربعة منهم سنان باشا صاحب الخيرات والعمارات * ثم تولى بعده ولده السلطان مراد خان الاول ابن السلطان سليم الثاني سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فاقام في السلطنة اثنتين

حسن انسجامه وفكاهته فمن أراد أن ينزه طرفه ويطلع على ما أودعه فيه من الدر المكنون فليطالعه
وبه قصيدة لا بأس بايراد أبيات منها أولها

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * لها الهمم العليا الى أشرف الذكر
جنود زهت من كوكبان خيامها * وآخرها بالنيل من شاطئ المصر

ومنها

سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى
تدلى الى أقصى البلاد بجيشه * ومهد ملكا قد تمزق بالشر
وشتت شمل الملحدين وردهم * مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع رؤسا من كبار رؤسهم * له باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصا موسى تلقف كلما * بدا من صنيع الملحدين من السحر

ومنها

وما يمن الا ممالك تبع * وناهيك من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت * بنو طاهر أهل الشآمة والذكر
فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع * ويأخذها من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر امام المسلمين أبى بكر

* ثم تولى اسكندر باشا الفقيه الجركسي فى رابع جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فتصرف الى غاية المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم عاد سنان باشا من اليمن وتصرف فى باشوية مصر من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وله مآثر جميلة وآثار حميدة وخيرات جسيمة لا تنقطع على توالى الايام وعدة مساجد وربط وتكايا وجوامع بالديار المصرية والشامية والرومية والثغور والبنادر ولم يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشأ خيرات مثله ثم توجه بذاته الى زيارة القطب العلوى سيدى أحمد البدوى فى تاسع شهر ذى القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة فانه بلغه ان الامير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية صغير السن متلاعب لا يلتفت الى التصرف فى ولايته وهو منهمك على اللذات واتباع الشهوات واستولى على عقله جماعة من السفهاء من المنسوبين اليه وهم متصرفون فى ولايته كيف شاؤا وعنده غرور فى نفسه وهو متمسك بحبل ظهره الوزير الاعظم سياوش باشا فانه مكث عنده بالقسطنطينية مدة وكان عهد له أن لا قدرة لاحد على عزله فخشى سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية وخلل يحصل باقليم المنوفية فقبض على الامير منصور وعزله فى رابع عشرى شهر القعدة المذكور وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستمر الامير منصور مسجونا فى البرج بقلعة الجبل بمصر المحروسة من سنة تسع وسبعين وتسعمائة الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة الى أن قدم حسن باشا الخادم وأطلقه وولاه المنوفية على عادته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات ومدة تصرفه بالمنوفية الى أن عزله أويس باشا عشر سنوات سنتان قبل حبسه وثمان سنوات بعد اطلاقه من الحبس فولايته معادلة لحبسه وهذا اتفاق عجيب فكانت مدة تصرف سنان باشا فى الولاية الثانية سنتين وتوجه الى الاعتاب العالية فولى الوزارة العظمى وفرحت الناس بولايته والله أعلم * ثم تولى حسين باشا فى سادس عشر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ونصف وفى زمنه حصل غلاء عظيم وقحط حتى أكلت الناس بزر الكتان وأعقب ذلك موت فجأة حتى ان الرجل والمرأة والخادم اذا توجه من منزله لاجل قضاء مصلحة تدركه المنية فيموت من غير ضعف ولا ألم واستمر ذلك

وعشرين سنة وتوفى سنة ثلاث وألف وكان ملكا مقداما وسلطانا ضرغاما وله مدرسة بخطبة باسلامبول وفى أيامه تحركت عساكر البحر فارسل لها جيوشا كثيرة وافتتح منها المدن وجملة وزرائه بمصر سنة أولهم مسيح باشا صاحب المدرسة المسيحية بباب القرافة ثم تولى بعده ولده السلطان محمد خان الاول ابن السلطان مرادخان الاول سنة ثلاث بعد الالف فاقام فى السلطنة تسع سنين الاشهرا وتوفى فى سادس رجب عام اثنى عشر وألف وجملة وزرائه بمصر أربعة منهم السيد محمد باشا الذى جدد عمارة الجامع الازهر ورتب له العدس يطبخ كل يوم وعمر المشهد الحسينى * ثم تولى بعده ولده السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان فى

مدة والله سبحانه أعلم * ثم تولى مسيح باشا الخادم فى اوائل سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكان ذا مهابة
متصفا بالعدل والعفة يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطريق و يتجسس عن أخبارهم ومواطنهم
و يرسل لحكام الاقاليم فى احضارهم ويقتل منهم من يظفر به و يشنع فى قتله و بسبب ذلك رجع اهل
الفساد عن فسادهم واختفى أرباب التهم وانتظم الحال فى زمانه وامنت الرعايا على انفسها واموالها والقى
الله الرعب فى قلوب الحكام والكشاف والولاة وانكفت أيديهم عن التجرى فى الامو ر الخارجة عن
الشرع والقانون وعمل شنكالا من حديد لقتل المفسدين بالرميلة و بولاق و بالشون بمصر العتيقة وظفره
الله بالمفسدين ووقعت نادرة غريبة لا باس بايرادها وهو ان شخصا من الواحات أخبرنى شفاها انه كان بوابا
عند القاضى محب الدين الظاهرى كاتم أسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية ثم ان القاضى
محب الدين المشار اليه لما شرع فى بناء قاعة مجاورة لبيته الكائن بمصر المحروسة بباب سر الصالحية وابتدأ
فى حفر اساسها فوجد تحت الارض قاعة وبوسطها قبة لطيفة معقودة بالجبس والمؤن المحكمة فهدمها
فوجد بها صندوقا لطيفا فيه زجاجة تقارب ان تكون ظرفا لرطلين زيتا و بازائها ثلاثة ارغفة ففتحها
فوجد بها شيأ يشبه الدهن ولم يعلم جنسه فاطلع عليه بعض جلسائه فلم يعرف أحد ماهو فاشار واعليه ان
يطلع عليها المرحوم الشيخ سرى الدين الصائغ الحكيم رئيس الحكماء بمصر فاحضروه واطلع عليها فعرف مابها
لكن لم يخبره وقال دعنى أراجع كتب الحكماء وتركه وطلع من فوره الى مسيح باشا واخبره أنه وجد كنزا
عظيما ولا يأخذ جائزته الا كذا وكذا عثمانيا فى الجوالى فاجابه لذلك فقال ان القاضى محب الدين
الظاهرى وجد عنده بقادة خربة قنينية دهنا اكسير اذا وضع منه درهم على قنطار من القزدير او
الرصاص صار ذهبا خالصا فاحضر القاضى محب الدين وأمره باحضارها فاحضرها فورا واختبر مافيها فوجد
كما قيل ثم ان مسيح باشا جمع كثيرا من الموالى وأكابر الدولة والصناجق وأطلعهم على ذلك ثم أرسل
القنينية بعد الختم عليها الى خزانة المرحوم السلطان مراد والقاضى محب الدين لم يتأسف على ذلك ولم يعاتب
الشيخ سرى الدين بكلمة واحدة و بنى مسيح باشا مدرسة ومدفنا له بالقرافة ووقف على ذلك أوقافا وكان
يؤمل أن يدفن بالمدفن المذكور وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى أرض تموت
فتصرف الى ثانى عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكان تصرفه خمس سنوات وسبعة
أشهر وخمسة عشر يوما * ثم تولى حسن باشا الخادم فى سادس عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين
وتسعمائة وقد نظم بعض الفضلاء لعزل مسيح باشا تاريخا فقال

والله نرجوان نراه كاسمه * وبه ترى الكربات عنا تنجلى
واطالب التاريخ زين القول خذ * ارخ مسيح اثره حسن ولى

وفى زمنه لبست اليهود الطراطير الحمر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم
الصفر والنصارى العمائم الزرق وكان حسن باشا محبا لجمع المال من حله ومن غير حله وحصلت منه
مصادرات لبعض أكابر مصر من أولاد العرب وعمر وكالة ببولاق القاهرة تجاه الترسخانة وصهريجا
مقابلها يعلوه مكتب أيتام وكان قصده ازالة الترسخانة وبنى مكانها جامعا فلم يتمكن من ذلك فتصرف
الى ثالث عشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين واحد
عشر شهرا وثمانية عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة حصل له مشاق وأهوال و بعد ذلك تنقلت
به الاحوال وولى الوزارة العظمى ثم عزل وقتل وهو غير محمود والله تعالى أعلم * ثم تولى الوزير ابراهيم باشا
فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة ودخل مصر فى موكب عظيم لم يعهد لاحد
غيره وفرحت الناس بقدومه واستبشروا بالخير وكان بيده أمر شريف بالتفتيش على حسن باشا المذكور

رجب سنة موت والده فاقام فى السلطنة أربع عشرة سنة وأربعة اشهر ومات سنة ست وعشرين وألف وبلغ من العمر نحو ثمان وعشرين سنة وخلف أربعة ذكور عثمان ومحمدا ومرادا وأبا يزيد وله خيرات وعمارات بالحرمين وغيرهما وله جامع عظيم بالقسطنطينية انفق عليه مالا كثيرا وجملة وزرائه بمصر ستة * وتولى بعده أخوه السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان سنة سبع وعشرين وألف وخلع سنة ثمان وعشرين وألف ولم يخلع قبله أحد من سلاطين آل عثمان * وتولى يوم خلعه ابن أخيه السلطان عثمان خان ابن احمد خان وهو مراهق فامر باكرام عمه السلطان مصطفى المخلوع وخرج السلطان عثمان المذكور الى جهاد الكفار بنفسه

وكان مؤملا ان يظفر به و يقبض عليه فسبقه بالتوجه ثم انه أقام عنه وكسلا فى الدعاوى وأثبت عليه غالب ما أخذه ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الى بئر الزمرد فاحاط بها علما وظفر منها بالزمرد النفيس وتوجه الى الاهرام بعد ذلك وأراد الوقوف على ما بها وأنزل جماعة الى الهرم الكبير بشموع مطيبة ليخبروه بما يعاينوه فلم يظهر لذلك نتيجة ثم توجه الى دمياط ثم الى المحلة الكبرى وهدم كنيسة كانت بها وعمرها مدرسة وسماها الوزيرية ثم عمد بعد ذلك الى زيارة القطب الربانى والولى الصمدانى سيدى احمد البدوى عمت بركاته فزاده واحسن الى مجاوريه ثم توجه الى محلة المرحوم ثم رجع الى مصر فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وتوجه الى الاعتاب الشريفة فى شهر شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة * ثم تولى سنان باشا الدفتدار باقامة ابراهيم باشا الوزير فى ثالث عشرى شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة ايام واستمر مقيما بمصر المحروسة الى ان قدم أويس باشا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فارسل هدية الى أويس باشا من جملتها حصان أشهب وهو مسرج بسرج مرصع وعدة تليق بالمرسل اليه وكان يؤمل ان أويس باشا حال طلوعه من المركب الى أوطاقه المنصوب له أن يركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب اكديشا أشهب كان أحضره معه من الديار الرومية ثم ان سنان باشا قدم الى ناحية شبرا وقابل أويس باشا عند غروب الشمس فشاهد غيظا لائحا فى وجه أويس باشا فهاله ذلك وداخله أمور تخوف منها فلما رجع من عنده الى مصر اختفى ولم ير بعد ذلك الا بالديار الرومية * ثم تولى أويس باشا المشار اليه فى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفى زمنه حصلت الفتن بمصر المحروسة وتحركت العساكر وقتل من قتل وهرب من هرب ومنعت اولاد العرب من الدخول فى العسكر المنصور ومن التشبه بلباسهم وحدثت المطالب وحصلت المناهب من وجوه شتى وقيل ان هذه الحركة كانت باشارة أويس باشا فسبحان عالم الغيب وفى يوم الاحد المبارك رابع شهر صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة حصلت زلزلة بمصر بعد ظهر اليوم المذكور فكانت رجة وسدسا وسقطت منها منارات و بيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة ايلة ونهب العرب جميع ما كان فيها من ذخيرة الحجاج والمحافظين وسقطت صخرات من الجبال بطريق مكة وحال وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا التاريخ اذذاك ببيت نقيب الجيوش بمصر فشاهد جهات حوش البيت المذكورة وهى تتمايل ولها قعقعة وسقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكور سدرة كبيرة فصارت تتمايل يمينا وشمالا كانها فى فلاة وطرقها ريح عاصف ولم ير مثل تلك الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء تاريخها فقال

اقترب الامر وتب * ممتثلا للموعظه   زلزلة قد أرعبت * تاريخها وهى عظه

٩٩٦

وفى يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة ان جانبا من الجبل المقطم بالقرب من البثنون بشرق اطفيح انفرق ثلاث فرق وخرج من كل فرق عين ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون فى الجريان ذكر الجلال السيوطى فى كتابه المسمى بكشف الصلصلة فى وصف الزلزلة فقال أخرج أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة وابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وعروقه الى الصخرة التى عليها الارض فاذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذى يلى تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم تحرك تلك القرية دون غيرها وان أول زلزلة وقعت فى الدنيا حكى المفسرون ان قابيل

وغاب نحو سبعة اشهر ثم عاد منصورا مؤيدا ثم عزم على الحج وافضى الحال الى مثل فتنة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت مدته أربع سنوات واربعة أشهر وعشرة ايام وجملة وزرائه ستة ثم تولى بعده عمه السلطان مصطفى خان الذى كان مخلوعا فاقام فى السلطنة سنة ثم خلع ومات بعد خلعه بايام * وتولى بعده ابن أخيه السلطان مراد خان ابن السلطان احمد خان سنة اثنتين وثلاثين وألف فاقام فى السلطنة ست عشرة سنة واحد عشر شهرا وخمسة ايام ثم مات تاسع شوال سنة تسع وأربعين وألف وجملة وزرائه بمصر ستة أيضا * ثم تولى بعده أخوه السلطان ابراهيم خان ابن السلطان احمد خان و وافق تاريخ توليته

لما قتل هابيل رجفت الارض سبعة أيام وأخرج الحاكم في صحيحه عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله عذاب أمتي في الدنيا القتل والزلازل والفتن وفي خلافة المأمون وقعت زلزلة عظيمة بخراسان دامت سبعين يوما وفي سنة خمس وأربعين ومائتين في خلافة المتوكل زلزلت الارض شرقا وغربا وسقطت الحصون والاسوار وخربت المنازل بالغرب وبمصر والشام وانطاكية والمدائن حتى خرج أهلها الى الصحارى وانقطع الجبل الاقرع بانطاكية وسقطت منه قطعة عظيمة في البحر وارتفع منها دخان اسود منتن وفي سنة ثمانين في خلافة المعتضد ورد الى مصر شخص من أهل قرية اردبيل اخبر ان في شهر شوال في السنة المذكورة كسف القمر واصبحت الدنيا مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل واعقبها زلزلة عظيمة أذهبت غالب بنيان المدينة وكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة وخمسين ألفا وفي خلافة المطيع لله سنة أربع وأربعين ومائتين زلزلت مصر زلزلة عظيمة أذهبت غالب عامر المدينة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت الزلزلة العظيمة المعروفة بزلزلة حماة هدمت ثلاث عشرة مدينة وهي حلب حماة المعرة شيزر كفرطاب افامية حمص حصني الاكراد عسقلا اللاذقية طرابلس انطاكية بحرب ويستحب عند الزلزلة العتق والدعاء والتضرع والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانها تدفع كل بلية وتزيل كل كرب من كرب الدنيا والآخرة * ذكر الكمال الدميري في حياة الحيوان قال وهب بن منبه كانت الارض كالسفينة تذهب وتجيء فخلق الله ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل تحتها وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة فاستقرت تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله ثورا عظيما له أربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل اثنين منها مسيرة خمسمائة عام وامر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرونه واسم هذا الثور كيوثا ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر أحد أن ينظر اليه لعظمه وبريق عينيه وكبره حتى قيل لو وضعت البحار كلها في احدى منخريه لكانت كخردلة في فلاة فامر الله ذلك الحوت ان يكون قواما لقوائم الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره الماء وتحت الماء ظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة هكذا نقله القاضي شهاب الدين ابن فضل الله في كتاب مسالك الامصار ومما اتفق في زمن اويس باشا ان الامير حسين البرديني انكسر عليه مال السلطنة الشريفة قدره ثلاثون ألف دينار فطلب منه ذلك فتعلل وذكر ان عنده قصبا سكريا يفي بالقدر المذكور فاستبعد ذلك اويس باشا فحبسه فشفع فيه بعض أرباب الدولة وطلبوا المهلة ثلاثين يوما فقال اويس باشا كيف يمكن ذلك وهل يتصور ان يجمع من بيع القصب في كل يوم الف دينار فقالوا له يرجى ذلك ان شاء الله تعالى فاطلقه من الحبس وسلمه للحوالة ثم انه احضر القصب الى ساحل بولاق شيأ فشيأ واطلق المبيع فيه فما مضى الشهر حتى أوفى الثلاثين الف دينار وطلع بها لاويس باشا فتعجب من ذلك وقال مصر يباع فيها قصب برسم المصاصين كل يوم بالف دينار فقالوا له هذا من موجود شخص واحد وهناك ما يباع براو بحرا من القصب ما يوف عن ذلك فانظر يا أخي الى خيرات مصر وما اودعه الله فيها من الارزاق والبركات وسماحة أهلها بالمصرف والنفقات وهذا القصب من اعظم نعم الله على اهل مصر لما فيه من الحلاوة السائغة فسبحان ذي المنة العظمى والحكمة البالغة قال الامام الشافعي رحمه الله لولا قصب السكر ما أقمت ببلدكم يعني مصر والقصب حار رطب وقيل معتدل واجوده الحلو الكثير الماء ويوجد فيه شيء من الصمغ اذا اكتحل به يجلو العين ومصه ينفع الصدر والسعال ويولد دما معتدلا ويدر البول ولكنه

* استعنت بالله فاقام في السلطنة ثمان سنين وتسعة أشهر ثم خلع وفي اليوم الثالث قتل * وفي ذلك اليوم تولى ابنه السلطان محمد خان وكان عمره سبع سنين فاقام في السلطنة احدى وأربعين سنة ثم خلع سنة تسع وتسعين والف * وتولى ذلك اليوم السلطان سليمان خان ابن السلطان ابراهيم خان فاقام ثلاث سنوات وشهرا ومات سنة اثنتين ومائة وألف * وتولى بعده اخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان فاقام في السلطنة ثلاث سنين وتسعة أشهر ومات سنة ست ومائة والف وفي هذه السنة لم يطلع النيل بمصر ولم يجر كعادته فارتفعت الاسعار واشتد الكرب على الناس من الغلاء وخصوصا الفقراء حتى أكلوا الميتة ثم كثر الموت من الطاعون حتى

ولدأر يا حافينبغي ان يغسل بماء حار بعد تقشيره ليزول ضرره وقد شاهدت في سنة ست وتسعين وتسعمائة أعجوبة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهو ان شخصا يدعى الامير سليمان بن أحمد بن اردمر المشهور بالاخرس الجركسي الاصل وهو من أعيان عسكر مصر حضر الى محكمة منف وابرز من يده حبة ارز مكتوب عليها ماقرأته وهو بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كتبه محمد سنة ٩٩٤ وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة وشهودها ومامن شخص منهم الا وقرأ ذلك مرة أو مرتين وأما مؤلف هذا التاريخ فانه قرأ ماعلى الارزة أكثر من ثلاث مرات وتأمل حروفها تأملا شافيا وشاهد جرة كل بسملة والكافات المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب بالاحمر وكتب في خصوص ذلك محضر ورقم بهاشهادة من شاهد ذلك ورآه فرحم الله كاتبها وعفا عنه بمنه وكرمه فانظر يا أخي كيف يلم التراب مثل هذه الانامل فان من سمع ولم يشاهد فربما يداخله الشك ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان المنعم المتفضل على عبيده ومن على من يشاء بجودة الخط الذى هو من اعظم موجبات الحظ وأنعم بهذه الصناعة على أهل البراعة واليراعة وأجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة قال الله تعالى في كتابه العزيز الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ذكر ابن الخازن في تفسير سورة اقرأ فقال تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها يعرف أحوال الماضين وأخبارهم ومقالاتهم ولولا الكتابة مااستقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لايبقى قال فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه انتهى كلام ابن الخازن *(فائدة)* في معنى حروف المعجم اذا نطق بها من غير تركيب ا الفرد الذى لامثل له ب الكثير الجماع ت التراب الذى يتمرغ عليه الحمار ث اللبن الحليب ج الجمل المتعلم ح الدليل الحرس خ عرف الديك د الرجل الاكول ذ القرد الصغير ر الشيخ البخيل ز التفاح الاحمر س الديك المرغ منقاره في التراب ش رجل لايشبع من الجماع ص الهدهد ض المرأة الكبيرة الثديين ط سنام البعير ظ الابل المقطورة ع زبد الماء غ المتقدم على أقرانه ف المتوسط في الصلح ق الشجرة المخضرة ك الفحل ل جمل ذو سنام م الحوت ن الدواة والسيف ه اللاطم على وجه الصغير و شراك النعل ى اللبن الباقي في الضرع وقد اختلف في لفظ اللسان وخط البنان فقال بعضهم لفظ اللسان لايجاوز الاذان ولا يذكر في كل مكان ولا يترجم بكل لسان وأما خط البنان فيوجد في كل مكان ويترجم بكل لسان وكان صلى الله عليه وسلم ينطق له الخط ولا يكتب فسمى النبي الامى لعدم الكتابة ونطق الخط معجزة في حقه صلى الله عليه وسلم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشي وأترب فاسلم وكتب الى كسرى ولم يترب كتابه فلم يسلم فاذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو نجح للحاجة وسمعت وأنا بمكة المشرفة سنة ثمان عشرة وألف ان كاتب الارزة المتقدم ذكره توجه الى بلاد الهند واجتمع على سلطانها فكتب له قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية في فرخ ورق هندى بقلم الثلث الوضاح كتابة تحريره على الاوضاع المرضية والطريقة الياقوتية ثم كتب الآية الشريفة ومطلوبه على حبة ارز وأوصل ذلك الى السلطان المذكور فاجله وأنعم عليه بنعمة وفرة من أقمشة وغير ذلك وأعطاه مصرف الطريق ستة وثلاثين دينارا زنة كل دينار عشرة مثاقيل ثم عاد الى مكة المشرفة وقد نظم المرحوم الشيخ الفارضي في وصف آلات الدواة قصيدة لا باس بايرادها في هذا المحل وهي هذه

صار الناس المشيعون للجنائز يسقط منهم الكثير فيموتون وهم سائرون فكانت لاتخلو طريق من طرق مصر من اموات مطروحين فيها لا يعرف لهم أهل ولا مسكن ووفق الله تعالى بعض الاغنياء بحمل الاموات الذين في الطرقات والحارات ويرسلونها مع خدمهم الى المغسل السلطاني فيجمعونهم حتى يصيروا مائتين في آخر النهار فيغسلونهم ويكفنونهم ويضعون كل ثلاثة أو أربعة في نعش واحد ويرسلونهم الى المقبرة ووفق الله تعالى وزير مصر اسمعيل باشا فكفن الوفا من الاموات وبعد موت السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان سنة ست المذكورة تولى ابن أخيه السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان فقام في السلطنة ثمان سنين

حمدا لمولى أنزل الكتابا * وشرف القرآن والكتابا * ثم صلاة الله تهدى بالقلم
من مدحه فى آى نون والقلم * والآل والصحب ذوى النجابه * والحافظين العلم بالكتابه
ففى حديث قيدوا العلم بها * اسناده مصحح جا بهما * واختلفوا اهل خط اشرف البشر
أصح قول لا وانما أمر * قد ورد النص بذا وبسطه * فى قول ذى العرش ولا تخطه
لحكمة بيانها ما غابا * يتلى علينا فى اذا لارتابا * وكان من كتابه معاويه
ومن علت صحبته يا ساريه * وللدواة اربعون مما * أثبتها اصطلاحهم قديما
وقد حوتهن دواة باهره * فهن فيها كنجوم زاهره * يحطها يراع كل ناقش
وما سواها ملحق بالهامش * شافية بحسنها وكافيه * ما حكيت وههنا نافيه
نظمتها فشكل فسرته * وواضح على التوالى سقته * أما الذى لا يختفى فالمحبره
مركبة ومنقد ومسطره * ومبرد ومفرز ومكشط * ثم مقص مجمع ومخيط
ومجرد ومحفر ومكنزه * مقلمة وممحوه ومقطره * مطوية ومدية ومرمله
ممسحة ثم محك مصقله * ثم مزم ومسن ومقط * والحقت مفرشة مما انضبط
ثم ملف ثم محراك ولا * بأس بلقاط وعد المشكلا * فالميبر المخيط خذ فى العرف
اقلم وافترقا فى الوصف * ومكبس للضبط والمجفف * ورمله مزودة تنعطف
ومركز الاقلام هيئ وكذا * للحبر مصفاة بها يتقى الاذى * ومقسم ودوبيكار صدق
والزموا لزمة خوف الورق * لهم ملاق حقة مشاق * وفى حديث لفظه مساق
والف بالمنديل ما تقدما * وختمه مسك لما قد علما

رجعنا الى ما نحن بصدده من ذكر أويس باشا فانه تصرف فى باشوية مصر الى سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين وتسعمائة ومات بمرض السكتة فجأة ودفن بالقرافة فكانت مدة تصرفه اربع سنوات وشهرا واحدا وثمانية أيام وقد نظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

أهلك الله أويسا انه * جار فى الحكم ولم يخش الوعيد
مذ أتى مصر تجبر واعتدى * وله السلم تبدى فى مزيد
هلك الحرث وكم من فتنة * أمها بالجهل فيما لا يفيد
مذ دهاه الموت ما افلته * لاولا كان له عنه محيد
خاب سعيا بوفاة أرخو * ها وخاب كل جبار عنيد

٩٩٩

* ثم تولى أحمد باشا حافظ الخادم فى سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأى وتدبير فى تصرفه وعمر وكالة كبرى ووكالة صغرى وسوقا وقهوة وبيوتا وربوعا ببولاق القاهرة بجوار شون الحطب وعمل مصلى بالوكالة الكبرى مطلة على بحر النيل وقربها أرباب وظائف وهى مقامة الشعائر الاسلامية وعمر أيضا برشيد وكالة وقهوة وربوعا وعمل سحابة بطريق الحاج الشريف وبها النفع للحجاج ولما صرف من باشوية مصر وتوجه الى الاعتاب الخاقانية فساعدته العناية الربانية فولى الوزارة العظمى وشكره الناس وحمد فى ولايته ثم انه استعفى عن الوزارة واستأذن فى الحج فاذن له وجاء الى مصر بحرا وتلقته الاكابر باحسن ملتقى واهدت اليه الهدايا وحج ورجع وتوجه الى القدس وخليل الرحمن فزار ورجع الى الديار الرومية وتوفى بها الى رحمة الله تعالى فكانت مدة تصرفه فى باشوية مصر الى ان عزل فى تاسع شعبان سنة ثلاث والف ثلاث سنوات وعشرة شهور واثنين وعشرين يوما والله سبحانه

وشهرا وخلع سنة خمس عشرة ومائة وألف * وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة وله مسجد عظيم باسلامبول يفعل فيه مولد النبى صلى الله عليه وسلم واول وزرائه الوزير محمد باشا رامى رئيس الكتاب حضر الى مصر اول سنة سبع ومائة والف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير حسن باشا السلحدار سنة تسع عشرة ومائة وألف ثم عزل سنة احدى وعشرين ومائة والف وحضر بعده لوزارة مصر ابراهيم باشا القابودان ثم عزل سنة اثنتين وعشرين ومائة والف وحضر بعده لوزارة مصر الوزير خليل باشا ووقع فى زمنه فتنة عظيمة سنة ثلاث وعشرين ومائة والف بين العسكر

وتعالى اعلم * ثم تولى قودرباشا فى ثالث عشرى رمضان سنة ثلاث والف وكان أميا سانجا صاحب لهو واللذات لا حيلة له فى جمع المال ولا فى غيره * ومما حكى عنه انه كان جالسا فى محل عال مشرف على حارة عرب اليسار فرأى شخصا كان ينكح حمارة فضحك حتى استلقى على قفاه ثم أطلع نفرين كانا عنده من خدمته على ذلك الرجل وأمرهما باحضاره له واوصاهما ان لا يشوشا عليه ويترفقا به فنزلا من عنده واجتمعا بالرجل وقالا له نحن ضالون عن باب القلعة ودفعا له نصفين وقالا له دلنا على الطريق فاتى بهما الى باب القلعة فقالا له لابد من اكرامك فادخلاه الى أن اوقفاه بين يدى قودرباشا فقال له من اى القبائل أنت قال أنا من عرب اليسار ثم قال له أنت عازب ام متزوج فقال عازب فقال لاى شئ لم تتزوج فقال له من الفقر فقال له لاى شئ تنكح الحمير فخجل الرجل ونكس برأسه الى الارض حياء ثم ان قودرباشا احضر له جارية بيضاء من جواريه وقال له قد وهبتك هذه بشرط التوبة عن نكاح الحمير فقال تبت الى الله ثم بعد ذلك أمر أن يعطى له الف نصف وقال له هذه الدراهم تنفقها القيام الاود أنت وعيالك فاخذ الجارية والدراهم ونزل بها وهو مسرور محظوظ فانظر الى مكارم أخلاق هذا الرجل وقل من يفعل مثل ذلك فى هذا الزمن وأن قودر باشا تصرف فى باشوية مصر الى سابع عشر رجب سنة أربع وألف فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وعشرة أيام وفى سنة اربع وألف توفى مولانا شيخ الاسلام محمد الرملى الشافعى ومولانا شيخ الاسلام الشيخ على المقدسى الحنفى فنظم بعض الفضلاء تاريخا لوفاتهما فقال

لما قضى الرملى شيخ الورى * من كان على مذهب الشافعى
ثم تلاه المقدسى الذى * حاز علوم الصحب والتابعى
فقات فى موتهما أرخا * مات أبو يوسف والرافعى

١٠٠٤

ومما يحكى عن أبى يوسف رحمه الله تعالى ان هرون الرشيد أوى ذات يوم الى فراشه وقت الظهر فلما رقى سريره وجد منيا طريا بفراشه فهاله ذلك وانحرف مزاجه انحرافا شديدا فدعا زبيدة فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقى على هذا الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا منى يا امير المؤمنين فقال لها أصدقينى عن سبب ذلك والا بطشت بك فى هذا الوقت فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا أعلم لذلك سببا وانى بريئة مما تتوهمه ثم انه طلب أبا يوسف ونصب له كرسيا ونصب لزبيدة ستارة خلف السرير فلما حضر ابو يوسف ذكر له القضية فنظر أبو يوسف الى المنى ثم رفع رأسه الى السقف فرأى فرجة بالسقف ثم قال يا أمير المؤمنين ان للخفاش منيا كمنى الرجال وهذا منى خفاش وطلب رمحا فاحضر فاخذه بيده ووضعه بالفرجة التى بالسقف فطار منها خفاش والمنى يقطر منه فوق الفراش فاندفع الوهم عن هرون الرشيد وظهرت براءة زبيدة فزغرتت فرحا ببراءتها وامرت لابى يوسف بجائزة وافرة وقالت له يا امام بما أحب اليك حلاوة الفيروزج أم حلاوة الفالوذج فقال لها هذه بنية لا يحكم على غائب فاحضر له الحلوتان فاكل من هذه ومن هذه ولم يفرق بينهما فقالت له فى الفرق بينهما فقال لها كلما أردت أن أسجل على أحدهما اقام الآخر الى حجته فضحك هرون الرشيد وامر له بصينية وافرة فاخذ الصينتين وانصرف من عنده فرحا مسرورا والله أعلم * ثم تولى الشريف محمد باشا فى ثالث عشر شوال سنة اربع بعد الالف وكان حاكما مهيبا ذا بصيرة وسطوة وعند قدومه تكاثرت الشكاوى فى كوسى حسن الشاغرت ومحمد المسلمانى بسبب خيانة حصلت فى الاموال الديوانية واشتد السلطانى وثبت ذلك عليهما فامر بشنقهما فشنقا فنظم الامير باكير الناظر تاريخا لشنقهما فقال

بالعدل رب الخلق أجرى حكمه * فى خائنين خالفا اهل التقى

وتقفلت حارات مصر واسواقها اثنين وسبعين يوما والمدافع تضرب ليلا ونهارا وتعطلت سائر الاسباب وآل الامر الى قتل أمراء لا يحصون منهم أحمد باش أوطه باش مستحفظان الشهير بافرنج وبه اشتهرت تلك الوقعة وهرب من مصر أمراء لا يحصون منهم رئيس القوم أيوب بك أمير الحاج الشريف ونهبت أموال كثيرة وسبيت ذرارى كثيرة وعزل خليل باشا صاحب الفتنة وحضر بعده لوزارة مصر الوزير ولى باشا الشريف فمكث الى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير عابدين باشا وهو الذى قتل امير اللواء قيطاس بك يوم الاربعاء ثامن شهر رجب الاصب من السنة المذكورة وضعفت بقتله شوكة الغفارية بارض مصر

وان تردفى الحال تاريخا يكن * كوسى حسن والمسلمان شنقا

١٠٠٤

وكان نية الشريف محمد باشا أن يبطش ببعض أناس ولما أشيع عنه ذلك حصل التيقظ لمخافره الغرور وقد خاب ظنه كما قال الطغرائى

والدهر يعكس آمالى و يقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل

(وقال أبو اسحق المعرى)

مصاحبة المنى خطر وجهل * وكم شرق تولد من زلال

وقال غيره

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال أمية بن ابى الصلت)

تجرى الامور على حكم القضاء وفى * طى الحوادث محبوب ومكروه

فربما سرنى مابت أحذره * وربما ساءنى مابت أرجوه

ثم ان الشريف محمد باشا عزم على التوجه الى الربيع فاشار عليه جماعة من ذوى الآراء بترك التوجه للربيع فنبذ كلامهم للامر المقدور وصمم على التوجه للربيع فتحرك عليه جماعة من العسكر المنصور وتعرضوا له عند انصرافه من الربيع وهو بباب الوزير بموكبه الخاص وعسكره وطائفة من السلمانية وهم معدون بالبنادق الجزائرية فلما عاين من معه كثرة العسكر المنصور تفرقوا فى الازقة وتركوا محمد باشا فى نفر قليل من أتباعه فدعاه العسكر الى المحاكمة على يد الشرع الشريف بمدرسة السلطان حسن فاوهمهم الانقياد لما دعوه اليه فتوجه معهم الى أن وصل الى الرميلة فركض حصانه نحو باب السلسلة ودخل القلعة وأغلق الباب بينه و بين العسكر المنصور واندفعت تلك الثائرة وقتل بعض من كان يكثر التردد على محمد باشا واستمر بالقلعة وهو مكفوف التصرف قاصر الكلمة الى أن صرف فى خامس عشر الحجة سنة ست بعد الالف فكانت مدة تصرفه سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما وفى ولايته غير أستار الاروقة بالجامع الازهر التى كانت من حصر قديمة وجعلها من خشب مدهون بالدهان الاخضر ورمم أيضا سقف الجامع الازهر ودهن بالدهان الاخضر ورتب دساطبيخ الجامع الازهر للفقراء والمجاورين وهو مستمر الى الآن وكان له احسان الى الفقراء والمساكين وخرج من مصر فى موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته وكان يوم خروجه مشهودا ولما توجه الى الاعتاب الشريفة مكث مدة يسيرة وعين لسفر قول باش فاسره الشاه واستمر وهو محصور عنده الى أن مات ببلاد العجم رحمة الله تعالى عليه * ثم تولى خضر باشا فى عشر ذى الحجة سنة ست بعد الالف فنصرف الى خامس عشر شهر محرم الحرام سنة عشرة وألف فكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى على باشا فى تاسع صفر الخير سنة عشرة وألف وعند قدومه الى الاسكندرية تكاثرت عليه الشكاوى من الكشاف وأكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فقتله حالة مقابلته و يقال ان شيخى أفندى لما انصرف عن ولاية قضاء المنوفية اجتمع بعلى باشا على رودس فسأله عن الاحوال فقال له برويز كاشف المنوفية مستحق القتل وعدد له جرائم وقبائح وعند وصول على باشا الى كفر الخضرا حصلت شكاوى فى محمد بن نجاحا كم النخراوية فقتله بكفر الخضرا فهابه الحكام والكشاف ودخل مصر فى هيبة وجلالة ولقبوه بالنمر ولما استقر بالقلعة ارسل قوسا وأمر أن يعلق على باب زويلة بالمرماء ولصق به تذكرة كرانه مكتوب فيها ان كل من أوفى هذا القوس يعطى ماهو مقيد بالتذكرة فلم يجسر احد أن يمسك القوس تأدبا واستمر وهو معلق ثم رفع وكان قصد على باشا بذلك اظهار نتاج واستقامة بعض أمور فساعدته القدرة على

وقويت شوكة القاسمية ثم عزل عابدين باشا وتولى بعده وزارة مصر على باشا الازميرى ومكث واليا بمصر الى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم عزل وجاء بعده لوزارة مصر فى السنة المذكورة رجب باشا فسجن على باشا المعزول ثم خنقه فى قصر يوسف وأظهر محمد بك جركس الذى كان مختفيا ثلاث سنين و بطش باعدائه فقتل اسمعيل كتخدا جاويشان وقتل اسمعيل بك دفتدار حالا وأرسل تجريدة الى أمير الحاج اسمعيل بك ابن أيواز بك فهرب من بندر بحر ودود خل مصر مختفيا ثم أعمل الحيلة فاصطلح أمير الحاج اسمعيل بك بن ايواز مع عدوه محمد بك جركس ووقع الاتفاق على عزل رجب باشا فانزل من القلعة محتقرا وكانت مدته بمصر مائة يوم وحضر بعده

ذلك

ما كل مايتمنى المرء يدركه ٭ تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

(وما أحسن قول ابن أسيد المحاربى)

شفى المؤمل يوم الحيرة النظر ٭ ليت المؤمل لم يخلق له نظر

ثم ان على باشا قصد زيارة الشريف العلوى سيدى أحمد البدوى عمت بركاته ونزل فى المركب الى طندتا وزار سيدى أحمد البدوى وأحسن لفقراء المقام الاحمدى وقصد العود فتعرض له طائفة من العسكر المنصور مشاة وركبانا وهم معدون بآلات السلاح وطلبوا منه أشياء كان توقف معهم فى اعطائها فاجابهم الى ماطلبوه وأعطاهم ماسألوه ودخل مصر وهو مغموم مقهور فاعقبه ذلك مرضا شديدا فارسل الى الاعتاب الخاقانية يستعفى فاذن له فى سادس ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وألف وفى زمنه ظهر الدخان المضر بالابدان اليابس الطباع الذى لاشئ فيه من الانتفاع المبطل لحركة الجماع المسود للاسنان المهرب لملائكة الرحمن بل ذكرا كثر من أكثر منه ان عاقبته وخيمة ومداومة شربه ذميمة يورث النتن فى الفم والمعدة ويظلم البصر ويطلع بخاره على الافئدة ومن زعم أن شربه محرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم بل غم وقوله فى ذلك غير صحيح وانما هو من تحسين القبيح والعلامة اللقانى ذمه وقبحه وألف فيه نبذه توجب على من أقبل عليه نبذه ولو لم يكن من دناءته الا ولع السودان به والاجلاف لكان ذلك مما يكف عنه الاشراف فكيف باصل لانفع فيه ولا أثر بل شوهد منه القبح والضرر ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام عند قوله تعالى أو يأتى بعض آيات ربك يعنى أشراط الساعة عن حذيفة بن أسيد والبراء بن عازب رضى الله عنهما قالا أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم ونارا تخرج من قعر عدن وذكر الكواشى فى تفسيره عند قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون اى وقع القول على الكفار وقيل على جميع الناس والمراد بالقول العذاب قال ويروى ان الدابة لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ولون نمر وصدر اسد وخاصرة هر وقرن ايل وذنب كبش وقوائم بعير بين كل مفصل اثناعشر ذراعا وقيل ان لها وجها كوجه الانسان وسائر جسدها كالطير وقيل لها زغب وريش وجناحان رأسها يمس السحاب ورجلاها فى الارض وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بينما عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت فتضطرب به الارض وتنشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة معها أول مايخرج رأسها ذات وبر وريش لايدركها طالب ولايفوتها هارب معها عصى موسى وخاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال لو أشاء أن اضع قدمى مكانها اليوم لفعلت وجاء انها تختم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقولون لهذا مؤمن ولهذا كافر وعنه صلى الله عليه وسلم انه تسم الكافر بين عينيه كافرا والمؤمن بين عينيه مؤمنا وذكر الكواشى أيضا فى تفسيره عند قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض أنهم ثلاثة أصناف صنف كامثال الارز وهو شجر بالشام طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا وهذا الصنف لاتثبت له الجبال ولا الحديد وصنف يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى لايمرون بشجر ولا فيل ولا وحش الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء وبنو آدم كلهم جزء واحد وعن حذيفة بن اليمان مرفوعا ان يأجوج ومأجوج أمتان وكل أمة اربعمائة أمة لايشبه

لوزارة مصر محمد باشا الشنجى فمكث الى سنة احدى وأربعين ومائة وألف وحضر بعده لوزارة مصر الوزير بكر باشا فمكث شهرا وعزله العسكر وحضر بعده لوزارة مصر عبدالله باشا التكفورلى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى الادب وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم وقال بعض شعراء مصر فى بعض قصائده

ولما جاء مصر أرخوه
لقد سعدت بعبدالله مصر

وفى مدته جاء الخبر بخلع السلطان أحمد من السلطنة فكانت مدة سلطنته ثمانية وعشرين سنة ومكث مدة مخلوعا ومات وتولى بعده ابن أخيه السلطان محمود خان ابن السلطان مصطفى خان سنة ثلاث وأربعين ومائة والف وله مسجد مشهور

بعضها

بعضها بعضا لايموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم من ولد يافث بن نوح يشيرون الى خراب الدنيا وخروجهم بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال وجاءان الترك سرية منهم خرجت للفساد فسد ذو القرنين دونهم فسمى الترك منهم وقال قتادة هم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة وترك واحدة فلذلك سموا تركا وفسادهم فى الارض انهم يفعلون فعل قوم لوط ومما يؤيد ماذكرناه من أمر الدخان قال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم باربع ولاحاجة لكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدم والطيب والحلوى والحمام ولاتأكلوا فوق شبعكم وقال الحكيم الرئيس موسى بن عبد الله الاسرائيلى القرطبى لودبر الانسان نفسه كما يدبر بهيمته التى يركبها لكان يسلم من أمراض كثيرة وذلك أنه لايلقى العلف لبهيمته جزافا من غير قدر معلوم بل يتفقد حالها لكى لاتعطب والعجب كل العجب ان الانسان لايفعل ذلك لنفسه ولا يتفكر فى رياضة الجسم التى هى الركن الاكبر ودوام الصحة ودفع أكثر المفاسد والامراض ولا ينام من به زكمة على قفاه وذكر الفخر الرازى فى كتابه برء ساعة ان أصعب العلل الزكام قال الحكيم الزكام هو سيلان الرطوبة من باطن مقدم الدماغ الى المنخرين فان كان معه صداع والتهاب فى الرأس وحمرة الوجه فعلاجه الفصد فى القيفال و يسقى شراب البنفسج بدهن اللوز وان لم يكن معه دلائل كالحرارة ولم يتحدر معه بلغم غليظ فان تحدر معه بلغم أصفر أو أبيض فيترك حتى ينقطع من ذاته وان كان أبيض رقيقا فيكمد الرأس بالمناديل المسخنة و يستنشق بالرياحين الحارة وذكر بعض الحكماء ان شم الميعة والتبخر بها ينفع من الزكام والنزلة وشم اللاذن ينفع من الزكام وكذلك شم التفاح وأكل ثمره ينفع الصداع و ينوم ولا يأكل من به غم حموضة واعلم ان آفة القلب الهم والغم وهو ظهور الحرارة الغريزية الى ظاهر البدن عند الاهتمام بالامور قال الامام على كرم الله وجهه أقوى خلق ربى ابن آدم وأقوى منه السكر الذى يزيل العقل وأقوى من السكر النوم وأقوى من النوم الهم والغم ذكر العارف بالله تعالى فى كتابه المسمى بالانسان الكامل فقال اعلم انه يكون وجه القلب دائما الى نور فى الفؤاد يسمى الهم هو محل نظر القلب وجهه لوجهه اليه فاذا حاذاه الاسم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب فانطبع بحكمة ثم يزول فيعقبه اسم آخر امامن جنسه أومن جنس غيره فيجرى معه ماجرى له مع الاول وهكذا مع الدوام وأما ما كان من قفا القلب فلا ينطبع ثم اعلم ان القلب ليس له قفا ينص عليه بل كله وجه لكن موضع الهم منه يسمى وجها وموضع الفراغ منه يسمى قفا وهذه المدائن فيها كفية ماذكر وقال بعض الحكماء ان استعمال اللازورد يصفى دم القلب و ينفع من الوحشة والغم والهم والامراض السوداوية ومن خاصة لسان الثور تفريح القلب وازالة لهم والغم روى ان عائشة رضى الله عنها ماحصل لها من الافك أصابها هم وغم لايوصف فكانت تدعو وتقول فى دعائها ياسابغ النعم و يادافع النقم ويافارج الهم و يا كاشف الغم وأعدل من حكم وحسيب من ظلم وولى من ظلم و ياأول بلا بداية وآخر بلانهاية و يامن له اسم بلا كناية اجعل لى من أمرى هذا فرجا ومخرجا فانزل الله تعالى براءتها وفرج همها وغمها وذكر البونى فى اللمعة النورانية وأما سمه الفعال فهو اسم المغلوبين بالخواطر والوساوس واغتمام القلب فمن ذكره وأكثر من ذكره ذهب ذلك عنه وهو من الاسرار البديعة فان من داوم على ذكره فرج الله عنه مانزل به وفرج به حزنه وسر بعد نكده وقد حصل لى هم وغم ووسواس وتزايد ذلك على الى ان كدت أن أنتقل من حالة الى حالة وقل نومى فاستعملت له أدوية كثيرة وأورادا شتى فلم يذهب عنى وكلما تقادم تجدد ولازمنى هذا الحال نحو سنة فلما استعملت هذا الاسم الشريف وهو فعال خف عنى هذا الوارد ببركة هذا الاسم الشريف قل الحكيم ولاتسرعوا اذا قصدتم فانه مخاطرة

بالمحمودية ثم عزل عبد الله باشا عن وزارة مصر وتولى بعده محمد باشا السلحدار على وزارة مصر قدم من البصرة واقام واليا بها الى سنة ست وأربعين ومائة والف وتولى بعده وزارة مصر الوزير عثمان باشا الحلبى قدم من طرابلس وأقام واليا بمصر الى سنة ثمان وأربعين ومائة والف * وتولى بعده وزارة مصر الوزير بكر باشا وهى توليته الثانية فقدم من جدة الى السويس فى البحر لانه كان واليا بجدة وأقام بمصر واليا الى سنة تسع وأربعين ومائة والف ثم وقعت فتنة بمصر وقتل فيها محمد بك غيطاس وعلى بك وصالح بك وعثمان كتخدا مستحفظان ويوسف كتخدا عزبان وأمراء كثيرون وقامت الجند على بكر باشا فعزلوه وحضر الامير مصطفى أغا

الموت ولا يتقايا من تؤلمه عيناه ولا تأكلوا في الصيف لحما كثيرا لان الهضم في الصيف ضعيف لتحلل الحار الغريزي وكلما برد الهواء زاد في المقدار فان الهضم في الشتاء كثير لوفر الغريزي في الأجواف لانسداد المسام وأفضل اللحوم لحوم الضأن الحولي السمين وأفضل لحمه مقدمه وما كان لاصقا بالعظم وكل ما في البطن رديء والشحوم كلها رديئة تشبع وتتخم وتسقط شهوة الطعام وتولد اخلاطا بلغمية وكذلك رأس كل حيوان والخرفان الرضيعة كثيرة الفضلات لا خير فيها وأما العناق الرضيع فجيد الغذاء سريع الانهضام * ومن حكمة لقمان ان سيده أعطاه شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها ثم أعطاه في يوم شاة أخرى وأمره بذبحها وان يأتيه بأخبث ما فيها فأتاه بقلبها ولسانها فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها ان طابا وأخبث ما فيها ان خبثا وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وذكر الدماميني في عين الحياة انه يجلب من الهند نوع من الضأن في صدره ألية وعلى كتفه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر أليته حتى تمنعه من المشي * وفي الامثال كل شاة برجلها معلقة وأول من قال هذا المثل وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد وكان ولي البيت بعد جرهم فبنى صرحا باسفل مكة وجعل فيه سلما وكان يرقاه ويزعم انه يناجي ربه تعالى وكان يفعل الخير وكان علماء العرب يقولون انه من الصديقين فلما حضرته الوفاة جمع اياد فقال لهم اسمعوا وصيتي من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه كل شاة برجلها معلقة فارسله مثلا أي كل أحد مجزي بعمله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولحوم الطير على العموم أخف من لحوم المواشي وأسرع انهضاما *(فائدة)* لحم الدجاج معتدل يربي في الدماغ ويزيد في المني ولحم الديك حار يابس يضر بالمعدة مرقه وينفع القولنج ومن أسماء الديك الصارخ روى البخاري ومسلم وابو داود والنسائي عن مسروق قال سألت عائشة من عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يحب الدائم من العمل قال قلت أي حين كان يصلي قالت كان اذا سمع الصارخ قام يصلي قال النووي الصارخ هنا الديك باتفاق العلماء وسمي بذلك لكثرة صياحه في الليل قال في الاحياء وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه وقد ألف العلامة الجلال السيوطي رحمه الله تعالى كتابا وسماه الوديك في فضائل الديك * لحم الحمام حار رطب يضر بالامراض الحارة ولحم العصفور حار يابس يقوي الظهر ويزيد المني ولحم الكركي بارد يابس بطيء الهضم ولحم الماعز بارد يابس سريع الهضم ولحم البقر يابس وقيل بارد يصلح للمعدة القوية ويولد السوداء ولحم الغزال حار يابس ينفع من القولنج والفالج واللقوة والامراض الباردة *(فائدة)* لسان الغزال اذا جفف في الظل وأطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها واذا احرق بعر الغزال وجلده وسحقا وجعلا في طعام صبي نشأ كأنه يحاحظا ذائقا ولحم ابن عرس ينفع من الصرع لحم الجمل حار يابس يولد القولنج والماليخوليا لحم الفرس حار يابس كثرة أكله تولد البواسير ولا ينام صاحب الحمى البارد في الشمس *(فائدة)* قال بعض الحكماء النوم له أربع حالات الحالة الاولى النوم على الشق الايمن الحالة الثانية النوم على الشق الايسر الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه * فالحالة الاولى وهي الاضطجاع على الشق الايمن فهي السنة ولكن غير محمود طبا وهو ان القلب متعلق بالجانب الايسر فاذا نام على الجانب الايسر ثقل نومه لانه يكون في دعة واستراحة واذا نام على الشق الايمن تعلق القلب وخف نومه وطاب مستقره وميله اليه * الحالة الثانية النوم على الجانب الايسر فانه أهنا لانه مستقر القلب بسبب ميل الاعضاء فتصيب المراد من الراحة من هضم الطعام وخلافه * الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر فانه محمود اذا كان من غير نوم لان البدن يستريح بذلك ويحصل للظهر راحة بسبب ذلك * الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فانه مذموم لانه نوم أهل جهنم

أمير اخور كبير فضبط شريف من الدولة العلية بضبط تركات المقتولين فمكث بمصر ثم حضر خط شريف بتوليته مصطفى أغا وان يكون وزيرا بمصر فاقام واليا بمصر الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف وتولى بعده وزارة مصر سليمان باشا الشامي الشهير بابن العظم فقام واليا على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف * وتولى بعده وزارة مصر علي باشا حكيم اوغلي وهي توليته الاولى بمصر فدخلها في جمادى سنة أربع وخمسين ومائة وألف * وتولى بعده محمد باشا اليدكشي فاقام واليا بمصر الى سنة ثمان وخمسين ومائة وألف * وتولى بعده الوزير محمد باشا راغب رئيس الكتاب فاقام واليا بمصر الى سنة احدى وستين ومائة وألف وعزله العسكر

ومن نام على وجهه نكحه الشيطان وقد ورد فى سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم مر على رجل فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال له قم أو اقعد فانها نومة جهنمية والى هذا المعنى أشار سيدى على وفا ابن سيدى محمد وفا فى قوله عينى تنام ولكن قلبى والله لاينام وكيف ينام عاشق ناظر الى وجه الحبيب مسبى فى الحب مستهام شاخص على الدوام ومن شرب كل يوم فى الشتاء قدحا من ماء حار أمن من الاعتلال ومن دلك جسمه فى الحمام بقشر الرمان أمن من الجرب والحكة بانواعها روى عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال أربعة تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة شرب الماء على الريق وكثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوى البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس وأربعة توهن البصر النظر الى المقتول والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والكتابة بالليل والقعود مستدبر القبلة وأربعة تزيد فى الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل وأكل الفستق وأكل الجرجير وأربعة تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة العلماء ومجالسة الصالحين * وعن عبد الله بن المبارك رضى الله عنه قال مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يصف لكل من سأله عن مرضه فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب قال نعم فلما تفرق الناس قال لى يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان ونجره بماء الاجفان ودعه فى طاجن القلق وقد تحته نار الحدق وصفه بمنخل الارق واشربه على الحرق فانه شفاؤك وأنشد يقول فى وقت الاسحار

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه بكل داء غريب
ليس حزنى عليك شيأ عجيبا * انما الصبر منك شئ عجيب

* رجعنا الى ما نحن بصدده وفى زمن على باشا المذكور حصل فناء بالطعن والطاعون عم الامصار والقرى ومكث مدة ورفعه الله وكانت مدة تصرف على باشا بمصر المحروسة سنتين وستة أشهر وعشرين يوما ولما وصل على باشا الى الاعتاب الخاقانية قلد الوزارة العظمى وفرح الناس بولايته فوجه اسفر البحر فنقض عليه المرض السابق فمات ولعله بلغ مرتبة المجاهدين فى سبيل الله تعالى * ثم تولى بيرى بك امير الحاج الشريف باقامة على باشا فانه احضر له اجازة من الاعتاب الشريفة بالتصرف فى باشوية مصر فتصرف من عاشر ربيع الاول سنة اثنى عشرة والف وتوفى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان فكانت مدته اربعة شهور ودفن بالقرافة رحمة الله عليه * ثم أقيم بعده عثمان بك أمير اللواء بمصر المحروسة فى سابع عشر شعبان المذكور باتفاق من الامراء واكابر الدولة الى ان يرد من الاعتاب الشريفة من يتصرف وكان الامير عثمان مشهورا بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبة لايخشى فى الله لومة لائم وله خط مليح فاق به العرب والعجم وحاز فضيلة السيف والقلم فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوما وكانت مدته حسنة والله سبحانه وتعالى اعلم * ثم تولى ابراهيم باشا المقتول فى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة سنة اثنى عشرة والف وكان مستقلا برأيه لاينقاد الى نصيح ولايهتدى لقول مشير سواء كان بالكناية او بالتصريح وكان يريد اظهار شئ يستحسنه وهو فى نفس الامر قبيح كما قيل

كان لايدرى مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم

ومن كلام الحكماء من علامات العاقل بره باخوانه وحنينه لاوطانه ومداراته لاهل زمانه قال ابو قتادة البحترى

اذا المرء لم يرض ما أمكنه * ولم يأت من امره أزينه
وأعجب بالعجب فاقتاده * وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره * سيضحك يوما ويبكى سنه

لفتنة وقعت قتل فيها خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى وهرب فيها ابراهيم بك غيطاس الى أرض الصعيد مع طائفة من صناجق مصر وهرب ايضا عمر بك ابن على بك مع طائفة من الصناجق الى أرض الحجاز * وتولى بعده واليا بمصر الوزير أحمد باشا فدخل مصر اول يوم من شهر محرم افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة والف وأقام واليا بها الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة والف * وتولى بعده وزارة مصر الوزير الشريف عبد الله باشا فدخل مصر فى شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة والف ومكث الى سنة ست وستين ومائة والف ثم عزل * وتولى بعده وزارة مصر محمد باشا أمين فصار مستمرا على ولاية مصر من خامس شهر شعبان

ومن كلام الحكمة فلم يغن ذلك التدبير عما رقمه قلم التقدير فى لوح المقادير والله على كل شئ قدير فاخذ يتتبع عثرات العسكر المنصور ويتجسس من أخبارهم وعن اجتماعهم بالاماكن خصوصا بمجالس الانس فاشار عليه أهل العقول بترك هذا الوارد وقالوا له هذا مشرع لا يعقبه الا التعب وربما تولد من ذلك مفاسد ومضرات فلم يلتفت الى قولهم وركب فرس الغرور لانفاذ امر الله المقدور والمثل المشهور ومن أحسن السياسة دامت له الرياسة واستمر على ما هو عليه حتى بلغه ان جماعة من العسكر المنصور بالغيط التى بقناطر السباع فبادر فورا بنفسه وغير لباسه ومعه ثلاثة أنفار وهجم عليهم وهم بالغيط المذكور فلما تحققوه فروا هاربين مع انه كان فى قدرتهم البطش به وبمن معه خصوصا من دب الشراب فى رأسه ولحقته حمية الجاهلية ولولا لطف الله لهلك هو ومن معه فى تلك الساعة ومن كلام الحكمة من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكثر الضرر * ومن كلام الحكمة أيضا من الحبة تكون الشجرة العظيمة ومن الجمرة تكون النار العميمة * ثم ان ابراهيم باشا بعد ذلك عزم على التوجه لقطع جسر أبى المنجا والقدر يقول له لست اليوم المنجا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله المقدور كائن والهم فضل والجاهل من سخط على الاقدار ويقلب الله الليل والنهار اذا دار الفلك فعليك او فلك لا حذر من قدر ولا ملام على الايام * مفرد

اذا عقد القضاء عليك أمرا * فليس يحله الا القضاء

* ذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الكريم الجيلى رحمه الله فى كتابه المسمى بالانسان الكامل ان القضاء المحكم هو الذى لا تغيير فيه ولا تبديل والقضاء المبرم هو الذى يمكن فيه التغيير ولهذا استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من القضاء المبرم لانه يعلم انه يمكن أنه يحصل فيه التغيير والتبديل قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب بخلاف القضاء المحكم فانه المشار اليه بقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا * ثم ان بعض أكابر الدولة عرف ابراهيم باشا انه ما سبق لاحد من الباشات التوجه لقطع الجسر المذكور وانما المعتاد ان زعيم مصر يباشر ذلك واذا كان مشغولا يرسل أحدا من أتباعه لقطعه فلم يلتفت الى ذلك الكلام ثم طلع له بعض المنجمين يوم الجمعة قبل صلاتها وذكر له ان فى اليوم الذى يلى يوم الجمعة المذكور قران النحسين ولا بد فيه من اهراق دم والحركة فيه مذمومة منحوسة فلم يكترث بكلامه وكان من جوابه ما قدره الله سيكون كما قيل خليلى لا تستعجلا وانظرا غدا * على أن يكون المكث فى الامر أرشدا

وما أحسن قول محمد الخفاجى

وكم طالب أمرا وفيه حمامه * وسائرة تسعى الى ما يضرها

وقال آخر اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الهدهد كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يرى الفخ اذا غطى عليه بقدر أصبع من تراب فقال اذ نزل القضاء عمى البصر * ويروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد ذر عليه من تراب حفرته ويروى عن ابن مسعود ان الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ويضعها فى كفه ثم يقول يا رب مخلقة أم غير مخلقة فان قال له مخلقة قال يا رب ما الرزق ما الاجل ما الاثر فيقول الله انظر فى أم الكتاب فينظر فى اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأجله واثره وعمله ثم يأخذ التراب الذى يدفن فى بقعته ويعجن به نطفته وفى رواية فيقال للنطفة من ربك فتقول الله ثم يقال لها من رازقك فتقول الله فتخلق فتعيش فى أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها ماتت فدفنت فى المكان الذى أخذ منه التراب وعجن به من قوها وذلك قوله تعالى منها خلقناكم

المكرم سنة ست وستين ومائة وألف حتى توفى خامس شهر شوال من السنة المذكورة فكانت مدة توليته شهرين مريضا ودفن بجانب قبة الامام الشافعى رضى الله عنه * وتولى بعده الوزير مصطفى باشا فطلع القلعة ثالث شهر ربيع الاول سنة سبع وستين ومائة والف وفى مدته توفى السلطان محمود خان ابن السلطان مصطفى خان ثامن عشر صفر الخير سنة ثمان وستين ومائة والف * وتولى السلطنة بعد موته بيومين أخوه السلطان عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان وله عمارة عظيمة قريبة من آيا صوفية واستمر الوزير مصطفى باشا واليا بمصر حتى ورد الخبر فى أول شهر ربيع سنة سبع وستين ومائة والف بعزله وتولية على باشا حكيم اوغلى وهى التولية

وفيما نتعبدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * وروى عن أبي هريرة أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ليلة في بعض نواحي المدينة واذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا فقيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الارض التي خلق منها وفي المثل أنشدوا الابن عمران الزاهد رحمة الله عليه في هذا المعنى فأجابهم عن ذلك بقوله

اذا أراد الله أمرا بامرئ * وكان ذا عقل ورأي وبصر
وحيلة يفعلها في دفع ما * يأتي به محتوم أسباب القدر
غطى عليه عقله وسمعه * وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل لما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

ثم ان ابراهيم باشا ركب من وقته فورا وأسرع والمنية تدعوه حتى أدرك صلاة الجمعة ببولاق ولما قضيت الصلاة هيئت له سفينة عظيمة وزينت له بالستائر والبيارق والفرش وغير ذلك مما يليق بمثله ونزل وهو محظوظ وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت وتوجه وصحبته الامير محمد بن خسرو أمير اللواء بمصر المحروسة بمركب عظيمة وبعض من أكابر خدمة الديوان وسارت المراكب أحسن سير الى أن وصلت الى محل القطع وقطع الجسر المذكور في يوم السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف وكان ابراهيم باشا قد هيأ طعاما بالغيط الذي أنشأه محمود باشا تجاه قناطر أبي المنجا فدخل الغيط ومن معه وصحبته الامير محمد بن خسرو المرقوم ومصطفى أفندي عزمي زاده قاضي مصر المحروسة اذ ذاك وحصل لهم الصفا والمباسطة قبل الطعام * وعند صفو الليالي يحدث الكدر * الى أن قدر الله ما قدره في الازل ودنا منه وقت حلول الاجل ولكل شئ حد محدود وأمر من المقدور ممدود فلما قدم الطعام وشرعوا في الاكل هجم عليهم طائفة من العسكر المنصور وهم يعدون بآلات السلاح وأحاطوا بالغيط احاطة الخاتم بالاصبع وطلبوا من ابراهيم باشا في تلك الساعة شيأ كان يمكن الاجابة به لتخميد هذه الفتنة فامتنع وأغلظ عليهم فلاطفهم الامير محمد بن خسرو وأراد دفعهم باللطف فلم يهتدوا وقدموا وأقدموا وفتكوا أولا بالامير محمد بن خسرو ثم من بعده بابراهيم باشا وقطعوا رؤسهما وامتلأت جفان الطعام دما وانقلب النهار ليلا ورفعوا رؤسهما على جريدتين من الغيط الى باب زويلة وكان يوما عبوسا قمطريرا في مصر المحروسة وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال

ان ابراهيم باشا * قد سعى في الخير سعيا قتله قد أرخوه * وأرى التاريخ بغيا
١٠١٣

وكانت مدة تصرفه أربعة أشهر وثمانية أيام والله تعالى أعلم * وفي سنة ثلاث عشرة وألف كانت وفاة مولانا شيخ الاسلام الشيخ صالح البلقيني الشافعي وقد نظم بعضهم تاريخا في وفاته فقال

شيخنا صالح دقيق المعاني * ومن الهم والغموم استراحا
قلت مع غاية المصائب أرخ * صالح المؤمنين مات وراحا
١٠١٣

* ثم أقيم بعده مصطفى أفندي عزمي زاده في ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف فتصرف الى سادس رجب فكانت مدة تصرفه بمصر شهرين وثلاثة عشر يوما والله أعلم * ثم تولى جرجي محمد باشا الخادم في سابع رجب المذكور سنة ثلاث عشرة وألف ورمته الرياح عند قدومه الى دمياط ولم يتقدم لاحد من الباشوات أنه قدم من دمياط ولما استقر بمصر أخذ في طلب من كان سببا لاثارة فتنة ابراهيم باشا فانه

الثانية له فحضر وطلع قلعة الجبل يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة المذكورة ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان وسار في مصر بسيرته المعهودة وسلك بطريقته المشكورة المحمودة * ثم تولى السلطنة السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان سنة ألف ومائة واحدى وسبعين وله محل عظيم في اسلامبول وحضر لوزارة مصر في تلك السنة الوزير محمد باشا سعيد فأقام سنة ثم حضر بعده الوزير مصطفى باشا الصدر فأقام سنتين * ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا كامل سنة أربع وسبعين ومائة وألف * ثم عاد الوزير مصطفى باشا سنة ست وسبعين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير حمزة باشا سنة تسع وسبعين ومائة وألف وعزل ثاني شوال سنة ثمانين وحبس

اخبر بما تقدم مفصلا ومجملا فلما تحققوا الطلب تشتتوا في البلاد فجد في طلبهم من الاكتاف والاطراف فمنهم من جيء به حيا فقتل ومنهم من تلقته العربان فقتل أشر قتلة ولم تطل مدة محمد باشا بل عزل في يوم الاحد ثاني عشر شهر ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتنقلت به الاحوال الى ان ولي الوزارة العظمى في مدة السلطان مصطفى فتصرف مدة يسيرة وصرف عنها ومنع من الاقامة بالقسطنطينية ثم رجع الى مصر وأقام بها وهو مكفوف البصر * ثم تولى حسن باشا الدفتدار بعد صرفه من اليمن فانه لما قدم من اليمن صحبة الحاج الشريف الى مصر المحروسة نزل ببيت المرحوم داود أغا الكتخدا بجامع قوصون فتردد عليه الناس من جليل وحقير وأمير وفقير وهم يشاهدون منه الملاطفة والمصاحبة الحسنة والسكون والاخلاق المرضية فاتفق الاجماع على محبته وحسن اخلاقه وهم يطلبون من الله ان يلي باشوية مصر وان يصلح الله الاحوال على يديه والله الفعال لما يريد ومدة اقامة حسن باشا وهو يتجسس عن أخبار مصر من كليات وجزئيات وذكر لبعض المترددين عليه أنه اذا تولى مصر يرجو من الله ان يكون الصلاح على يديه فوردت الاخبار الخاقانية الى مصر يوم الاثنين المبارك ثالث ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف بولاية حسن باشا باشوية مصر وقد نظم الشيخ حسن الشامي تاريخا لولايته فقال

قد جاء وزير العدل لنا * من ساد بمكة بعدين

ولسان الحال يؤرخه * كملت مصر بجمال حسن

١٠١٤

ثم ان حسن باشا لما أسند اليه الامر وتصرف في مصر لم يحصل منه نفع للعباد ولا دفع ضرر عن البلاد ولم يمنع ولم يدفع وتلاشت احواله وقصرت كلمته وعمت البلوى وانقفل باب الشكوى والامر يومئذ لله ثم صرف حسن باشا عن باشوية مصر في يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف فكانت مدته سنة واحدة ونصفا وستة وعشرين يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة بما جمعه من ولاية اليمن من تحف وأحجار وأموال وأثاث وغير ذلك فانه تصرف في ولاية اليمن نحو خمس وعشرين سنة ثم مكث بالقسطنطينية مدة يسيرة ومات هو وولده وعياله ولم يعقب واستولى بيت المال وترك ما خوله خلف ظهره وقدم على رب رحيم كريم غفور حليم يستر الذنب العظيم * ثم تولى محمد باشا في يوم الخميس خامس شهر صفر الخير سنة ست عشرة والف وفيها توفي مولانا شيخ الاسلام الشيخ سالم السنهوري المحدث فنظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

مات شيخ الحديث بل كل علم * سالم ذو الكمال أفضل مصر

قلت من غير غاية لبكاء * أرخوه قد مات عالم مصر

١٠١٦

وعند قدومه تراكمت عليه القصص والشكاوى بالاسكندرية ورشيد وفي طرقاته الى أن وصل الى مصر المحروسة وهو ساكن الجنان ثابت الاركان لا يرد جوابا لاحد واشتد الحال على الرعايا من كثرة الطلب ووقعت الناس في المهالك والعطب الى نهاية جمادى الاولى من السنة المذكورة فعند ذلك طلب محمد باشا سليمان بن درعت كاشف المنوفية وبرويز بحر كاشف الغربية وكوسي علي كاشف البحيرة ورمى رقابهم وأراح الله منهم البلاد والعباد وولى مكانهم كشافا وأخذ عليهم العهود أن لا يتعدوا الحدود فمن جملة الكشاف الحلوجي عين لكشف الغربية فتوجه لبولاق لقضاء مصالحه فاتاه طائفة من العسكر المصري وتكلموا معه في أمر من الامور فلم يوافقهم وأغلظ عليهم فدب في رؤس بعضهم حمية الجاهلية ففزعوا عليه بالسلاح فنزل الى مركب في البحر فالقى الله الرعب في قلبه فرمى بنفسه في البحر فاثقلته أثوابه فغرق ومات شهيدا ان شاء الله تعالى وكان ذلك سببا لازالة الطلب فبلغ الخبر محمد باشا فجمع الامراء وأكابر

بالكسوة في قصر يوسف * ثم حضر بعده الوزير محمد باشا راقم سنة احدى وثمانين ومائة والف * ثم حضر بعده الوزير محمد باشا الارفلي أتى من البر سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا أتى من الحجاز وسكن بدرب الجماميز ولم يطلع القلعة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف ثم تولى السلطنة السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان سنة سبع وثمانين ومائة والف وله مدرسة باسلامبول تسمى المدرسة الجديدة ومسجد في براسكودار وحضر لوزارة مصر في تلك السنة الوزير قراخليل باشا خامس عشر ربيع الاول من تلك السنة وعزل في محرم سنة ثمان وثمانين ومائة وألف وتوجه لجدة ومات بها * ثم تولى الوزير مصطفى

العسكر المنصور بالميدان ونصبوا البيارق السلطانية ونادى مناد من كان مطيعا لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر المنصور وهم طائعون ممتثلون داخلون فى طاعة السلطنة العثمانية ومكثوا بالميدان ثلاثة أيام وبعد ذلك حصل الاتفاق بالخروج الى من آثار تلك الفتنة فخرجوا وقبضوا عليهم وقتلوا فقتل منهم طائفة جهارا وخفية وقد نظم بعض الفضلاء هذه الواقعة تاريخا فقال

ان البغاة المارقين قد دهى * رب العباد كيدهم فى نحرهم
برأس ابراهيم باشا سابقا * طافوا جهارا مع مزيد مكرهم
والحلوجى جرعوه كاسهم * وأغرقوه فى بحار شرهم
على الفساد قد بنوا امورهم * فقوتلوا تاريخهم بظلمهم
١٠١٧

ثم تجددت تلك الثائرة باذن الله تعالى ثم ان جماعة من الاشقياء أيقظوا الفتنة وأثاروها فى أوائل القعدة سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتحالفوا وأظهروا المحاربة والجدال فبلغت هذه الجمعية محمد باشا فارسل لهم جماعة من الاختيارية المتصفين بالعقل والتدبير فوعظوهم وعرفوهم عواقب الامور وقالوا لهم ان الذى يخالف ولى نعمته لا يفلح أبدا فلم ينتهوا ولم يتعظوا والامر أراده الله تعالى ثم ان محمد باشا أرسل الى الاجناد ومشايخ العربان من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا وجيشا عظيما بسلاح ونار ومدافع كبار وعين الامير مصطفى بك سردار العسكر المنصور وبرزوا لمحاربة الخوارج وساروا يبغون الله والنصر أمامهم الى أن وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان فما وجدت الخوارج للحرب طاقة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبضوا على أشرارهم ومقدميهم ووضع الحديد فى أعناقهم والذى هرب منهم تلقته العربان وقتل أشر قتلة ومزقهم الله كل ممزق ولم ينج منهم الا القليل ودخل مصطفى بك السردار الى مصر المحروسة بمن معه من الخوارج المقبوض عليهم وهم مشاة حفاة منكسة رؤسهم موضوعون فى الحديد ورؤس القتلى منهم حالة الاختلاط مرفوعة على رماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومروا بالقصبة الى أن وصلوا الى القلعة وكان يوما مشهودا ومحفلا معهودا وقد نظم بعض الفضلاء هذه الواقعات أبياتا فقال

يوم نصر الوزير قد كان عيدا * عيد فطر لفطر قلب الحسود
واذا قلت عيد أضحى فصدق * فضحاياه ضاريات الاسود
ألحدوا فى الانام نهبا وقتلا * فازيلوا وأسكنوا فى اللحود

ثم ان محمد باشا قتل منهم جماعة حالة طلوعهم جهارا وقتل منهم جماعة ليلا وألقوا فى البحر ومن بقى منهم نفى الى اليمن وقد نظم بعضهم تاريخا لهذه الواقعة فقال

انظرا ظالى البغاة ومن هم * لوزير المليك راموا انكالا
وتعدوا طورا وجاؤا بافك * طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وتوابالجيوش من كل فج * واستحقوا القيود والاغلالا
وتوامصرا صاغرين لقتل * لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم ذل فارخت زلوا * وكفى الله المؤمنين القتالا ١٠١٧

وقد نظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشرى تاريخا فقال

بشرى لمولانا الوزير محمد * فهو الذى بذوى المفاسد يفتك

باشا النابلسى من بركة الفيل يوم الاثنين فى آخر جمادى الثانية من تلك السنة وعزل فى آخر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين وتوجه الى جدة ومات بالمدينة المنورة ثم تولى الوزير ابراهيم عرب كيرلى رابع شعبان سنة تسع وثمانين ومائة وألف ومات قبل طلوع القلعة بانبابة ودفن عند الامام الشافعى رضى الله عنه ثم تولى الوزير محمد باشا العزتلى الكبير يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين ومائة وألف وعزل خامس عشر جمادى الثانية ومات رابع ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف ثم تولى الوزير اسمعيل باشا يوم الاثنين سادس ذى القعدة وعزل ثانيا يوم الخميس رابع رجب سنة أربع وتسعين ومائة وألف ثم تولى الوزير الصدر ملك محمد باشا يوم

وعلى البغاة له انتصاردائم * تاريخه جمع الخوارج أهلكوا

١٠١٧

واستمر محمد باشا محفوظا ملحوظا متصرفا نافذ الكلمة لا يرد له أمر ولا يعارض في قضية الى أن اختار التوجه الى الاعتاب الشريفة فخرج من مصر يوم السبت ثاني عشر جمادي الآخرة سنة عشرين وألف في جلالة وموكب عظيم ما تخلف عنه أحد من العسكر المنصور فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر واثني عشر يوما وعمر في زمنه وكالة برشيد وبجوارها جملة حوانيت وقهوة وسوق صاغة وغير ذلك وأخذ غالب الجرز المقابلة لرشيد وأمليانا بالمنوفية والجيزة وعمل مصاطب بطريق الحاج الشريف وتوجه الى الاعتاب الشريفة فقوبل بمزيد الاجلال والاكرام وولي الوزارة العظمى وفرح الناس بذلك وكان مؤملا أن يفعل أفعالا تزيد على ما فعل بمصر فوجه لسفر العجم فساعدته الارادة الازلية على ذلك ولا على نتاج فعل يكون فيه اصلاح وصار كلما دبر أمرا انعكس الى الفساد فرجع من سفرته غير محمود ومازال الدهر يقهره الى أن أعطوه باشوية حلب فمات بها وهو مغموم مقهور وبعد ذلك حلت أوقافه وبددت وتصرف فيها الغير وهكذا حال الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى حاجي باشا بأمر أحضره له محمد باشا قبل سفره وأعطاه له بمدينة بلبيس في يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف فتصرف الى يوم الخميس عشرين من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدة تصرفه شهرا واحدا وسبعة عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الخاقانية مكث مدة يسيرة وتوجه الى باشوية اليمن ولما تمكن منها احتكر البهار والبن والبضائع وكان التجار لا يأخذون الا ما فضل منه وحصل من هذا القبيل ومن غيره أموالا لا تحصى غير ما ظفر به من نفائس الاحجار والتحف والاقمشة ولما صرف من ولاية اليمن قدم مكة المشرفة بجميع ما معه وما حواه فورد عليه مرسوم في باطن أن يقيم بمكة فأدركه الاجل المحتوم فمات بها وكان يؤمل اذا توجه الى الاعتاب ولم يصل لمصر ثانيا باشوية مصر * وأبى الله الا ما أرادا * فكانت وفاته بمكة المشرفة سنة احدى وعشرين وألف وذهب غالب ماله ولم يظفر ولده الا بقليل وأقيمت فتنة بين الاشراف حكام مكة بسبب متروكات حاجي باشا وهي باقية الى الآن ونسأل الله حسن الخاتمة * ثم تولى محمد باشا ثاني عشري شعبان سنة احدى وعشرين وألف وفي شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وألف ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الرومية نحو أربعة آلاف نفر خارج عن الاتباع بقصد الاقامة بمصر فلما وصلوا الى مصر واستقروا بها ورد حكم خاقاني من الملك بأن محمد باشا يجهز العسكر الذي ورد عليه الى اليمن فشق عليهم ذلك وعلموا أنها حيلة عليهم وكان سبب خروجهم من البلاد الرومية انهم كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية ولولا لطف الله لحصل ما حصل فدبر لهم محمد باشا الوزير هذا التدبير وأطمعهم بالاقامة في مصر ولما حضروا اتبعهم الامر بالسفر الى اليمن فلما تحققوا انها مكيدة أظهروا التمرد والعناد وعدم الانقياد فخشيهم محمد باشا بخروج من مصر [illegible] وقدره احد وثلاثون كيسا وعين لهم سردارا يوصلهم الى [illegible] وقد برزوا يوم الاحد ثالث شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة [illegible] العسكر المذكورين ارموا الخيام من فوق ظهور [illegible] ومنعوهم من الخروج فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد بمصر اذ ذاك من العسكر [illegible] بالخروج الى [illegible] العساكر المذكورة وأشهار النداء ان جميع العسكر الذي ورد من الروم [illegible] صحبة السردار ومن خالف وتأخر قبض عليه وجازاه فامتنعوا جميعا وقفلوا باب النصر والفتوح ورموا خلف الباب من الاحجار وتحفظوا من كل جانب ومنعوا أكابرهم وأغواتهم الخروج الى الريدانية والطلوع الى الديوان وجعلوا حواجز بالشوارع الموصلة اليهم نحو قامة ونصف حتى صار كل

الاثنين ثالث رجب سنة خمس وتسعين ومائة وألف وعزل عاشر شعبان سنة ست وتسعين ومائة وألف * ثم تولى الوزير الشريف علي باشا القصاب يوم الخميس حادي عشر شوال من تلك السنة وعزل يوم الخميس رابع عشري شعبان سنة سبع وتسعين ومائة وألف * ثم تولى الوزير محمد باشا الصنجي يوم الاربعاء خامس عشر المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وألف وعزل يوم السبت خامس عشر ذي الحجة ختام السنة المذكورة ثم تولى الوزير الشريف محمد باشا يكن يوم الاثنين رابع المحرم سنة مائتين وألف وعزل يوم الاربعاء سادس عشر المحرم سنة احدى ومائتين وألف ثم تولى الوزير الشريف عبدي باشا ثاني عشر رجب تلك السنة وعزل ثالث رجب سنة ثلاث

حاجزا مانعا لتوصل الخيول والعجل الحاملة للمدافع وتحصنوا بمتاريس ولبسوا الزرد وأوقدوا البنادق وأشهروا السلاح وصعد غالبهم على أعالى الخانات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد باشا هذا التحصن العظيم والتيقظ للاقدام على الموت وان فندق بلشاو ومن عين معه لا طاقة لهم بمحاربتهم جمع الصناجق والكشاف وابن الخبير والقلاوية ومقدمين الخفرا وكانت هذه الجمعية بالرميلة ثم ساروا الى الخوارج فلما رأوا ذلك أذعنوا للطاعة وأجابوا ورفعوا الحواجز والمتاريس والاحجار الموضوعة خلف الابواب وفتحوا الابواب وطلبوا الامان والجمال فاحضر لهم ما يزيد على ثمانين جملا فلما وصلت اليهم الجمال ضربوها بسيوفهم فنفرت وتشتتت وقفلوا الابواب وتحصنوا أقوى من المرة الاولى وعاد كل شئ الى محله وأشيع الخبر بانهم قتلوا أغاواتهم فامر محمد باشا لسردار بالخروج فخرج معه جمع كبير من الامراء وهم الامير قاسم والامير يوسف الغطاس والامير ماماى والامير عبدى كاشف والامير عيسى والامير مصطفى والامير أحمد والامير مراد والامير صالح والامير يوسف زعيم مصر سابقا والامير عبدى كاشف القليوبية والامير على زعيم مصر حالا وطائفة ليمانية وطائفة من القلاوية وطائفة من حارة الفوالة وهم معدون بالسلاح والسيوف والدرق والعمد الحديد والقسى وتقدم الامير يوسف الغطاس وأمامه ستة مدافع كبار مملوءة فلوس جدد ومسامير ونودى للرعايا الملاصقين لاماكنهم وبيوتهم بقفل حوانيتهم وبيوتهم فلما وصلوا اليهم وجدوهم متيقظين متحفظين علو الاسطحة والمآذن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كلما ألقى العسكر من الرصاص والنشاب والاحجار لا يصل الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكلما ألقاه الخوارج على العسكر نال منهم فقتل من العسكر سبعة أنفار وفرس ثم ان الامير على زعيم مصر توصل الى الخوارج من وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدى من خلف أماكنهم والامير يوسف الغطاس رفع الحواجز والمتاريس وبقية العسكر نقبوا عليهم أماكنهم ودخلوا عليهم من محلات متعددة فلما اشتد الحال على الخوارج ولم يجدوا لهم قوة على القتال طلبوا الامان وأجابوا بالامتثال فى التوجه الى أى محل يريده محمد باشا وخرجوا جميعا ولم يتخلف منهم أحد وتوجهوا الى السويس واندفعت تلك الفتنة وكفى الله المؤمنين شرهم فاتفق انه عند خروجهم حصلت زلزلة فنظم بعض الفضلاء فى ذلك فقال

خرج الخوارج للسويس وهججوا * من أرض مصر لكثرة الافساد
رقصت لهم طربا فقالوا زلزلت * زالوا فزالت جملة الانكاد
حفرا لمولانا الوزير محمد * بئرا ففيها أوقعوا الفساد
والله ساعده على اذهابهم * وأمده بنهاية الامداد

وفى زمن محمد باشا حصل رخاء عظيم حتى بيع القمح كل أردب بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول كل أردب بخمسة عشر نصفا والعدس والدسلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والارز بستة وتسعين نصفا والجبن الطرى كل قنطار بثلاثين نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوى بمائة وستين نصفا وأما اللحوم والاسماك فلكثرتها بيعت بأرخص الاثمان فسبحان المتفضل على عبيده وقدر القنطار القوى بالوزن المصرى مائة رطل واثنان وخمسون رطلا تصير كل خمسة وعشرين رطلا بالوزن المصرى بستة عشر نصفا فلوسا نحاسا وكل رطل ونصف رطل ونصف ثمن رطل بنصف فلوسا جددا ثم فى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وألف وردت أحكام سلطانية بصرف محمد باشا عن ولايته فكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى أحمد باشا الدفتدار فى يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة أربع وعشرين وألف وكان حاكما سياسيا

ومائتين وألف وفى تلك السنة تولى السلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى * وتولى وزارة مصر الوزير اسمعيل باشا التونسى يوم السبت خامس عشر رجب وعزل يوم الاثنين عشرى شعبان سنة خمس ومائتين وألف * ثم تولى الوزير محمد باشا عزت فى شوال تلك السنة وعزل فى غرة ذى القعدة سنة ثمان ومائتين وألف * ثم تولى الوزير صالح باشا القيصرلى فى عشرى ربيع الاول سنة تسع ومائتين وألف وعزل فى ذى الحجة سنة عشر ومائتين وألف * ثم تولى السيد أبو بكر باشا الطرابلسى يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وألف وتوجه الى غزة يوم السبت سابع صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف

صاحب تدبير سهل في أموره قريب من الناس ليس عنده تحجب ولا غلظة ومما اتفق عند قدومه لما استقبله العسكر المنصور على العادة فدخل مصر يوم الاثنين سادس ربيع الآخر من السنة المذكورة في موكب عظيم بجلالته وكان بعمامته ريشتان مكللتان بالمعادن قيل ان قيمة كل ريشة ألف دينار فلما وصل الى الجوخيين وهو بموكبه سقط على عمامته حجر من طاقة بيت بالربع الذي يعلو حوانيت الجوخيين فالقى احدى الريشتين على الارض ومزق جانبا من الشاش ونسب رمي الحجر لشخص من أقارب ابراهيم المنصوري الخياط فقبض على رامي الحجر بعد ان اعتبر الحجر بالوزن فوجد زنته خمسة ارطال فتطير أحمد باشا من ذلك وأمر بشنق الرامي وكان يوصف بخبال العقل وان أحمد باشا لم ينله من ذلك مكروه واستمر نافذ التصرف الى ان صرف عن ولايته يوم الخميس ثالث شهر صفر سنة سبع وعشرين وألف وكانت مدة تصرفه سنتين وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم * ثم تولى مصطفى باشا السلحدار في ثالث عشر صفر سنة سبع وعشرين وألف فتصرف نصف شهر صفر سنة ثمان وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة وشهرا وثلاثة أيام * ثم تولى جعفر باشا وكان لما قدم من اليمن مكث بمصر مدة والناس يترددون عليه وكان ذا علم وفضل وله قوة في طرح المسائل العلمية ومشاركة في غالب العلوم وأبحاث جيدة وفكرة وقادة ويحب أهل العلم والصالحين ويركن اليهم ويحب الفقراء والمساكين قليل الطمع لا ينظر الى ما في أيدي الناس مستغنيا بما في يده من الدنيا وكان أرسل عرضا للابواب الشريفة في خصوص باشوية مصر وهو منتظر ورود الاخبار وقد كثر لغط الناس من قال وقيل في جعفر باشا وكانت اقامته بمصر في زمن أحمد باشا الدفتدار المتقدم ذكره وكان أحمد باشا متالما منه وخشي الفتنة فارسل اليه من أكابر الدولة من يحثه على الرحيل من مصر فتوجه برا ولما وصل الى السلطان أنعم عليه بولاية مصر فقدم برا ثم توجه فخرج لاستقباله الامراء والعلماء وأكابر العسكر المنصور ودخل مصر في موكب عظيم لم يعهد مثله وفرح العامة والخاصة بقدومه فاستبشروا بالخير وكان قدومه الى مصر في أواسط صفر سنة ثمان وعشرين وألف ولما استقر بمصر المحروسة حصل الطعن والطاعون بمصر المحروسة وقراها ومكث نحو شهرين فاشتغل الناس بموتاهم وقفلت غالب أسواق مصر وحوانيتها ما عدا أسواق الاكفان فانها مفتوحة ليلا ونهارا ومنع جعفر باشا عامل الاموات من التعرض للموتى فصار الناس يدفنون موتاهم بغير اذن وحصل بذلك رحمة للعالمين فيا سبحان الله يموت اليهودي وهو صاحب مائة ألف قرش فلم يتعرض له أحد من الظلمة ولا يسئل عما خلف واذا مات مسلم لم يدفن حتى يشاورعليه وتأتي الظلمة تخرجه من بيته ويختموا عليه مع ان له أولادا واخوة وزوجة فالحكم لله العلي الكبير ألم يسمعوا قول العزيز الجبار ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا * وهنا حكاية لطيفة لا بأس بايرادها وهي اني لما حججت في سنة ثمان وعشرين وألف كان ركب من التكرور حاجا فعند العود سرت مع رفقة بغالة امام الركب المصري فادركت رجلا من التكرور قريبا من بندر المويلح راكبا على ناقة وحوله ثمانية أنفار وهم مشاة فسألت رجلا منهم عن الرجل الراكب على الناقة فاخبرني انه شيخ الركب وقد وسع الله عليه دنياه وانه على الكتاب والسنة وله اربع زوجات وما يزيد على ستين جارية كلهن موطوآته فرزقه الله من زوجاته وجواريه مائة وعشرين ولدا ثمانين ذكورا وأربعين اناثا وتما نكحوا وتناسلوا فصار لا يعلم عدة أولاده وأولاد أولاده وان بلادهم مجاورة لبلاد النصارى وفي كل أوان يذهب هو وأولاده وهم معدون بالسلاح ركبانا ومشاة ويقاتلون النصارى ويقتلون وينهبون ويأسرون ولما وصل الركب التكروري الى مصر نزل بقرية من قرى الجيزة تسمى منشية البكاري فادرك شيخ الركب المذكور الاجل المحتوم فمات فاشيع عنه انه ترك

مالا

وذلك بسبب قدوم طائفة الفرنسيس الى مصر في ذلك الشهر فانهم قدموا الى الاسكندرية في شهر المحرم من تلك السنة ثم قدموا منها الى مصر في شهر صفر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة فالتقوا بهم عند بشتيل قريبا من وسيم وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله ان المسلمين هزموا وفر مراد بك ومن معه من العسكر الذين يقاتلون في البر الغربي الى جهة الصعيد وفر ابراهيم بك ومن كان معه في البر الشرقي الى الشام وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية يقال لهم نصارى قاثوليقية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين ويقولون ان الله واحد لكن بطريق

مالا كثيرا وتبرا فارسل وكيل بيت المال من يضبط ماله فمنع أولاده وكيل بيت المال وقالوا والله نقتل دون مالنا فبلغ ذلك جعفر باشا فمنع بيت المال من التعرض لهم وسافر أولاده الى بلادهم وتركوا أباهم تحت رحمة الله تعالى ولما ارتفع الوباء واطمأنت العباد اراد جعفر باشا أن يظهر بمصر الآثار الجميلة وينشئ الخيرات الجزيلة وينشر العدل بالديار المصرية ويكف عن الرعايا كل ضر وبلية فما ساعدته القدرة الازلية كما قال الطغرائى فى لاميته

والدهر يعكس آمالى ويقنعنى ❊ من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وفى الواقع ونفس الامران الزمان مدبر ماشرع فيه أحد بشئ يكون صلاحا الا انعكس الى الفساد ولله فى هذا مراد ثم ان جعفر باشا فى أوائل رمضان سنة ثمان وعشرين وألف صرف عن باشوية مصر وتوجه الى الديار الرومية فى البحر لعدم تاهبه لآلات السفر برافان عزله جاء بغتة على حين غفلة وما أمكنه الاستعداد لسفر البر والله يفعل مايشاء فكانت مدة تصرفه بمصر ستة أشهر وأياما ولما وصل الى الديار الرومية مكث مدة يسيرة ومات وذهب ماله ونواله وهكذا حال الدنيا وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وعاد ولده الى مصر وأقام بها فقيرا والله أعلم ❊ ثم تولى مصطفى باشا فى عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف وفى ولايته حصل متاعب لارباب الاموال وكثرت العوانية والوشاة ببابه وصاروا ينقلون اليه أخبار الناس ويزخرفون له أقاويل كاذبة وأمورا باطلة يتوصلون بها الى أغراضهم الفاسدة فتعبت أرباب الاموال واختلفت الاحوال فى زمنه فمن وشى به اليه وبذل ماطلبه منه سلم ومن تقاعس ولم يبذل حقر وأخذ منه أكثر مما طلب منه وكان مصطفى باشا ذا شجاعة واقدام فقتل مصطفى بتجلى بيده وظن الناس ان تقام بسببه فتنة فلم يظهر لذلك أثر ولما زاد طمعه توسلت الرعية بالنبى صلى الله عليه وسلم الى خالق البرية بكف هذه البلية فاستجاب الله دعاءهم وورد الخبر بعزله فى ثالث شهر رمضان سنة تسع وعشرين والف فكانت مدته سنة الا ثلاثة أيام والله أعلم ❊ ثم تولى حسين باشا فى ثالث عشرى رمضان سنة تسع وعشرين والف وقدم مصر فى أقرب وقت وأدرك مصطفى باشا قبل سفره فمنعه من السفر وأنزله من القلعة الى بيت مراد باشا الذى بالسبع قاعات بمصر وجعل على الباب حرسا فافتقده بعد مدة فلم يجده وكان قد تخلص من ذلك بتدبير بعض أكابر الدولة وتوجه مصطفى باشا الى الديار الرومية وتبعه جماعة ممن صادرهم وأخذ أموالهم فادعوا عليه ومزقوا عرضه وأخذوا منه جميع ما اغتصبه منهم وفى زمن حسين باشا فى سنة ثلاثين والف حصل غلاء عام حتى بيع القمح كل أردب بالكيل المصرى بمائتى نصف فضة والشعير بمائة وعشرين نصفا والفول بمائة وستين نصفا وكذلك البسلة والعدس وأما الارز فبيع بمائتين وأربعين نصفا وارتفعت الاسعار فوق ذلك وأما النيل فمكث فوق الارض الى غاية هاتور القبطى حتى كادت الناس تيأس من الزرع والذى زرع شتويا هاف ولم يحصل منه الا ماقل لكونه زرع بعد الاوان وقد من الله على عباده بنمو زرع الذرة فانه أخصب ونما وحصل به النفع لاقليم مصر وقراها وغيره من الاقاليم وفى زمنه حصلت بلية عمت وطمت على الرعية وهى رمية النطرون على المدن والثغور وتألمت الرعية بسبب ذلك وراجعوا حسين باشا فى رفعها فلم يرفعها ثم رفعت بعد عزله باذن الله تعالى وقد حصل فى زمنه فساد عظيم وفى عشرى ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين والف عزل حسين باشا فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وسبعة أشهر وعشرة أيام ثم توجه الى الديار الرومية فحصلت الفتنة الكبرى بالقسطنطينية وقتل من قتل وأعيد مولانا السلطان مصطفى وجلس على التخت الشريف وتحرك بعد ذلك فتن أخر وقتل فيها جماعة من الاكابر وآل الامر الى أن ولى حسين باشا الوزارة العظمى فى أحد الجمادين سنة اثنتين وثلاثين وألف ولما تمكن من الوزارة ظن ان الدهر قد صفا له من الغم والنحوس فاستبد برأيه المنكوس فتصرف بالجهل والجنون ولم

التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون ان الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان فى ذلك رحمة باهل مصر فانهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم فى بعض أشياء لا تليق بالشرع والسبب الذى أوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدومهم كتبوا كتبا وفرقوها فى البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان

يراع الشرع والقانون ووقر في قلبه وسوسة الشيطان الخناس ومشى بالجور والشدة والباس وكثرت
بغضته في قلوب الناس فمن جملة مخاطراته انه بلغه ان جماعة من العلماء والموالي مجتمعون بجامع السلطان
محمد وهم يدعون عليه ويطلبون من الله ازالته من المسلمين فارسل لهم جماعة من اتباعه واعوانه فقتلوا
منهم جماعة ونفى جماعة من العلماء وشاع ذلك وذاع في سائر الامصار والاقطار ومن جملة مخاطراته ايضا
انه وضع يده على جملة مال الخزائن العثمانية وصار كلما أخذ مبلغا يرسله خفية الى بعض اكابر الدولة
و يأخذ منه تذكرة بوصول المبلغ المذكور ويكتبه و يضع التذكرة عنده فقدر الله ان السلطان مصطفى خلع
نفسه من الملك وفرغ عنه لولد اخيه السلطان مراد جعل الله جلوسه مباركا على البلاد والعباد انه على ما يشاء
قدير * فكان جلوس مولانا السلطان مراد حفظه الله ونصره بجاه محمد وآله على تخت السلطنة الشريفة
العثمانية في يوم الاحد المبارك رابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف ختمت بالخير فامر السلطان
مراد بعود من نفى من العلماء وطلب العسكر المنصور حسين باشا فلما أحس بالطلب وتحقق انه انما طلب
للهلاك والعطب اختفى وتفرقت أتباعه وتشتتوا وذهبت دولته كأن لم تكن وندم حيث لا ينفعه الندم
وصار في الوجود عدم ثم ان مولانا السلطان مرادا أعاد مصطفى قزل اغا الى مرتبته فاخذ مصطفى اغا يدبر في
تحصيل حسين باشا فبلغه انه بمكان فارسل اليه الامان من مولانا السلطان فحضر وقبل أقدام السلطان مراد
فاظهر له البشر وأعاده الى الوزارة العظمى وخلع عليه خلع الرضا فلما تصرف و زال روعه مكث مدة يسيرة
ثم طولب بما وضع يده عليه من مال الخزائن العامرة فاعترف بالاخذ واحضر التذاكر التي أخذها ممن وصل
اليه شيء من المال فقتله السلطان مراد شر قتلة وأخذ جميع ما كان بمنزله مما أخفاه وأظهره وامر ان يلقى
حسين باشا على باب منزله والناس يمرون عليه وأمر أن لا يدفن الا بعد ثلاثة أيام فمر عليه شخص ممن كان
ظلمه وآذاه فرفسه بجزمة كانت برجله فدخلت في جوفه وصار يلقي في جوفه رملا ودفن بعد مضي ثلاثة
أيام ولم يترحم عليه احد وهكذا حال الظلمة المغرورين ثم ان مصطفى اغا ارسل الى أرباب التذاكر وأحضرهم
واحدا بعد واحد واستخلص منهم المال جميعا وكل من أخذ منه ما كان عنده يعاتبه على قبوله من حسين باشا
المال و يقول له اما علمت انه من مال الخزينة وينسب اليه الخيانة بسكوته وعدم اعلامه ثم يقتله و يلقيه
في البحر ولم يبق منهم احد ولله البقاء * ثم تولى محمد باشا لبستنجي في حادي عشر ربيع الآخر سنة احدى
وثلاثين وألف فقام عنه حسن افندي الدفتدار ولم يتهيأ له تولية مصر وصرف عنها فكانت مدة تصرف
حسن أفندي أربعة شهور وسبعة أيام والله أعلم * ثم تولى ابراهيم باشا السلحدار ودخل الى رشيد يوم
الجمعة ثاني عشر شعبان سنة احدى وثلاثين وألف ووصل الى مصر في أوائل رمضان وحصل في زمنه غلاء
يزيد على ما تقدم وقد جاءت الناس من الاقطار الشامية والحجازية وغزة وغيرها الى مصر واقليمها بقصد
الميرة فمن كان ذا مال امتار ما يحتاج اليه ورجع الى أهله ومن لا مال معه وله قدرة على الكسب أو الخدمة
يقتات من كسبه أو من خدمته ومن لا مال معه ولا قدرة له على الكسب أو الخدمة يستعطي حتى امتلأت
مصر وقراها منهم والذي ضبط بيعه من الذرة في ثغر دمياط في مدة ثلاثة اشهر يزيد على ستين الف اردب
وتجدد بعد ذلك ما يقاربه وأزيد وذلك خارج عما يباع من الحنطة والشعير والفول و بقية الحبوب وأما
ما يباع برشيد فضعف ما يباع بدمياط فان رشيد أكثر واردا من دمياط وأما ما يباع ببولاق والمدائن والقرى
فلا حصر له وكل ذلك بعد كفاية أهل مصر وقراها وما ادخروه فسبحان المنعم المتفضل على عبيده فنسأل الله
أن يعمر مصر وقراها و يكثر زرعها وخيرها و يهلك من أرادها ولاهلها بسوء انه على ما يشاء قدير وفي
زمن ابراهيم باشا حصل من أعوانه واتباعه اجحاف وطمع وخروج عن الحد في الخدم التي يتوجهون اليها
وتعبت الرعايا بسبب ذلك وان ابراهيم باشا رمى بضاعة على التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم خسارة

الله واحد والنصارى
تقول بالتثليث وانهم
يعظمون محمدا ويحترمون
القرآن وانهم يحبون
العثمانلي ولم يأتوا الا لطرد
المماليك الظلمة لانهم
نهبوا أموالهم وأموال
تجارهم ولا يتعرضون
للرعايا في شيء لكن لما
دخلوا لم يقتصروا على
نهب أموال المماليك بل
نهبوا الرعايا وقتلوا جملة
من الناس لما قامت عليهم
أهل مصر بسبب طلبهم
تفريد غرامة على البيوت
وقتل منهم ما يقرب من
الالف وهتكوا بعض
الاعراض في مصر وقراها
فان كل قرية حاربتهم
نهبوا أموالها وقتلوا
رجالها وأخذوا نساءها
وقتلوا من علماء مصر نحو
ثلاثة عشر عالما ودخلوا
بخيولهم الجامع الازهر
ومكثوا فيه يوما وبعض
الليلة الثانية وقتلوا فيه
بعض علماء ونهبوا منه
اموالا كثيرة وسبب
وجودها فيه ان أهل
البلد ظنوا ان العسكر

فاحشة

فاحشة فشكوا امرهم اليه فلم يلتفت لشكواهم فعمل عليه طائفة من أكابر الدولة ومنعوه من ذلك فتلاشى أمره وقصرت كلمته واستمر الى أن صرف فى يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين والف وكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما وبه انتهى ذكر من ورد من أرباب الحنكارى الى الديار المصرية ووقف عنده القلم طالبا الكمال هذه الخدمة التاريخية شعر

فاق الورى مثلا يناظرها * وكم أثار بين الناس من مثل
يرتاح سامعها حتى يهز بها * من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعر غيرها سمعا ولا نظرا * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ونرجو من الله تعالى بقاء الدولة العثمانية ودوام عزتها الممتدة بالعناية الربانية وانتظام أقطار الارض فى سلكها اذا دخلة تحت سلطتها وملكها وتحت مصر عندهم بالالتفات محفوفا وكلما قدم مغنم واقتضت الحكمة توليته أصبح محفوظا بالسعد محفوفا بجاه سيدنا محمد افضل العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما الى يوم المعاد آمين

(خاتمة)

روى الامام احمد بن حنبل فى مسنده والترمذى عن عمرو بن مرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام او وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة الا اغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته ولهذا كان بعض الحكام لا يغيب عن بيته ولا يسكن الا فى دهليزه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس من ولى منكم عملا فحجب بابه عن ذوى حاجة من المسلمين حجبه الله يوم القيامة أن يلج الجنة فليس شئ أحب الى الله عز وجل من قضاء حوائج المسلمين ومن كانت همته الدنيا حجبه الله عز وجل عن جوارى فانى بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا بد للناس من امارة برة أو فاجرة فاما البرة فيعدل فى القسم ويقسم فيكم بالسوية وأما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن والامارة الفاجرة خير من الهرج قيل يا رسول الله وما الهرج قال القتل والكذب *(فائدة)* الهرج باسكان الراء الفتنة وكثرة العناد وبفتحها تحير البصر * روى انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس بارة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت يا ليتنى قصرت *وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلى أموركم من بعدى رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها *(فائدة)* تعريف البدعة من ابتدع الشئ اى اخترعه وأحدثه ثم غلب على ما خالف قواعد الشرع *وروى الحاكم وصحح اسناده من ولى من أمور أمتى شيأ فاحتجب عنهم احتجبت عنه يوم القيامة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله عز وجل أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية وغيرهم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون درجات له يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبلغ حاجة من لم يستطع ابلاغها ثبت الله قدميه على الصراط وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المؤمن فى حاجة قضيت أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله

لا يدخلها فحولوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التى حول الجامع ونشروا الكتب التى فى الخزائن بحجة دون ان بها أموالا وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة ومكث بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر سبعة أشهر ثم فى غرة رمضان من تلك السنة توجه الى الشام لقتال الوزير المعظم أحمد باشا الجزار فحاصر حصارا شديدا فى عكا فلم يقدر الله ظفره به وقتل معظم عسكره ورجع الى مصر وترك جانبا من عسكره فى العريش وكان قد حصن القاهرة ببناء القلاع حولها ثم جاء عسكر من جهة الروم الى ناحية ابى قير معهم مصطفى باشا فتوجه اليهم بونابارته مع عساكره وغدرهم وقتل منهم جملة وأسر مصطفى باشا المذكور مع بعض العساكر الاسلاميين ورجع الى

صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن ومن رسالة الجاحظ مما أتى فيها بالحكمة قوله كن شفيعا الى أذنك حتى تسمعها وشفيع أذنك الى قلبك حتى تفهمها وشفيع قلبك الى نفسك حتى تعمل بها وقال ابن زيدون في رسالته المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة ومن كلام الحكمة بذل الجاه أحد المالين وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين والشفيع جناح الطالب والشفاعة أمر مندوب اليه نطق به القرآن وحثت عليه السنة قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقال جابر بن عبد الله من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال نعوذ بالله من ذلك ونسأله التوفيق والعصمة ومن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب متفق عليه وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا من ولي من أمر أمتي شيأ فاشق عليهم فاشقق اللهم عليه ومن ولي شيأ فرفق بهم فارفق اللهم به (فائدة) الرفق هو التوسط واللطافة في الامر مع الناس برفق في تحصيله فمن فعل ذلك ولم يجهد نفسه دام له ما استفاد وأفاد وهدى واهتدى ومن كاف نفسه فوق طاقتها وعامل الناس بصلابة الجانب لم يدم له بجهله فضل وأضل قال صاحب المنفرجة

والرفق يدوم لصاحبه * والخرق يصير الى الهرج

وقد تقدم الكلام على الهرج وقال عبد الله بن طاهر لا ينبغي للملك أن يظلم وبه يدفع الظلم ولا يبخل ومنه يتوقع الجود من الفردوس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على أمتي زمان يكون السلطان كالسبع ومن قبله كالذئب ومن قبله كالثعلب ويكون المسلم كالشاة فتبقى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب قولوا في ذلك الزمان يا سلام سلم يا سلام سلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن قال الشارح ناظما

ان كنت لا ترحم المسكين ان ظلما * ولا الفقير اذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن رحمته * وانما يرحم الرحمن من رحما

ذكر الجلال السيوطي في الاحاديث العشارية الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ناظما

ارحم أخي لمن في الارض يرحمكا * من في السماء فباعد عنك وسواسا
وقل أعوذ برب الناس منك اذا * لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

ومن كلام الحكمة يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور الاول الاكتفاء بغير أهل الديانة الثاني أن يقصد مودة أبيه واستلائه بالادى الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه الرابع أن يكون تقريبه وابعاده لغرض نفسه معرضا عن مراتب الناس الخامس استهانته بنصائح الفضلاء وآراء ذوي التجارب ويقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وقال بعض أهل الحكمة الملك بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلدان وعمارة البلدان بالعدل في الرعية وقيل في المعنى

عليك بالعدل ان أوليت مملكة * واحذر من الظلم فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع عدل اللئيم ولا * يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

(وقال الشاعر ايضا)

خف الله واحذر من عواقب لذة * مسرتها تفني ويبقى لك الوزر

مصر ومكث مدة قليلة ثم اخذ امواله التي جمعها من مصر وتوجه الى ناحية ابي قير وأخذ بعض عسكره ونزل في البحر وذهب الى بلاده مع شدة محافظة مراكب الانجليز على الاسكندرية ومنعهم كل من يسافر من جهتها حتى قيل انه ارشاهم بدراهم ليخلوا له الطريق وولى بدله جهور الفرساويه كليبر صاري عسكر عليهم ثم ان همة مولانا المعظم والخاقان المفخم السلطان سليم توجهت الى مصر فارسل مولانا الوزير المعظم والصدر المفخم يوسف باشا المعدني الغازي صاري عسكر على جيوش المسلمين فتوجه من اسلامبول بالاوردي الهمايون وما زال يسير ويجمع العساكر من البلدان الى ان وصل الى غزة هاشم في شهر رجب من شهور سنة اربعة عشر ومائتين والف ثم وجه عسكرا امامه الى العريش وتوجه

ولاتحقرن ذنبا صغيرا تضيفه * الى غيره فالغيث أوله قطر

واعلم انه لاذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق لاسيما من كان ضعيفا او مسكينا أو لاعقل له او كم لاأشرفت نفسه على الهلاك وقال الامام على كرم الله وجهه ملك بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا عمل كغيم بلا مطر وغني بلا جود كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبة كقنديل بلا زيت وفقير بلا صبر كبيت بلا سقف وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال طلحة الطلحات لاسد بن عبد الله وهو والى خراسان ان كنت تعطى من ترحم فارحم من تظلم ان السموات لتفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر الا الله ولا جند له الا الثقة به ولا سلاح له الا الابتهال اليه فان البغى يصرع أهله والبغى مصرعه وخيم فلا تغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء أن يغيث أغاث وقد أملى لقوم لكى يزدادوا اثما وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد ناصرا غيرى نقل الغزى فى كتابه حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله ومن الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام ومن الجامع الصغير أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وذكر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فى الاربعين حديثا التى جمعها الحديث التاسع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع رواه أبو داود وصححه الحاكم وفى لفظ آخر من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله تعالى الحديث الحادى عشر من الاربعين حديثا المتقدم ذكرها من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولفظه من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من الله ورسوله وقد أجمع المسلمون على تحريم الظلم قليله وكثيره ومن استحله فهو كافر والظلمة من المكاسين وغيرهم غافلون عن هذا كله ومن قوله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة صاحب مكس حديث حسن رواه الامام أحمد فى مسنده وهذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة الغامدية فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له من املاء الشيخ جلال الدين السيوطى على الدرة الفاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه اخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر عن عبد الملك بن سلمة عن أبى لهيعة الى الامام أحمد عن الطبرى وعن منصور بن مجاهد فى قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال نزلت فى المكاسين وأنشد

أقتل أولى المكس ولا تكترث * ان حرموا ذلك أو حللوه
فان خير الخلق اوصى به * اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

(وقال بعضهم)

مصر السعيدة أصبحت * دارا تطيب بها النفوس
فالظلم فيها قد فشا * وأصله قبض المكوس

وذكر بعض الافاضل أن الشيخ محمدا الحبشى بالثاء المثلثة ذكر فى كتابه البركة فى فضل السعى والحركة قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ولد الزنا وأخفاه بين خلقه فاذا أراد أن يظهره جعله مكاسا أو عوانيا وقد أحدث الظلمة أشياء تقشعر من سماعها الجلود فضلا عن مشاهدتها لاشتهارها عند الخاص والعام لما أركز الله فى قلوبهم من حب الدنيا الدنيئة والغفلة عن الآخرة وقد ورد ان الظلمة كلما احدثوا ظلما جدد الله لهم نعمة وأنساهم الاستغفار والرجوع اليه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

بعدهم بنفسه اليها ففتحها الله عليه فى مدة يسيرة نحو خمسة أيام مع ان بونابارته لما ذهب الى الشام حاصرها أربعة عشر يوما فلم يقدر على أخذها مع كون من فيها شرذمة قليلة من عسكر مصر فلما فنيت ذخيرتهم طلبوا الامان وخرجوا منها واما الفرنساوية الذين كانوا فيها فعندهم ذخيرة كثيرة وجبخانة عظيمة لكن معونة الله ساعدت الوزير المذكور على أخذها ثم لما استقر ركابه هناك ذهب اليه جماعة من الفرنساوية ووسطوا بينهم وبينه جماعة من الانجليز فى اجراء الصلح بينهم فصالحوه على انه يترك لهم ماقبضوه من الاموال وأن يدفع لهم جانبا يستعينون به على السفر وشرطوا شروطا كثيرة منها انهم يمكثون فى مصر والبر الشرقى مدة أربعين أو خمسة وأربعين يوما يقضون فيها أشغالهم وبعد ذلك يذهبون الى الجيزة

وقال تعالى وقد خاب من حمل ظلما وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا انه استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (فائدة) تعريف الظلم هو مجاوزة الحد والتعدي على خلق الله وقال الراغب هو لغة وضع الشئ بغير موضعه بنقص أو زيادة أو عدول عن وقته أو مكانه قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال الشارح الظلم على أصحابه في الدنيا يعني انه يورث ظلمة القلب فاذا اظلم القلب تاه وتحير فذهبت الهداية والبصيرة فصار صاحبه في ظلمة ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة النبا عند قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا اي جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه أفضل الصلاة والسلام سئل عنهم فقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكس يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم وبعضهم ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون ثيابا من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وآكل السحت وآكل الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين وأهل الخيلاء وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما تكلم بعض الملوك بكلمة بغي وهو جالس على سريره فمسخه الله فلم ير أثره وفي المغني

أيها المستطيل بالبغي قصر * طالما طأطأ الزمان رؤسا
وتذكر قول الاله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

(وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه)

اذا ظالم استعمل الظلم مذهبا * ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متجبرا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
طغى وبغى حتى اذا غره البقا * أناخت جميع النائبات ببابه

وقد ورد في البغي آثار منها ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا فقال له أنهاك عن ثلاث لا تنقض عهدا واياك والبغي فانه من بغى عليه لينصرنه الله واياك والمكر السيء فانه لا يحيق الا باهله وقال صلى الله عليه وسلم اذا جار الحكام قل المطر واذا نقض العهد جار العدو واذا ظهرت الفواحش كانت الزلزلة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رضي الله على قوم أمطرهم المطر في وقته وجعل المال في سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال في بخلائهم وأمطرهم المطر في غير وقته ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة المطففين ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن روي ان أهل المدينة كانوا يبخسون الناس كيلا فنزلت وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما نزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت وما طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر حدث واصل بن عبد الله السلمي عمن حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يذهب من هذا الدين الامانة وآخر ما يبقى منه الصلاة وسيصلي من لا خير فيه وما فشا الربا في قوم الا استوجبوا حرب الله ورسوله ولا ظهرت فيهم المعازف والغناء الا عميت قلوبهم ولا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا انكست

قلوبهم

يترددون ما بينها وبين الصعيد والاسكندرية نظير تلك المدة حتى يجمعوا عساكرهم من البلاد فاجابهم الوزير لذلك لسلامة صدره فلما حضر بعسكره ونزل ما بين الخانقاه السرياقوسية والمطرية تعللوا عليه بان الانجليز لم تمكنهم من السلوك في البحر ومكثوا مدة يخادعونه حتى جمعوا عسكرهم وغدروا الوزير المذكور وهجموا عليه بغتة فانكسر امامهم وسببه انه اعتمد على الصلح المذكور لسلامة صدره ولم يخطر بباله انهم يغدرون فارجع بعض العساكر والجبخانة والمدافع العظيمة ولم يقدم الا مدافع صغيرة لا تقاوم مدافعهم ثم رجع من العسكر الذين كانوا بالمطرية جملة صحبة كتخدا الدولة عثمان كتخدا منهم نصوح باشا والى مصر حالا وابراهيم بك شيخ البلد حالا وبعض صناجق وقدم أيضا من جهة الصعيد

قلوبهم حتى لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قيل ان سيدنا عيسى عليه أفضل الصلاة والسلام رأى ابليس وهو يسوق أربعة حمير فقال ماهذا قال أسوق تجارة لمشتريها الجور للسلاطين والحسد للعلماء والخيانة للتجار والكيد للنساء ومن كلام الحكمة الأسباب التي تجر الملك الى الهلكة ثلاثة أحدها أن يتأمر شهواته على عقله فيستهويه نشوان الشهوات فلا تسنح له لذة الا اقتنصها ولا راحة الا اقتنصها الثاني من جهة الوزراء وهو التحاسد المقتضى تعارض الآراء فلا يسبق أحدهم الى حق الا عورض وفند الثالث من جهة الجند وهم صنفان صنف وسع الملك عليهم أرزاقهم فابطرهم الاسراف وصبوا بنفوسهم للاتلاف وصنف قتر الملك عليهم أرزاقهم فركنوا الى الاحقاد ولزموا النفاق واعلم أن آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة العادة وآفة الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدل قلة الورع وآفة القوى استضعاف الهمم وآفة المنعم منع النعم والخلافة لا يصلح لها الا التقوى والرعية لا يصلحها الا العدل فمن جار فى قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته ومن كلام الحكمة خير الملوك من أشرب قلوب رعيته محبة لا تزول ولن ينال ذلك الا بخمسة أشياء اكرام شريفها واغاثة لهفها ورحمة ضعيفها وكف عدوان عاديها وتأمين سبل رائحها وغاديها روى عن الامام على رضى الله عنه انه قال فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة تنقسم على أربعة أقسام العلماء وهم الدالون على الله والزهاد وهم الطريق الى الله والتجار وهم أمناء الله والملوك وهم رعاة دين الله فاذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى واذا كان الزاهد راغبا فبمن يهتدى واذا كان التاجر خائنا فبمن يؤتمن واذا كان الملك جائرا فبمن يلتجأ فوالله ما أهلك الرعية الا العلماء الطامعون والزهاد الراغبون والتجار الخائنون والملوك الجائرون فانا لله وانا اليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال صاحب النفحات المسكية وأما أصناف العدل من الخلائق فخمسة رفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات *(فالصنف الاول)* الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أدلاء الامة وعمد الدين والاسلام ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله على خليقته وهم الهداة والقدوة والسرج المنيرة الى سبيل الهدى وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية وأنزل معهم الكتاب والميزان وأن لا يتعدوا حدود ما أنزل الله من الاوامر والزواجر ارشادا وهداية لهم حتى تقوم الناس بالقسط والحق ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان الى نور اليقظة والايمان وهو سبب نجاتهم من دركات جهنم الى درجات الجنان *(الصنف الثانى)* العلماء وهم ورثة الانبياء فهم واقفون مقامات الاقتداء من الانبياء فاقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم فصدقوا بما أتوا به وشيدوا كلمتهم وأيدوا دعوتهم ونشر واحكمتهم كشفا وذوقا وتحقيقا وايمانا بكمال المبالغة لهم ظاهرا وباطنا أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وما ظهر فى هذا الزمان من الاختلال فى حال البعض من حب الرياسة والمال والجاه والحسد لا يقدح فى حق الجميع غفر الله لنا ولهم *(تنبيه فى هذا المحل)* وهو ان مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصارى رحمه الله أفاد فى شرحه على المنفرجة حيث قال قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر أجرى منه واد ومن الوادى نهر ثم من النهر جدول ثم من الجدول ساقية فلو جرى البحر فى النهر أو الوادى الى الجدول لغرق وهو المراد بقوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فبحور العلم عند الله ان الله أعطى الرسل منها أودية ثم أعطت الرسل من أوديتها العلماء أنهارا ثم اعطت العلماء من أنهارها العامة جداول بقدر طاقتهم والمناسب أن يقيد العلماء بالمتفقهة فى الدين *(الصنف الثالث)* الملوك الذين هم يراعون العدل والانصاف بين الناس والرعايا توصلا الى نظام المملكة وتوسلا الى قوام

بعض عساكر صحبة حسن بك الجداوى ومن جهة دمياط بعض ارنؤوت ومحمد بك الالفى ومماليك وانحاز الجميع فى مصر ويسر الله لهم بعض الجبخانة والمدافع بهمة الخواجا السيد أحمد المحروقى لطف الله به ومنعوا الفرنسيس من دخول البلد وأحاطوا بجميع جوانبها ومنعوا من يدخل اليها ومن يخرج منها وحصل للفقراء ضنك بسبب قلة القمح لكن حصل لطف بسبب كثرة الارز والعدس والفول وكان ثمن ربع الارز ثمانية وأربعين نصف فضة والعدس اثنين وعشرين نصف فضة والفول قريبا من ذلك وصار الفرنسيس يضربون البلد بالمدافع والقنابر حتى أتلفوا منها بعض أماكن ولم يمت من ذلك الا القليل من الناس وذلك بفضل الله تعالى وهجموا عليها مرات كثيرة من كل طرف ولم يمكنهم

السلطنة فى أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم بالعدل ومنع القوى عن الضعيف والدنى عن الشريف
فرأس المملكة وأركانها وثبات أحوال الامة وبنيانها العدل والانصاف فان الله تعالى أمر بالعدل ولم
يكتف به حتى أضاف اليه الاحسان فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان لان العدل ثبات المملكة
ودوامها والجور والظلم خرابها وزوالها قال سفيان الثورى صنفان اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا
فسدت الامة الملوك والعلماء *(الصنف الرابع)* أوساط الناس يراعون بالعدل فى معاملاتهم
وأرش جناياتهم فيكافؤن بالحسنة الحسنة والسيئة السيئة *(الصنف الخامس)* القائمون بسياسات
نفوسهم وتعديل قواهم وحفظ جوارحهم وانخراطهم فى سلك العدل لان كل فرد من أفراد الانسان
مسؤل عن رعاية رعيته التى هى جوارحه وقواه كما ورد كل راع مسؤل عن رعيته قال صاحب الدرر
مسؤل عن أهل بيته وحاشيته ولا يؤثر وعظ الشخص فى غيره مالم يؤثر فى نفسه والتأثير فى القريب قبل
البعيد كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

انتهى كلام النفحات المسكية وعلى ذكر الصنف الثانى من النفحات المسكية المتقدم ذكرها قال الشاعر

اجعل العلم يا فتى لك قيدا * واتق الله لا تخذه رويدا
لا تكن مثل معشر فقهاء * جعلوا العلم للدراهم صيدا
طلبوه فصيروه معاشا * ثم كادوا به البرية كيدا
فلهذا اصاب البلاء علينا * مستحقا ومادت الارض ميدا

وقال الغزالى رحمه الله تعالى فى بداية الهداية أيها الحريص ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة
والمباهاة والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع فى هدم دينك
واهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك
وشريك لك فى خسرانك وهو كبائع سيف لقاطع الطريق قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى
باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر
ونأتيه ومما يعزى لمولانا الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم * واجعل على الرأس طيلسانا
واجلس على الركبتين واجثم * وباحث القوم فى عياط * لا من بخارى ولا بمسلم
الازميق ونقض كم * وقول لم لا ولا نسلم * ثيابهم بيضوا رياء
وقلبهم بالسواد مظلم * وان رأوا الوقف يأكلوه * ويتركوا العلم والمعلم
احذر ترى فى الورى فقيها * اهرب وقل يا سلام سلم

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزده هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم
العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه ويضئ على الناس وقال صلى الله عليه وسلم العالم الذى يعلم الناس
الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس
عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبرانى والبيهقى وخبر لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا
وقال صلى الله عليه وسلم أنا من غير الدجال أخوف عليكم فقيل من هم يا رسول الله قال علماء السوء
واعلم ان الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلبه ليتخذه لمعاده ولم يقصد به الا وجه الله والدار
الآخرة فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال العز والمال وهو عالم
بذلك مستشعر فى قلبه ركاكة حاله فهذا من المخاطرين يخاف عليه سوء الخاتمة ويبقى أمره للمشيئة ان

الله تعالى منها ثم بعد
مضى ثلاث وثلاثين يوما
هجموا على باب الشعرية
وحرقوا أطراف الحارات
التى بجوار سيدى عبد
القادر الدشطوطى وقتلوا
جماعة من الرجال ونهبوا
الاموال وسبوا رجالا
ونساء وهجموا قبل ذلك
على بولاق وقتلوا جماعة
كثيرة ونهبوها وسبوا
منها رجالا ونساء فلما
راى المسلمون ذلك وانهم
كلما تمكنوا من محل
أحرقوه بالنار مالوا الى
الصلح بعد طلب
الفرنسيس له شفقة على
الرعية وخرجت العساكر
من البلاد وتوجهوا الى
الشام صحبة كتخدا
الدولة وابراهيم بك وأما
مراد بك فاصطلح معهم
على أن يمكث فى الصعيد
فى بلاد معلومة ويدفع
لهم خراجها ثم بعد خروج
العساكر وتوجههم الى
الشام جمع كبير الفرنسيس
كبير أهل البلاد وطلب
منهم مالا عظيما نحو ثمن
خزن وكل يجمع ذلك

بحقوق التوبة قبل حلول الاجل ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضي وطره من الدنيا وهو مع ذلك يضمر في نفسه انه عند الله بمكان فلان سمته بسيما العلماء فما أفسد هذا المغرور وما أشاكله أ كثر مما أصلحه باقواله انتهى كلام الغزالي وقيل

انی رأيت الناس في مصرنا * لا يطلبون العلم العلم

الا مباهاة لاصحابهم * وعدة للظلم والغشم

ومن الجامع الصغير ومن أ كل بالعلم طمس الله على وجهه ورده على عقبيه وكانت النار أولى به * ومن الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون عامتهم يقرؤن القرآن ويجتهدون في الصلاة يستعملون عمل أهل البدع يشركون من حيث لا يعلمون يأخذون على قراءتهم وعملهم الورق ويأ كلون الدنيا بالدين هم اتباع الدجال الاعور * ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا رحمه الله في شرحه على المنفرجة حيث قال ان كتاب الله تعالى خص بالذكر لانه مرجع الادوية الكبرى والنعمة العظمى في بيان ما لا تهتدى اليه العقول في الاعتصام من الفتن لخبر ستكون فتن كقطع الليل قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو كلام الله لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب منه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا عله الاتقياء من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم * وهنا حكاية لطيفة لا باس بايرادها في هذا المحل وهي ان الشيخ زكريا المشار اليه آنفا كان قاضي القضاة بالديار المصرية وكان معاصر اله رجل من العلماء فاخذ ذلك الرجل يعيب الشيخ زكريا بولاية القضاء ويشنع عليه في المجالس ثم ان ذلك الرجل رأى في منامه رب العزة جل جلاله فقال له ملك وعبد نازكريا ان اغضبتنا نحن اراضا لحناليا ثم ان ذلك الرجل تاب الى الله تعالى ورجع عما هو فيه وجاء الى الشيخ زكريا معتذرا فانظر الى هذا المقام الذي للشيخ زكريا رحمه الله تعالى * ومما يقع لكثير من الناس ممن ابتلى بالتردد على ارباب الولايات ومجالستهم ممن ينتمى الى علم او صلاح فانه يرى منهم ما لا يحل فعله فلا ينكره عليهم فيقع بسبب ذلك في الهلاك وربما يظن صاحب المجلس ان سكوته عن النهي عن المنكر تقرير له واستحسان فيتمادى على ذلك فما ظنك بأناس يحضرون مجالس الظلمة ويشاهدون من ظلمهم ما لا يحل من اكراه وضرب ومصادرات وغير ذلك ولا ينكرون عليهم والعجب من اطباق من يتظاهر بالدين والصلاح على ذلك فانا لله وانا اليه راجعون لم يبق من الاسلام الا رسمه ولا من الدين الا اسمه ومن تذكر فيما ذكر وعمل بما أوردناه فقد أحسن الى نفسه ويرى نور عمله في ظلمات رمسه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * من الجامع الصغير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص قال الشارح اي سارق محتال على اقتناص الدنيا بالدين ويجذبها اليه من حرام او غيره فاحذره أما لو خالطه احيانا لمصلحة كشفاعة ونصرة مظلوم فلا باس والله يعلم المفسد من المصلح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولو بسطنا القول في هذا لاتسع الخرق على الراقع ولكن نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة والتوفيق للعمل الصالح بمنه وكرمه * ومن كلام الحكمة أحسن الملوك من تكاف الكاف عن رعيته فانه ساسها في اقبالها وادبارها والقائم على ثغورها بسدادها والرادع لمراوغها عن افسادها والحافظ لدينها والمعد

رجلا من القبط يقال له يعقوب فقرر ذلك على طوائف الناس والحرف وصار يجمع ذلك منهم بمشقة عظيمة من ضرب وغيره حتى صار بعض الناس يموت من شدة الضيق والحبس وطلبوا من شيخ السادات سيدي محمد ابي الانوار ما لا عظيما نحو خزنة وحبسوه وباعوا جميع متاعه فلم يف بثلث ما طلب منه فاخذوا منه في نظير الباقي التزامه وتعلقاته ما عدا العقار والرزق والتزام الحريم ثم في يوم السبت الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وألف خرج رجل على صاري العسكر المذكور فقتله في بستان خلف البيت الذي في الازبكية وقبض على ذلك الرجل فادعى انه جاء من الشام منذ ثلاثين يوما واختبأ في رواق الشوام بالجامع الازهر وسمى جماعة منه كان عندهم فاحضروهم وقتلوهم وهم ثلاثة علماء

انواؤل المهمات قبل حينها والجابى لفيئها وخراجها والمنفق فى مصالحها وحاجاتها والمجاهد لعدوها
والكالئ لضعيفها من قويها ولرشيدها من غويها مع شدة حال الملك الى رعيته فى سورة أمره وتنقل
نفسه ونهيه ومنع عدوها وعدوه والى ذلك أشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ولى امر المسلمين فهو
عبدهم ويقال أربعة من استقبلها بالعنف فى اربعة أحوال هلك الملك فى حال غضبه والسيل فى حال
صدمته والفيل فى حال غلمته والرعية فى حال هيجانها ويقال ان الرعية لا تخلو من عاقل ذى حزم بان
يخرج السوقة والتجار وأرباب الصنائع من طبقات الجند الى طبقاتهم فانه ليس فى قواهم ما فى قوى الجند
من بذل النفوس فى تشييد عز الملك ولم تزل قدماء الملوك يلزمون كل طبقة ترك التعرض للترقى عنها
(فصل فى ادارة الرأى والاحتراز من العدو) قال بعضهم الرأى مرآة العقل فمن اردت استحسان صورة
عقله فاستشره *(فائدة)* سبعة لا ينبغى لذى اب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان
وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك ويتمنى زوال النعمة والمرائى واقف على رضا
الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذا الهوى أسير هواه
فلا يقدر على مخالفته واحترز من تدبيرك على عدوك كاحترازه من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر
وساقط فى البئر لذى حفر وجريح بالسلاح الذى شهر ويقال اذا أمكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت
للغرق فى بحره والخوض فى وهن سحره والعجب لمن يصغى لعدوه ويلقى له سمعا وهو لا يرجو له نفعا
ويقال من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة
ومن غرس الفكر اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المكر اجتنى المقت ومن
غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكمد وللامم على اختلاف أزمانها وبلدانها
وأديانها اتفاق على مدح أربعة أخلاق العلم والزهد والاحسان والامانة * حدث عباد بن كثير عن
أبى ادريس عن وهب بن منبه قال من أخلاق العاقل عشرة الحلم والعلم والرشد والعفاف والصيانة
والحياء والرزانة ولزوم الخير والمداومة عليه وقصر الشر عنه وعن أهله وطواعية الناصح وقبوله منه
* وحدث حسان بن عبد الله البصرى عن السرى بن يحيى قال وجدت كتابا فيه قول قاله وهب بن منبه من
يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم
ومن لا يدع المراء يشتم ومن يكره الستر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن
يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفقر ومن لا يكن بالله يخذل ومن يستعن بالله
يظفر ويقال صفاء النفس الناطقة بمواظبة الفكرة الصادقة ومن لا فكرة له فيما خلق لاجله فهو مسلوب
معنى الانسانية وحقيقة الروحانية ويقال الامانى فى الشدة ارتياح وفى الرخاء جماح فلا يصلح للعاقل
أن يريح نفسه فى الامانى الا بمقدار ما يؤنس الوحشة وينفس الكربة ويقال استيلاء الامانى على
النفوس كتأمر السفلة الذين يجعلون الرؤس أذنابا والاذناب رؤسا ويسعون فى تغيير صور الصواب * روى
الطبرى باسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا تقوم
الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا
يا رسول الله ما الوعول وما التحوت قال الوعول وجوه الناس واشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت أقدام
الناس لا يعلم بهم *(فائدة)* الفحش هو السوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع وقيل
السوء يعم القبائح والفحشاء ما جاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثانى ما
شرع فيه الحد * ولنجعل ختام هذه الخاتمة فى التفويض والصبر * أما التفويض فهو اعتقاد العجز
عن مغالبة القدر وانه لا يكون من الخير والشر الا ما أراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لا يعتقد ذلك

صلاة وصلبوا القاتل
وقفل الجامع الازهر بعد
اخراج غالب الكتب منه
وشرعوا فى بناء قلاع
وهدموا السور من
باب النصر الى باب الحديد
وجعلوا جامع الحاكم
قلعة وهدموا قواصره
وجعلوا منارته برجا
وهدموا أكثر بيوت
الحسينية وهدموا أيضا
معظم بولاق وبعض
مساجدها وتبدلت
احوال مصر تبدلا زائدا
وخرج أهلها منها ولم يبق
منهم الا القليل لما سمعوا
بوصول بعض العساكر
الاسلامية الى العريش
ثم لما طال عليهم الحال
وضاق عليهم المعاش فى
الارياف رجعوا الى مصر
وضربت الجزية عليهم
كبقية طوائف النصارى
واليهود والفرنج القاطنين
بمصر * ثم فى يوم الخميس
سادس عشر شوال سافر
عبد الله جاك منو لكونه
بلغه ان جماعة من
الانجليز والمسلمين وصلوا
الى ساحل أبى قير

ويجلته من اليقين قال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة من كلام له وان اصابك شيء فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا ولكن قل قدر الله تعالى ومن كلام الحكمة اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن أعوانه تكون الحيلة الكيس الماهر من استسلم لامر القادر * وأما الصبر فقد تقدم الكلام على نبذة منه فى خلافة المقتدى لكن لا بأس بايراد نبذة منه فى هذا المحل فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله وقائده والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنده وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى المؤمن عطاء أوسع من الصبر وان الصبر من الانسان بمنزلة الرأس من الجسد (فائدة) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان فى حوادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك ما لا تقدر بحولك ولا بحيلتك ولو لم يكن فى الصبر الا ما جاء فى القرآن العظيم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضى الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضى الله عنه اى شئ اقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث بن أسد المحاسبي لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر قال الشاعر

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد الله ليس فيه خلاف

كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * ويجيء فى أعطافها ألطاف

مفرد

ما أحسن الصبر ولكنه * فى ضمنه يذهب عمر الفتى

(وقال القاضى الفاضل)

يقولون ان الصبر يعقب راحة * وما فهموا تبليغ عاقبة الصبر

وفى الصبر ربح أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة فى العمر

(وللسراج الوراق)

وقائل قال لى لما رأى قلقى * لطول وعد وآمال تمنينا

عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت نخشى ان تحرينا

والصبر أنواع كثيرة واللائق بهذا المقام صبر الملوك وهو عبارة عن ثلاث قوى الاولى قوة الحكم وثمرتها العفو الثانية قوة الحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات قال الشاعر

لا تقف للخطوب فى كل وقت * لا ولا تخشها اذا هى جلت

فحقيق دوام ما ليس يبقى * كثرت فى الزمان أوهى قلت

وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

ولكن هذا آخر ما يسر الله تعالى جمعه على يد مؤلفه محمد بن اسحق فى هذه الاوراق محارق معناه وراق لاسيما مع تشتت البال والاشتغال بهم العيال والخاطر بالافكار مشغول والعزم للالتواء بالامور وتعسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل والقلب لتوالى المحن وتواتر الغم عليل كما قيل فى المعنى

يعاندنى دهرى كأنى عدوه * وفى كل يوم بالكريهة يلقانى

فان رمت خيرا جاءنى منه ضده * وان راق لى يوما تكدر فى الثانى

وأرجو ممن رشف من راح براعة هذه العبارة وراح يدير فى حدائق البراعة نظره و يمضى انتضاره أن يغمض

والاسكندرية ولما وصل هناك وقع بينهم وبينهم حروب وهزم الفرنسيس وقتل منهم خلق كثير وانحازوا الى الاسكندرية فاحتاط بها المسلمون والانجليز وقطعوا البحر الملح حتى أحاطوا به وانحاز جملة منهم الى الرحمانية وتحصنوا بقلعة بنوها هناك فتوجه المسلمون والانجليز الى رشيد واخذوها ثم توجهوا منها الى الرحمانية وأخذوها أيضا فتوجه الفرنسيس الذين كانوا فيها وانحازوا الى مصر وخرج وا مع من فيها الى ملاقاة المسلمين الذين قدموا فى البر من الشام مع حضرة الوزير الاعظم يوسف باشا وحصل بينهم مقتلة عظيمة فنصر الله المسلمين وهرب الفرنسيس الى مصر وذلك فى أوائل المحرم سنة ألف ومائتين وستة عشر وقد حبسونا فى القلعة مع اخواننا من العلماء خوفا من قيام اهل البلد عليهم كما وقع منهم سابقا

نظر الافكار عند العثور على العثار فانى فى خجل واضطراب من هفوات هذا الكتاب لانه أدرج فيه بقدر ما وسع ملء اهابى من غث وسمين ورخيص وثمين واذا عثره على غير صواب فليصلح واذا وقف على ماليس يحسن فلا يقبح فانى ناقل عمن مضى وأحسن الناس ما كان لطرف الانتقاد مغمضا فان الكريم غفار والحليم ستار فانى لا ادعى رتب الكمال وفوق كل ذى علم عليم ولا أزعم النزاهة من النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم قال الشاعر

ماكان من خطا فى النقل اوخطل * فى اللفظ اوهفوة فى الرقم أوخلل
وشامه ذو ذكا ناقد فطن * فليسترن عوارا منه بالحلل
فليس يعصم من عيب ومنقصة * سوى الملائك والانباء والرسل

(ذكر أثر متصل السند فى النيل)

حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث بن سعد قال بلغنى أنه كان رجل من بنى العيص يقال له حائد بن أبى شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام خرج هاربا الى مصر من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فاقام بها سنين فلما رأى أعاجيب نيلها وما يأتى به جعل لله عليه أن لا فارق ساحله حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة فى الناس وثلاثين سنة فى غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر أخضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلى تحت شجرة من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من أنت فقال له أنا حائد بن أبى شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فمن أنت قال انا عمران بن العيص بن اسحق بن ابراهيم قال فما الذى جاء بك يا حائد قال جئت من أجل هذا النيل فما الذى جاء بك أنت يا عمران قال جاء بى الذى جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فاوحى الله الى ان أقف فى هذا الموضع حتى يأتينى امره فقال له حائد أخبرنى يا عمران ما انتهى اليك من أمر هذا النيل وهل بلغك فى الكتب ان احدا من بنى آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغنى ان رجلا من بنى العيص يبلغه ولا أظنه غيرك يا حائد فقال له حائد يا عمران أخبرنى كيف الطريق اليه قال له عمران لست أخبرك بشئ الا أن تجعل لى ما اسألك قال وماذاك يا عمران قال اذا رجعت الى وانا حى تقيم عندى حتى يوحى الله الى بامره او يتوفانى فتدفننى فان وجدتنى ميتا فتدفننى وتذهب قال ذلك على قال له سر كما انت على هذا البحر فانك تأتى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها اركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت أهوت اليها لتلتقمها حتى يحول بينها وبينها حجبها واذا غربت أهوت عليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهى الى النيل فسر عليها فانك ستبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها وسهولها من حديد فان أنت جزتها وقعت فى أرض من نحاس جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس فان أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وأشجارها وسهولها من فضة فان انت جزتها وقعت فى أرض من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب فيها ينتهى اليك علم النيل فسار حتى انتهى الى أرض الذهب فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبة من ذهب فيها أربعة أبواب فنظر الى ماء ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم ينصرف فى الابواب الاربعة فاما الثلاثة فتغيض فى الارض وأما الواحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح وأهوى الى السور ليصعد فاتاه ملك فقال له يا حائد قف مكانك فقد انتهى اليك علم هذا النيل وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة فقال أريد أن أنظر الى الجنة فقال انك لا تستطيع دخولها اليوم يا حائد قال فاى شئ هذا الذى أرى قال هذا الفلك الذى يدور فيه الشمس والقمر وهو شبه

فمكثنا فى القلعة مائة يوم من تسعة من ذى القعدة الى اواخر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف وسبب خروجنا من الحبس وقوع الصلح بين المسلمين وبين الفرنسيس على أن يخرجوا من البلد يسافروا على رشيد وأبى قير ووقع بينهم شروط كثيرة منها ان يرسلوا الى عبد الله منو فى الاسكندرية اما ان يدخل فى الصلح المذكور واما ان يحاربوه وخرجوا من مصر يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر المذكور وذهبوا الى الجيزة ثم توجهوا منها يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الاول من السنه المذكوره الى رشيد وأبى قير صحبة حسين باشا القابودان وعساكر كثيرة من المسلمين والانجليز وأنزلوهم فى المراكب وامتلأت مصر بعساكر المسلمين وبعض عساكر الانجليز ودخل الوزير الاعظم مصر يوم الخميس فى موكب عظيم عليه

الرجل فقال انى أريد أركبه فادورفيه قال بعض العلماء انه مركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال

له الملك انه سيأتيك من الجنة رزق فلا تؤثر عليه شيأ من الدنيا يبقى مابقيت قال فبينما هو واقف

كذلك اذ نزل عليه عنقود من الجنة فيه ثلاثة من الاصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت

الاحمر ولون كاللؤلؤ الابيض ثم قال يا حائذ ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها فارجع

يا حائذ فقد انتهى اليك أمر النيل قال فهذه الثلاثة التى تغيض فى الارض ماهى قال أحدها الفرات

والآخر دجلة والآخر جيحان فارجع فرجع حتى انتهى الى الدابة التى ركبها فركبها فلما أهوت

الشمس لتغرب أهوت اليها فدنت به من جانب البحر فاقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتا حين مات

فدفنه وأقام على قبره ثلاثا فاقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود ثم أقبل الى حائذ فسلم عليه ثم قال

يا حائذ ما انتهى اليك من علم هذا النيل فاخبره فلما أخبره قال هكذا نجده فى الكتب ثم أظهر له شجرة

تفاح فى عينه فقال الا تأكل معى قال معى رزقى قد أعطيته من الجنة ونهيت ان أوثر عليه شيأ من الدنيا

قال له صدقت يا حائذ او ينبغى لشئ من الجنة أن يؤثر عليه شئ من الدنيا وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا

التفاح انما أنزل الى الارض وليس من الدنيا وانما هذه الشجرة من الجنة أخرجها الله تعالى لعمران

يأكل منها وماتركها الا لك وان وليت عنها رفعت فلم يزل يطريها له حتى حسنت فى عينه حتى أخذ منها

تفاحة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال اتعرفه هو الذى أخرج أباك من الجنة أما انك لو سلمت بهذا

الذى كان معك لاكل منه أهل الدنيا قبل أن ينفد وهو مجهودك أن يبلغ فكان مجهوده ان بلغه وأقبل

حائذ حتى دخل أرض مصر وأخبرهم بهذا ومات حائذ بارض مصر * وبهذا الاسناد الى عبد الله بن

صالح حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد الغافر عن عبد الله بن عمر وفى قوله تعالى فاخرجناهم من جنات

وعيون وكنوز ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتى هذا النيل من أوله الى آخره من الشقين جميعا

من أسوان الى رشيد وكان له سبعة أخلجة خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس

وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ ويزرع ما بين الجبلين كله

من اول مصر الى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا وبهذا

الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها واقامة جسورها

وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة الف وعشرون ألف فاعل معهم الطوريات والمساحى والادات يتبعون

ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا * وذكر فى بعض الاخبار أن حائذا هذا لم يتنبأ وانما أوتى الحكمة وانه سال

الله تعالى أن يريه منتهى النيل فاعطى قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن يطلع على أعلاه

فلم يقدر فسأل الله تعالى فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الرقى وهو بحر اسود منتن الريح مظلم فرأى

النيل يجرى فى وسطه كانه سبيكة الفضة * وقال صاحب مباهج الفكر ذكر أبو الفرج قدامة ان مجموع

ما فى المعمور من الانهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا منها ما يجرى من المشرق الى المغرب ومنها

ما يجرى من الشمال الى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها ما هو

مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر قدامة ان ابتداءه من جهة القمر وراء خط

الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار وكل خمسة تصب منها الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الاول ومن

هذه البطيحة يخرج ماء النيل * وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ان هذه

البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان بين كاتم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة

عطف من غربيها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثانى فيكون على شفتيه عمارة النوبة وفيه هنالك جزائر

متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف الى الجنادل واليها ينتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب

ابهة الجمال وهيبة الكمال وامتلأت قلوب أهل مصر فرحا وسرورا لم يحصل لهم فرح مثله لكثرة ما وقع لهم من طائفة الفرنسيس من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم حتى صاروا فقراء * ثم فى يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر جاء الخبر بان المسلمين ملكوا الاسكندرية بعد قتال شديد ومات خلق كثير من الانجليز والمسلمين وحصر وهم فى البرج ثم طلبوا الامان وكان ذلك فى يوم الجمعة لثمانية عشر من الشهر المذكور ثم طلبوا مدة فاعطوهم ذلك وبعدها أنزلوهم فى المراكب شيأ فشيأ وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد وكانت مدة تصرفهم فى مصر ثلاث سنين وشهرا وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين أهل الارض الذى صرفه الله فى طولها والعرض مالك

الصعيد الاعلى صعودا وهنالك أحجار مضرسة لا مرور للمراكب عليها الافى أيام زيادة النيل ثم يأخذالى الشمال فيكون على شرقيه مدينة اسوان من الصعيد الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لاعمال مصر شرقى وغربى الى الفسطاط فاذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين أحدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند رشيد و يسمى بحر الغرب ومسافته من منبعه الى أن يصب فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا وقيل انه يجرى فى الخراب أربعة أشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهرا وليس فى الارض نهر يزيد حين تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار تمده عند نقصها وقال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف على حسب مددها تكون كثرتها وقلتها وذهب آخرون ان زيادتها بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته من اختلاف الريح وذلك ان الريح الشمال اذا هبت عاصفة للبحر الرومى فيدفع اليه مافيه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيستر جع منه ماءه اليه فينقص وقال آخرون بجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف وانه يخرق البحر ويجرى على معادن الذهب والياقوت والزمرذ والمرجان فيسير ماشاء الله الى أن يأتى بحيرة الزنج قالوا ولولا دخوله فى البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع أحد شربه لشدة حلاوته

وقد تم هذا الكتاب البديع المستطاب

(يقول راجى عفو القريب المجيب محمد عبد اللطيف الخطيب)

الحمد لله خالق الاعيان والآثار ومكور النهار على الليل والليل على النهار العالم بالخفيات وما تنطوى عليه الارضون والسموات والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام الانام القائل وقوله لاسبيل الى رده مصر كنانة الله فى أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ماتليت أخبار فى سائر الليالى والايام (وبعد) فقد تم بعونه تعالى طبع الكتاب المسمى بلطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول وهو كتاب أسفر عن بدائع الغرر ومخبآت الفرائد ومحاسن النصائح وكثير الفوائد لاسيما وقد رقت طرره ووشيت صفحاته بكتاب تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ولعمرى انهما لكتابان مزيزا المثال بديعا المنوال فبترويض النظر فى صفحاتهما تزول الاحزان وبمطالعة مكنونات أسرارهما يتم سرور الانسان وذلك بالمطبعة الازهرية المصريه ادارة الراجى من الله الغفران (حضرة السيد محمد رمضان) فى شهر صفر الخير سنة ألف وثلثمائة واثنى عشر من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم

رقاب الامم سيد سلاطين العرب والعجم مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفا برعاية الحنان المنان وبتدبير وزيره الاعظم ومشيره الافخم صاحب الاوصاف السنية والاخلاق المرضية من هو حقيق بقول الشاعر

خلق كماء المزن طيب مذاقه
والروضة الغناء طيب نسيم
كالغيث الا ان جود يمينه
أبدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر لكن فيه حلم واسع
عمن جنى والدهر غير حليم
كالسيف الا أنه ذو رحمة
والسيف قاسى القلب غير رحيم

وأوصافه الجميلة لا تحد وأخلاقه الحسنى لا تحصر ولا تعد أسأل الله أن يكسو الايام ملابس العز بطول حياته وان يشرح صدر الزمان بدوام مسراته وان يحفظه من كل مكروه مهجته وان تديم على مدى الزمان بهجته بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(فهرست تاريخ الاسحاقى)

صحيفة

(تمت الفهرست)